

الآيات الكاشفة

في العقيدة الكاشفة

الجزء الأول

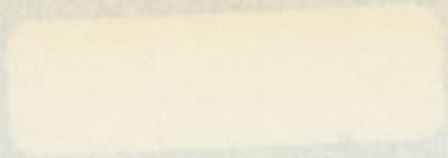
الجزء الثاني

الجزء الثالث

Princeton University Library



32101 072238247



al-Sūdānī, Mūsā Ja'far

الآيات الساطعة

في العبر النافعة

al-Āyāt al-saṭi'ah

علمي ، ديني ، فلسفي ، أخلاقي

تأليف

الشيخ موسى الشيخ جعفر
السوداني

الجزء الاول

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة النجف - النجف الاشراف

١٣٨٥ هـ

لهيئة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد النبيين وخاتم المرسلين فيينا
محمد صلي الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه المرضيين .
فقد كان يمتلج في فكري من زمن بعيد ان ابرز كتيباً في الفقه والأصول
نتيجة لمكاسبي في دراستي المستمرة دون أي فتور رغم ما قاسيت في النجف
الأشرف من مہارات الدنيا خصوصاً بعد انتقال والدي نورالله مرقده إلى جوار
ربه وقد اجتزت مراحلها رغم تعقيدها حتى اكملت اصول دراستي بتوفيق الله تعالى
ثم وفقت إلى إجابة الدعوة لسكني سامراء لاقتضاء الحال ذلك يومئذ
حيث قد اهتم السيد ابو الحسن اعلى الله مقامه بإرسال جماعة من اهل العلم إليها
وهنا تكون المشكاة الكبرى عندي لعدم موافقة العيال وان زائرها يفر منها بيوم
واحد مستوحشاً ضجراً فكيف بمجاورها .
وقد تم إقناعهم بمزيد الأجر والحصول على وظيفة المجاهد لاشغال الحرم
المقدس والمعهد العلمي الأثري للفتاح الميرزا الشيرازي قدس سره .
ويعمر علي فيها ربع قرن خمس وعشرون عاماً دائماً على التدريس بتام الرغبة
وبغير ملل واجتئينا ثمار الرحلة وأهمها بث الأخلاق وحسن المعاشرة والتأثير بما
يؤل إلى راحة المجاورين ودفع اذى الجاهلين وقد اخذ الحب لنا مقره من
قلوب اهلها .

وعندما اقتضت الضرورة انتقالنا إلى بغداد خيم عليهم الحزن واظهروا
الأسف وتعصبوا لتعطيلي غير انهم اقتنعوا بما بينت لهم من السبب الديني الملجئ
لتوجيه السواد من المسلمين المنجرف وراء المغررات يوم ذاك وباحتمكاكي الجديد
مع السواد انمكس ما كان يخالجي من تأليف في الفقه والأصول إلى تأليف مجموعة
في المعارف لسكناية ما اتعب العلماء انفسهم فيه من ذلك اولا ولعدم نفع العلم
بدون العمل نائياً بل قد يكون وبالاً على صاحبه .

ولا تزال غالبية الناس منصرفة عن العمل سواء كان هو الواجب او مطلق
العمل الخيري بعد ان فهموا ان لا منجى لهم إلا بالعمل حيث قد ملا اسماعهم لن
يدخل احدكم الجنة إلا بعمله وإن الأعمال الصالحة كصيد لهم عند الله سبحانه
ليوم فاقنتهم ومع ذلك لا نجد الرغبة ولا اقدام حتى من العامل نفسه فضلاً عن
النارك ومن المؤسف جداً ان عصرنا واهله يطلق عليها عصر النور والجيل الصاعد
وهو كذلك إذ لا مجال لانكار التوسع في التفكير والشحن في الأذهان وكذلك
في علو الهمة والتقدم في مراحل السير وسلم الصمود غير أن ذلك كله قد جمد على
الماديات فقط ولم تستخدم تلك القوى يوماً ما ولو عرضاً في اكتساب الروحيات
بل لو نظرنا دقيقاً لوجدناها قد سدت معظم سهامها لقتل الروح وإبقاء صاحبها
هيكلاً حيوانياً تستعبده الشهوات وتسوقه الأوهام والخيالات وبذلك تخسر ما اليه
مآلها وان المادة مها مست الحاجة اليها واعترفنا بضرورتها لا قيمة لها ما لم تحفظ
الروح وتكفل حياتها وتربيتها ومن هنا قيل إن الدنيا مزرعة الآخرة فيما إذا
احتضنت المادة الروح وقامت بتسميتها وقال سبحانه : (وما الحياة الدنيا إلا متاع
الغرور) فيما إذا تسمت الروح بالمادة وخسرنا الأمرين جميعاً وقال سبحانه :
(وإن الآخرة هي دار القرار) تلميحاً بنا لأن نكثر بزاد يناسب طول زمانها كما
ان من اراد تشييد دار يسكنها طيلة حياته واولاده بعد مماته يستعد لها بأضعاف

ما يستعد به لتشييد دار يروم سكنها سنة واحدة وهذا كله مسبب عن النفس وتلوئها وانطباعها برذائل الصفات ولو انها صغيت وتبلورت ونحلت بمجمل الصفات لانهمكت بأعمال الخير ولم تقنع منه بالقليل كما كان اولياء الله كذلك ولذا انقذح في خاطري من جديد تأليف مجموعة في العرفان من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مشفوعة بالبيان والشواهد والتعليق بما يتسنى لنا مما يكون له مساس في صقل النفس وإزالة الرين الذي عليها قد تكلس من جراء إهمالها وتركها وشهواتها وقد جعلت مضامين الكتاب مصدرة بآيات من الكتاب العزيز هي موجز مفصلاته وبراهين مدعياته ليطابق الاسم المسمى .

وقد رتبته على عقود وفصول وغائمة كما هو مذكور في فهرسته وقد اصر على جماعة من المؤمنين ممن لا يسعني ردهم بسرعة ابراز ذلك لسيس الحاجة وشجعني ما شاهدته من إقبال الأساتذة والطلاب وغيرهم والترامهم حضور محاضراتنا في كل ليلة بعد الفراغ من الصلاة وحفظ ما القيه عليهم وتطبيق غالبه لذا بادرت إلى إبراز هذه المجموعة وأسميتها الآيات الساطعة في العبر النافعة راجياً من المولى جل شأنه تحقيق المأمول ونفع عباده بها مشفوعاً بالقبول ومؤملاً من القراء الكرام الغض عن هفواتها وما توفيقي إلا بالله وتوكلني إلا عليه .

المدخل

هوى النفس ومدى تأثيرها :

قال الله تعالى : « إن النفس لأمارة بالسوء » (١) .

افتتحنا الكتاب بموضوع النفس لأنها قاعدة الاندفاع نحو كل شر ، كما
إنها الجاذبة عن كل خير ، فهي تجمع السلب عن الخير والايجاب للشر .
فنقول :

الانسان ذو إرادة ، بمعنى ان صدور الأفعال منه عن إرادة وقصد ،
وتلك الإرادة تارة تنبعث عن النفس وشهوتها فقط ، وهذا ما يسمى بالشهوات
النفسية ، والذات الفردية ، دون نظر إلى مصالح أخرى وفوائد عامة .
وتارة أخرى تندفع عن العقل وهذا ما يسمى بالمدركات العقلية ، وتكون
النظرة فيها وفي تحقيقها إلى معارف واسعة ومنافع شاملة ، وبعبارة اجلى النفس
تمت إلى الماديات والعقل يصرف إلى الروحيات فهما في الانسان متقابلان تقابل
السلب والايجاب او المقتضي والمانع .

وحكمة إبداع الله سبحانه لها في الانسان حصول المعدل من إرادته وافعاله
ليستقيم نظام الفرد والمجتمع معاً اولاً ، وليحصل على سعادة الدارين ثانياً .
حيث ان العقل بمجردة يجره إلى رفض الدنيا بأسرها ، وعدم العمل لها لأنه
يدرك انها موقته وفانية ، ويكسر حياته وكل جهوده على العمل لآخرته حيث
علم انها الدار الباقية وهذا هو الرهبانية المنوعة في الدين الاسلامي .

(١) سورة يوسف الآية ٥٣ .

وإن النفس بمجرد ما تدفع بصاحبها إلى تحقيق شهواته الشخصية ولذاته الفعلية وتسحق في سبيل إنجازها مصالح آلاف من أبناء نوعه لو عارضتها واذها فوارة غير قارة طموحة غير قنوعة .

وإذا اطلق لها العنان وانقاد لها الانسان لا تقف به عند حد في ارتكاب الموبقات من الظلم والعدو والحيانة والفتك والهتك والطفغان والتعرد .
وحتى تصل به إلى إنكار خالقه . بل ادعاء انه الموجد والعلّة الأولى لغيره كما صدر عن فرعون بقوله : أنا ربكم الأعلى .

وانها لا تدفع بصاحبها إلا إلى الشرور والمهالك كما افصح عن ذلك قوله تعالى « إن النفس لأمارة بالسوء » وكما يوضحه ما ورد عن النبي (ص) انه بعث سرية فلما رجعوا قال (ص) : مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر فقبل : يا رسول الله ما الجهاد الأكبر ؟ قال (ص) : جهاد النفس .

علاجها

هو الانتفات إلى جليل ما رتب الشارع من الأجر على مخالفتها ومجاهدتها بعد ما علم عظيم مفاسدها .

ففي الأمالي عن رسول الله (ص) : إن افضل الجهاد من جاهد نفسه النبي بين جنبيه .

وفي القرر عنه (ص) : جاهد نفسك على طاعة الله مجاهدة العدو عدوه ، وغالبها مغالبة الضد ضده ، فإن اقوى الناس من قوي على نفسه .

وفيه عنه (ص) : جهاد النفس مهر الجنة جهاد النفس بمن الجنة .

وقال (ص) : لا عاجز اعجز ممن اعمل نفسه فأهلكها .

وقال الصادق (ع) : من اعان نفسه في هوى نفسه فقد اشرك نفسه في قتل نفسه .

وقال (ع) : طوبى لمن جاهد في الله نفسه وهواه .

وفي خبر المعراج عند ذكر الله تعالى لصفات المؤمنين في مقام مدحهم « يموت الناس مرة واحدة ويموت احدهم في كل يوم سبعين مرة من مجاهدة انفسهم ومخالفة هواهم والشيطان يجري في عروقهم » .

ومعلوم ان النفس هي باب دخول الشيطان على الانسان فيما إذا ملكته قيادته كسهولة دخول السارق الدار عندما يجذب بابها مفتوحاً أمامه .

وبعكسه فيما إذا سحق الانسان نفسه وأحكمتها بالاجام فيبقى الشيطان خاسراً أمامه لا مدخل له عليه كالسارق فيما إذا وجد الباب موصداً والدار محصنة فحق لخبر المعراج ان يقول والشيطان يجري في عروقهم لأنهم بعد لم يملكوا نفوسهم بحيث تكون عديمة فيهم كما فعل الأولياء .

وقال الصادق (ع) : من ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب وإذا اشتهى وإذا غضب وإذا رضي حرم الله جسده على النار .

وقال (ع) : اقصر نفسك عما يضرها من قبل ان تفارقك ، واسع في فكاكها كما تسمى في طلب معيشتك فان نفسك رهينة بمملك .

وقال لقمان : يا بني إنه النفس عن هواها ، فانك ان لم تنه النفس عن هواها لم تدخل الجنة ولم ترها .

وكان ابو الحسن (ع) يقول : لا تدع النفس وهواها فان هواها في رداها وترك النفس وما تهوى اذاها وترك النفس عما تهوى دواها .

وقال ابو عبدالله (ع) : احذروا اهواءكم كما تحذرون اعداءكم فليس بشيء اعدى للرجال من اتباع اهوائهم وحصائد السننهم .

وفي انوار النعمانية (١) روي ان عابداً عبد الله تعالى سبعين عاماً صائماً
نهاره قائماً ليله فطلب الى الله حاجة فلم تقض فأقبل على نفسه وقال : من قبلك
أتيت لو كان عندك خير قضيت حاجتك .

فأنزل الله اليه ملكاً فقال : يا بن آدم ساعتك التي ازريت فيها على نفسك
خير من عبادتك التي مضت .

وليس معنى ذلك ان عبادته لا قيمة لها عند الله تعالى بل هي على محلها
ودرجتها من القبول غير ان جهاد النفس اثقل منها وزناً بالحسنات عنده تعالى .
فان حالات النفس عجيبة فانظرها وقت إرادة شهوتها فانك لو توصلت اليها
بالأنبياء والمرسلين وعرضت عليها الجنة والنار وقلت لها هذه الجنة مهيئة لك ان
تركت الذنب والنار لك ان فعلت كانت حريصة على الاتيان بالذنب ورفضت كل
تلك الوسائل وإذا كانت جائعة وعوضتها عن تلك الوسائل رغبةً من شعير اقلعت
عن ذلك الذنب ورضيت بذلك الرغيف وصار عندها افضل من الحور العين .
فما أظفها في وقت وما أذلها في آخر .

وعن النبي (ص) : اشجع الناس من غلب هواه .

وقال امير المؤمنين (ع) لا عدو أعدى على المرء من نفسه .

وقال (ع) أيضاً : زنوا انفسكم قبل ان توزنوا ، وحاسبوها من قبل ان
تحاسبوا ، وتنفسوا قبل ضيق الخناق ، وانقادوا قبل عنف السياق ، واعلموا انه
من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها
زاجر ولا واعظ .

وأما ما ورد من الجزاء لقاها والآخذ بخلافها فكثير .

منها ما ورد ان رجلاً كان معتقاً لغير الاسلام ديناً وكانت تجري على

يده كرامات غير اعتيادية مثل اخباره عما يقبضه الشخص بيده دون أن يشاهده وإعلامه بما يضره الانسان في قلبه ومثل مشيه على وجه ماء النهر دون ان تبل قدماه فضلاً عن العرق فيه . فأخبر بذلك الامام موسى بن جعفر (ع) حيث كان في عصره فاستدعا الامام كما هو شأنه في تفنيد الشبه والذب عن الدين حيث قد داخل الناس الشك والارتياب فامتحنه فوجده صادقاً وليس ما عنده من نوع الشعبذة والسحر فقال (ع) له : اصدقني أي عمل عملته خالصاً لوجه الله تعالى ولم يكن مألوفاً لغالبية الناس قال : عاهدت ربي ان لا اوانق نفسي فيما تأمرني به وان آخذ بخلافها حيث علمت انها الأمانة بالسوء فقال الامام الكاظم (ع) : احسنت انها لطاعة عظيمة فهل انت على عهدك مع ربك ؟ قال : نعم فقال (ع) له : اعرض دين الاسلام على نفسك ، فعرضه عليها بعدما تعرف على اصول احكامه قال : لم تقبله نفسي فقال (ع) له : خذ بخلافها كما عاهدت ربك . فعرف ان الاسلام حق واعتنقه ديناً له .

ثم قال (ع) : امتحنوه فيما كان يعلمه فاذا هو لم يعرف شيئاً فزاد الشك عند الحاضرين لتشرفه بدين الاسلام مما يتطلب زيادة كراماته .

فسألوا الامام عن سر ذلك فقال (ع) : إن الله سبحانه قدر له هذه الطاعة لأن مقاومة النفس ليس بالأمر الهين فأراد جزاءه بما يقابل طاعته ، وحيث لم يكن قابلاً لدخول الجنة لافكاره نبوة محمد (ص) والدين الاسلامي تحفه بهذه الكرامات الغريبة في الدنيا جزاء عهده مع ربه ، ولما أن دخل في دين الاسلام سلخها منه وجعل جزاءه الجنة لأنها افضل واعظم من ذلك .

وهذا كله يعطينا عرضاً عن مدى تأثير النفس وانها المنتهية بمتبعها إلى رذائل الصفات والمردية له في اشد الهلكات .

وبعكسها العقل فانه الآخذ بيد المستمد منه إلى جميل الصفات ورفيع الدرجات

ومنها ما ذكر في بعض الروايات : إن رجلاً ضعيف الحال لا يملك من
 حطام الدنيا سوى رغيفين في يومه وليلته من كل مساعيه فقال يوماً في نفسه :
 إني أترك الدنيا وأهلها وأذهب إلى جبل أعبد الله تعالى فيه منعزلاً عن الناس والله
 ولي معيشتي ، حيث إن الرهبانية والانعزال عن الناس كان معروفاً فذهب فصلى
 مدة من السنين وكان ينزل عليه من السماء في كل يوم رغيفان فيحمد الله على ذلك
 وقد كان رجل آخر حسن الحال وكانت المواسم تنصب لديه على اختلاف
 ألوانها وإن سعة الحال ووفور النعمة مما تجر بصاحبها إلى البطر والطفين غير أنه
 التفت وفكر يوماً في أمر الدنيا وإنها زائلة وإنما الباقي للمرء هو ما يقدمه لنفسه
 من العمل الصالح كما قال تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات
 الصالحات » فترك جميع ما يملك وذهب إلى ذلك الجبل فأخبر العابد بما قصد فلبس
 المسوح وجبة الصوف وانقطع إلى الله تعالى بمخالص نيته فقال له العابد : إني
 تركت الدنيا وقد أكرمني ربي بانزال المائدة علي من السماء في كل يوم رغيفين
 يقول ذلك مفتخراً ومستعلياً عليه .

فصلياً معاً فلما حان وقت نزول المائدة نزل على الأول رغيفان كعادته
 ونزل على الثاني مائدة عظيمة متنوعة وموسعة فلما نظر الأول إلى ذلك حسده
 وحقد عليه وقال : لا بد أن تمضي إلى من يحكم بيننا فذهبا إلى نبي زمانها .
 فقال الأول : إني عبدت الله سنين عديدة ولم ينزل علي إلا رغيفان وهذا
 قد عبد الله يوماً واحداً فأُنزل عليه مائدة عظيمة .

فجاءه الوحي أن هذا قد ترك المواسم العظيمة لأجلي وانت تركت رغيفين
 لأجلي وأنا اجزي على قدر الطاعة وقهر النفس .

وحيث قد علم الصلحاء ذلك تراهم قاهرين لها بترك المعاصي محاسبين لها فيما
 إذا تفلت عليهم وأغفلتهم لحظة وصدرت منهم هفوة فلا ينفك موقفهم معها إلا

بالتخلص مما ارتكبهه مخافة كثرة الذنوب وبكلمتها على القلب تقوى شوكتها وتستر بما يعترى القلب من الظلمة لجذب صاحبها إلى معصية اخرى وذنوب اعظم فهم على حذر من ذلك .

روي : ان رجلاً كان ملازماً للصلاة ومحافظاً على اوقاتها فاشتري ذات يوم من بقال تمرأ فلما وزن له البقال ودفع له النور وقعت منه ثمرة صغيرة على تمر البقال فتناول المصلي ثمرة عوضها وأكلها وكانت اكبر من تمرته فلما أتى بيده وحل وقت الصلاة تكاسل عنها وفضل النوم فرأى في منامه كأن رجلين يتساءلان عن سبب تساهله عن الصلاة فقال احدهما للآخر : ان هذا قد تنجس قلبه بأكل التمرة فلما انتبه وعرف سبب تكاسله عن الصلاة ذهب مسرعاً إلى صاحب النور واستوهبه فرجع على عادته من مراعاة اوقات الصلاة وقال امير المؤمنين (ع) في وصفهم :

قد أزم نفسه العدل ، يصف الحق ويعمل به ، لا يدع للخير غاية إلا أمها ولا مظنة إلا قصدها ، لا يستكبرون ولا يستعلون ولا يفلون (١) ، يأمرون بالقسط ويأتمرون به ، ينهون عن المنكر ويتناهون عنه ، فرغوا لمحاسبة انفسهم على كل صغيرة وكبيرة أمرها بقصروا عنها او نهوا عنها ففرطوا فيها .

فقد روي : ان رجلاً منهم كان يصلي في بستان له فوقع طائر ذو ألوان غريبة على شجرة فشاغلته نفسه بالنظر اليه والغفلة عما تعودته من استحضار معاني صلاته واستجماع حواسه فلما فرغ من صلاته خرج من البستان وتصدق بها على الفقراء إرغاماً لنفسه وغلقاً لباب حاولت فتحه عليه .

والخلاصة في معركة النفس الشعور برذائل الصفات وما هي مسقطه لفاعلها في مجتمعه ومستتبعه لعقابه في دار بقاءه فيصدها عنها ويمنعها من ارتكابها مخاطباً

لها بلسان الحال ويحك يا نفس تريدن هلاكي وفضيحتي في الدارين معاً وكذلك
 الشمور بمحامد الصفات وانها الآخذة بيده إلى مراتب السمو والتقدير بين افراد
 نوعه ومحقة له البشري عند لقاء ربه فيحشها على فعلها ثم الاتصاف بها وبمرور
 الأوقات تكون منطبعة عليها ومتنفرة من اضدادها هاربة عن المتصف بها وعند
 ذلك يكون سليماً من شرورها متخلصاً من إشراك شياطينها متملصاً من جنائمه
 إبليسها معدوداً من افراد مصلحتها منخرطاً في صفوف مرغمها مباتناً بالذات
 لصور مطيعيها ولربما يلتحق بصنوف الملائكة بتوفيق من الله تعالى فيما إذا انطبع
 على ذلك حتى حصل على الملكة المتعذر زوالها فحينئذ لا يجد لما كان يقاسمه من
 جراه مقاومتها من تعب اصلا حيث قد اندكت إرادتها وانعدمت شوكتها .
 فتكون انجذاباته نحو الخيرات والفضائل الطبيعية لا شيء من الكلفة فيها
 بحيث يتراعى انهما وفق إرادة النفس ونتيجة التعب الراحة وعاقبة العناء الهناء .
 ولذا قيل : من جد وجد .

العقد الأول

في توحيد الله تعالى

وفيه فصول

الفصل الأول

في معنى التوحيد

قال الله تعالى : « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (١) » .
معنى التوحيد ظاهراً هو شهادة ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
أي انه الواحد المتفرد وباطناً هو العقيدة بأن هناك قوة جبارة ، موجودة لكل
شيء وموجود ، ومسيطرة على كل قوة ومخلوق ، وهي المدبرة لترتيبها والمنظمة
لسيرها وفق الحكمة والمصلحة لها ولغيرها .
فاذا اعتقد الموحد ذلك اعتبر نفسه محتاجاً إلى تلك القوة ومقيداً بإرادتها
وانه غير مطلق وما تتطلبه نفسه وشهوته .
فتكون أعماله حينئذ ومساعدته وكل حركاته وسكناته مقيدة ومرتبطة
بتلك القوة والارادة حيث علم انه لا مناص له منها .
فأما ان ينقاد اليها طمعاً ورغباً وهو المعبر عنه في الأخبار بعبادة التجار .
وأما خوفاً ورهباً وهو المسمى بعبادة العبيد .
وأما ذاتاً وإنصافاً حيث علم باستحقاق ذاته القدسية للطاعة والانقياد

كما قال مولانا امير المؤمنين (ع) مخاطباً ربه معطياً حقيقة التوحيد وجوهر العبادة: «عبدتك لا طمعاً في جنتك ولا خوفاً من فارك ولكن وجدتك اهلاً للعبادة فعبدتك» وهذه تسمى بعبادة الأحرار .

فاذا فهم ارتباطه بتلك الارادة صار همه معرفة الارادة وانحصر توجهه اليها وان المعبر له عن تلك الارادة هو الأحكام المفروضة على الأنام سواء كانت افعالاً كالواجبات او تروكاً كالمحرمات .

ولذلك نجد الرسل والأنبياء في مقام الدعوة للبشر يصدرّون ذلك بطلب التوحيد أولاً ثم فرض الأحكام عليهم ثانياً لكي ينصاعوا الى امثال الأحكام كما ستقف على سيرتهم في الفصل الثاني .

ويجري الشارع المقدس على عادته مع عباده في دفعهم لصالحهم ترغيباً وترهيباً ، فيترتب على كلمة التوحيد لقائلها من الخير ما تكثرت به الأخبار ويشير في مضامينها الى باطن التوحيد كما ان لمن استظهرها عظيم التهديد .

ولنذكر شيئاً منها مما يكون له ربط بما صدرنا به الموضوع من الآية الكريمة «اليه يصعد الكلم الطيب» حيث قيل: إن المراد من الكلم الطيب هي كلمة لا إله إلا الله .

ذكر في الاحتجاج عن امير المؤمنين (ع) انه من قال : لا إله إلا الله مخلصاً طمست ذنوبه كما يطمس الحرف الأسود من الرق الأبيض فاذا قال ثانية : لا إله إلا الله مخلصاً خرق ابواب السماء وصفوف الملائكة حتى يقول الملائكة بعضهم لبعض : اخشعوا لعظمة أمر الله فاذا قال ثالثة : لا إله إلا الله مخلصاً لم تذته دون العرش فيقول الجليل : اسكنني فوعزتي وجلالي لأغفرن لقائلك بما كان فيه ثم تلا (ع) هذه الآية «اليه يصعد الكلم الطيب» .

وعنه (ع) : ما من عبد مسلم يقول : لا إله إلا الله إلا صعدت تحرق

كل سقف ولا تمر بشيء من سيئاته إلا طلستها (١) ، حتى تنتهي الى مثلها من الحسنات فتقف . قال تعالى يا موسى لو أن السموات وعامرين عندي والأرضين السبع في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله .

وعن جابر عن أبي جعفر (ع) قال : قال رسول الله (ص) : لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنها تهدم الذنوب ، قالوا : يا رسول الله فمن قالها في صحته فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ذلك اهدم واهدم إن لا إله إلا الله انس للمؤمن في حياته وعند موته وحين يبعث .

وقال رسول الله (ص) : قال جبرئيل : يا محمد لو ترام حين يبعثون هذا مبيض وجهه ينادي لا إله إلا الله والله أكبر وهو — ذا مسود وجهه ينادي يا ويلاه يا ثوراه .

وعنه (ص) من قال : لا إله إلا الله غرست له شجرة في الجنة من ياقوته حمراء منبتها في مسك ابيض احلى من العسل واشد بياضاً من الثلج واطيب ريحاً فيها امثال انداء الأبقار تغلق (٢) عن سبعين حلة .

وعنه (ص) من قال : لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة وإخلاصه بها ان تحجزه عما حرم الله .

وعنه (ص) : رأيت اشهد ان لا إله إلا الله كلمة عظيمة كريمة على الله عز وجل من قالها مخلصاً استوجب الجنة ومن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه وكان مصيره الى النار .

وهو مفاد الحديث الرضوي المشهور بذوي السلسلة الذهبية عند مسيره من نيشابور وطلب منه الجمع حديثاً عن الرسول الأعظم فقال (ع) : سمعت أبي عن آباءه عن النبي (ص) عن جبرئيل عن الله تعالى يقول كلمة : لا إله إلا الله

(١) عنها . (٢) نشق .

حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي .
 وبعد ان حرك راحلته وخطى خطوات اوقفها فوقف الجمع الغفير فقال :
 ولكن بشرطها وشروطها وانا من شروطها .
 وقد اشترعت لكتابة الحديث آلاف الأقلام .
 والأقوال في مرجع الضمير في قوله تعالى يرفعه ثلاثة :
 (الأول) انه يعود الى الكلم الطيب اعني كلمة التوحيد .
 اي انها هي التي ترفع العمل الصالح لقائلها لأن الانسان مهما عمل من
 الصالحات لا تقبل ولا ترفع بدون التوحيد بل ربما يجازى عاملها عليها في الدنيا
 تحقيقاً للعدل منه سبحانه لأنه القائل : إن الله لا يضيع عمل عامل منكم .
 (الثاني) انه يعود الى العمل الصالح ومعناه ان التوحيد بدون عمل وبدون
 ان يطبق القول بالعمل لا يجدي فان قلنا ان كلمة التوحيد ترفع ذلك الارتفاع
 فبالعمل والتطبيق فالعمل هو الذي يرفعها وبدونه فهي باقية في مكانها .
 (الثالث) انه يعود الى الله تعالى اي هو الذي يتولى رفع العمل الصالح
 والكلم الطيب لعلمه الأزلي وقبل الخلق والايجاد بمن يستحق ذلك فلا يتولى
 الرفع احد غيره .
 وذلك لدفع وهم الاشتباه او الحيف على الرافع لو كان غير الله سبحانه
 تظميناً لعباده وتوثيقاً لهم بحفظ اعمالهم وازها رصيدهم يوم فاقنتهم .

الفصل الثاني

بعثة الأنبياء وحالهم في الدعوة

قال الله تعالى : « وإلى مدين اخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بئخيراً واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم اوفوا المكيال بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين » (١) .

إن الأديان والأحكام محفوظة في السماء وهي في لوح محفوظ وإنما يكون بعث الرسل لبثها في الأرض ونشرها على البشر كي يتدبثوا بها ويلتزموا بمضامينها فيسعدوا في الدارين .

وقد أعطتهم الرسل اصول الأديان وقواعد الأحكام وبلغوهم بأوضح بيان وأقوى برهان .

فأدين موجود من بدء الخلق غير أن متابعة الرسل لعلف من الله تعالى بعباده للتأكيد وزيادة التنبيه وللأخذ بهم الى درجات الرقي في المعارف الالهية والأحكام السماوية .

وإلى ذلك يؤل قول الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم : « أتيت لأتم مكارم الأخلاق » . فإذا الأصول موجودة وأولها وأصل اصولها التوحيد ثم العبادة ثم بقية الأحكام .

ولهذا نجد شعيباً في هذه الآية يسلك مع قومه نفس الطريقة .

(١) سورة هود الآية ٨٤ و ٨٥ .

يبتدئهم بقوله : يا قوم اعبدوا الله ما لستم من إله غيره ثم قال نانياً : ولا تنقصوا ... الخ ، فقد فرض عليهم اداء الحق لأهله ونهاهم عن اكل مال الناس بنقيصة الكيل والوزن حيث كان قوم شعيب دأبهم ذلك وكاوا من الأمم الساقطة السافلة يعبدون الأوثان ويبخسون .

ولنا يمكن ان يقال كيف نسب الله نبيه وهو اكمل اهل زمانه إلى هذه الأمة الساقطة بكونه اخام مما يعطي بظاهره المساواة بين المنسوب والمنسوب اليه . فيقال : إن ذلك لطف منه تعالى ويشير اليهم انكم جميعاً ايها الخلق اخوة ولا تفاوت بينكم بالأصل لأنكم كلكم من آدم وحواء وهما من تراب وما لكم ايضاً إلى تراب فلا تفاضل بينكم من هذه الجهة ولذا آخى رسول الله (ص) بين اصحابه مزاراً حتى آخى بين عمه حمزة بن عبد المطلب سيد البطحاء اسد الله واسد رسوله وبين جويرية وهو عبد إلى غير ذلك .

فكانه سبحانه يقول لنبيه : لا تأخذك العزة حيث اخترت عليهم وارسلتك مبلغاً لهم بل إنما انت اخوهم هذا بالنسبة إلى نبيه .
وأما بالنسبة إلى عباده فكانه يقول لهم : هو اخوكم ليس بأكبر منكم وإنما ارسلته اليكم ليعرفكم إرادتي ويبلغكم احكامي كما حكى عن النبي (ص) إنما انا بشر مثلكم .

كل ذلك منه سبحانه استعظافاً لهم واستجلاباً لنفوسهم . نعم هناك امتياز بين العباد عظيم وفرق جسيم به يرتقي العبد عن إخوانه إلى اوج السماء وينخرط مع صفوف الملائكة وبعده يهبط العبد عن إخوانه إلى اسفل الدرجات وينخرط مع صفوف الشياطين .

ألا وهو التقوى « إن اكرمكم عند الله اتقاكم » .

هذا ويمكن ان تكون نسبة الاخوة اليهم على واقعها لأنه وإياهم ينتسبون

إلى جدهم مدين بيدها ثلاثة اظهر ومدين بن ابراهيم (ع) وشعيب بن نوبة ابن مدين .

ثم يقول لهم : إني اراكم بخير اي بخصب في المزارع ورخص في الأسعار وكثرة في الرزق فلا حاجة بكم تمسك وتلجئكم إلى اكل اموال الناس بالباطل وهذا من حسن البيان في مقام الاحتجاج لأن الطبيعة تقتضي التعفف لذوي الثراء عن الخسة وخيانة الناس في اموالهم .

نعم الفقير المضطر ربما دفعه ضيق حاله إلى ذلك فيما إذا لم يكن له الايمان الكافي بأن الرزق من الله تبارك وتعالى وهو مصدر القسمة وفق ما يراه من صالح عبده فلا يزيده إذا اكل الحرام .

ثم قال : واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط اي شامل لا يفلت منه احد حيث علم توابعهم على ذلك ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اي بالعدل ولا تبخسوا الناس اي لا تنقصوهم اشياءهم اي اموالهم وحقوقهم اي ادوا حقوق الناس على التام في المعاملات .

ولا تمثوا في الأرض مفسدين اي لا تسعوا بالفساد في الأرض بارتكاب المعاصي واستحلال المحرمات بعد ان اصلحها الله بالأمر والنهي وبعثة الأنبياء فيختل نظام الناس حيث ان الله سبحانه فرض عليهم الأحكام لتنظيم امورهم وسير معاشهم إضافة إلى حصول الأجر والثواب لهم منه تعالى في دار بقائهم نجاه امتثالهم اوامره ونواهيه المسببة عن تصفييتهم لذنوسهم من الكدر والتلوث فيكون الخير كله لهم بذلك .

فاذا عثم الفساد في الأرض وسببتم اختلال النظام الذي اراده الله لعباده فقد عرضتم انفسكم للهلاك بانتقامه منكم وإحاطة عذابه بكم .
وحيث لم يذنبوا فجاءهم العذاب الموعودون به .

ففي الكافي عن ابي عبدالله (ع) : اوحى الله إلى شعيب أني معذب من قومك مائة الف اربعين الف من شرارهم وستين الف من خيارهم ، فقال (ع) : يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار ؟ فأوحى الله اليه داهنوا اهل المعاصي ولم يفضبوا الغضبي !! « فلنصرف مصيرنا بسكوتنا » .

قال عطاء : كان شعيب خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وهم اصحاب الأيكة .

وقال قتادة : ارسل شعيب مرتين مرة إلى مدين واخرى إلى اصحاب الأيكة .

فمن علي بن الحسين (ع) : إن شعيباً هو اول من عمل المكيال والميزان عمله بيده فكانوا يكيلون ويوفون ، ثم انهم طففوا فاستحقوا العذاب .

وقال رسول الله (ص) : بكى شعيب من حب الله تعالى حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره فلما كانت الرابعة اوحى الله اليه يا شعيب إلى متى يكون هذا ابداً منك ان يكن هذا خوفاً من النار فقد اجرتك وان يكن شوقاً إلى الجنة فقد اجرتك .

فقال : إلهي وسيدي انت تعلم اني ما بكيت خوفاً من نارك ولا شوقاً إلى جنتك ولكن عقد حبك في قلبي فلست اصبر حتى اراك .

فأوحى الله اليه اما إذا كان هكذا فمن اجل هذا سأخدمك كل عمي موسى ابن عمران (ع) .

والمراد بقوله : اراك اما طلب كمال المعرفة او اراك بمد الموت اي ابكي على حبك حتى الفاك ولا افتر عن ذلك كمن غاب عن حبيبه فهو يبكي لفراقه إلى ان يلقاه .

او ان معناه حتى اراك قد قبلني حبيباً .

حيث قد ثبت انه تعالى لا تدركه الأبصار فلا بد من تنزيه كلمات اوليائه
عالم لا يجوز عليه وصرف ما ظاهره ذلك إلى ما يصح عليه سبحانه لأنهم الأولى
بمعرفة وتنزيهه .

بعثته الى قومه

قال وهب : لما بعث شعيب إلى اهل مدين وكان عليهم ملك جبار لا يطيقه
احد من ملوك عصره وكان يأمرهم بالتطيف والاحتكار إضافة إلى كفرهم وعبادة
الأوثان فوعظهم شعيب فأرسل اليه الملك ماتقول فيما صنعنا اراض انت ام ساخط
فقال شعيب : اوحى الله تعالى إلي ان الملك إذا صنع مثل ما صنعت يقال له ملك
فاجر فكذبه الملك واخرجه وقومه الذين آمنوا به من المدينة .

قال الله تعالى حكاية عنهم : « لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من
قرينتنا » فزادهم شعيب في الوعظ فقالوا : « يا شعيب أصلاتك تأمرك ان تترك
ما يعبد آبائنا او ان نفعل في امواتنا ما نشاء » .

فأذوه بالنفي من بلادهم فسلط الله عليهم الحر والغيم حتى انضجهم فلبثوا
فيه تسعة ايام وصار مآثمهم جميعا لا يستطيعون شربه فانطلقوا إلى غيضة لهم وهو
قوله تعالى : « وكان اصحاب الأيكة لظالمين » (١) .

فرفع الله لهم سحابة سوداء فاجتمعوا في ظلها فأرسل الله عليهم نارا منها
فأحرقتهم فلم ينج احد منهم وذلك قوله تعالى : « فأخذهم عذاب يوم الظلة » .
فلما اصاب قومه ما اصابهم لحق شعيب ومن آمن معه بمكة فلم يزالوا بها
حتى ماتوا .

(١) سورة الحجر الآية ٧٨ .

والرواية الصحيحة ان شعيباً صار منها إلى مدين فأقام بها وبها لقيه موسى ابن عمران (ع) .

وقال الطبرسي في قوله تعالى : فأخذتهم الرجفة اي الزلزلة .

وقيل : ارسل الله عليهم حراً شديداً فأخذ بأنفاسهم فدخلوا اجواف بيوتهم فدخل عليهم البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء وانضجهم الحر فبعث الله سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وظل السحابة فنادوا عليكم بها فخرجوا إلى البرية فلما اجتمعوا تحت السحابة الهبها الله عليهم ناراً ورجفت بهم الأرض فأحترقوا كما يحترق الجراد وصاروا رماداً وهو عذاب يوم الظلة .

وقيل : كان لشعيب قومان قوم اهلكوا بالرجفة وقوم اهلكوا بالظلة .

وقيل : إنه قيل : يا امير المؤمنين حدثنا ، قال : إن شعيباً النبي دعا قومه

إلى الله حتى كبر سنه ودق عظمه ثم غاب عنهم ما شاء الله ثم عاد اليهم شاباً فدعاهم إلى الله تعالى .

فقالوا : ما صدقناك شيخاً فكيف نصدقك شاباً .

فانظر إلى نتيجة قساوة القلب وسيطرة النفس كيف تؤل بصاحبها إلى

جحود حتى المحسوس ، فبدل ان يقيموا ويتيقنوا بمود شبابه وانه معجزة لتصديقه يحبوه بأنهم ما صدقوه شيخاً فكيف يصدقونه شاباً وكأنهم احتاطوا لدينهم .

فما اشبه ذلك بما يحكى من ان رجلاً دخل مسجداً فرأى إمام المسجد يلوط

بغلام فبصق عليه فقال له الامام : ألم تعلم بأن البصاق في المسجد مكروه .

وهكذا الأئمة الأطهار اهل بيت النبي (ص) مع حاسديهم يتركون كراماتهم

المعجزة ويلتزمون ذوي الشعبذات باعتبارها كرامات وينصرفون عن الأخذ من

علومهم الزاخرة تراث جدهم لهم ويأخذون ممن تتلمذ عليهم وعلم اليسير من

علومهم ودروسهم .

وعن ابي عبدالله (ع) قال : لم يبعث الله عز وجل من العرب إلا خمسة انبياء
هوذا ، وصالحاً ، واسماعيل ، وشعيباً ، ومحمداً (ص) خاتم النبيين .
وفي قصص الأنبياء للراوندي من علمائنا بسنده إلى سهل بن سعيد قال :
بعثني هشام بن عبد الملك استخرج له بئراً في رصافة عبد الملك فحفرنا منها مائتي
قائمة ثم بدت لنا جمجمة رجل طويل فحفرنا ما حولها فإذا رجل قائم على صخرة عليه
ثياب بيض وكفه اليمنى على رأسه على موضع ضربة في رأسه .
فكنا إذا نحينا يده عن رأسه سالت الدماء وإذا تركناها عادت إلى
موضعها وسدت الجرح وإذا في ثوبه مكتوب انا شعيب بن صالح رسول
رسول الله شعيب النبي (ع) إلى قومه فضربوني وطرحوني في هذا الجب
وهالوا علي التراب .
فكتبنا ما رأينا إلى هشام فكتب أعيدوا عليه التراب كما كان واحترفوا في
مكان آخر .

وفي كنز الفوائد عن عبد الرحمن بن زياد الافريقي .
قال : خرجت مع عم لي إلى مزدرع لنا فحفرنا موضعاً فأصبنا تراباً هشاً
فحفرنا عامة يومنا حتى انتهينا إلى بيت كهيئة الأذج (١) فإذا فيه شيخ مسجى
وإذا عند رأسه كتابة فقرأتها فإذا هي انا حشان بن سنان الأوزاعي رسول
شعيب النبي (ع) إلى اهل هذه البلاد دعوتهم إلى الايمان بالله فكذبوني وحبسوني
في هذا الحفر إلى ان يبعثني الله واخاصمهم يوم القيامة .
وذكروا ان سليمان بن عبد الملك مر بوادي القرى فأمر بيئر يحفر فيه

(١) بالتدال المعجمة السقاء للنفوخ ، وأمله يريد أن البيت محذب كالسقاء للنفوخ وان
فرى بالزاه المعجمة وهو الحاجب المقوس ، فالمراد أيضاً كالأول لأن المقوس والمحذب متقاربان
في المفهوم من تحديق ظهر البيت .

ففعّلوا فأنزلهي إلى صخرة فاستخرجت فإذا تحتها رجل عليه قيصان واضع يده على رأسه فحذبت يده فشج مكانها بدم ثم تركت فرجعت إلى مكانها فرقى الدم .
فإذا معه كتاب فيه أنا الحارث بن شعيب الغساني رسول شعيب إلى أهل مدين فكذبوني وقتلوني .

نوح (ع)

قال تعالى : « ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه : إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله أني أخاف عليكم عذاب يوم اليم » (١) .
ويجري نوح أيضاً نفس المجري وعلى عين الطريقة سالفة الذكر من ابتداء دعوته لقومه بالتوحيد وحصر العبادة لله تعالى .

تركزاً للتميدة والاعتراف بتلك القوة القهارة المدبرة وهو الخالق سبحانه ويحكي ذلك لنا رب العزة في كتابه المجيد لا كقصص تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، بل لئله بعباده وليعتبروا بمن سلف ، وإنهم هل اجدهم تهمدهم شيئاً أم كانوا من المملكين .

فيعود سبحانه بقصته ثانياً علينا فيقول مبيناً لنا سهولة إهلاكهم وابتكار الطريقة لذلك « حتى إذا جاء أمرنا وطار النور قلنا حمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل » (٢) .

حالة نوح في الدعوة

يكفيينا عن بيان إخلاصه (ع) في دعوته لقومه وإيضاح شدة تهمدهم عليه طول الزمان لذلك كما أفاده قوله تعالى : « فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً »

(١) سورة هود الآية ٢٧ . (٢) سورة هود الآية ٤٠ .

كل ذلك في الدعوة ، واما معنى قوله : حتى إذا جاء امرنا اي قضاؤنا بنزول العذاب عليهم حيث قامت الحجج الكافية لديهم فاستحقوا العذاب وثار التنور بالماء اي ارتفع الماء بشدة واندفاع وفي التنور اقوال احدها انه الاعتيادي للخازبة وانه تنور كان لآدم فار الماء منه علامة لنوح إذ نبع الماء من موضع غير معهود خروج الماء منه ثم اختلف في مكان التنور .

فقال بعض : كان في دار نوح بعين وردة من ارض الشام ، وقال آخرون : كان في ناحية الكوفة وهو المروي عن أئمتنا (ع) ، وروى المفضل بن عمر عن ابي عبدالله (ع) : إن التنور كان في دار عجوز مؤمنة في دبر قبلة ميمنة مسجد الكوفة قلت : كيف خروج الماء من ذلك التنور .

قال (ع) : نعم إن الله احب ان يري قوم نوح آية ثم ارسل عليهم المطر فيفيض فيضاً وفاض الفرات فيضاً وفاضت العيون كلها فيضاً فأغرقهم الله وأنجى نوحاً ومن معه في السفينة ، فقلت : كم لبث نوح في السفينة حتى نضب الماء فخرجوا منها .

قال (ع) : لبثوا فيها سبعة ايام بلياليها .

وفي رواية اخرى ان السفينة استقلت بما فيها فحرت على ظهر الماء مائة وخمسين يوماً بلياليها .

وفي رواية ابن عبيدة الخذاء عن ابي جعفر (ع) قال : مسجد كوفان وسطه روضة من رياض الجنان الصلاة فيه بسبعين صلاة صلى فيه الف نبي وسبعون نبياً فيه فار التنور وجرت السفينة وهو سره بابل وجمع الأنبياء .
(ثانيها) الأقوال في المقصود من التنور .

انه وجه الأرض ويؤيده قوله تعالى : « ونحرنها الأرض عيوناً فالتقى الماء على امر قد قدر » (١) .

(ثالثها) ان معنى فار التنور طلع الفجر وظهرت إمارات تقضي الليل ودخول النهار .

(رابعها) ان التنور اعلى الأرض وأشرفها اي نبع الماء من الأمكنة المرتفعة فشبهت بالتناير لعلوها .

(خامسها) ان فار التنور معناه اشتد غضب الله عليهم ووقعت تقمته بهم تقول العرب حمي الوطيس إذا اشتد الحرب وتقول : فار قدر القوم أيضاً إذا اشتد حربهم .

وحيث اراد الله استئصالهم وإبقاء الدنيا ليعتبر الباقي بالفاني ، قال تعالى مخاطباً لنوح : « قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين » اي من كل جنس من الحيوان ذكراً واثني .

وأهلك اي احمل اهلك وولدك إلا من سبق عليه القول اي سبق الوعد باهلاكه وسبق الأخبار منا به اليك بانه لا يؤمن وهي امرأته الخائنة واسمها واغلة وابنها كنعان .

والصحيح ان معنى خيانتها انها كانت تطلق عليه اسم الجنون كما يطلقه قومه وأما معنى قوله تعالى : ومن آمن اي واحمل من آمن بك من غير اهلك مع اهلك لما علم سبحانه بما اودعه في اصلاهم ثم قال : وما آمن معه إلا قليل وهم ثمانون انساناً في قول الأكثرين .

وقيل : اثنان وسبعون رجلاً وامرأة وبنو نوح الثلاثة ونساؤهم وحمل معه جسد آدم .

وقيل : عشرة اتقس ، وقيل ثمانية ، وقيل سبعة .

وبنوه هم سام وحام وياث .

فالعرب والروم وفارس واصناف العجم ولد سام والسودان من الحبش

والزنج وغيرهم ولد حام والترك والصين وبأجوج ومأجوج ولد يافث .
وقال نوح لمن آمن معه : اركبوا فيها فيركبون معتمدين على ربهم في حال
سخرية القوم بهم قائلين بسم الله مجراها ومرساها .
اي متبركين باسمه تعالى لأنه مبدأ فيوضات الخيرات بأجمعها فذكر اسمه
سبحانه يعطي البركة فهم يقولون باسم الله وقت إجرائها وإرسائها اي لا يفترون
عن ذكره تعالى على كلا الحالين .
وقيل : إذا ارادوا ان تجري قالوا : بسم الله مجراها فحرت وإذا ارادوا
ان تقف قالوا : باسم الله مرساها فوقفت ، فقد أجرى الله تعالى ذلك لهم حساً
كرامة لهم وإظهاراً لآيات الصعود على الايمان .
وأما قوله : « إن ربي لغفور رحيم » هذه مقالة نوح لقومه عند رؤية
النعمة بالنجاة يحكيها سبحانه وقوله : وهي تجري بهم في موج كالجبال بيان منه
للخلق الآتي لعظيم قدرته في إهلاك العاصي وإنقاذ المطيع .
وفي رواية ان الماء ارتفع فوق كل شيء وفوق كل جبل ثلاثين ذراعاً
وقيل : خمسة عشر ذراعاً ، وقيل : إن سفينة نوح سارت لعشر مضين من رجب
فسارت ستة اشهر حتى انتهت الى الجودي وهو جبل بأرض الموصل فاستقرت عليه
يوم العاشر من محرم بعد ان امت الحرم فطافت بموضع الكعبة اسبوعاً حيث قد
رفع الله تعالى البيت إلى السماء وقت الطوفان .
وروى اصحابنا عن ابي عبدالله (ع) ان نوحاً ركب في اول يوم من
رجب فصام وأمر من معه ان يصوموا ذلك اليوم وقال : من صام ذلك اليوم
تباعدت عنه النار مسيرة سنة .
ونادى نوح ابنه كنعان وكان في معزل اي في قطعة من الأرض غير التي
فيها نوح وقيل : إن معناه كان في ناحية من دين ابيه .

يا بني اركب معنا ولا تكن من الكافرين .

كان سبب دعوة نوح لابنه انه كان ينافق اياه ويظهر له الرضا بدينه لذلك دعاه الى الركوب ودعا الله بالقبول بقوله (ع) : إن ابني من اهلي ولكن الظاهر لضعفه يفضحه الباطن لقوته لذا قال : سأوي الى جبل يعصمني من الماء . مصرحاً بما انطوت عليه سريرته .

قال نوح : لا عاصم اليوم من امر الله اي لا مانع ولا دافع من امر الله حيث علم ان قد اشتد غضبه سبحانه عليهم ، وحان وقت هلاكهم واستئصال جرتوتهم وتطهير الأرض من ميكروبيهم ، ثم قال تعالى : وحال بينهما الموج اي بين نوح وابنه فكان من المفرقين مبيناً قطع الوصل بين نوح وبين ابنه .

قبس عن عدالة الباري جل شأنه

حيث ان الله تعالى قد حكم على من تلوث قلبه بالشرك ان لا يشم رائحة الجنة وبالخلود في نار جهنم ، لأن شفافية الجنة وما فيها روحياً لا تلتم مع كدورة تلك الذوات المنغمسة فيها فلا تجده تؤثر عليه المحسوبيات من اعز اهل زمانه عليه وخيرتهم لديه في اعز احد من امته .

من شيخ المرسلين وابي البشر الثاني نوح (ع) وفي ولده وفلذة كبده كنعان تراه يستعطف ربه بقوله : إن ابني من اهلي فيجيبه انه ليس من اهلك مبيناً له المدرك لنفي ولده وما هو النسب الروحي بقوله تعالى : إنه عمل غير صالح ولذا ورد آتوني بأعمالكم ولا تأتوني بأنسابكم ومؤنباً له بقوله تعالى : فلانسألني ما ليس لك به علم لأن قد سبق علمه جل شأنه بما انطوت عليه سريرته من الشرك والنفاق وان اظهر لأبيه الاسلام مما دعاه إلى الشفاعة له جرياً منه على ظاهر الحال

لأن الغيب والسرائر لا يعلمها إلا الله أو من اعلمه الله فأخرجه سبحانه عن نسبه. بينما نجد العكس من نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى يلحق سلمان الفارسي بنسبه الشريف ويقول : سلمان منا أهل البيت والقصة مشهورة عند حفر الخندق ، ولا بد ان يكون صدور ذلك منه (ص) برضا من ربه حيث قد سبق علمه سبحانه بما انطبعت عليه طوبى سلمان من الصلاح وصفاء النفس من أزاله إلى نهاية حياته واستقامته على عقيدته فيقرر الله نبيه على ما وسم به حواريه من رفيع الرتبة وعظيم المنزلة والفوز في الدنيا مع الآخرة ومن جد وجد

نوح وابليس في معركة بعيدة القعر

في قصص الجزائري (١) عن ابي عبدالله (ع) انه لما هبط نوح (ع) من السفينة غرس غرساً وكان فيما غرس النخلة ثم رجع الى اهله فجاها ابليس فقلعها . ثم إن نوحاً عاد الى غرسه فوجده على حاله ووجد النخلة قد قلعت ووجد ابليس عندها فاتاه جبرئيل فأخبره ان إبليس قلعها . فقال نوح لابليس : ما دعاك إلى قلعها فوالله ما غرمت غرساً احب إلي منها ووالله لا ادعها حتى اغرسها . فقال إبليس : وأنا والله لا ادعها حتى اقلعها وقال : اجعل لي منها نصيباً قال : فجعل له منها الثلث . فأبى ان يرضى فجعل له النصف فأبى ان يرضى وأبى نوح ان يزيد . فقال جبرئيل لنوح : يا رسول الله احسن فان منك الاحسان فعلم نوح انه قد جعل الله له عليه سلطاناً فجعل نوح له الثلثين .

قال ابو عبدالله (ع) : فاذا اخذت عصيراً فاطبخه حتى يذهب الثلثان من نصيب الشيطان فاذا ذهب فكل واشرب حينئذ .
 وعنه (ع) في رواية اخرى : ان إبليس نازع نوحاً في الكرم فاتاه جبرئيل فقال : إن له حقاً فأعطه فأعطاه الثلث فلم يرض إبليس ثم اعطاء النصف فلم يرض بالنصف ايضاً فطرح جبرئيل ناراً فأحرقت الثلثين وبقي الثلث .
 فقال : ما احرقت النار فهو نصيبه وما بقي فهو لك يا نوح حلال وعلة ذلك ما ذكر في موضع آخر ان إبليس طلب من حواء في الجنة ان تطعمه من التمر والعنب فامتنعت فقال إبليس : إذا لم تطعميني فدعيني أمص ثمرة وحبّة عنب مصاً فسمحت له بذلك فمصها وبذلك تعرف جلياً فلسفة حرمة الخمر الجوهريّة لما اودع فيها إبليس من سموم روحه وجرثومة نفسه لغاية ان يتسمم بها ذرية آدم وابناء نوح وعباد الله فيمعصون ربهم كما تمهد بذلك حيث قال لعنه الله فوعزتك لأغوينهم اجمعين ... الخ .

نصيحة ابليس لنوح (ع)

في قصص الجزائري (١) عن العسكري (ع) ان إبليس جاء الى نوح فقال ان لك عندي يداً عظيمة فانتصحنني فأني لا أخونك « وحيث ان هذا من ابليس غريب واقرب من ان يكون كذباً وغشاً » فتألم نوح بكلامه ومسألته فأوحى الله تعالى اليه أن كلمه وسله فأني سأنطقه بحجة عليه ، فقال نوح له : تكلم فقال إبليس : اذا وجدنا ابن آدم شحيحاً او حريصاً او حسوداً او جباراً او عجولاً تلقفناه تلقف الكرة « كناية عن سهولة إيقاعه في المعاصي حيث ان هذه الصفات

ر كيزة الشهوات « فإن اجتمعت لنا هذه الأخلاق سميناه شيطاناً .
 فقال نوح (ع) : ما اليد العظيمة التي وصفت ؟ .
 قال : إنك دعوت الله على اهل الأرض فألحقهم في ساعة بالنار فصرت
 فارغاً ولولا دعوتك (١) لشغلت بهم دهرأ طويلاً .
 ومن طريق آخر بسنده الى ابن عباس .
 قال إبليس : يا نوح لك عندي يد سأعلمك خصالا .
 قال نوح : وما يدي عندك ؟
 قال : دعوتك على قومك حتى اهلكهم الله جميعاً .
 فإياك والكبر وإياك والحرص وإياك والحسد فإن الكبر هو الذي حملني
 على ان اترك السجود لآدم فأكفرني وجعلني شيطاناً رجياً .
 وإياك والحرص فإن آدم ابيح له الجنة ونهي عن شجرة واحدة فحمله
 الحرص على ان اكل منها .
 وإياك والحسد فإن ابن آدم حسد اخاه فقتله .
 قال نوح (ع) : فأخبرني اي ساعة تكون اقدر على ابن آدم ؟
 قال عند الغضب .

مقارنة بين نبينا عليه السلام و نوح (ع)

وجدنا كيف يربح إبليس في معركته مع نوح بدعوته على قومه على حد
 تصريحه لعنه الله .
 ومحدثنا الروايات الصحيحة عن نبينا عليه السلام في الرحمة في عدة مواقف من اذى
 (١) قوله (ع) : لا تنذر على الأرض من الكافرين دياراً .

قومه المرير له (ص) فيدعو لهم بدل ان يدعو عليهم بقوله : اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون .

تراه كيف يستدفع عنهم العذاب من ربه بأن عصيانهم لي ليس ناشئاً عن التمرد عليك ، بل لجہلهم بواقع الأمر ، ولعل الجهود في الارشاد والتوجيه يرفع ذلك عنهم بعد حين .

وبهذا ونظائره نفهم جلياً عظيم شخصيته (ص) ورفيع درجته اولا .
ودقيق حكم الله وسابق علمه بخلقه وتفضيل بعضهم على بعض وفق عدله ثانياً
ومن هذا جعله (ص) سيد المرسلين وخاتم النبيين ، بل علة التكوين وقس عليه آل بيته الطاهرين ، حيث حصر التطهير من الرجس بهم ولم يشرك في ذلك معهم غيرهم بقوله تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً » (١) .

وقد اوضحنا مفادها في الحصر في مقام آخر .

المصير الاخير لنوح (ع)

يأتيه ملك الموت وهو نائم بالشمس وقد مر عليه من العمر على اقل الروايات القان وخمسمائة عام فيسبحه لانه قاله إلى النبي ثم يقول له : ما سر علي من الزمان كهذه اللحظة التي انتقلت بها من الشمس الى الظل .

وقد ارسلها (ع) عبرة كافية وموعظة شافية مدوية في مسامع ذريته الى آخر الدهر لو سمعوا بأذان قلوبهم فيستسلم للقاء ربه بعد اداء رسالته فيودع آثار علم النبوة الى ولده سام ويحرم من ذلك ولداه حام ويافث لتصفية الأول لنفسه

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٤ .

من الكدر مما جعلها تنسبك مع العلم والروحيات والتلوّث لها منها مما جعلها تتباعد وتنفصل عن الجوهريات .

ثم يبشر أمته بمن يتلوه بالنبوة كما هي سيرة كل مبعوث إكالا لأداء الوظيفة وإتماماً للحجة فيقول : سيأتكم نبي من بعدي اسمه هود (ع) .

هود في بعثته

قال الله تعالى : « وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملائكة الذين كفروا من قومه إنا نراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين » (١) .

هود بن شبالخ بن ارغشد بن سام بن نوح .

وعاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقد جعلهم الله سكان الأرض من بعد قوم نوح وزادهم بسطة في الخلق كان أطولهم مائة ذراع واقصرهم سبعين ذراعاً قال ابو جعفر (ع) : كانوا كأثم النخل الطوال فكان الرجل منهم يضرب الجبل بيده فيهدم منه قطعة .

وكانوا يعبدون اصناماً سموها آلهة ولذا قال لهم هود (ع) : « أتجادلونني في اسماء سميتموها » (٢) .

ويسلك هود نفس المسلك تبعاً لأسلافه من السفراء فيصدر دعوته بطلب التوحيد ايضاً لتثبيت القاعدة في مركز القلب كي تبني عليها الأحكام . فقال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره .

(١) سورة الأعراف الآية ٦٥ .

(٢) قيل في معنى تسميتهم : إن هذا يسقيهم المطر وهذا يقيم الزرع وهذا يأتهم بالرزق وهذا يشق للرئيس والآخر يصحبهم في السفر إلى غير ذلك .

ترجعون اليه في مهامكم أفلا تتقون وتخافون وتخشون عقابه وسخطه ان
انتم عدلتم عنه إلى غيره او اشر كنتم معه احداً .

الجواب من قومه

قال الملا أي الجماعة وقيل الأشراف والرؤساء الذين يملأون الصدور هيبة
وجالا : إنا نراك في سفاهة أي جهالة أي نراك سفيهاً لكن قالوا في سفاهة
العبارة أي نراك منغمساً في السفاهة .

وإنا لنظنك من الكاذبين أي كذبوه ظانين لا متيقنين وقيل : المراد من
الظن هنا اليقين والعلم ، قال : يا قوم ليس بي سفاهة أي لم يحملني على هذا الاخبار
السفاهة ولكني رسول من رب العالمين ، هذه آداب الله تعالى لرسله بأن لا يقابلوا
السفهاء بالكلام الفبيح ولكن يقتصر الانسان الكامل .

على نفي ما نسب اليه من النقص فيكون موقفه منهم سلبى لا إيجابى بحيث
يقابلهم بالشم واللعن ابلغكم رسالات ربي .

أنى بصيغة الجمع لأن الرسالة تتضمن عدة امور من الأمر والنهي والترغيب
والترهيب والوعد والوعيد إلى غير ذلك فهي إذا بهذا المعنى تكون عدة رسالات
وأنا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه من طاعة الله وتوحيده كي تفوزوا بنعيم
الدنيا وتساموا من غضبه وانتقامه وتسعدوا بنعيم الآخرة وتحصلوا على اجره
وثوابه وهو الجنة الدائمة والسعادة السرمدية .

أمين أي ثقة ومأمون في تأدية الرسالة فلا اكذب ولا اغير بزيادة ولا
نقصان بل ابلغكم كما بلغني ربي .

القصة

كانت عاد تنزل اليمين وكانت مساكنهم بالشجر والأحقاف وهي رمال يقال لها رمال عالج والدهناء ويبرين ما بين عمان إلى حضرموت .

وكان لهم زرع ونخل ولهم اعمار طويلة واجساد عظيمة وكانوا اصحاب اصنام يعبدونها فبعث الله اليهم هوداً نبياً وهو من اوسطهم نسباً وافضلهم حساباً كي يكون اقبل عندهم فدعاهم إلى التوحيد وخلع الأنداد فأبوا عليه وكذبوه فأمسك الله عنهم المطر سبع سنين وقيل : ثلاث سنين حتى قحطوا وهذا منه تعالى كالنفات نظر وبالمرحلة الأولى من نزول العذاب عليهم .

وكان الناس في ذلك الزمان إذا قحطوا ونزل بهم جهد وبلاء اتجأوا إلى بيت الله الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم واهل مكة يومئذ العاليق من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيدهم إذ ذاك رجلا اسمه معاوية بن بكر وكانت امه من عاد فبعث عاد وفداً إلى مكة ليستسقوا لهم فنزلوا على معاوية وهو بظاهر مكة خارجاً من الحرم فأكرمهم واقاموا عنده شهراً .

فلما رأى معاوية طول مكثهم وقد بثهم قومهم يتغووثون من البلاء الذي نزل بهم .

شق ذلك عليه وقال : هلك اخوالي وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيوفي أستحي ان آمرهم بالخروج إلى ما بعثوا اليه وشكا ذلك إلى قينتيه اللتين كانتا تغنيانهم فقالتا : قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قاله فنظم ابياتا تتضمن توبيخهم على ما جاءوا اليه وان عاداً قد اشرفوا على الهلاك ووفدهم مشغولون في شهواتهم فالتفتوا ولام بعضهم بعضاً وقالوا : قوموا ندخل الحرم ونستسقي فقال رجل منهم

قد آمن بهود سرأ والله لا تسفون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم سقيتم فزجروه ودخلوا مكة يستسقون وكان رئيس وفد عاد قيل ابن عنز فقال : يا إلهنا إن كان هود صادقاً فأسقنا قد هلكنا « فانظر إلى قدر عتوهم حتى عند اضطرارهم » فأنشأ الله سبحانه سحبا ثلاث بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل إخر لنفسك ولقومك فأختار السحابة السوداء التي فيها العذاب فساق الله سبحانه تلك السحابة بما فيها من النعمة إلى عاد .

فلما رأوها استبشروا وقالوا : هذا عارض ممطرنا فيقول الله تعالى : بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم فسخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي دائمة ومتوالية .

فلم تدع من عاد احداً إلا هلك قيل : هي التي تسميها العرب ايام العجوز نسبت اليها لأنها دخلت سرأ فتبعها غمامة فقتلتها في اليوم الثاني واعتزل هود ومن معه المؤمنين في حظيرة لا يصيبه ومن معه إلا ما تلين عليه الجلود وتلذد النفوس وانها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والأرض وتدمنهم بالحجارة فأهلكتهم وروى ابو حمزة الثمالي عن سالم عن ابي جعفر (ع) قال : إن لله تبارك وتعالى بيت ريح مقفل عليه لو فتح لأذرت ما بين السماء والأرض ما ارسل الله على قوم عاد منه إلا قدر الخاتم .

الخلاصة

- فالمستفاد من الآية ان الاعتراف بالله فطري يرجع اليه عند الشدة .
- لذا استجار قوم هود على كفرهم وعبادة اصنامهم ببيت الله الحرام .
- وان اهل الحق قليل بل هم الضعفاء لقوله تعالى الملائكة من قومه ... الخ ،

ففي الآية من التسلية للمؤمنين لقلبتهم وضعفهم ما لا يخفى وانهم هم الفائزون والمنصورون مما بلغ بهم الظلم والعدوان .

وقال تعالى في بيان استهتارهم وإخلاقهم بالنظام إضافة إلى كفرهم مما تقتضي فيه الحكمة إهلاكهم كجرثومة تنشر الأمراض لا بد من القضاء عليها ولزوم استئصالها من جذورها ثم قال تعالى : « أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين » (١) .

هو اتخاذهم بروجاً للحمام عبثاً وكانوا يبنون البنيان في المواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة فيسخرها بهم ويعبثوا منهم فتنقطع بذلك السبل .

وفي تفسير علي بن ابراهيم لما اخطوا جاء قوم إلى بابه (٢) يريدونه فخرجت اليهم شطاء عوراء فقالت : ما تريدون ؟ قالوا : نحن من بلاد كذا وكذا جئنا إلى هود نسأله ان يدعو لنا حتى تمطر ونخصب بلادنا فقالت : لو استجيب لهود لدعا لنفسه احترق زرعه لقله مائه وكان هود زارعاً .

قالوا : فأين هو قالت في موضع كذا فجاءوا إليه فقالوا : يا نبي الله قد اجذبت بلادنا فسل الله ان يمطرها فصلى ودعا لهم فقال : ارجعوا فقد امطرتم فقالوا : يا نبي الله لقد رأينا في بيتك عجباً امرأة شطاء عوراء وحكوا له كلامها فقال هود : هي امرأتي وأنا ادعو الله لها بطول البقاء قالوا : وكيف ذلك قال : لأنه ما خلق الله مؤمناً إلا وله عدو يؤذيه وهي عدوتي فلأن يكون عدوي ممن املكه خير من ان يكون عدوي ممن يملكني .

وقد كان دائماً في دعوة قومه إلى التوحيد ونهيهم عن عبادة الأصنام كي تخصب بلادهم كما حكى ذلك رب العزة عنه بقوله : « ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا

(١) سورة الشعراء الآية ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ . (٢) أي إلى باب دار هود (ع)

مجرمين» (١) ، على منهج التعاليم السماوية ترغيباً وترهيباً .
 وحيث لم يجد فيهم وقد قامت عليه الحجة ارسل الله تعالى عليهم الريح
 الصرصر فقال : « إنا ارسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر » (٢)
 قيل : كان القمر منحوساً بزحل .

وعن ابى جعفر (ع) الريح العقيم تخرج من تحت الأرضين السبع وما
 خرج منها شيء إلا على قوم هود حين غضب الله عليهم فأمر الخزان ان يخرجوا
 منها على قدر سعة الخاتم .

فمصفت على الخزنة فخرج منها على قدر منخر الثور فضج الخزنة إلى الله
 من ذلك وقالوا : يا ربنا انها قد عنت علينا ونحن نخاف ان تهلك بمن لم يعصك
 من خلقك وعمار بلادك .

فبعث الله جبرئيل فردها بجناحه وقال لها : اخرجي على ما امرت به
 فرجعت على ما امرت به فأهلكت قوم عاد ومن كان بحضرتهم .

قال علي بن ابراهيم : امر المعتصم ان يحفر بالبطانية بئر فحفروا ثلاثمائة
 قامة فلم يظهر الماء فتركه ولم يحفره فلما ولي المتوكل امر ان يحفر ابدأ حتى يبلغ
 الماء فحفروا حتى وضعوا في كل مائة قامة بكرة حتى انتهوا إلى صحرة فضربوها
 بالمعول فأنكسرت فخرج عليهم منها ريح باردة فمات من كان بقربها فأخبروه بذلك
 فلم يعلم ما ذلك فقالوا : سل ابن الرضا (ع) عن ذلك ، فكتب إلى الامام الهادي
 عليه السلام يسأله عن ذلك فقال (ع) : تلك بلاد الأحقاف (٣) قوم عاد اهلكهم
 الله بالريح الصرصر نبيهم هود وكانت بلادهم كثيرة الخير إلى آخر القصة .

وفي كتاب الاحتجاج ان الدوانيقي امر يقطين ان يحفر بئراً بقصر العبادي
 فلم يزل يقطين في حفرها حتى مات المنصور ولم يستنبط منها الماء فأخبر المهدي

(١) سورة هود الآية ٥٥ و ٥٦ . (٢) سورة القمر الآية ٢٠ (٣) الرمل .

بذلك فقال : احفروا ابدأ حتى يستنبت الماء ولو انفتحت جميع ما في بيت المال .
 فلم يزالوا في حفرها حتى ثقبوا ثقباً في اسفل الأرض فخرجت منه الريح
 فهالهم ذلك فأخبروا ابا موسى فقال : انزلوني وكان رأس البئر اربعين ذراعاً في
 اربعين ذراعاً فأجلس في شق محمل ودلي في البئر فلما صار في قعرها نظر إلى هولها
 وسمع دوي الريح في اسفل ذلك فأمرهم ان يوسموا الحرق فجعلوه شبه الباب العظيم
 ثم ادلى بها رجلين في شق محمل فقال : اتوني بخبر هذا فنزلا ومكثنا ملياً ثم حركا
 الحبل فأصعدا فقال لها : ما رأيكما ؟ قالا : امرأ عظيماً نساءً ورجالا وبيوتاً وآنية
 ومتاعاً كلهم مسوخ من حجارة .

فأما الرجال والنساء فعليهم ثيابهم فمن بين قاعد ومضطجع ومتكى ، فلما
 مسسناهم إذا ثيابهم تنفثاً مثل الهباء ومنازلهم قائمة .

فكتب ابو موسى إلى المهدي فكتب إلى المدينة إلى موسى بن جعفر (ع)
 يسأله ان يقدم عليه فقدم فأخبره فبكى الامام بكاءً شديداً وقال : هؤلاء بقية
 قوم هود « وهو القادر على إبقائهم عبرة » غضب الله عليهم فساخت منازلهم
 هؤلاء اصحاب الأحقاف .

وقال (ع) : الرياح خمسة ومنها العقيم فنعوذ بالله من شرها ولكل ريح
 ملك موكل بها فإذا اراد الله ان يعذب قوماً بنوع من العذاب اوحى إلى موكل
 ذلك النوع من الريح الذي يريد ان يعذبهم به فيأمرها الملك فتهبج كما يهبج
 الأسد الغضبان .

ولسلك منها اسم اما تسمع قوله تعالى في عاد : إذ ارسلنا عليهم ريحاً
 صرصراً ، وقال تعالى : الريح العقيم ، وقال تعالى : ريح فيها عذاب اليم ، وقال :
 فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت وما ذكر من الرياح التي يعذب بها من عصاه .
 وعن وهب ان الريح العقيم تحت الأرض التي نحن عليها قد وكل الله بها

سبعين الف ملك سلطها الله على عاد استأذنت خزنة ربها ان يخرج منها قدر منخري الثور ولو أذن الله لها ما تركت شيئاً على وجه الأرض إلا احرقته وبها يذسف الله الجبال نسفاً وذلك قوله تعالى : « يسألونك عن الجبال فقل يذسفها ربي نسفاً فيذرهما قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً » (١) .

سميت العقيم لأنها تلقحت بالعذاب وتعمقت عن الرحمة كتعمق الرجل إذا كان عقيماً لا يولد له .

وطحنت تلك القصور والحصون والمدائن حتى صاروا رملاً وإنما كثر الرمل في تلك البلاد لأن الريح طحنتها وعصفت عليهم وكانت ترفع الرجال والنساء فتهب بهم صعداً ثم ترمي بهم من الجو فيقعون على رؤوسهم منكبين .
وكانت الريح قد نقضت الجبال كما نقضت المساكن فتطحنها فتعود رملاً دقيقاً وإنما سميت عاد إرم ذات العماد ، لأنهم كانوا يسلخون العمد من الجبال فيجعلون العمد مثل طول الجبال الذي يسلخونها منها من اسفله إلى اعلاه ، ثم ينقلون تلك العمد فينصبونها فيبنون عليها القصور فسميت ذات العماد .

النتيجة فيما يخصنا

ذكرنا مراراً ان المقصود من قصص القرآن الكريم هو الاعتبار بمن مضى حيث لم تدفع عنهم قواهم لحظة واحدة حين جاءهم امر الله ، وهو تهديد لنا ووعيد وهو ابلغ من توجيهه لنا مباشرة ، لأنه كناية ، وهي ابلغ لأنها دعوى مع برهان فلسان حال القصص بأجمعها ينادي إحذروا يا امة محمد لا يصيبكم مثل ما اصاب من قبلكم ، ومن هم اقوى منكم .

(١) القاع هي التي لا نبات فيها ، والصفصاف لا عوج فيه ، والأمت المرتفع .

ثم لم يكتف سبحانه للطفه بعباده بذلك فقط ، بل صدح القرآن بصوته المدوي في اوضح عبارة فقال : « أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها » (١) .

اي فهلا ساروا في الأرض ورأوا آثارهم ، وبقايا ملكهم ، وإمارات مكانتهم ، واقتدارهم وسيطرتهم ، ونظروا في عواقب امورهم ، وانهم اهلكوا منهم بالفرق ، ومنهم بالحجارة ، ومنهم بالخشف ، ومنهم بالريح ، ومنهم بالصيحة ، إلى غير ذلك ، ولم يهلكهم سبحانه بنوع واحد من العذاب ، لزيادة الردع والتخويف ، لأن التنفيع بأنواع العذاب يوجب شدة الرهبة في النفوس ، غير ما إذا كان الاهلاك بنوع واحد .

كما إذا كان عند دولة انواع من السلاح الفتاك ، فان الخوف منها يكون اشد من الدولة التي لا يكون لها إلا نوع واحد من السلاح . وهذا ايضاً يعد لطف منه جل شأنه ، كي يري خلقه عظيم قدرته ، فيخشوه ولا يقموا في مهصيته ، فيستحقوا نعيم جنته ، ويتخلصوا من اليم ناره وشديد عقابه .

ابراهيم الخليل وصفاته

قال الله تعالى : « وإذا قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ اصناماً آلهة اني اراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا احب الآفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن

من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما افلت قال يا قوم اني بري مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين « (١) .

ذكر سبحانه ابراهيم (ع) في كثير من السور ، لأنه أب الأنبياء ، ونابي اولي العزم ، و خليل الرحمن ، وكانت الأنبياء ينسبون إلى دينه ، ولذا قال (ع) : ما على دين ابراهيم غيرنا وغير شيعتنا ، قال تعالى : « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ان اولي الناس بابراهيم الذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » .

وفي علل الشرائع مسنداً إلى الرضا (ع) قال : إنما اتخذ الله ابراهيم خليلاً لأنه (ع) لم يرد احداً قط ، ولم يسأل احداً غير الله . وعن ابي عبدالله (ع) : اتخذ الله ابراهيم خليلاً لكثرة سجوده على الأرض .

وعن الهادي (ع) : إنما اتخذ الله ابراهيم خليلاً لكثرة صلواته على محمد وآله ، وعن النبي (ص) ما اتخذ الله ابراهيم خليلاً إلا لاطعامه الطعام . وصلاته بالليل والناس نيام ، وعن علي (ع) ان ابراهيم اول من اضاف الضيف ، وأول من شاب ، قال (ع) : كان الرجل يموت وقد بلغ الهرم ولا يشيب ، فكان الرجل يأتي النادي فيه الرجل وبنوه ، فلا يعرف الأب من الابن ، فيقول : ابيكم ابوكم فلما كان زمن ابراهيم قال : اللهم اجعل لي شيئاً اعرف به ، فشاب وابيض رأسه ولحيته فقال : ما هذا ؟ قيل له : وقار في الدنيا ونور في الآخرة .

وكان اول من اتخذ النملين ، وعن ابي جعفر (ع) كان الناس يموتون جفاة ، فلما كان زمن ابراهيم قال : يارب اجعل الموت علة يؤجر بها الميت ، ويسلى بها عن المصائب ، فأنزل الله البرصام ، ثم انزل بمده الداء .

(امارات النبوة)

قيل : وكان آزر يصنع الأصنام لخرود وللناس ويأمر اولاده يبيعونها ،
ولما بلغ ابراهيم ثلاث عشرة سنة ، كان يعطيه الأصنام ليبيع مثل اخوته ، فكان
يضع في اعناقها الخيوط ويسحبها على الأرض وتارة يضعها في الماء ، ويقول :
من يشتري ما لا يضره ولا ينفعه ، ويقول لها : تكلمي ، فذكر ذلك اخوته لأبيهم
فذهاب فلم يذنه ، فحبسه ولم يدعه يخرج .

وفي كتاب قصص الأنبياء للجزائري (١) قال رسول الله (ص) : إن ابراهيم
لما رفع في الملكوت وذلك قول ربي : « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات
والأرض وليكون من الموقنين » قوى الله بصره لما رفعه دون السماء حتى ابصر
الأرض ومن عليها ، ظاهرين ومستترين ، فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فدعا الله
عليها بالهلاك فهلكا ثم رأى آخرين فدعا عليها بالهلاك فأوحى الله اليه : يا ابراهيم
اكفف دعوتك عن عبادي وإمائي . فإني أنا الغفور الرحيم ، الجبار الخليم ،
لا تضرنني ذنوب عبادي ، كما لا تنفعني طاعتهم . ولست اسوسهم بشفا الغيظ
كسياستك . فاكفف دعوتك عن عبادي . فأنما انت عبد نذير . لا شريك في
المملكة ، ولا هميمن على عبادي وعبادي معي ، بين خلال ثلاث : اما تابوا إلي
فتبت عليهم ، وغفرت ذنوبهم . وسترت عيوبهم ، واما كففت عنهم عذابي ،
لعلمي بأنه سيخرج من اصلاهم ذريات مؤمنون ، فأرفق بالآباء الكافرين ،
وأثنى بالأمهات الكافرات ، وأرفع عنهم عذابي ليخرج اولئك المؤمنون من
اصلاهم ، فإذا تزايدوا حق بهم عذابي . وان لم يكن هذا ولا هذا فان النبي

اعددت لهم من عذابي ، اعظم مما تريد لهم ، فان عذابي لعبادي ، على حسب
جلالي وكبريائي ، يا ابراهيم وخل بيني وبين عبادي ، فاني انا الجبار الخليم ،
العلام الحكيم ، ادبرهم بعلمي ، وأنفذ فيهم قضائي وقدري .
وعلى منواله الحديث القدسي « يا موسى لو يعلم عبادي المدبرون عني ،
كيف انتظاري لهم ، وشوقي إلى توبتهم ، وحيي لاقبالهم ، انقطعت اوصالهم
حباً لي ، هكذا انتظاري للمدبرين ، فكيف انتظاري للمطيعين .
هذا ربنا ، وهذه رحمته ، هذا خالقنا ، وهذا عطفه ، فهل لنا ان نرعى
حقوقه ، ونقابل كرمه ، وننقاد إلى صالحنا من تعاليمه ، وسعادتنا من امتثال
احكامه ، ونظمننا بالانتماء حدوده .

تدبير الله تعالى في رسله

ذكر اهل التفسير والتاريخ ان ابراهيم (ع) ، ولد في زمن نمرود بن كمنان
وزعم بعضهم ان نمرود كان من ولاة كيكوس ، وقال بعضهم : كان ملكاً برأسه ،
وقد قيل لنمرود : إنه يولد في بلده هذه السنة مولود ، يكون هلاكه وزوال
ملكه على يده .

ثم اختلفوا فقيل : إنما قالوا ذلك من طريق التنجيم والتكهن ، وقيل : بل
وجدوا ذلك في كتب الأنبياء ، وقيل : رأى نمرود كوكباً طلع فذهب بضوء
الشمس والقمر ، فسأل عنه فعبّر بأنه يولد غلام ، يذهب ملكه على يده عن السدي
فعند ذلك امر بقتل كل ولد يولد تلك السنة ، وامر بأن يعزل الرجال عن
النساء ، وبأن يتفحص عن احوال النساء ، فمن وجدت حبلى تحبس حتى تلد ،
فان كان غلاماً قتل ، وان كانت جارية خلقت ، حتى جبلت ام ابراهيم (ع) ،

فلما دنت ولادة ابراهيم (ع) ، خرجت امه هاربة ، فذهبت به إلى غار ، ولفته في خرقه . ثم جعلت على باب الغار صخرة ، ثم انصرفت عنه .

فجعل الله رزقه في إبهامه ، فيمصها فتشخب لبناً وجمل يشب في اليوم ، كما يشب غيره في الجمعة ، وفي الجمعة كما يشب غيره في الشهر ، وفي الشهر كما يشب غيره في السنة ، فمكث ما شاء الله ان يمكث .

وقيل : كانت تختلف إليه امه ، فكان يمص اصابعه فوجدته يمص من إصبع ماء ، ومن إصبع لبناً ، ومن إصبع عسلاً ، ومن إصبع تمرأً ومن إصبع سمناً ، ولما خرج من السرب ، نظر إلى النجم وكان آخر الشهر فرأى الكوكب قبل القمر ، ثم رأى القمر ، ثم رأى الشمس ، فقال ما قال ولما رأى قومه يعبدون الأصنام خالفهم ، وكان يعيب آلهتهم ، حتى فشا امره ، وجرت المناظرات بينه وبين قومه .

ونعود لمعنى الآية .

اذكر يا محمد وانقل لقومك ، ان ابراهيم قال لأبيه آزر وهذا على حد قوله تعالى لنبيه الكريم: « وأنذر عشيرتك الأقربين » والمقصود إنفات انظارهم إلى المقارنات لايضاح الأمر لهم وكشف اللبس عنهم .

وفي آزر اقوال (احدها) انه اسم أبي ابراهيم . (ثانيها) ان اسم ابيه تارخ . قال الزجاج ليس بين النسابين اختلاف في ان اسم ابي ابراهيم تارخ . والذي في القرآن يدل على ان اسمه آزر .

وقيل : إن آزر عندهم كلمة ذم كأنه قال (ع) لأبيه يا مخطىء ، وقيل : آزر اسم صنم . فكانه قال : أتخذ آزر واشباهه ويكون آلهة معرباً على البدلية من آزر واشباهه .

وقال الامامية : إن آزر كان جد ابراهيم لأمه او كان عمه من حيث

صح عندهم ان آباء النبي (ص) إلى آدم كلهم كانوا موحدين واجتمعت الطائفة على ذلك على ما تقرر عندهم . من تنزيه الأنبياء عن كل شين ، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : لم يزل ينقلني الله من اصلاب الطاهرين ، إلى ارحام المطهرات حتى اخرجني في عالمكم هذا ، لم يدنسني بدنس الجاهلية . ولو كان في آباءه كافر لم يصف جميعهم بالطهارة . مع قوله تعالى : إنما المشركون نجس والاستفهام في قوله (ع) أتتخذ اصناماً آلهة انكاري ، اي لا تفعل هذا ، ان اراك وقومك في ضلال عن الصواب مبين اي ظاهر وفي الآية حث للنبي (ص) على محاجة قومه . الذين دعوه إلى عبادة الأصنام والافتداء بأبيه ابراهيم (ع) وتسليته له . ووعد بالنصر ، كما ارى سبحانه ابراهيم ملكوت السموات والأرض تثبيناً لقلبه ، وهي القدرة التي تقوى بها دلالاته على التوحيد .

وقيل : معناه كما اريناك يا محمد اريناه آثار قدرتنا ، فيما خلقنا من الشمس والقمر والنجوم وما في الأرض من البحار والمياه والرياح ليستدل بها .
وقيل : يعني بالملكوت آيات السموات والأرض . وقيل : ملكها بلغة النبطية ، وقيل : الملكوت ما نشاهده من الحوادث الدالة على ان الله سبحانه مالك لها ولكل شيء بنفسه . لا يملكه سواه فأجرى الملكوت على المملوك مجازاً وقال ابو جعفر (ع) : كسب الله له عن الأرضين حتى رآهن وما تحتهن وعن السموات وما فيهن من الملائكة وحملة العرش ليكون من الموقنين بأن الله هو خالق كل ذلك والمالك له .

ثم اخبر سبحانه عن كيفية استدلاله بما اراد من الآيات فقال : فلما جن عليه الليل وسر كل ضياء بظلامه رأى كوكباً ، قيل : هو الزهرة وقيل : المشتري قال : هذا ربي ، فلما اقل اي غرب قال : لا احب الآفلين .
وقد ذكر في تفسير هذه الآية اقوال تركنا منها ما لا يناسب مقام النبوة

لأنهم منزهون وعالمون .

(منها) انه (ع) لم يقل ذلك على سبيل الشك بل كان عالماً موقناً ان ربه لا يجوز ان يكون بصفة الكواكب وإنما قال ذلك على سبيل الانكار على قومه والتنبية لهم على ان المعبود لا يكون بهذه الصفة الدالة على الحدوث .

(ومنها) انه إنما قال : هذا ربي في المواطن الثلاثة استخداعاً للقوم ليريهم قصور علمهم وبطلان عبادتهم لمخلوق جارت عليه الحوادث بالأفول وغيره .

(ومنها) انه نوى الشرط في قلبه اي ان كان هذا الصنم والحجر ربكم كما تزعمون فهذه الكواكب ربي ، وتلك الأصنام لم تكن ربهم في الواقع ، فالكواكب إذا ليست ربه لأن المشروط عدم عند عدم شرطه .

وفي هذه الآية بقصها على هذه الأمة من التنبية والزجر لسكل من عبد غير الله سبحانه ما لا يخفى حتى من عبد هواه .

وفيها من الحث على اتباع وسلوك طريق ابراهيم (ع) في النظر والتفكير ايضاً ومعنى قوله تعالى : وحاجه قومه اي خاصموه وجادلوه وخوفوه من ترك عبادة آلهتهم قال (ع) : أنا حاجوني في الله . وقد هدان اي وفقني ولطف بي في العلم بتوحيده وترك الشرك والاخلاص له .

ولا اخاف ما تشركون به . اي لا اخاف منه ضراً وان كفرت به ، ولا ارجوه نفعاً وان عبدته ، لأنه بين صنم قد كسر فلم يدفع عن نفسه ، وبين نجم قد دل أفوله على حدوثه واحتياجه ، فكيف تدعونني إلى عبادة من هذه صفته .

إلا ان يشاء ربي اي يغلبها فيحییها ويجعل فيها القدرة على الضر والنفع وهذا ايضاً يعود اليه سبحانه وانه العلة الأولى والمستحق للعبادة . دون من احده وأوجده بارادته ثم قال (ع) : وسع ربي كل شيء علماً ، اي هو العالم

بكل شيء على مقتضى ذاته ثم امرهم بالتفكير والتدبر بقوله: « أفلا تتذكرون »
 ثم أكد عليهم الاحتجاج بقوله: وكيف اخاف ما اشر كتم واتم تلموني
 ان اخشاهم وقد وضع حالهم في انهم لا يضررون ولا ينفعون ، ولا تخافون انكم
 اشر كتم بالله وهو القادر على الضر .

وقيل : معناه كيف اخاف شر كتم وأنا منه بري ، والله لا يعاقبني بفعلكم
 وانتم لا تخافون وقد اشر كتم به ، ما لم ينزل به عليكم سلطاناً ، اي حجة على
 صحته وهذا يدل على بطلان كل معتقد بدون حجة ، ثم قال (ع) : فأبي
 الفريقين أحق بالأمن أنحن وقد عرفنا معبودنا بالأدلة ، ووجهنا عبادتنا نحوه ،
 ام انتم وقد عبدتم غيره ، ولو تركتم العصبية ونظرتهم بالروية لما وجدتم لهذا
 الاحتجاج مدفعاً ان كنتم تعملون باستخدام عقولكم ، وترك شهوات نفوسكم ،
 وتمييزكم للحق عن الباطل .

ثم يعود سبحانه بالوسام الرفيع على متبع الحق ، وبيان عدم ضياع التزامه
 الحق . فيقول الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم وهو الشرك ، اولئك لهم
 الأمن من الله بحصول الثواب . ودفع العقاب ، وهم مهتدون إلى الحق والدين ،
 او إلى الجنة اي حكم لهم بذلك فلا خلف لقوله ولا تبديل ، ثم قال تعالى مخبراً
 عن لطفه : « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم » اي البراهين على قومه من الكفار
 نرفع درجات من نشاء من المؤمنين المصدقين ، والتفضيل بحسب ما لهم من الايمان
 واليقين والتطبيق ان ربك حكيم عليهم يجعل التفاوت بين عباده ورسله على
 ما توجهه حكمته . وبقتضيه علمه ، بقدر ما يستحقون .

ولم يقتصر سبحانه على اصطفاها ابراهيم (ع) فقط بل قال تعالى : ووهبنا
 له اسحاق وهو ابنه من زوجته سارة ، ويعقوب بن اسحاق ، كلا هدينا اي كل
 الثلاثة فضلنا بالنبوة ونيل الثواب والكرامات ، للعلم الأزلي بصمودهم تجاه الحق ،

ونشر الدعوة اليه ، وتحمل المشاق في سبيل ذلك .

كما قال سبحانه في حقه من سورة الانبياء . ولقد آتينا ابراهيم رشده أي الحجج التي توصله الى الرشد من قبل وكنايه علمين انه أهل لذلك ، وانه المضحي في نصره دين الله ، كما قد حقق ذلك وقال (وتا الله لا كيدين اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين) أي بعد ان تنطلقوا ذاهبين ، أي الى مقاصدهم .

ولم يأخذوا ذلك منه على الجذ لضعفه بين اظهريهم ، وكان لهم في كل سنة مجمع وعيد اذا رجعوا منه دخلوا على اصنامهم وسجدوا لها ، فقالوا لأبراهيم ألا تخرج معنا فخرج فلما كان ببعض الطريق قال اشكي رجلي ، وانصرف ورجع الى الاصنام فجعلهم جذاذاً ، أي قطعاً قطعاً وحطاماً الا كبيراً لهم تركه على حال ، وعلق الفأس في عنقه ، وخرج لعلهم اليه يرجعون ، فيسألونه عن حال الاصنام وهو لا ينطق ولا يجيب ، فيذتهون ويعلمون جهلهم ، فأبقائه كجزء من الحجة منه (ع) عليهم ، فلما رجعوا ووجدوها مكسرة قالوا من فعل هذا بأهتنا . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ، أي يعيبهم ويقول لا كيدين الخ . فأتوا به وقالوا أنت فعلت هذا بأهتنا ، قال (ع) بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون .

والشبهة بلزوم الكذب منه (ع) مندفعة بعدة وجوه (منها) انه على تقدير الشرط أي فعله كبيرهم ان نطقوا وهم لا ينطقون ، فلا يكون حينئذ فعله كبيرهم فلا يكون كذبا .

(ومنها) انه بصورة خبر وليس بخبر وانما هو إزام ومعناه ان هذه الاصنام ان كانت آلهة كما تزعمون فانما فعل ذلك كبيرهم لأن غير الآلهة لا يقدر ان يكسر الآلهة .

وقد ذكرت وجوه اخرى لا تجامع عصمة الانبياء رجحنا تركها .

ويشبهه بفعله هذا واقدامه وعدم مبالاته في سبيل طاعة ربه ، وانتصاره لتوحيده ، ما فعله امير المؤمنين (ع) بالاصنام على ظهر الكعبة ، وقد وضع اقدامه على كتف النبي (ص) ، وهو محل ختم النبوة من الله تعالى ، ولا عجب من ذلك فان الشجرة واحدة والفرع يهتف بالأصل .

فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ، حيث تعبدون مالا يقدر على الدفع عن نفسه ، وهذه آهتكم حاضرة فاسئلوها ، ثم نكسوا على رؤوسهم ، اذ تحيروا كما هي عادة كل متحير في الجواب ، وعلموا انها لا تنطق .

ثم اعترفوا بما هو حجة عليهم ، فقالوا لقد علمت يا ابراهيم ماهؤلاء ينطقون فكيف نسأهم فاجابهم بعد اعترافهم بالحجة فقال : افتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ، لأنها لو قدرت لدفعت عن نفسها ، فالمستحق للعبادة من قدر على اصول النعم التي هي الحياة والشهوة والقدرة وكمال العقل .

ثم يختم الكلام معهم مهجناً لأفعالهم ، مستقذراً لها عندما سيطر عليهم بالبرهان قائلاً أف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون . وتفكرون بعقولكم وتركون عصبيتكم وعنادكم فتهتدون لصالحكم .

آثار الغرور بالفاني من الدنيا

فيلتجئون بعد الافحام الى الظلم والفسر الفاحش كما هي عادة المتجبرين في الاحتفاظ بما اغتصبوه من غيرهم تاركين تاركين للقوة العقلية والصفة الانسانية متدرعين بالقوة الغضبية والحالة السبعية .

قائلين حرقوه وانصروا الهتم ان كنتم فاعلين .

أي لا يستقيم لكم تعظيمها إلا باعدامه وتحريقه بالنار ، لقصد التفضيح

وتنفير السواد عن الركون اليه ، والانصياع الى ادلته ، ولم يعلموا قوله سبحانه « والله متم نوره ولو كره الكافرون (١) » قيل : ان الذي اشار بتحريق ابراهيم عليه السلام ، رجل من اكراد فارس نجس الله به الارض ، فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة .

وقيل : قاله نمرود اعتزازاً بما ابتلاه الله به من الملك ، فيطغى بدل ان يشكر ، فتقوم عليه الحجة ، فجمعوا الحطب حتى ان الرجل منهم ليمرض فيوصي بكذا وكذا من ماله ليشتري به الحطب ، وحتى ان المرأة لتغزل فتشترى بالثمن الحطب ، حتى بلغوا من ذلك ما ارادوا .

وما شبه ذلك بما بعد عنه زماناً وقرب روحاً واتحد ذاتاً ، الا وهو ما صممت عليه قريش من صد دعوة النبي محمد (ص) ، وتظاهرهم على ذلك حتى ان المرأة منهم كعمة معاوية لتبيع قلاتها وتصرفها على اذى النبي (ص) ، وجمع الشوك والحطب ووضعها في طريقه .

وتحقيقاً للتشابه ان كان الفوز لسكليهما ، والانتصار لدعوتها معا ، رغم حراجه الامر في بادئه واشراف الجائرين على خنقه ، وعدم ظهوره وانتشاره . وهكذا الحال في مختلف الازمان والاحوال ، لا ينبغي التراجع عن دعوة الحق والنخاذل عن نصرة الدين ، لأن الفوز قرينها والنجاح حليفها ولو بعد حين . كما ورد اني لأبغض المؤمن الضعيف ، قيل وما المؤمن الضعيف فقال الذي لا يأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر .

ان تنصروا الله ينصركم

كما يوضحه جلياً نتيجة أمر ابراهيم (ع) حين ارادوا إلقائه في النار وتأخذهم الحيرة وكيف يلقونه لو سعة النار ، فجاءهم ابليس ودهم على المنجنيق وهو اول منجنيق صنع .

وورد ان الوزغ كان ينفخ في النار ليزيدها ، والصفدع تأتي بالماء فتقذفه على النار ، ومن هنا ورد في مروان بن الحكم انه الوزغ ، لكثرة ما كانا يلهبان نار المعارك في وجه رسول الله (ص) ، ووصيه امير المؤمنين (ع) ، قال ابو عبدالله عليه السلام : لما جلس ابراهيم في المنجنيق لرميه في النار جاءه جبرئيل فقال السلام عليك يا ابراهيم ورحمة الله وبركاته ، ألك حاجة فقال أما اليك فلا ، فلما طرحوه في النار دعا الله ، فقال يا الله يا واحد يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

فحسرت النار عنه ، وانه لمحتب ومعه جبرئيل وهما يتحادثان في روضة خضراء . وروي عن النبي (ص) : ان نمرود الجبار لما التى ابراهيم في النار ، نزل جبرئيل بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فالبسه القميص (١) واقعده على الطنفسة وقعد معه يتحدث به تمام الخبر .

وقال كعب : ما احرقت النار من ابراهيم غير وثاقه (٢) .

وقيل ان ابراهيم (ع) ألقى في النار وهو ابن ست عشرة سنة .

(١) وهذا القميص في عنق اسحق في قصة من فضة وعلقها اسحق في عنق يعقوب وعلقها يعقوب في عنق يوسف ولما دخل اخوة يوسف عليه وعرفوه ارسل القميص معهم وألقوه هل وجهه فارتد بصيرا وهو من الجنة (٢) الجبل المكتوف به

ثمرات العقيدة ونجاته (ع)

كل ذلك منه سلام الله عليه نتيجة العقيدة والتوحيد الصحيح ، وان الله مرجع الامور كلها ، فتأتيه الاغاثة وتدركه النجدة . من تلك القوة الجبارة عندما ظهر للناس ايمانه المعلوم لله سبحانه من قبل الخلق .

بقوله تعالى « قلنا يا نار كوني بردا وسلاماً على ابراهيم » .

والمعنى ا جعلناها عليه بردا والا فالنار حماد لا يصح خطابها فهو مثل

كقوله تعالى « كونوا قردة خاسئين » أي صيرهم لانه امرهم بذلك .

قيل بقيت عامة النار ثلاثة ايام لم تعمل شيئاً لبردها في عموم الدنيا .

وقال ابو العالية لو لم يقل سبحانه وسلاماً ، لسكانت تؤذيه من شدة بردها

ولسكان بردها عليه أشد من حرها ، ولو لم يقل على ابراهيم ، لسكان بردها

باقياً إلى الأبد .

ومعنى ذلك ان اطاعة الجمادات لخالقها أقوى من اطاعة ذي العقول ، فيا

للعار ويا للخجل لابن آدم . ثم اخبر سبحانه عن أطفاه لناصر دينه والذباب عن

شرعه . فقال « و ارادوا به كيداً فجعلناهم الاخسرين » .

قال ابن عباس سخط الله على عمرو و خيله البعوض ، حتى اخذت لحومهم

وشربت دماهم ، ووقعت واحدة في دماغه فأهلكته وقيل كان يضرب بالتمال

على دماغه لأنه يجد بذلك بعض الراحة .

ثم قال سبحانه : ونجيناه ولوطلاً ، هو ابن اخي ابراهيم ، وقيل ابن اخته

آمن به وهو اول من صدق به ، الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ، قيل هي الشام

أي نجيناه من كوثي وهي قرية من قرى الكوفة الى الشام . ومعنى بركتها هو

خصبها ، وقيل الى بيت المقدس ، لأن بها مقام الانبياء ، وقيل اي الى مكة ، وبعد
النجاة عقبها تعالى بالنعم ، فقال ووهبنا له اسحق حين سأل الولد من ربه ، فقال
رب هب لي من الصالحين ، لأن الولد الصالح من اعظم النعم ، وهو الصدقة الجارية
على حد تعبير الأحاديث واعطاه يعقوب نافلة أي زائدا على دعائه وطلبه ، وكلا
جعلنا صالحين ، أي ابراهيم واسحق ويعقوب ، وجعلناهم أمة يقتدى بهم في
افعالهم واقوالهم ، يهدون الخلق الى طريق الحق ، والى الدين المستقيم بامرنا
معناه ان من اهتدى فالنعمه لنا عليه لأنه لولا البعثه منه تعالى للناس لما فهموا
شيئاً من الدين .

واوحينا اليهم فعل الخيرات ، أي شرائع النبوة واقام الصلاة ، والاستمرار
على فعلها ، وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ومخلصين في العباده .

لوط ونتيجة ايمانه

قال تعالى على أثر ذلك : ولوطاً آتيناها حكماً وعلماً ، قيل هي الحكمة ، وقيل
هي النبوة ، وقيل هي الفصل بين الخصوم بالحق أي جعلناه حاكماً وعلماً ما يحتاج
اليه من العلم .

وبجيناها من القرية التي كانت تعمل الخبائث ، وهي قرية سدوم ، والخبائث
التي كانوا يعملونها ، إتيانهم الذكران في ادبارهم ، ويتضارطون في انديتهم ، وغير
ذلك من القبائح ، ولذا قال سبحانه في حقهم « انهم كانوا قوم سوء فاسقين » وفي
حقه (ع) « وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين » أي حيث انه اصلح أفعاله
باصلاح نفسه ، أدخلناه في رحمتنا وهي النبوة وعظيم الدرجة .

وقد قال تعالى في آتام قصته . ولما جاءت رسلنا لوطاً (١) جاؤه في صورة
الادميين ، سي بهم أي ساءه مجيئهم ، لخوفه عليهم من فعل قومه القبيح ، وضاق
بهم ذرعاً ، أي ضاق قلبه لما رأى من جمال صورهم ، وقد دعوه الى الضيافة ،
ومسارعة قومه الى امثالهم من الذكران . وقال هذا يوم عصيب . أي هائل شديد
الشر لأنه لم يعلم انهم رسل الله ، وخاف الفضيحة لأنهم ضيوفه .

وقال الصادق عليه السلام : جاءت الملائكة لوطاً وهو في زراعة قرب القرية
فسلموا عليه ورأى هيئة حسنة عليهم ثياب وعمام بيض ، فقال لهم المنزل فتقدمهم
ومشوا خلفه ، فقال في نفسه أي شيء صنعت آتي بهم قومي وانا اعرفهم ، فالتفت
اليهم . فقال انكم لتأتون شرارا من خلق الله ، وكان قد قال الله تعالى لجبرئيل
لا تهلكهم حتى يشهد عليهم ثلاث مرات ، فقال جبرئيل هذه واحدة ، ثم مشى
لوط ثم التفت اليهم فقال انكم لتأتون شرارا من خلق الله ، فقال جبرئيل هذه
اثنتان ، ثم مشى فلما بلغ باب المدينة التفت اليهم فقال انكم لتأتون شرارا من
خلق الله ، فقال جبرئيل هذه الثالثة ، ثم دخل ودخلوا معه . حتى دخل منزله
فلما رأته امرأته رأت هيئة حسنة ، فصعدت فوق السطح فصفت فلم يسمعوا
فدخلت فلما رأوا الدخان اقبلوا يهرعون ، فذلك قوله تعالى وجاء قومه يهرعون
أي يسرعون في المشي لطلب الفاحشة . وروي ان ابليس أخذ طفلاً من حجر امه
زوجة لوط ، وطرحه في البئر فصارت الصيحة ، فاجتمع الناس على دار لوط
فوجدوا الضيوف .

ومن قبل كانوا يعملون السيئات ، أي من قبل بعثة لوط كانوا يعملون
الفواحش مع الذكور ، فاستحقوا عذاب الاستئصال لاصرارهم على الذنب .
قال لوط يا قوم هؤلاء بناتي هن اظهر لكم لما هموا بأضيافه وألقوا جلباب

الحياة عرض عليهم نكاح بناته ، وقال هن اطهر لكم أي أحل لكم من الرجال فدعاهم الى الخلال ، وقوله هذا حيث كانوا يخطبون منه فلا يزوجهم . واسمها زعورا . وريتا . فسمح لهم بها عند ذلك ، وقال فاتقوا الله ، أي اتقوا عقابه في مواجهة الذكور . ولا تخزوني في ضيفي ، أي لا تلحقوا بي فضيحة وعاراً ، فان الضيف اذا نزل به معرة لحق عارها للمضيف .

أليس منكم رجل رشيد ، فيعمل بالمعروف وينهي عن المنكر ويزجر هؤلاء عن قبيح فعلهم . قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ، أي حاجة وانك لتعلم ما نريد أي ميلنا إلى الغلمان .

فعند ذلك تأسف وتألم على فقد تمكنه من دفاعهم ، بان قال لو ان لي بكم قوة ، أي منعة وقدرة وجماعة أتقوى بها عليكم ، فادفعكم عن اضيائي . او آوي الى ركن شديد ، أي لو انضم الى عشيرة مبنعة تنصرني ، وشيعة تمنعني لدفعكم قال الصادق (ع) لو يعلم أي قوة له .

فكأبروه حتى دخلوا البيت ، فصاح به جبرئيل يالوط دعهم يدخلوا ، فلما دخلوا اهوى جبرئيل بأصبعه نحوهم فذهبت اعينهم ، وهو قوله تعالى فطمسنا اعينهم قال قتادة ذكر لنا ان الله لم يبعث نبياً بعد لوط إلا في عز من عشيرته ، ومنعة من قومه ، وروي عن النبي (ص) انه قال رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد ، وهو معونة الله تعالى .

ولما رأت الملائكة ما لقيه لوط من قومه ، قالوا يالوط انا رسل ربك ارسلنا هلاكهم فلا تغتم ، انهم لن يصلوا اليك أي لا ينالون منك سوءاً ، فسر باهلك أي سر بهم ليلا قال السدي لم يؤمن بلوط إلا ابنتاه .

يقطع من الليل ، أي بعد طائفة من الليل ، وقيل في نصف من الليل . ولا يلتفت منكم احد ، قيل معناه لا ينظر احد منكم وراءه كأنهم تعبدوا

بذلك للنجاة بالطاعة في هذه العبادة وقيل لا يلتفت احد منكم الى ماله ومتاعه بالمدينة الذي خلفه وراءه وليس معناه من الرؤية ، لأن فيها عبرة فلم ينهوا عنها وقيل معناه لا يتخلف منكم احد .

وقيل انه أمرهم ان لا يلتفتوا اذا سمعوا الوجبة والهدية .

الا امرأتك قيل انها التفتت حين سمعت الوجبة ، فقالت يا قوم ما فاصابها حجر فقلتها . وقيل : معناه لا تسر بها انه مصيبها ما أصابهم ، أي العذاب وقد امره ان يخلفها في المدينة .

« ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب » لما اخبر الملائكة لوطاً بأنهم يهلكون قومه قال لهم أهلكوهم الساعة لضيق صدره بهم وشدة غيظه عليهم ، فقالوا ان موعد اهلاكم الصبح وانما قالوا اليس الصبح بقريب ، تسلية له وفي هذا دلالة على ان الله تعالى انما يهلك من يهلكه عند انقضاء مدته وان ضاق صدر الغيره . ويجوز ان يكون جعل الصبح موعد اهلاكم لأن النفوس فيه اودع والناس فيه أجمع ، فلما جاء امرنا بالاهلاك والعذاب جعلنا عاليها سافلها ، أي قلبنا القرية اسفلها اعلاها .

فان الله امر جبرئيل فادخل جناحه تحت الارض فرفعها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ثم قلبها ثم خسف بهم الارض فهم يتجلبجون فيها الى يوم القيمة وامطرنا عليهم حجارة ، أي على الغائبين من اهل القرية ، وقيل على تلك القرية حين رفعها جبرئيل وقيل امطرت الحجارة عليهم ، بعد ان قلبت تعليلاً للمعقوبة .

وقيل انها كانت اربع مداين وهي المؤتفكات سدوم وعمورا ودوما وصبوايم واعظمها سدوم وكان لوط يسكنها .

من سجيل ، أي حجر الطين الصلب وانها ليست مما جرت به العادة من

سقوط البرد من الغيوم (منضود) أي مصغوف يتابع بعضه بعضاً (مسومة) أي معاملة ومعدة للعذاب .

وقيل كان مكتوباً على كل حجرة اسم صاحبها عند ربك ، أي في علم ربك وليست من باب الصدفة وماهي من الظالمين يبيد .
فيه إرهاب لأمة محمد (ص) قال : قتادة ما أجاز منها احداً بعد قوم لوط فأتفوا الله وكونوا منه على حذر .

وقيل معناه : انها لم تكن تخطئهم وذكر ان حجراً بقي معلقاً بين السماء والارض اربعين يوماً يتوقع به رجل من قوم لوط كان في الحرم حتى خرج منه فأصابه وكانوا اربعة آلاف ألف .

وعن الباقر (ع) : كان قوم لوط افضل قوم خلقهم الله عز وجل فطلبهم ابليس طلباً شديداً وكان من فضلهم اذا خرجوا الى العمل خرجوا جميعاً ، وتبقى النساء خلفهم مبالغة منهم في العفة فحسدتم ابليس على عبادتهم ، فكان اذا رجعوا خرب ما يعملون فقالوا فلترصد هذا الذي يخرب متاعنا ، فاذا هو غلام كأحسن ما يكون من الغلمان قالوا انت الذي تخرب متاعنا قال نعم مرة بعد مرة فاجتمع رأيهم على قتله فيبيتوه عند رجل فلما كان الليل صاح فقال له ما بالك ، قال كان ابي ينومني على بطنه قال فتم على بطني فلم يزل به حتى علمه ان يعمل به ، والرجل علم غيره فاعجبهم « أي ذلك العمل وهو اللواط » وما كانوا يعرفون هذا العمل ثم أسل ففر منهم بعد ان شوق بعضهم على بعض .

هذه مكائد ابليس الخفية البعيدة المدى ، فيلزمنا الحذر بامعان وسهر على قدر ما يكيد ويتعمق وانه ليستعمل اقوى سلاحه لمن يقوى ايمانه . وتكثر طاعته وعبادته .

الهجرة

وقال ابراهيم (اني مهاجراً الى ربي) (١) وقال ايضاً اني ذاهب الى ربي سيهدين (٢) .

أي خارج من جملة الظالمين ومن العداد معهم على جهة الهجر لهم لقبيح اعمالهم ومعنى قوله (الى ربي) اي من حيث امرني ربي وهذا من اوضح مصاديق النهي عن المنكر واشدها تضحية وهو ترك الوطن كما هاجر المسلمون الى ارض الحبشة من مكة تاركين وطنهم ، ثم الهجرة الثانية الى المدينة بعد ان اشتد أذى المشركين لهم .

فعندما يئس ابراهيم (ع) من قومه وعلم باستحقاقهم العذاب ، وقد نزل قبلهم بقوم لوط ، فخرج قاصدا الشام ومعه لوط وامرأته سارة ، وكانت ابنة عمه وقيل ابنة خاتنه .

وقد كان (ع) غيورا قال رسول الله (ص) كان ابراهيم غيورا وانا اغير منه والله تعالى اغير منا وقد أدت به غيرته الى الغضب الذي هو ضد طبيعته لاجل زوجته وقد قال سبحانه في بيان طبيعته « ان ابراهيم حلليم (٣) اواد (٤) منيب (٥) » .

(١) المنكوت (٢) هود (٣) الصافات آية ٩٨

(٤) الذي يعهل صاحب الذنب فلا يماجله بالمقوبة

(٥) الرحيم وقيل هو الرجاء أي عن الذنب فيتأوه ويرجع عن الذنب خوفا من العقاب

وذنب كل بحسبه (٦) الرجوع الى الطاعة بعد الحالة الصارفة عنها .

القصة

لما خرج الى الشام اوالى البيت المقدس عمل تابوتاً وجعل فيه سارة ، وشد عليها الاغلاق وجعلها مع ماشيته غيرة منه عليها لئلا يراها احد .
 فلما خرج من سلطان نمرود ودخل في سلطان غرارة ملك القبط فأعرضه العشار ، وقال له افتح هذا التابوت حتى نعلم ما فيه فقال ابراهيم (ع) قل ماشئت فيه من فضة او ذهب حتى نعطي عشره ولا تفتحه فابى الا فتحه فغضب ابراهيم على حمله لجهة رؤية العشار لسارة وكانت موصوفة بالجمال .
 فقال العشار ماهذه الحرمة منك قال (ع) زوجتي وابنة خالتي قال لم وضعتها في التابوت قال (ع) غيرة عليها .
 قال ان امرك لمريب لا ادعك تبرح حتى اعلم الملك حالها وحالك فأمر الملك باحضار التابوت ، فقال ابراهيم (ع) لا افارق التابوت حتى تفارق روحي جسدي فقال الملك احضروه مع التابوت فأحضر وجميع مامعه .
 قال له الملك افتح التابوت قال (ع) ايها الملك ان فيه حرمتي وابنة خالتي وانا مفتد فتحة بجميع ما عندني فأجبر الملك ابراهيم (ع) على فتحه .
 فلما رأى ساره لم يملك نفسه ان مديده فأعرض (ع) بوجهه عنهما غيرة منه وقال اللهم احبس يده عن حرمتي فلم تصل يده اليها . ولم ترجع اليه .
 فقال ان إهلك هو الذي فعل بي هذا ، قال (ع) نعم ان إلهي غيور ويكره الحرام وهو الذي حال بينك وبين ما أردت من الحرام قال فادع إهلك ان يرد علي يدي فان فعل لم اتعرض لها فقال (ع) إلهي رد اليه يده ليكيف عن حرمتي فرد الله يده فأقبل الملك اليها يبصره فعاد اليها بيده ، فأعرض (ع) بوجهه

وقال اللهم احبس يده عنها فيبست ولم تصل اليها ، فقال لابراهيم ان إهلك لغيور وانك لغيور فادع الله يرد يدي فان فعل لم اعد فقال (ع) اللهم ان كان صادقا فاردد عليه يده فردت ورجعت فلما رأى منه من الغيرة عظم ابراهيم (ع) وهابه واتقاه وقال له قد امنت من ان اعرض لها ، او لشيء مما معك فانطلق حيث شئت فمضى الى بيت المقدس .

غيرة جبرئيل ايضاً

ذهبت خديجة (ع) يوماً الى بيت عمها ورقة بن نوفل ، وكان شاكا بنزول الوحي على محمد (ص) : فقال لخديجة اذا جاءتته حالة الوحي ودخل عليه صاحبه فاكشفي عن رأسك ، فان خرج فهو ملك ، وان بقي فهو شيطان .
فلما نزلت خمارها خرج الجاني فلما اختمرت عاد فلما فهم ورقة حالة الجاني من الغيرة قام وقبل رأس النبي (ص) : وقال والله هذا هو الناموس الذي نزل على موسى وعيسى .

ثم قال ابشر فانك النبي الذي بشر به موسى وعيسى ، وانك نبي مرسل مؤتمر بالجهاد والى غير ذلك من الاخبار .
حتى قيل من لا غيرة له لا دين له .

وقال رسول الله (ص) : من عرضت له فاحشة او شهوة فاجتنبها من مخافة الله ، حرم الله عليه النار ، وآمنه من الفزع الاكبر وانجز له وعده في قوله تعالى « ولمن خاف مقام ربه جنتان » (١) .

فهل آن للمسلمين ان يتراجعوا عما هم عليه من التهلكة ، وبذل الاعراض

مجاناً للمتفرجين ، غيرة منهم ان لم يكن لهم دين .
 ألم يصفوا الى صريح قوله تعالى « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى »
 وتعميم ملاكها وواضح قوله « يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين
 يدنين عليهن من جلابيبهن » (١) .
 وقوله تعالى « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا
 يبدين زينتهن إلا لبعولتهن الخ » (٢) .
 وقد ذكر ان حكمة ابتلائهن بالحيض في كل شهر لاشغالهن عما كن تعودنه
 من مجالسة الرجال في النوادي زمن الجاهلية .

البشارة

قال تعالى « واتخذنا من نبيك ابراهيم نبياً قالوا سلاماً قال سلام فما لبثت
 ان جاء بمجل حنيذ فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا
 لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامراته قائمة فضحكك فبشرناها باسمحق ومن
 وراء اسمحق يعقوب قالت يا وبلتى أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخاً ان هذا
 شي عجيب قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه
 حميد مجيد فلما ذهب عن ابراهيم الروح وجاءته البشيرة يجادلنا في قوم لوط ان
 ابراهيم لخليم اواه منيب يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم
 آتيهم عذاب غير مردود (٣) .
 سبق وان دعا ابراهيم (ع) : ربه يطلب منه الولد بقوله رب هب لي من
 الصالحين » (٤) .

حيث ان الولد الصالح من الصدقات الجارية كما انه محبوب لذاته ، فطلبه
يجمع لذة الدنيا والآخرة .

فيجيبه ربه بارسال وفد يبشرونه بذلك قيل انهم ثلاثة جبرئيل وميكائيل
واسرائيل وقيل اربعة ورابعهم كرويل ، عن ابي عبد الله (ع) : وقيل كانوا
تسعة وقيل احد عشر وكانوا على صورة الغلمان .

فبشروه بأسحق اولاً ، وبأنه نبي نانيا وانه يولد له يعقوب ثالثاً ، لان
الكريم عادة لا يقتصر في عطائه على القدر المستول به وهو سبحانه اكرم من كل
كريم فعلينا ان نخلص في الدعاء ونكثر من السؤال ومنه الاجابة .

وروي عن ابي جعفر (ع) : ان هذه البشارة كانت باسمايل من هاجر
وقيل كانت البشارة بهلاك قوم لوط ، فعندما جاءوا الى ابراهيم وهم المؤذوبون
بتعاليم الله تعالى ابتدؤا وقالوا سلاماً تحية منهم لابراهيم (ع) وقد اجابهم بنفس
المعنى وهو الدعاء بالسلامة ، ويحجى على عادته .

فما لبث ان جاء بمجل حنيذ أي لم يتوقف واسرع على عادته في اكرام
الاضيف وقدم لهم العجل المشوي حيث اعتبرهم ضيوفاً لكونهم على صورة البشر
وكان يحب الضيوف وصار لذلك من السنة ان يعجل للضيف الطعام ، وقد جاء
الحث والترغيب على الضيافة واكرام الضيف الكثير من الاخبار حتى ورد انه
ما يضركم من الضيف فانه يدخل عليكم البيت برزقه ويخرج بذنوب اهل البيت .
قيل ان معنى قوله حنيذ أي نضيح بالحجارة المحماة في خد من الارض
وهو فعل اهل البادية .

وقيل معناه مشوي يقطر ماؤه .

ولما رأى ايديهم اي الملائكة لاتصل اليه ، اي الى العجل نكرهم أي انكرهم
واوجس منهم خيفة ، اي اضمر في نفسه منهم خيفة .

واختلف في سبب الخوف فقيل حيث راعم شباناً اقوياء وكان ينزل طرفاً من البلد وكانوا يمتنعون من اكل طعامه لم يأمن ان يكون ذلك لبلاء ، لأن اهل ذلك الزمان اذا اكل بعضهم طعام بعض امنه صاحب الطعام على نفسه وماله ولهذا يقال تحرم فلان بطعامنا .

وقيل ظنهم لصوصاً يريدون به سوءاً ، وقيل ظنهم انهم ليسوا من البشر وانهم جاؤا لأمر عظيم ، وقيل علم انهم ملائكة ، فخاف ان يكون قومه المقصودين بالعذاب .

لأن هم المرشدين اصلاح وانا قد من يرشدونه لاهلاكه والانتقام والتشفي منه ، ولعله (ع) تقصد استمرار الارشاد يطلب من الله تعالى الولد الصالح كي يخلفه في الارشاد حتى قالوا له عندما شعروا منه الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط بالعذاب لا الى قومك .

وقيل انهم دعوا الله فاحيا المعجل المشوي فطفر ورعى فعلم حينئذ انهم رسل الله تعالى وامراته سارة قائمة من وراء الستر تسمع الكلام وقيل كانت قائمة تصلي وكان ابراهيم جالساً فضحكت قيل هو الضحك المعروف عند الفرح ، وقد يكون عند التعجب ايضاً فضحكت تعجباً من غفلة قوم لوط ، مع قرب نزول العذاب بهم وقيل ضحكت لانها كانت قالت لابراهيم اضعم لوطا ابن اختك اليك فأني اعلم انه سينزل بهؤلاء القوم العذاب فضحكت لما أتى الامر على ما ظننت .

وقيل تعجباً وسروراً من البشارة باسحق لانها كانت قد هرمت وهي ابنة ثمان وتسعين سنة او تسع وتسعين سنة وزوجها قد شاخ وكان ابن تسع وتسعين او مائة سنة وقيل مائة وعشرين سنة ولم يولد لها ولد في حال شبابها ، روي ذلك عن ابي جعفر (ع) : واما قوله تعالى فبشرناها باسحق أي بابن مع تسميته من الله تعالى باسحق نبياً ومن وراء اسحق يعقوب .

قيل ان الورا هو ولد الولد ، أي بشرناها بنبي بين نبيين وهو اسحق هو نبي وابوه ابراهيم نبي وولده يعقوب نبي .

وقيل ضحكت اي حاضت لوقتها مع كبر سنها ، لما اراد الله تعالى ذلك يقال ضحكت الارنب ، اي حاضت والضحك بفتح الضاد الحيف وفي اللغة ضحكت النخلة اذا خرج الطلع او البسر .

قالت سارة : ياويلتي ألد وانا عجوز ، اي ان هذا شي * عجيب ، ان ألد وقد شخت ومن زوج شيخ ، ولم تشك في قدرة الله تعالى ، ولكن لخروجه عن المادة .

كما ولي موسى (ع) : هاربا حين انقلبت عصاه حية حتى قيل له إقبل ولا تخف والافهي عارفة بأن الله على كل شي * قدير .

وقيل لم تتمتع من قدرة الله ولكنها ارادت ان تعرف هل تتحول شابة ام تلد على تلك الحال وهذا كله عجيب .

قالوا أتعجبين من أمر الله ، والاستفهام بمعنى التنبيه رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت أي ان هذا ليس موضع تعجب لأن التعجب انما يكون من الأمر الذي لا يعرف سببه ، والحال ان نعم الله وكثرة خيراته عليكم مستمرة ، وثابتة باقية فلا عجب .

ويحتمل ان يكون هذا الكلام من الملائكة لا للتنبيه على ما ذكرنا ، وانما قصدوا به الدعاء لهم بالرحمة ، والمعني بأهل البيت اهل بيت ابراهيم ، وانما جعلت زوجته سارة من اهل بيته مع ان الزوجة لا تعد من اهل بيت الرجل لأنها ابنة عمه لا لأنها زوجة .

وروي ان امير المؤمنين (ع) : مر بقوم فسلم عليهم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ومغفرته ورضوانه .

فقال (ع) : لا تتجاوزوا بنا ما قالت الملائكة لابينا ابراهيم ، رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت .

انه حميد أي محمود على افعاله ، وقيل الحميد الذي يحمده عباده على الطاعات حميد أي كريم ، وهو المبتدىء بالعطايا قبل الاستحقاق ، وقيل معناه واسع القدرة والنعمة .

وروي ان سارة قالت لجبرئيل ما آية ذلك فاخذ بيده عوداً يابساً فلواه بين اصابعه فاهتز اخضراً .

فلما ذهب عن ابراهيم الروح ، أي الخوف والفرع الذي دخله من الرسل وجاءته البشرية بالولد واطمأن قلبه ، اخذ يتشفع لقوم لوط بالممكن .

يجادلنا في قوم لوط أي يجادل رسلنا ويسألهم في قوم لوط ، ومعنى تلك المجادلة انه قال لهم ان كان فيهم خمسون من المؤمنين اتهلكونهم قالوا لا قال فاربعون قالوا لا فما زال ينقص ويقولون لا حتى قال فواحد قالوا لا ، فاحتج عليهم بلوط وقال ان فيها لوطاً قالوا نحن اعلم بمن فيها للننجينه واهله الخ .

وقيل انه جادلهم وقال بأي شيء استحقوا عذاب الاستئصال ، وهل ذلك واقع لا محالة ام تخويف ليرجعوا إلى الطاعة وبأي شيء يهلكون وكيف ينجي الله المؤمنين فحيث سألهم سؤال مستقص ، ممي ذلك السؤال جدالاً لانه خرج مخرج الكشف عن شيء غامض والجدال غالباً يكشف الغوامض .

المدحة من الله تعالى لخليله (ع)

لدفع الشبهة عنه (ع)

« ان ابراهيم حلِيم اواه » أي كثير الدعاء والبكاء وقيل الأواه الرحيم
بعباد الله وقيل هو الذي اذا ذكر النار قال اوه وقيل الاواه المؤمن على لغة
الحبشة وقيل الاواه الموقن المستيقن .

وقيل العفيف وقيل الرجاء عن كل ما يكره الله ، وقيل هو الخاشع المتضرع
وقيل هو المسبح الكثير الذكر لله سبحانه وقيل المناوّه شفقاً وفرقاً ، المتضرع
يقينا بالاجابة ولزوما للطاعة .

حلِيم يقال بلغ من حلم ابراهيم (ع) : ان رجلا قد آذاه وشتمه فقال له
هداك الله .

وقيل الحلِيم السيد وأصله الصبور على الأذى الصفوح عن الذنب ، لأن
سيد القوم غالباً يكون كذلك .

منيب أي راجع الى الله في جميع اموره متوكل عليه وفي هذه الاوصاف
اشارة الى ان تلك المجادلة من ابراهيم لم تكن من باب ما يكره ، فمدحه على اثرها
بالحلم وبان ذلك كان من الرأفة والرحمة ورقة القلب حيث رأى الكثير من المخلق
صائرين الى النار فتأوه ، وقوله تعالى يا ابراهيم اعرض عن هذا هو حكاية ما قالته
الزمل لابراهيم (ع) : أي اعرض عن هذا التشفع والقول في قوم لوط وانصرف
بالذكر والتفكير في عظمة الله ، وقد حان وقت الانتقام .

وانه قد جاء أمر ربك بالعذاب فهو نازل بهم لا محالة وانهم آتيتهم عذاب

غير مردود ، أي مدفوع عنهم ولا يقدر أحد على رده عنهم لانه من المحتومات المنجزات لعلمه سبحانه بعدم توبتهم وارتداعهم عما هم عليه وبقائهم مصرين على المعاصي وقد قامت عليهم الحجة الكافية فاستحقوا العذاب في الدارين .

ويعود سبحانه على الخليل (ع) بأشد الامتحان

بينما اخذ ابراهيم شبه الراحة من هجرته عن اهل الشرك ، وتلذذه بالولد حيث هو ريحانة القلب وتأتي الارشاد لديه في عباد الله تعالى بعد رفع كابوس الاضطهاد الذي كان قد خيم عليه فيعود عليه الحكيم في افعاله حيث سبق في علمه ان يصب البلاء على عبده المؤمن في دار الدنيا صباً ، لا لهُوان عبده المؤمن عليه سبحانه بل لترفيه درجته في الآخرة ، واظهار عميق طاعته في الدنيا وعظيم صبره وتسليمه لأمر ربه .

تكليفه بذبح ولده

« فلما بلغ معه السعي » اي شب حتى وصل الى مبلغ يسمى كسمي ابيه ويعينه على اموره ، حيث يأخذ الولد بهذا الحال مقره في سويداء القلب ويحصل على اكمل درجات الحب ، وكان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة ، ويعني بالسعي بالدرجة الأولى العمل لله والعبادة ، قال يا بني اني أرى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى .

معنى رأى في الكلام يأتي على خمسة اوجه ابصر ، وعلم ، وظن ، واعتقد
وبمعنى الرأي .

والأولى ان يكون سبحانه قد اوحى اليه في حال اليقظة ، وتعبدته بأن
يمضي ما يأمره به في حال نومه .

وقال ابن جبير : منامات الانبياء وحي وقال قتادة رؤيا الانبياء حتى اذا رأوا
شيئاً فعلوه وقال ابو مسلم ان رؤيا الانبياء على ضربين «الأول» ان يأتي كما رأوه
ومنه قوله تعالى : لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام «الح .
(الثاني) : ان يكون على خلاف الظاهر كرؤيا يوسف (ع) الاحد عشر
كوكباً والشمس والقمر ساجدين وكانت رؤيا ابراهيم من هذا القبيل لكنه لم
يأمن ان يكون ما رآه مما يلزم العمل به على الحقيقة وليس فيه تأويل ، لذا شرع
في مقدمات الفعل امثالاً ، فلما اسلما أعلمه الله انه صدق الرؤيا ، بما فعله وفدى
ابنه من الذبح بالذبح .

فعندما عرض ما اراده على ولده مستكشفاً بذلك مدى طاعته ، وتسليمه
لأمر ربه ، قال يا ابت افعل ما تؤمر أي ما امرت به لانه قد علم واعتقد بانه تعالى
لا يأمر إلا بصالح عبده فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ، أي ستصادفني
بعشيئة الله وحسن توفيقه ممن يصبر على الشدائد في جنب الله ويسلم لأمره .

فلما اسلما ، اي استسما لأمر الله ورضيا به واطاعاه وقيل معناه سلم الأب
ابنه لله وسلم الابن نفسه لله .

وتله للجبين : اي اضعه على جبينه وقيل معناه وضع جبينه على الارض
لثلا يرى وجهه فتلحقه رقة الآباء عن ابن عباس .

وروي انه قال لأبيه إذبحني وانا ساجد ، لا تنظر إلى وجهي فعسى ان
ترحمي فلا تذبحني .

الذبيح اسماعيل أم اسحق

اختلف العلماء على قولين ذهب بعض الى ان الذبيح اسماعيل (ع) وبعض الى انه اسحق والظاهر الأول . لأن الله تعالى قال وبشرناه بأسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يبشره بذرية اسحق ، ثم يأمره بذبح اسحق قبل ان يتزوج ويولد له يعقوب . والاختلاف في ذلك كثيرة .

فقد صح عن النبي (ص) : انه قال انا ابن الذبيحين ولا خلاف انه (ص) من ولد اسماعيل والذبيح الثاني هو ابوه عبد الله حيث كان قد نذر عبد المطلب ان رزقه الله عشرة اولاد ذبح واحدا منهم وكانت القرعة خرجت على عبد الله مرارا حتى تم فدائه بالمائة ناقة ، والقصة مشهورة ومفصلة في مواضعها .
واما القول بانه اسحق فمناشأه يظهر من هذه الرواية وهي :

قال محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظي قال كنت عند عمر بن عبد العزيز فسألني عن الذبيح ، فقلت اسماعيل واستدللت بقوله تعالى وبشرناه بأسحق نبياً من الصالحين فكيف يأمر بذبحه وبعد لم يبعث نبياً ، فأرسل الى رجل بالشام كان يهودياً اسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وانا عنده فقال هو اسماعيل ثم قال والله يا امير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون ابوكم الذي كان من امر الله فيه ما كان ، فهم يحجدون ذلك ويزعمون انه اسحق لأنه ابوهم .

وقال الاصمعي : سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح اسحق ام اسماعيل فقال الاصمعي ابن ذبح عقلك عنك ومتى كان اسحق بمكة ، وانما كان بمكة

اسماعيل وهو بنى البيت مع ابيه والمنحدر بمكة لاشك فيه ، وبعد ما ظهر صمود الخليل على امتثال ربه و كذلك ولده يعقوب سبحانه فيقول وفديناه بذبح عظيم .
الفداء جعل الشيء مكان الشيء لدفع الضرر عنه ، والذبح هو المذبوح ومعناه انا جعلنا الذبح بدلا عنه .

واختلف في الذبح فقيل كان كبشاً من الغنم ، قال ابن عباس هو الكبش الذي تقبل من هابيل حين قربه ، وقيل فدي بوعل اهبط عليه من ثبير (١) ولم سمي عظيماً ، قيل لأنه كان مقبولاً وقيل لأن قدر غيره من الكباش يصغر بالاضافة اليه وقيل لأنه فداء عن عبد عظيم وهو اسماعيل .
وقال تعالى قبل هذا وتاديناها ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ، أي فعلت ما أمرت به في الرؤيا .

« تعميم الملاك »

قال تعالى « انا كذلك نجزي المحسنين » اي كما جزينا ابراهيم (ع) :
بالعفو عن ذبح ابنه كذلك نجزي من سلك طريقهما في الاحسان بالاستسلام والانقياد لأمر الله والتصميم على طاعته وبعبارة اجلي ان هذه الدرجات المعطاة لهذه النوات هي ليست عفوا ، بل هي لاستحقاقهم اياها وقد سبق ذلك في علم الله تعالى وانما هذه الاختبارات مظاهر علم الله الخفي فيهم فكل من يعمل عملهم يستحق درجتهم وانى ذلك لمخلوق غيرهم .

وقد قال سبحانه في مدحهم « ان هذا هو البلاء المبين » اي ان هذا هو

(١) جبل من بين الرامي بمعى

الامتحان الظاهر والاختبار الشديد ، وقيل معناه ان هذا هو النعمة الظاهرة ، وتسمى النعمة بلاء باسم سببها المؤدي اليها ، تسميه للمسبب باسم السبب كما يقال لاسباب الموت انها الموت لأنها تؤدي اليه .

ايضاح القصة

من ذهب الى ان الذبيح اسحق ، ذكر ان ابراهيم لما فارق قومه مهاجراً الى الشام هاربا بدينه ، كما حكى عنه الجليل جل شأنه بقوله اني ذاهب الى ربي سيهدين ، - وقد مرت - دعا الله ان يهب له ولدا من سارة ، فلما نزل به اضيفه من الملائكة المرسلين الى المؤمنة وبشروه بغلام حلیم .

قال ابراهيم حين بشر به هو اذا للذبيح ، فلما ولد الغلام وبلغ معه السعي قيل له اوف بعهدي ونذكرك فكان هذا هو السبب في امره بذبح ابنه .

فقال ابراهيم عند ذلك لابنه اسحق انطلق تقرب قربانا لله ، واخذ سكيناً وحبلانم انطلق معه حتى اذا ذهب بين الجبال ، قال له الغلام يا ابي ابن قربانك فقال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك الخ .

وقيل ان ابراهيم رأى في المنام ان يذبح ابنه اسحق ، وقد كان حج بوالدته سارة واهله وامر سارة فزارت البيت واحتبس الغلام فانطلق به الى موضع الجرة الوسطى فاستشاره في نفسه فقال له الغلام امض فيما امرت به وسمعا لأمر الله .

فاقبل شيخ فقال يا ابراهيم ما تريد بهذا الغلام قال اريد ان اذبحه ، فقال سبحانه الله تريد ان تذبح غلاما لم يعص الله طرفه عين فقط ، قال ابراهيم ان الله امرني بذلك .

قال ربك ينهاك عن ذلك وانما امرك بهذا الشيطان ، فقال ابراهيم لا والله

قال الغلام يا ابناه خمر وجهي (١) وشد وناقني .

قال ابراهيم (ع) يا بني الوفاق مع الذبح والله لا اجمعها عليك اليوم ورفع رأسه الى السماء ثم انحنى عليه بالمدينة وقلب جبرئيل المدينة على قفاها ، واجتر الكباش من قبل نبير واجتر الغلام من تحته ووضع الكباش مكان الغلام ونودي من مسيرة مسجد الخيف يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا باسحق انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا هو البلا المبين ، قال ولحق إبليس بأب الغلام حين زارت البيت ، قال ماشيخ رأيتك بمنى قالت ذلك بعلي ، قال فوصيف رأيتك (٢) قالت ذلك ابني .

قال فاني رأيتك وقد اضجمه واخذ المدينة ليذبحه ، قالت كذبت ان ابراهيم ارحم الناس فكيف يذبح ابنه ، قال فورب السماء ورب هذه النكعبة قد رأيتك كذلك قالت ولم ؟ قال زعم ان ربه امره بذلك .

قالت حق له ان يطيع ربه فوقع في نفسها انه قد امر في ابنها بأمر فلما قضت نسكها اسرعت في الوادي راجعة إلى منى ، واضعة يديها على رأسها وهي تقول رب لا تؤاخذني بما عملت بأب اسماعيل .

فلما جاءت سارة واخبرت الخبر ، قامت الى ابنها تنظره ، فرأت اثر السكين خدشاً في حلقه ففرغت واشتكت وكان بدو مرضها الذي هلكت به .

رواه العياشي وعلي بن ابراهيم بالاسناد في كتابيهما .

ومن قال ان الذبيح اسماعيل :

ذكر ابن ابراهيم (ع) : كان اذا زار اسماعيل وهاجر حمل على البراق

فيغدوا من الشام فيقيل في مكة ، ويروح من مكة فيبيت عند اهله بالشام .

حتى اذا بلغ معه السعي رأى في المنام ان يذبحه فقال له يا بني خذ الحبل

والمدينة ، ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب ، فلما خلا ابراهيم بابنه في شعب

(١) الحمار ما ينطى الوجه (٢) يعنى بذلك الغلام

تبير اخبره بما ذكره الله عنه .

فقال يا ابت اشدد رباطي حتى لا اضرب ، واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح من دمي شيء . فتراه ابي . واشخذ شفرتك واسرع مر السكين على حلقي ليكون أهون علي فان الموت شديد .

فقال له ابراهيم (ع) : نعم العون انت يا بني على أمر الله ، ثم ذكر نحواً مما تقدم ذكره .

وروي العياشي باسناده عن بريد بن معاوية العجلي ، قال قلت لابني عبد الله عليه السلام : كم كان بين بشارة ابراهيم بأسماعيل وبين بشارته باسحق قال (ع) : كان بين البشارتين خمس سنين ، قال سبحانه فبشرناه بغلام حليم ، يعني اسماعيل وهي أول بشارة بشر الله بها ابراهيم في الولد .

ولما ولد لأبراهيم اسحق من سارة ، وبلغ ثلاث سنين اقبل اسماعيل وهو في حجر ابيه ، ففتحاه وجلس في مجلسه ، فبصرت به سارة فقالت يا ابراهيم ينحني ابن هاجر ابني من حجرك ، ويجلس هو في مكانه ، لا والله لا تجاورني هاجر وابنها في بلاد ابدا ففتحها عني .

وكان ابراهيم مكرماً لسارة يعزها ويعرف حقها لأنها كانت من ولد الانبياء (١) وان هاجر كانت امها ومملوكتها ، واعتقتها وتزوجها ابراهيم عليه السلام بأذنها .

فشق طلبها على ابراهيم ، واغتم لفراق اسماعيل ، فلما كان في الليل اتى آت إلى ابراهيم من ربه ، فراه الرؤيا في ذبح ابنه اسماعيل بموسم مكة .

فأصبح ابراهيم حزيناً للرؤيا التي رآها ، فلما حضر موسم ذلك العام حمل ابراهيم هاجر واسماعيل في ذي الحجة من ارض الشام ، فانطلق بها الى مكة

(١) سارة بنت هاران بن ياحور بن ساروع بن ارهوى بن فالغ .

ليذبحه في الموسم فبدأ بقواعد البيت الحرام ، فلما رفع قواعده وخرج إلى منى حاجا وقضى نسكه بمنى رجع إلى مكة فطافا بالبيت اسبوعا ، ثم انطلقا إلى المسمى فلما صارا في المسمى قال ابراهيم لأسماعيل يا بني اني أرى في المنام اني اذبحك في موسم عامي هذا فماذا ترى ؟

قال يا ابت افعل ما تؤمر !! .

فلما فرغا من سعيهما انطلق به ابراهيم الى منى وذلك يوم النحر فلما انتهى به الى الجرة الوسطى ، واضجه لجنبه الأيسر واخذ الشفرة ، فودى ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا الخ .

وفدى ابراهيم بكبش عظيم فذبحه وتصدق بلحمه على المساكين .

وعن محمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) : قال ساءلته عن كبش ابراهيم ما كان لونه قال (ع) : املح اقرن ، ونزل من السماء على الجبل الايمن من مسجد منى بجبل الجرة الوسطى وكان يمشي في سواد وبأكل في سواد ، وينظر في سواد ويعبر في سواد ويبول في سواد .

وعن عبد الله بن سنان ، عن ابي عبد الله (ع) : انه سئل عن صاحب الذبيح ، قال هو اسماعيل وعن زياد بن سوقة عن ابي جعفر (ع) : قال ساءلته عن صاحب الذبيح فقال اسماعيل .

أخذ العبرة من القصة

استفدنا من هذه القصة ، ان أطفاف الله سبحانه لا زالت تساند العبد وتسدد مواقفه رغم مكائد الشيطان الدقيقة ، فيما اذا صمم العبد على الطاعة وضحى بكل امكانياته في سبيل دين الله كما رأينا من تصميم الخليل (ع) ولطف الجليل

به بالفداء مع المدحة له منه سبحانه وتعالى .

وفهمنا ايضاً الدقيق من مكائد إبليس وان مكره يختلف باختلاف ايمان
العباد قوة وضعفاً فيغوي بعضهم بالكفر والجحود وبعضهم بالعصيان والفسوق
وبعضهم بالشك والتحير وبعضهم من طريق الطاعة والعبادة المعكوسة ، كما وضح
ذلك من قوله لأبراهيم ان الله ينهك عن ذبحه ، وكيف يجوز لك ذبح غلام لم
يعص الله ابداً .

وما سمعته من ازعاجه لسارة بفنونه كي يخرجها عن اعتدالها بدوافع
الطبيعة على الاقل ، ومن طريق الرقة والعاطفة على ولدها .
وفهمنا اخيراً كيف يتثبت المؤمن عند عروض الشكوك والشبهات ، كما قد
ساءلته سارة . لم فعل ابراهيم ذلك بولده لتعرف انه امر الهي ام لا .
فقال ابليس زعم ان ربه امره بذلك ، فعندما استسلمت بقولها حق له
ان يطيع ربه .

كل ذلك للإيمان بالله حق الايمان وانه المرجع في كل الامور ، وانه المدير
لها وفق الحكمة والمصلحة ، ولا بد من التسليم له تعالى في كل الاحوال والانقياد
لأوامره ونواهييه وقد علمنا ان الدنيا مرحلة كسب وعناء ، والآخرة دار سعادة
وبقاء . وان كل ما يقاسيه العبد من شدائد الدنيا توفير لرزق الآخرة ، وترفع
لمراتب القرب من الله وجوار انبيائه واوليائه .

بالإضافة الى حصول راحة النفس والروح في الدنيا ، بتأمين مستقبلها ، كما
نلمس ان من تعب في عمل اشد التعب ، مؤملاً اضعاف اجوره المعتادة لا يجد
لذلك التعب اثرأ .

ابراهيم حريص على زيادة المعرفة بقدره الله تعالى

قال الله تعالى : « وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى » (١) .
اختلف في سبب سؤال ابراهيم (ع) هذا على وجوه :
(احدها) وهو المروي عن ابي عبدالله (ع) انه رأى جيفة تمزقها السباع
فياً كل منها سباع البر وسباع الهواء ودواب البحر ، فسأل ابراهيم وقال : يا رب
قد علمت انك تجمعها من بطون السباع والطيور ودواب البحر ، فأرني كيف
تحييها لأعين ذلك .

(ثانيها) عن ابن عباس وسعيد بن جبير إن الملك بشر ابراهيم بأن الله
قد اتخذ خليلاً وانه يجيب دعوته ويحيي الموتى بدعائه ، فسأل الله ان يفعل ذلك
ليطمئن بأنه قد أجاب دعوته واتخذ خليلاً ، لأن ظهور إحدى الثلاث يدل على
جريان الاثنتين الباقيتين .

(ثالثها) ان سبب السؤال منازعة نمرود إياه في الأحياء ، إذ قال : أنا
أحيي وأميت وأطلق محبوساً وقتل انساناً ، فقال ابراهيم : هذا ليس باحياء ،
وقال : رب أرني كيف تحيي الموتى ليعلم نمرود بذلك . وروي ان نمروداً توعدده
بالقتل إن لم يحيي الله الميت بحيث يشاهده فلذلك .

قال (ع) : ليطمئن قلبي اي بأن لا يقتلني الجبار ، لأنه لما قال (ع) له
هذا ليس باحياء وإنما الاحياء ان يكون على سبيل الاختراع الذي ينفرد به تعالى
ولا يقدر عليه سواه . قال : فليحيي الميت ربك .

وحيث ان ما تمسك به نمرود مما يلبس به على البسطة ، عدل (ع) إلى
الحجة الواضحة لكل احد بقوله : فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من
المغرب فبهت الذي كفر ، اي تحير في الجواب ، فان قيل : لم يقل نمرود عند
ذلك فليأت بها ربك من المغرب ؟ .

يقال في الجواب لأنه علم بتلك الآيات واعتقد ان لو اقترح ذلك لآتى بها
الله تصديقاً لابراهيم فكان يرداد فضيحة ، ثم إن الأنبياء وكذلك الصالحاء
لا يقصدون إلا البيان والايضاح ليتهدي المشكك والفضال ، وليس من شأنهم
اللجاج وقصد غلبة الخصم ، ولذا عدل إلى الأوضح حجة والأجلى دلالة ليدفع
بذلك حتى الشبهة والتلبيس على الحاضرين .

(رابعها) انه (ع) احب ان يعلم ذلك عياناً كما علمه برهاناً ويقيناً لتزول
الخواطر ووساوس الشيطان وهذا اقوى الوجوه .

قال سبحانه في جوابه : أولم تؤمن ؟ والسؤال تقريرى لاسقاط الزهمة عنه
وتنزهاً له من شك الغير به ومعناه انك قد آمنت بي فلم تسأل عن مثل هذا .
قال : بلى أنا مؤمن ولكن ليطمئن قلبي وأزداد يقيناً إلى يقيني ويسكن قلبي
إلى علم الأعيان بعد علم البرهان .

وقيل : إن معنى قوله ليطمئن قلبي اي بأنك قد اجبت مسألتى واتخذتني
خليلاً بالمعنى السابق الذكر .

اجابة الجليل دعوة الخليل

قال تعالى : نخذ اربعة من الطير مختلفة الأجناس وإنما خص الطير من
بين سائر الحيوانات لخاصية الطيران لكي تطير اليه عند دعائه لها . وقيل : إنها

الطاووس والديك والحمام والغراب . وقيل : بدل الحمام النسر وبدل الغراب البط .
وأمره ان يقطعها ويخلط ريشها بدمها توضيحاً للقدره ، لأن معنى قوله
فصرهن اليك ، اي قطعهن . وقيل : إن معناه اضممهن اليك .

ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً مبالغته في التفريق وإبعاد بعضها عن بعض
ثم ادعهن يأتينك سعيماً ، عن ابي عبدالله (ع) إن معناه فرقهن على كل
جبل وكانت عشرة أجبل ، ثم خذ بمناقيرهن وادعهن باسمي الأكبر وحلفهن
بالجبروت والعظمة ، ففعل ابراهيم ذلك ثم دعاهن وقال : احيين باذن الله فكانت
تجتمع ويأتلف لحم كل واحد وعظمه إلى رأسه وطارت إلى ابراهيم (ع) .
وقيل : إن الجبال كانت سبعة وقيل : اربعة .

ولما دعاهن نظر ابراهيم إلى الريش يسمى بعضه إلى بعض ، وكذلك
العظام واللحم ثم اتينه سعيماً على أرجلهن فتلقى كل طائر رأسه فلما تمت الاجابة
من الله له (ع) قال تعالى له مؤكداً : واعلم ان الله عزيز ، اي قوي لا يعجز
عن شيء ، حكيم في افعاله واقواله .

العبرة من ذلك

إنما خص الله سبحانه هذه الأربعة لأنه تعالى يريد بالطاووس زينة الدنيا
وبالنسر طول الأمل وبالبط الحرص وبالديك الشهوة ، لأن هذه الطيور مظاهر
هذه الصفات .

فكانه تعالى يقول لابراهيم ولسائر عباده : إن احببت ان يحبي قلبك ،
ويطمئن بي فاخرج عن هذه الأشياء الأربعة ، فإن من كانت في قلبه لا يطمئن معي
ولا يأنس بي ، فالأمر بذبحها كناية عن الخروج عنها وعدم استعاطها .

الذرية على منهج أبيها ابراهيم (ع)

يونس بن ظبيان قال : كنت عند الصادق (ع) مع جماعة فقلت قول الله لابراهيم : خذ اربعة من الطير فصرهن اليك . أكانت اربعة من اجناس مختلفة او من جنس واحد (وحيث فهم الامام منه التعريض) .

قال (ع) : أتحبون ان اريك مثله ؟ قلت : نعم قال (ع) : يا طاووس فاذا طاووس طار إلى حضرته ، فقال : يا غراب فاذا غراب بين يديه ، ثم قال : يا بازي فاذا بازي بين يديه ، ثم قال : يا حمامة فاذا حمامة بين يديه ، وإحضارها كرامة اخرى اضيفت إلى إحيائها بخلاف كرامة ابراهيم فانها كانت موجودة ثم امر بذبحها كلها وتقطيعها ونف ريشها وان يخلط ذلك كله ببعضه ببعض ، ثم اخذ برأس الطاووس فقال : يا طاووس فرأينا لحمه وعظامه وريشه يتميز عن غيره حتى التزق ذلك برأسه وقام الطاووس بين يديه حياً .

ثم صاح بالغراب فقام حياً . وبالبازي والحمامة فقامتا كذلك حتى قامت كلها بين يديه .

الخليل (ع) في حاله الاخير

قال تعالى : « وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبي وبني ان نعبد الأصنام رب انهن اضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من

التمرات لعلمهم يشكرون ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب (١) .

ذكرنا الآية بطولها لتضمنها جليل المعاني وكثير المنافع ووافر التعاليم من الأب الرحيم ، فعند فراغه من بناء البيت يصرف دعواته المتعهد له باجابتها في المصالح العامة ولنظم العباد .

فيبتدىء بجعل مكة محل امن للناس ، ومعقد اجتماع وائتلاف ، حتى كان الانسان يرى قاتل ابيه فلا يتعرض له فيها ، ويدنو الوحش فيها من الناس فيأمن منهم لقصد التعارف والتفاهم بين العباد ، ثم يطلب أطفاه تعالى له ولذريته بالتباعد عن عبادة الأصنام التي قد سول إبليس للكثير من الناس عبادتها ، وهو حصيلة التوحيد وهدف الرسل الوحيد .

ثم لعلمه بأن ليس لكل فرد منهم قوة المناعة من مكروبات إغواء إبليس والتخلص من درن المعاصي ، يجعل دعوته لهم ذات فرعين ، فيقول مخاطباً ربه : فمن تبعني فإنه مني وداخل في فريقى باستحقاق طاعته واجر عمله ، ومن عصاني ولم يسلم من مكائد الشيطان فإنك غفور رحيم سائر على العباد معاصيهم رحيم بهم في جميع احوالهم منعم عليهم تحريماً منه لشمول الخير والسعادة لكل البشر ، هذه عاطفة الأنبياء وحنانهم نحو اممهم والبشر عامة ، ثم يكرر دعوة اخرى لتسهيل امورهم وتهيئة ارزاقهم بشبه الحجية والاستدلال مع الله الكريم ، وانه اسكن قسماً من ذريته في بيته الحرام القاحل الذي لم يسكنه من قبله وان الغرض من ذلك عمارته بالعبادة ، وتعريف عبادك محله وعظمته ، وحيث ان الصلاة من

أظهر مصاديق العبادة ، يقول (ع) : ربنا ليقموا الصلاة وإلا فلماقصود اداء جميع ما افترضه الله عليهم .

فلهم عليك يا رب بمقتضى كرمك ان تجعل افئدة من الناس تهوي اليهم ، وتجعل قلوبهم تنحن إلى موضعهم ليكون لهم أنس ورزق بورودهم عليهم .
ولولا لطفه بامالة القلوب اليه سواء كان الفصد للدين كاللحج او للدنيا كالتجارة كما عاش ما كنوه .

قال سعيد بن جبير : لو قال (ع) : افئدة الناس لحجت اليهود والنصارى والمجوس ، ولكن قال من الناس فهم المسلمون « حيث ان الله تعالى قد تعهد له باجابة دعائه » .

وروى مجاهد ان ابراهيم لو قال افئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم وروى الفضيل بن يسار وغيره عن الباقر (ع) انه قال : إنما امر الناس ان يطفوفوا بهذه الأحجار ، ثم ينفروا اليها فيعلمونا ولايتهم ، ويعرضوا علينا نصرهم ، ثم قرأ هذه الآية .

ثم يعود ابراهيم في دعواته مع ربه بصريح الطلب ، وعدم الاقتصار على ضروري المعيشة فيقول : وارزقهم من الثمرات لكي يشكروك ويعبدوك على ما انطبعت عليه القلوب والعادات من زيادة الشكر عند زيادة نعم المنعم .

ثم يعترف بأنه سبحانه العالم بما يبطنونه وما يظهرونه ، وأنه لا يخفى عليه شيء لا من الأرض فقط ، بل حتى السموات التي هي اعظم بمراتب من الأرض .
ثم يعود إلى شكر المنعم ليطلبها على نفسه كي يقتدى به من خلفه فيقول الحمد لله الذي وهب لي على الكبر ... الخ . وهذه من دلائل القدرة الباهرة ، اي ولادة امرأة سنها تسع وتسعون سنة من شيخ قد جاوز المائة سنة ثم قال (ع) إن ربي لسميع الدعاء مفيداً بذلك تشجيع العباد على الدعاء والالتجاء اليه تعالى

حيث هو سميع ومحيب ، وان آخر الاجابة فلصالح الداعي .
 وبعد هذا لا يأمن نفسه ، ولا يعتمد على حوله ، بل يطلب منه تعالى
 المعونة على ان يستمر على إقامة الصلاة والعبادة له تعالى هو مع ذريته .
 وهو منه (ع) كالكلمات نظر للناس وان لا يأمنوا كيد الشيطان وان العبرة لهم
 من ذلك بالشيطان نفسه فكم عبد ربه ورأيت سوء عاقبته وأمثاله في الأمة كثير .
 لذا يدعو ويقول : رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء
 اي اجعلني مستمراً عليها .

ولعلمه (ع) بعدم خلو الانسان من الهفوات والذنوب مهما بالغ في التحفظ
 ولذا ورد اللهم عاملنا بمعقوك ولا تعاملنا بعدلك يختم دعواته المستجابة بقوله :
 ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ، اي يقوم الخلق في يوم
 القيامة للحساب .

ودعائه بالمغفرة لوالديه ، دليل عدم كونها كافرين ، لأن الله قد اخبر عنه
 بقوله : فلما تبين انه عدو لله تبرأ منه فصيح ان اياه الذي كان كافراً إنما هو جده
 لأمه او عمه على الخلاف السابق .

هذه انتخابات الحكيم جل شأنه السفراء لعباده منوطة بسابق علمه ،
 بصفاء نفوسهم وعميم رافقتهم بعباده ، وخلوص غايتهم لهداية خلقه حسب درجاتهم
 وأضعفها هي أرقى درجات غيرهم وكذلك اوصيائهم حجج الله على عباده ،
 معينون من قبله حيث ليس لأحد التدخل في امره ، لأنه المالك الصرف اولاً ،
 والعالم بالحقايا والبواطن فضلاً عن الظواهر ثانياً .

كما إننا لا نرضى لأحد بالتدخل في شؤون رئيس عائلة بالنسبة إلى من ينصبه
 منهم على الباقيين قائلين : هو اعرف بقابلياتهم ونفسياتهم ، فما لنا والتدخل بملك
 الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

بدء الخليقة وأبو البشر

قال الله تعالى : « إذ قال ربك أني خالق بشرأ فاذا سويتہ ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين قال يا إبليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فأخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي إلى يوم الدين قال رب فانظرنى إلى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم اجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين » (١) .

إن الله تعالى قد ذكر قصة آدم وكيفية خلقته ومعاملة إبليس معه في مواقع كثيرة من القرآن الكريم ، وفي ذلك اسرار تعود لنفع العباد وللمعتبر فيها الرشاد .

(منها) الاشارة إلى كمال قدرته وعظمته ، حيث خلق إنساناً كاملاً ، ذا عقل وحس وحياة ، وصاحب مشاعر ظاهرة وباطنة من تراب جامد ، ثم جعله طيناً لازباً فجعله حمأ مسنوناً فجعل الخما صلصالاً يابساً ، ثم نفخ فيه من روحه فاستوى إنساناً كاملاً فتبارك الله أحسن الخالقين .

(ومنها) تذكير الخلق بما انعم به على ابيهم ، حيث فضله على ملائكة السماء بما علمه من الأسماء وجعله مسجوداً لهم وذا منزلة عليهم ، فلمعلمهم يقدرون هذه النعمة على ابيهم وعليهم ويشكرونها لخالقهم .

(ومنها) تحذير الخلق عن مكائد الشيطان ليجتنبوا عن مصائده ونفوخه
فإن عداوته أصلية لا يمكن توقع الوصل والعلقة به ، ولا المصالحة معه ابداً .
(ومنها) تنبيه البشر على أن آدم مع هذه العظمة لفعله زلة واحدة كيف
أخرج من جوار رحمة الله وأهبط إلى دار البلية فما حال من تورط في الذنوب
واقترح في المهالك والعيوب مدى عمره وطول زمانه وهو مع ذلك يطعم في
دخول دار الخلد وجنة النعيم ولنعم ما قيل :

يا ناظراً نوراً بعيني راقد	ومشاهداً للأمر غير مشاهد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي	درك الجنان ونيل فوز العابد
أنسيت إن الله أخرج آدم	منها إلى الدنيا بذنب واحد

آدم في بادئ أمره

المعنى من الآية إن إذ متعلقة بما سبق من قوله تعالى يختصمون فدل
سبحانه على اختصام الملائكة في أمر آدم بقوله : إذ قال ... الخ .
فإذا سويت أي تمت أعضائه وصورته ونفخت فيه من روعي أي أحييته
وجعلت فيه الروح ، وأضاف الروح إلى نفسه تشريفاً له .
ومعنى نفخت فيه توليت فعله من غير سبب وواسطة كمثل الولادة ،
تكريماً له بهذه الحالة ، وذكر في الصحف أن الله جعل طينة آدم جسداً ملقى على
طريق الملائكة الذي تصعد فيه إلى السماء أربعين سنة ، وكان إبليس يمر عليه
فيضربه برجله ويقول : لأمر ما خلقت ، وكان يعبث به حتى أنه سئل الإمام (ع)
عن سبب ثقب ریح جوف ابن آدم ، فقال : إنه خلق من طين لكن إبليس جعل
يعبث به فيدخل من فيه ويخرج من دبره ، فأنتن ريحه من خبث إبليس ، وهذا

معنى قوله تعالى : سويته اي صنعته وصورته .
 ثم ادخل فيه الروح اولاً من قدميه إلى ركبتيه . فأراد آدم ان ينهض
 فلم يقدر ، وذلك معنى قوله تعالى : وكان الانسان عجولاً .
 واختلف في إبليس انه كان من الجن او من الملائكة . والأصح انه من
 الجن وان الجن والنسناس افسدوا في الأرض فأنزل الله الملائكة لقاتلهم فقتلهم
 وكان إبليس صغيراً فسبي وأخذوه الملائكة معهم إلى السماء فعبد الله مع الملائكة
 إلى ان عصى الله بامتناعه من السجود لآدم .

اختصاص الملائكة

سئل الامام الصادق (ع) لِمَ صار الطواف سبعة اشواط ؟ قال : لأن الله
 قال للملائكة : إني جاعل في الأرض خليفة ، فردوا عليه سبحانه وقالوا : أتجعل
 فيها من يسفك الدماء ؟

قالوا ذلك لما رأوا من حال الجن الذين كانوا قبل آدم في الأرض . وكان
 تعالى لا يحبهم (١) عن نوره . فلما قالوا ذلك حجبهم عن نوره سبعة آلاف عام
 فلاذوا بالعرش سبعة آلاف عام ، فتاب عليهم وجعل لهم البيت المعمور في السماء
 الرابعة ، ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور . فصار الطواف سبعة واجباً
 على العباد لسلك الف سنة شوطاً واحداً .

وقوله تعالى : فقموا له ساجدين ، اي على الفور وبدون تراخ ، لبيان
 انه امر إزائي لا مجال للكلام فيه او التردد .

فسجد الملائكة كلهم اجمعون ، دون ان يتخلف منهم احد على اختلاف

(١) أي لا يحب للملائكة .

مرايتهم إلا إبليس . فانه امتنع من السجود وأخبر سبحانه عن علة امتناعه ، وهو العليم بما في النفوس ، بقوله : استكبر وكان من الكافرين ، اي صار من الكافرين او كان الخبيث الذي انتج امتناعه من السجود ثابتاً فيه او بمعنى علم الله كفره من الأزل قال يا إبليس ما منعك ... الخ .

سؤال توييح وتعريف للملائكة انه لا عذر له في الامتناع عن السجود إلا هذه الصفة الذميمة وهي التكبر ، استكبرت أم كنت من العالمين اي ارفعت نفسك فوق قدرك ، وتعظمت عن امثال امري أم كنت من الذين تعلو اقدارهم بحسب ذاتها وخلقتها عن السجود .

الكشف عن أمر غامض يخص محمداً ﷺ

وأهل بيته عليهم السلام

في كتاب فضائل الشيعة للصدوق بسنده عن سعيد الخدري قال : كنا جلوساً عند رسول الله (ص) إذ اقبل اليه رجل فقال : يا رسول الله اخبرني عن قوله تعالى لا إبليس : « استكبرت أم كنت من العالمين » فمن هم يا رسول الله الذين هم اعلى من الملائكة ؟ فقال (ص) انا وعلي وذاتمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نسيح ونسبح الملائكة بتسبيحنا قبل ان يخلق الله آدم بألفي عام فلما خلقه الله تعالى امر الملائكة ان يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود ، فسجدت الملائكة كلهم إلا إبليس فقال تعالى : استكبرت ام كنت من العالمين اي من هؤلاء الخمسة المكتوبة اسمائهم في سرادق العرش .

قال علي بن ابراهيم : إن الاستكبار اول معصية عصي الله بها ، قال إبليس يا رب اغفني من السجود لآدم وانا اعبدك عبادة لم يعبدكها ملك مقرب ولا نبي

مرسل ، فقال تعالى : لا حاجة لي إلى عبادتك ، إنما أريد أن أعبد من حيث أريد لا من حيث تريد ، فأبى أن يسجد فقال تعالى : أخرج منها ، أي من الجنة فانك رجيم ، قال إبليس : كيف يا رب وانت العدل الذي لا تجور ، فتواب عملي بطل « فانظر إلى إبليس كيف يتشبث بعدالة الله تعالى وبعض المسلمين ينكرها » قال : لا واسكن سلمي من امر الدنيا ما شئت نواباً لعملك اعطيك .

فأول ما سئل البقاء إلى يوم الدين ، أي القيامة ، وهي النفخة الثانية ، فلا يموت في النفخة الأولى ، فقال تعالى : قد اعطيتك .

قال : سلطني على ولد آدم ، قال : سلطتك .

قال : اجرني فيهم مجرى الدم في العروق ، قال : قد اجريتك .

قال : لا يولد لهم واحد إلا ولد لي إثنان وأراهم ولا يرونني وأتصور لهم

في كل صورة شئت ، فقال : قد اعطيتك .

قال : يا رب زدني .

قال : قد جعلت لك ولدك صدورهم او طنائاً قال رب حسبي .

فقال إبليس عند ذلك : « لأغوينهم اجمعين إلا عبادك ... الخ » ثم قال

« لا آتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم » .

روي عن أبي جعفر (ع) معنى من بين أيديهم ، أي أهون عليهم امر

الآخرة ، ومعنى خلفهم أمرهم بجمع الأموال والبخل بها عن أداء الحقوق لتبقى

لورثتهم ، ومعنى عن أيمنهم افسد عليهم دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة ،

ومعنى عن شمائلهم بتحبيب الذات وتغليب الشهوات على قلوبهم .

انتصار أبينا آدم لذريته

قال ابو عبدالله (ع) : لما اعطى الله تبارك وتعالى إبليس من القوة ما اعطاه قال آدم : يا رب سلطت إبليس علي وعلى ذريتي ، وأجريتته مجرى الدم في العروق وأعطيتته ما اعطيتته فما لي ولولدي ؟ .

قال تعالى : لك ولولدك السيئة بواحدة والحسنة بعشر امثالها ، قال : يا رب زدني ، قال : النوبة مبسوطة الى ان يبلغ النفس الخلقوم . قال : يا رب زدني قال : أغفر أغفر ولا أبالي .

قال : يا رب حسبي ، قال السائل : جعلت فداك بما ذا استوجب إبليس من الله ان اعطاه ما اعطاه ؟ قال (ع) : بشي • كان منه شكره الله تعالى عليه ، قلت وما كان منه جعلت فداك ؟ قال (ع) : ركعتين ركعتهما في السماء في اربعة آلاف سنة .

وفي النهج انه صلى ركعتين في ستة آلاف سنة ، لا يدري أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة ؟؟ .

ولهذا ان جماعة من الصوفية شكروا إبليس لاتبائه عن السجود لآدم ، قالوا إنه اراد بذلك اختصاص السجود بالله فسموه سيد الموحدين ، وهذا من إغوائه لعنه الله لهم وتليسه عليهم ، وما ادري ما يفعلون بصريح كلام الله تعالى : « فأخرج منها فانك رحيم وان عليك لعنتي ... الخ » ، وان جوابهم عن هذه الشبهة هو ان السجود لآدم كان تعظيما وتكرمة له ، وإلا فهو لله تعالى وانقياداً لأمره سبحانه ، وقد اجيب بأجوبة اخرى من ان آدم قبلة لهم وغير ذلك لا حاجة الي ذكرها بعد الذي ذكرناه .

إبليس مخترع القياس

قال : « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » .
 إن إبليس اول من عمل بالقياس وقد أخطأ فيه ، مع انه في نظره قياس
 الأولوية فكيف بغيره ، وذلك انه قد روى اسحاق بن جرير قال : قال ابو عبدالله
 عليه السلام : اي شيء يقول اصحابك في قول إبليس (١) ؟ .
 قات : جعلت فداك قد قال ذلك وذكره الله في كتابه .
 قال : كذب يا اسحاق ما خلقه الله إلا من طين ، قال الله الذي جعل لكم
 من الشجر الأخضر ناراً اذا انتم منه توقدون خلقه الله من تلك النار ، من تلك
 الشجرة والشجرة اصلها من طين .
 وعنه (ع) لو علم إبليس ما جعل الله في آدم لم يفتخر عليه ، ثم قال (ع)
 ان الله خلق الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق الجن صنف منهم من
 الريح وصنف منهم من الماء ، وخلق آدم من صفحة الطين ، ثم اجري فيه النور
 والنار والريح والماء ، فبالنور ابصر وعقل وفهم ، وبالنار اكل وشرب ، ولولا النار
 في المعدة لم تطحن المعدة الطعام ، ولولا ان الريح في جوف بني آدم تلهب نارالمعدة
 لم تلتهب ، ولولا ان الماء في جوف ابن آدم يطفي حر المعدة لأحرقت النار جوف
 ابن آدم ، فجمع الله ذلك لآدم مع الطين فكانت خمسة ، وكانت في إبليس واحدة
 من خمس ، فافتخر بها جهلا منه بذلك .
 فانظر الى العلم كيف يفضح الجهل مها تلبس على البسطاء . فان يد التنقيب
 تكشفه ، وان اهل العلم يرصدون تلك السرقات ، وهم الحرس المنتبه مها ساندت
 قوى الجور هؤلاء السراق . وهاتيك الجهال .

(١) أي كون إبليس خلق من نار .

العلم مودوع عند حملته

قال ابن عباس : فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله ببلّيس .
وقد ورد عن الأئمة الأطهار (ع) ان دين الله لا يصاب بالعقول ، وان
السنة اذا قيست بحق الدين ، وانه لا شيء ابعد عن عقول الرجال من دين الله ،
الى غير ذلك من التهديد والتنديد ، كي يؤدوا ما عليهم الى البشر ، فلا تبقى لهم
اي حجة يتمسكون بها غير العناد ومجانبة الحق ، وهو ناشئ من حب الدنيا ،
وقد باعوا الآخرة بالدنيا . ورضاء الله برضاء اهلها ، وإلا فماذا ترى فيما سجّله
التاريخ الناصع لنا .

ففي الكافي والاحتجاج انه دخل ابو حنيفة على الصادق (ع) فقال له :
يا ابا حنيفة بلغني انك تقيس ، قال : نعم اقيس ، قال : لا تقس فان اول من قاس
إبليس لعنه الله ، حين قال : خلقتني من نار وخلقته من طين ، فقاس ما بين النار
والطين ، ولو قاس نورانية آدم بنورية النار ، عرف فضل ما بين النورين ، وصفاء
احدهما على الآخر .

ثم نقول لابليس وأتباعه بخصوص مورد السجود ، ان السجود لم يكن
للطين الذي هو الجزء المادي ، بل للنور الذي هو الجزء الروحي ، بدليل ان الله
تعالى لم يرتب وجوب السجود على خلقة الطين ، بل قال : فاذا نفخت فيه من
روحي فقعوا له ساجدين ، لتشریفه حينئذ بالنور - اعني نور الله سبحانه وتعالى
وفي الاحتجاج ان الصادق (ع) قال لأبي حنيفة لماذا دخل عليه : من انت ؟
قال ابو حنيفة : قال مفتي العراق ، قال : نعم ، قال (ع) : بم تفهيمهم ؟ قال :
كتاب الله ، قال : فانت العالم بكتاب الله ، ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومقشاهه ،

قال : نعم ، قال : اخبرني عن قول الله عز وجل : « وقد رنا فيها السير سيرا فيها ليالي وأياماً آمنين » (١) ، اي موضع هو ؟ قال ابو حنيفة : هو ما بين مكة والمدينة ، فالتفت ابو عبدالله (ع) الى جلسائه وقال لهم : نشدتكم بالله هل تسرون بينها ولا تؤمنون على دماءكم من القتل ، وعلى اموالكم من السرقة ، فقالوا اللهم نعم ، قال : ويحك يا ابا حنيفة ان الله لا يقول إلا حقاً . فقال : يا ابا حنيفة اخبرني عن قول الله عز وجل : « ومن دخله كان آمناً » اي موضع هو ؟ قال : ذلك بيت الله الحرام (٢) ، فالتفت (ع) الى جلسائه وقال لهم : نشدتكم بالله هل تعلمون ان عبدالله بن الزبير وسعيد بن جبيرة دخلاه فلم يأمنوا القتل ؟ قالوا : اللهم نعم ، فقال : ويحك يا ابا حنيفة ان الله لا يقول إلا حقاً ، فقال ابو حنيفة : ليس لي علم بكتاب الله عز وجل ، انما انا صاحب قياس .

قال (ع) : فانظر في قياسك ان كنت مقيساً ، أيما اعظم عند الله القتل او الزنا ؟ قال : بل القتل ، قال : فكيف رضي في القتل بشاهدين ، ولم يرض في الزنا إلا بأربعة .

ثم قال له : الصلاة افضل ام الصيام ؟ قال : بل الصلاة افضل ، قال (ع) : فيجب على قياسك على الحائض قضاء الصلاة دون الصوم ، وقد اوجب الله عليها قضاء الصوم دون الصلاة .

ثم قال (ع) : البول اقذر ام المنى ؟ قال : البول اقذر ، قال (ع) : يجب على قياسك الغسل من البول دون المنى ، وقد اوجب الله الغسل على المنى دون البول .

(١) تزلت في القرى التي بين سبأ والشام .

(٢) قيل في معناه انه خبر في معنى الأمر أي آمنوه ولا تتعرضوا له حتى يخرج والناس بمصون في ذلك ، وقيل : إن معناه من دخله عارفاً بقدره جامعاً لفرائطه يكون آمناً من عذاب الآخرة .

قال : انما انا صاحب رأي .

قال (ع) : فما ترى في رجل كان له عبد فتزوج وزوج عبده في ليلة واحدة ودخلا بامرأتيهما في ليلة واحدة ، ثم سافرا وجعلتا امرأتيهما في بيت واحد فولدتا غلامين فسقط البيت عليهم فقتل المرأتين وبقي الغلامان أيهما في رأيك المالك ؟ وأيها المملوك ؟ وأيها الوارث ؟ وأيها الموروث ؟ .

قال : انما انا صاحب حدود .

فقال (ع) : فما ترى في رجل اعمى فقأ عين صحيح وأقطع قطع يد رجل صحيح كيف يقام عليها الحد ؟ قال : انما أنا رجل عالم بمباعت الانبياء .

قال (ع) : فلخبرني عن قول الله تعالى لموسى وهارون ، حين بعثها الى دعوة فرعون « لعله يتذكر او يخشى » كلمة لعل اذا صدرت منك شك ؟ قال : نعم ، قال : ذلك من الله شك إذ قال : لعله . قال ابو حنيفة : لا اعلم .

فقال (ع) له : انك تفني بكتاب الله ولست ممن ورثه ، وتزعم انك صاحب قياس وأول من قاس إبليس ، ولم بين دين الاسلام على القياس ، وتزعم انك صاحب رأي وكان الرأي من رسول الله (ص) صواباً ، ومن دونه خطأ لأن الله قال : ان احكم بينهم بما اراك الله ، ولم يقل ذلك لغيره ، وتزعم انك صاحب حدود ، ومن انزلت عليه اولى بعلمها منك ، وتزعم انك عالم بمباعت الانبياء ، وخاتم الانبياء اعلم بمباعتهم منك ، لولا ان يقال دخل على ابن رسول الله فلم يسأله من شيء ما سألتك عن شيء فقس ان كنت مقيساً .

قال : لا تكلمت بالرأي والقياس في دين الله بعد هذا المجلس .

قال (ع) : كلا ان حب الرياسة غير تاركك ، كما لم يترك من كان قبلك ، وقد كان كما اخبر (ع) فما اعلمهم بنفسيات البشر ، كيف وهم الراسخون في العلم والناظرون بنور الله تعالى ، وودائع علم الوحي .

وقد روى الصدوق والكليني عن ابان بن تغلب قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما تقول في رجل قطع اصبعاً من اصابع المرأة كم فيها ؟ قال (ع) : عشرة من الابل . قلت : قطع اثنين ، قال (ع) : عشرون ، قلت : ثلاثة ، قال : ثلاثون ، قلت : اربعاً ، قال (ع) : عشرون ، قلت : سبحان الله يقطع ثلاثاً عليه ثلاثون ، فيقطع اربعاً يكون عليه عشرون . ان هذا كان يبلغنا ونحن في العراق ، فنبرأ ممن قاله ونقول : ان الذي جاء به شيطان .

فقال (ع) : مهلا يا ابان ، هذا حكم رسول الله (ص) ان المرأة تعاقب الرجل الى ثلث الدية ، فاذا بلغت الثلث ، رجعت المرأة الى النصف يا ابان اخذتني بالقياس ، والسنة اذا قيست بحق الدين .

هذا وان علماء الشيعة تبعاً لاهل البيت قد شددوا التكبير على العمل بالقياس حيث ان الأحكام من الشارع مختلفة ، كجمعه المختلفات وتفريقه المتشكلات في منزوعات البر .

وكجمعه بين النوم والبول والغائط في الحديثية ، مع اختلافها بالاستقذار فيها ، دون النوم وبشدته وعدمها فيما بينهما ايضاً ، وكحكمه بوجوب الاحرام في الحل مع ان الحرم افضل ، وكحكمه بحرمة صوم العيد ، ووجوب مسابقه وندبية لاحقه ، وكحكمه بوجوب خمسمائة دينار وهو نصف الدية لقطع احدي اليدين ، وقطع اليد لربع دينار في السرقة ، وعدم جواز قطعها في الغصب ولو كان ألفاً الى غير ذلك مما يجده المتتبع لفروع الفقه .

عودة توضح تعميم علمهم (ع)

في كتاب علي (ع) في الرد على إبليس ، وانه لو علم ما جعل الله في آدم من الطبائع لم يفتخر عليه ، قال (ع) في ذيل ذلك :

وأجرى الريح في الطبائع الأربع ، فلزم الانسان من ناحية الريح حب النساء وطول الأمل والحرص ، ولزمه من ناحية البلغم حب الطعام والشراب والبر والحلم والرفق . ولزمه من ناحية المرة الغضب والسفه والشيطنة والتجبر والتمرد والمجلة ، ولزمه من ناحية الدم حب الفساد والذات وركوب المحارم والشهوات ، فتجد لهم من عميق الاطلاع في الأبدان ، مثما لهم من دقيق العلم في الأديان ، وهكذا في سائر الكونيات والأعيان .

نبذة يسيرة من وصفاتهم لمرض الروح

وظهر مما تقدم ان امثال ابي حنيفة لم يسلكوا تلك المسالك جهلا بعد تلك البيانات والحجج ، وانما هو لمرض ركز في القلب كما شخصه الطبيب النفسي ، ابو عبدالله (ع) بقوله ولكن حب الرياسة غير تارك .

ولذا تراهم يركزون كل ارشاداتهم على اختلاف فنونها ولطيف ابداءها على التباعده عن حب الدنيا ، والمتهاك في جمعها ، وإحراز مناصبها .

فعن امير المؤمنين (ع) ان من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا .

وعنه (ع) ان علامة الراغب في ثواب الآخرة ، زهده في عاجل زهرة الحياة الدنيا . اما ان زهد الزاهد في هذه الدنيا لا ينقصه مما قسم الله عز وجل له فيها وان زهد .

وان حرص الحريص على عاجل زهرة الدنيا ، لا يزيد فيها وان حرص ،
فالمغبون من حرم حفظه من الآخرة .

وعن ابي عبدالله (ع) من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه ،
وأنتطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا ، داؤها ودواؤها ، وأخرجه من الدنيا
سالماً الى دار السلام .

وعنه (ع) جعل الخير كله في بيت ، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا .
وعنه (ع) قال : اصبروا على الدنيا فانما هي ساعة ، ثما مضى منها لا تجده
ألماً ولا سروراً . وما لم يحجى ، فلا تدري ما هو ، وانما هي ساعتك التي انت فيها
فاصبر فيها على طاعة الله واصبر فيها عن معصية الله .

وقال امير المؤمنين (ع) : الناس في الدنيا عامل في الدنيا للدنيا قد شغلته
دنياه عن آخرته . يخشى على من يخلقه الفقر ، ويأمنه على نفسه ، فيفني عمره
في منفعة غيره .

وأخر عمل في الدنيا لما بعدها ، فجاه ماله من الدنيا بغير عمله (١) فأصبح
ملكاً لا يسأل الله شيئاً فيمنعه .

قيل : إن النبي (ص) مر على سخة منبوذة على ظهر الطريق ، فقال (ص) :
أترون هذه هينة على اهلها ، فوالله الدنيا اهنون على الله من هذه على اهلها ، ثم
قال : الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له . ولها يجمع من لا عقل له ،
وشهواتها يطلب من لا فهم له ، وعليها يعادي من لا علم له ، وعليها يحسد من لا
فقه له ، ولها يسعى من لا يقين له .

وقال امير المؤمنين (ع) : واتعظوا بمن كان قبلكم قبل ان يتعظ بكم من بعدكم
وفي الاختصاص (٢) قال بعض الحكماء : ان البدن اذا سقم لم ينجع بطعام

ولا شراب ولا راحة ، وكذلك اذا علقه حب الدنيا لم ينجع فيه المواعظ .
وعلى مجراها كلمة سيد الحكماء و ابو الأوصياء امير المؤمنين (ع) اذا لم
يكن للانسان من نفسه زاجر وواعظ لم تنجع فيه المواعظ .
وقال الله تعالى لداود : يا داود احذر القلوب المعلقة بشهوات الدنيا ،
عقولها محجوبة عني .

قال سلمان رضي الله عنه : اني اخشى عليكم ثلاثاً ، زلة العالم وجسدال
المنافق ودينياً مطغية .

روي ان عيسى كوشف بالدنيا فرآها عجوزاً هتاء ، عليها من كل زينة ،
فقال لها : كم تزوجت ؟ قالت : لا احصيهن ، قال : فكلمهم مات عنك او طلقوك
قالت : بل كلهم قتلت ، قال عيسى (ع) : يؤساً لأزواجك الباقيات ، كيف
لا يعتبرون بأزواجك الماضين ، كيف اهلكتهن واحداً واحداً ولا يكونون
منك على حذر .

يا طالب الدنيا يفرح وجهها ولتندمن اذا رأيت قفاها
طبيب آخر وناصح مشفق .

انك في دار لها مدة يقبل فيها عمل العامل
ألا ترى الموت محيط بها يكذب فيها أمل الآمل
تعجل الذنب بما تشتهي وتأمل التوبة في قابل
والموت يأتي اهله بفتة ماذا فعل الحازم العاقل

وفي مناجاة موسى (ع) يا موسى ان الدنيا دار عمقوبة ، عاقبت فيها آدم
عند خطيئته ، وجعلتها مملونة ، مملون ما فيها ، إلا ما كان فيها لي ، يا موسى
ان عبادي الصالحين زهدوا في الدنيا بقدر علمهم ، وسائر الخلق رغبوا فيها بقدر
جهلهم ، وما من احد عظمها فقرت عينه فيها ، ولم يحقرها احد إلا انتفع بها .

وعلى منواله يأتي قوله سبحانه مخاطباً للدنيا : إخدمني من خدمني واتعبي من خدمك ، وفي رواية اخرى إخدمني من رفضك .

طبيب دقيق طبق الفعل مع القول

سئل علي بن الحسين (ع) اي الأعمال افضل عند الله تعالى ؟ .
قال : ما من عمل بعد معرفة الله ومعرفة رسوله افضل من بغض الدنيا .
فإن لذلك شعباً كثيرة ، وللمعاصي شعب فأول ما عصي الله عز وجل به الكبر ،
معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين ، ثم الحرص ، وهي معصية
آدم وحواء ، قال الله لهما : كلا من حيث شئتما رغداً ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين فأخذوا ما لا حاجة بهما اليه ، فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة ،
فلذلك ان اكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به اليه ، ثم الحسد وهي معصية ابن
آدم حيث حسد اخاه فقتله ، فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا (دينار خل)
وحب الرياسة وحب الكلام وحب الراحة وحب العلو وحب الثروة فصرن سبع
خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا ، فقالت الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك
حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والدنيا دنيا ان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة .
ومن كلمات امير المؤمنين (ع) القصار : الحرص والكبر والحسد دواع
إلى التفحم في الذنوب .

كلمة الطبيب الاعلى ووصفته الجامعة

كلمة رب العزة ومدرس الأطباء والعالم بالذات يجمع بها بيان الداء والدواء
مدوياً بها في الأجواء فقال تعالى : « وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » (١) .

(١) سورة آل عمران في ذيل الآية ١٨٢ .

فيعقبها شارح كلامه وموضح مرامه والجاري على منواله امير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه (ع) فيقول : « وأحذر كم الدنيا فانها منزل قلعة (١) وليست بدار نجمة (٢) قد تزينت بغرورها وغرت بزينتها هانت على ربها تخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها وحياتها بموتها وحلوها بمرها ، لم يصفها الله تعالى لأولياؤه ولم يظن بها على اعدائه خيرها زهيد وشرها عتيد (٣) وجمعها ينغد وملكها يسلب وعامرها يخرب فما خير دار تنقض نقض البناء وعمر يفنى فناء الزاد ومدة تنقطع انقطاع السير .

لقمات في نصيحته

يا بني إياك والتجبر والتكبر والفخر فتجاوز إبليس في داره ، يا بني كيف يتكبر من قد جرى في مجرى البول مرتين ، يا بني ويل لمن تجبر وتكبر ، كيف يتعظم من خلق من طين وإلى طين يعود ، ثم لا يدري إلى ماذا يصير ، إلى الجنة فقد فاز او إلى النار فقد خسر خسراناً مبيئاً وخاب .

آدم والجنة

قال تعالى : « وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » (٤) .
يدخلان الجنة باذن من ربها مرخصين في نعيمها كيف شاءا وابن شاءا سوى شجرة واحدة نهيها عن القرب اليها حيث علم الطبيب ميكروبها وتسميمها المنتشر الفعال فنهاهما عن القرب اليها فيقلبان في حظايرها ويشعان بأثمارها بتقدير واحترام من خزنتها وحراسها .

(١) أي منزل من لا يستقر . (٢) أي ليست محط الرجال ولا مبلغ الآمال .

(٣) سورة البقرة الآية ٣٤ .

(٤) أي حاضر .

ابليس لعنه الله في التعقيب

فهل ترى ان إبليس يروق له ذلك وتهداً له نفس او تغمض له عين وقد أهبط من درجته ، وآدم منعم في جنته وقد أعطي من القوى عوض طاعته ومن السلطة تجاه عبادته مع ما ركز في قلبه لآدم من عداوته لا يكون ذلك ابداً . إذا يتابعه بما ضرب به المثل النفس حريصة على ما منعت ، ويجعل نهيته عن الأكل من الشجرة هو السلاح الفاتح لاغوائه ، فيتجرى الوصول اليه والاجتماع به كما يشير منه طبيعة الحرس المدووعة فيه .

الحيلة في تحقيق ذلك

قيل : إن آدم كان يخرج إلى باب الجنة وإبليس لم يكن ممنوعاً من الدنو منه فكلمه . وقيل : كلمها في الأرض بكلام عرفاه وفهامه (اي سابقاً) . وقيل : دخل في شدة الحية ، وذلك انه لما اراد الدخول ومنعته الخزنة فأتى كل دابة وعرض نفسه عليها ان تحمله كي يدخل الجنة فأبت عليه إلا الحية قال لها : إني امنعك من ابن آدم فأنت في ذمتي ان ادخلتني ، فجعلته ما بين فابين من انيابها ولذا قيل : إن السم في انيابها من اثر مقعد الشيطان ، ثم دخلت به وكانت راسية على اربع قوائم من احسن دابة خلقها الله كأنها بختية فأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها وهي الآن اشد خوفاً من الانسان من كل حيوان .

نخاطب آدم وحسن له الأكل من الشجرة وانه يكون من الخالدين ، وذكر له انه مانوس بوجوده معه في الجنة وأخشى عليك القوت وأبقى وحدي في الجنة متوحشاً ، فكل من الشجرة كي تكون مخلداً وانا ايضاً اكون مانوساً بوجودك معي ، فامتنع آدم وقال : كيف أرتكب ما نهاني عنه ربي ، وقيل : كان يظن ان

ج ١ في بيان الوسيلة الأخيرة لابليس في إخراج آدم من الجنة - ١٠١ -

الحية هي التي تخاطبه حيث لا يرى إبليس ومع ذلك ما اطاعها فلما ايس منه ذهب مع الحية إلى حواء وقال لها : إن الله قد حلل لكما الأكل من الشجرة بعدما علم حسن طاعتكما عند التحريم .

وعلاوة ذلك ان الموكلين بالشجرة ومعهم الحراب يدفعون عنها سائر الحيوانات لا يدفعونكما ان رمنا الأكل فاذا رأيتما ذلك فاعلما ان الله حلها لكما وابشري يا حواء فانك ان تناولت منها قبل آدم كنت انت المسلطة عليه الآمرة الناهية فوقه .

فقلت : سوف اجرب فرامت الشجرة فأرادت الملائكة دفعها بالحراب فأوحى الله تعالى اليهم إنما تدفعون من لا عقل له يزجره ، واما من جعلته ذا عقل مميزاً مختاراً فكلوه الى عقله الذي جعلته حجة عليه ، فان اطاع استحق ثوابي وان عصى استحق عقابي فتركوها .

فظننت ان الله نهاهم عن منعها وقد أحل ما حرم ، فقلت : صدقت الحية وكانت تظن انها هي المتكلمة ، فتناولت ولم تنكر من نفسها شيئاً .

فقلت لآدم : ألم تعلم ان الشجرة المحرمة علينا قد ايسحت لنا وتناولت منها ولم امنع ، فلذلك اغتر آدم وتناول منها جبتين وحواء حبة واحدة فلذلك كان الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين كما في العلل .

وذكر ان آدم لما أكل منها وأحس بالخطيئة تباعد عنها فامتدت الشجرة نحوه وأخذته اليها من رأسه ، وقالت : لم لا تباعدت عني قبل الأكل .

وذكر ان إبليس حلف بالله لآدم انه لمن الناصحين ، وما كان يظن ان احداً يحلف كاذباً كما هو مذكور في القرآن الكريم بقوله تعالى : « وقاسمها اني لكما لمن الناصحين » (١) .

المرض المكروبي يسبب العزل لصاحبه

فأخرجها الله من الجنة بقوله جل شأنه : « اهبطا إلى الأرض بعضكم لبعض عدو » أي اتما والشيطان والحية .

وقيل : كان مشط من الجنة في عقيصة حواء فلما صارت في الأرض قالت : مالي وللمشط وقد اخرجت من الجنة فانتزعت المشط فانتثر ما كان فيه في الهواء فكان منه الطيب . ويؤيد ذلك ان اكثر منابت الطيب ان لم يكن كلها في الهند لأنه مهبط آدم . كما ذكر ان الكلب خلق من بصاق إبليس لعنه الله وكل يلحق بأصله قال تعالى : « فلما أكلا منها بدت لهما سوءاتهما وطقفا يخصفان عليهما من ورق الجنة » (١) .

ذكر ان لباسها اخذ يتهافت حتى انعدم ، فظهرت عورة كل واحد للآخر فاستحييا ، وأخذوا يستران ذلك بورق الشجر ، وقيل : هو شجر التين : وهذا ما ذكرنا من التسمم وتلوث البدن السيئات فلا يعود يلتئم معه ما في الجنة لشفافيته كالثلج مثلا عند الحرارة يوجب الذوبان او كالمعادن الشفافة مع المعادن الكثيفة نسبياً كما لورمت اختلاط النفط مع الماء مثلا مهما بالغت في خلطه فهو ينمزل ، فالعزال آدم عن الجنة لا بد منه ، نعم يحتاج إلى الصقل والتنزيه من جديد بالطاعات حتى يذهب الكدر وتعود النفس إلى الصفاء فتصلح عند ذلك لدخول الجنة ولباسها وبقية نعيمها .

سر انديب مهبط آدم

ذكر ان آدم اول نزوله كان في الهند وعندما أكل من الطعام وجد ثقلاً في بطنه فشكا ذلك الى جبرئيل فقال : يا آدم تنح فنحاه فأحدث وخرج منه الثقل وعن الصادق (ع) إن آدم لما اراد حج بيت الله تعالى كان دليله الصرد من بلاد سرانديب إلى جدة شهراً وهو اول طائر صام لله تعالى ، فجعل آدم يمشي فكل قدم وضعه في مكان صار ذلك المكان عمراناً ، وكل مكان تحطاه صار خراباً ولذا كان الخراب اكثر .

وعنه (ع) عندما سئل عن سبب حمل بعض الأشجار وعدم حمل بعضها . ان آدم وحواء كانا يسبحان فكانت كل تسيحة تصدر من آدم تنبت على الأرض شجرة مثمرة ، وكلما تصدر تسيحة من حواء تنبت شجرة غير مثمرة .

وسئل (ع) مما خلق الشعير ؟ فقال : إن الله امر آدم ان ازرع مما اخترت لنفسك حيث اختار الأكل من شجرة الحنطة وجاءه جبرئيل بقبضة من الحنطة فقبض آدم على قبضة منها وقبضت حواء على قبضة فقال لها آدم : لا تزرعي انت فلم تقبل فكلما زرع آدم جاء حنطة وكلما زرعت حواء جاء شعيراً .

وقال (ع) : لما بكى آدم على الجنة وكان رأسه في باب من ابواب السماء وكان يتأذى من الشمس فخط من قامته .

وقال (ع) : أتى آدم إلى البيت الف مرة سبعمائة حجة وثلاثمائة عمرة .

وعنه (ع) انه اجتمع اولاد آدم في بيت فتشاجروا فقال بعضهم : خير خلق الله ابونا آدم وقال بعضهم : الملائكة المقربون ، وقال بعضهم : حمله العرش إذ دخل عليهم هبة (١) فحكوا له فرجع إلى آدم فقال : يا أبة اني دخلت على

(١) هوشيت بن آدم .

اخوتى وهم يتشاجرون في خير خلق الله فسألوني فلم يكن عندي ما اخبرهم به .
فقال آدم : يا بني اني وقفت بين يدي الله عز وجل فنظرت إلى سطر على
وجه العرش مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم محمد وآل محمد خير من برأ الله .
وعنه (ع) ان حواء خلقت من بقية طينة آدم لا من ضلعه ، لأنه يلزم ان
يكون آدم ينكح بعضه بعضاً فيقوى مذهب المجوس في نكاح المحرمات وما ورد
من ذلك فهو محمول على التنقية لأنه مذهب المشهور .

اكتشاف سر الله في محل صلى الله عليه وآله وآله (ع)

قال الله تعالى : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين
ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً » (١) .
في كتاب قصص الأنبياء للجزائري عن معاني الأخبار باسناده إلى المفضل
عن اب عبد الله (ع) ان الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألني عام فجعل اعلاها
وشرفها ارواح محمد ص ، وعلي (ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) والحسين (ع)
والآئمة بعدهم (ع) .

فعرضها على السموات والأرض والجبال ففشاها نورهم ، فقال سبحانه
للسموات والأرض والجبال هؤلاء حججى على خلقي خلقت جنتي لهم ولمن تولاهم
وناري لمن خالفهم وعاداهم . فمن ادعى منزلتهم مني ومحلهم من عظمتي عذبتهم
عذاباً لا اعذبه احداً من العالمين .

ومن أقر بولايتهم ولم يدع منزلتهم مني جعلته معهم في روضات جناني ،
فولايتهم أمانة عند خلقي فأبكم يحملها ويدعيها لنفسه دون خيرتي (٢) .

(١) - سورة الأحزاب الآية ٧٢ . (٢) اى يحدهم عليها ويتمناها لنفسه .

فأبت السموات والأرض والجبال ان يحملنها ، وأشفقن منها ومن ادعاء منزلتها وتمني محلها من عظمة ربها .

فلما اسكن الله آدم وزوجته الجنة قال لهما : كلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة - اي الخنطة (١) فتكونا من الظالمين .

فنظر إلى منزلة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من بعدهم (٢) فوجدها اشرف المنازل في الجنة فقالا : يا ربنا لمن هذه المنزلة ؟ فقال سبحانه : ارفعا رأسكما إلى ساق العرش فرمعا فوجدا اسم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من بعدهم ، مكتوبة على ساق العرش من نور الجبار جل جلاله (٣) فقالا : يا ربنا ما اكرم هذه المنزلة عليك ! فقال سبحانه : لولاهم لما خلقتكما إياكما ان تنظرا اليهم بعين الحسد وتغنيا منزلتهم عندي فتدخلا بذلك في نهي وعصيان فتكونا من الظالمين ، قالا : ربنا ومن الظالمون ؟ قال : المدعون لمنزلتهم بغير حق قالا : ربنا أرنا منازل ظالمهم في نارك حتى نراها كما رأينا منزلتهم (ع) في جنتك ، فأمر الله النار فأبرزت جميع ما فيها من ألوان العذاب فأوحى اليها لا تنظرا إلى انوار حججبي بعين الحسد فأهبطكما عن جواربي ، فوسوس لها الشيطان وقاسمها أني لكما لمن الناصحين فحملها على تمني منزلتهم فخذلا (٤) حتى أكلتا من شجرة الخنطة فعاد مكان ما أكلتا شعيراً فأصل الخنطة مما لم يأكلتا والشعير مما عاد مكان ما أكلتا (٥) .

فلما أكلتا طار الحلي والحلل عن اجسادهما وبقيتا عريانين فناداهما ربها ألم

(١) وسرها الحسد وقد ورد تسميتها شجرة الحسد . (٢) اي للعدة لهم في الجنة (٣) وامل هذا معنى قوله تعالى في حق آدم نفسي ولم يجد له عزماً حيث قد رأى أسماهم أيضاً قبل ذلك مكتوبة على ساق العرش وهو في السماء . (٤) فالأكل من الشجرة وهي مصيبة ظاهرة مندفة عن حدوث الحسد في القلب والنية والسر وهي مصيبة خفية . (٥) ولا منافاة فيه لما تقدم من سببية زرع حواء للشعير لجواز تعدد السبب .

انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين .

فقالا : ربنا ظلمنا انفسنا (١) وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
قال : اهبطا من جوارى فلا يجاورني في جنتي من يعصيني فهبطا موكولين إلى
انفسهما في طلب المعاش .

فلما اراد الله ان يتوب عليهما جاءهما جبرئيل فقال : إنكما ظلمتما انفسكما
بتعني منزلة من فضل عليكما فجزاءكما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله تعالى
إلى ارضه ، فسلا ربكما بحق الأسماء التي رأيتموها على ساق العرش حتى يتوب
عليكما ، فقالا : اللهم إنا نسألك بحق الأكرمين عليك محمد وعلي وفاطمة والحسن
والحسين والأئمة إلا تبت علينا فتاب عليهما .

فلم تزل انبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة ويخبرون بها أوصيائهم
والمخلصين من اممهم فيأبون حملها ويشفقون من ادعائها وحملها الانسان وهو غاصب
محلهم انه كان ظلوماً جهولاً فأصل كل ظلم منه إلى يوم القيامة .

ولا يتوهم ان آدم صار من الظالمين بتعني منزلتهم بل تشبه بالظالمين مجازاً
بالتعني لأنه لم يدع منزلتهم ولم يعصبها منهم ، فهذا حال من تمنى منزلتهم ، فكيف
بمن عصبها منهم بل قتلهم على اخذها منهم ، وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون
وإنما اطلق عليه العصيان من باب حسنات الأخيار سيئات الأبرار .

وعن ابن عباس لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس فألمه الله الحمد
لله رب العالمين فقال تعالى له : يرحمك ربك .

فلما اسجد له الملائكة تداخله العجب فقال : يارب خلقت خلقاً احب اليك
مني فلم يجب حتى اعادها ثلاثاً ، فقال تعالى : نعم لولاها ما خلقتك ، فقال : رب
أرنيهم فأوحى إلى ملائكة الحجب ان ارفعوا الحجب فاذا بخمسة اشباح قدام

(١) لأنها حرماً أنفسها نعم الجنة وأوقعاها في عناء الدنيا .

العرش فقال : من هؤلاء ؟ قال تعالى : هذا محمد وهذا علي امير المؤمنين ابن عم نبي ووصيه وهذه فاطمة ابنة نبي وهذان الحسن والحسين ابنا علي وولدا ابنة نبي ، ثم قال : يا آدم هم ولدك ففرح آدم بذلك فلما اقترف الخطيئة سأل الله بهم فغفر له . فهذا قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه فلما هبط إلى الأرض صاغ خاتماً فذقش عليه محمد رسول الله وعلي امير المؤمنين .

يونس ذو النون

قال الله تعالى : « وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين » (١) .

وقال تعالى : « وان يونس لمن المرسلين إذ أبق (٢) إلى الفلك المشحون فسامم فكان من المدحضين فاتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسيحين لبث في بطنه إلى يوم يبعثون فنبذناه بالراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه إلى مائة الف او يزيدون فآمنوا فمتنعنا إلى حين » (٣) .

ذو النون هو يونس بن متى النبي (ع) والنون اسم الحوت ومعناه صاحب الحوت .

القصة

انه لما دعا قومه مكرراً ولم يجيبوه وكذبوه في دعوى النبوة ، وصار مأيوساً من إيمانهم دعا الله عليهم ، فأخبره الله تعالى انه سينزل عليهم العذاب بعد

١١١ سورة الأنبياء الآية ٨٧ . (٢) اي فر من قومه خوف أن ينزل عليهم العذاب وهو قومه . (٣) سورة الصافات الآية ١٣٩ .

ثلاثة أيام ، ولم يخبره انه يهلكهم فهو اخبرهم بالهلاك ولم يقل إذا شاء الله .
 ثم إنه خرج عنهم قبل إذن الله تعالى له بالخروج لذا سلط الله تعالى عليه
 الحوت ، وقد كان من امره انه خرج من بينهم مغاضباً - اي مرغماً لهم - من
 حيث انه دعاهم إلى الايمان بالله والتصديق بنبوته مدة طويلة ، فلم يؤمنوا به حتى
 اوعدهم الله العذاب ، فهو مغاضب عليهم لا على الله تعالى عن ابن عباس والضحاك
 فظن ان لن نقدر عليه - أي ظن ان لن نضيق عليه - وقيل : معناه ظن
 ان لن نقضي عليه ما قضيناه ، والقدر بمعنى القضاء عن مجاهد وقتادة والكلبي
 والجبائي . فقد ضيق الله عليه الطريق حتى أجهأ إلى ركوب السفينة ، وقيل :
 كان يرى النار قد سدت البر ما عدا الطريق الموصل إلى البحر ، ولما وصل إلى
 البحر وجد سفينة محملة قد استعدت للسفر فطلب منهم الركوب فأركبوه وبعد
 ان أقلعت وسارت في البحر اعترضتها الحوت الكبيرة ، ولم تدعهم يسرون وقيل
 إنها اشرفت على الغرق ، فقال الملاحون : إن هيئنا عبداً أبقاً فان من عادة
 السفينة إذا كان فيها آبق لا تجري ، لذلك اقترعوا فوقعت القرعة على يونس
 ثلاث مرات ، وهو معنى قوله تعالى : فساهم فكان من المدحضين - اي المغلوبين -
 فالقوة في البحر وقيل : التي نفسه حيث علم بإرادة الله ذلك .

فالتقمه الحوت - اي ابتلعه - وقيل : إن الله اوحى إلى الحوت اني لم
 اجعل عبدي رزقاً لك ، ولكني جعلت بطنك مسجداً له . وفي رواية سجناً له
 فلا تكسرن له عظماً ولا تخدشن له جلداً .

وهو ملجم - اي مستحق للوم اي لوم العتاب لا لوم العقاب - وذلك لخروجه
 من بين قومه بغير امر ربه .

ومن قال انه خرج مغاضباً لربه ، وانه ظن ان لن يقدر الله على اخذه بمعنى
 انه يعجز عنه فقد اساء الثناء على الأنبياء ، فان مغاضبة الله كفر أو كبيرة عظيمة .

وكذلك تجوز المعجز عليه تعالى ، حتى من اقل افراد الناس فكيف يجوزه عليه نبي من انبيائه ، وقد اختاره على اهل زمانه ، وكنى بالله حكماً بين الأبياء وبين من جوز في حقهم ذلك . وقال ابن زيد انه استفهام ومعناه التوبيخ وتقديره أظن ان لن تقدر عليه .

الالتجاء الى الله تعالى

« فنادى في الظلمات ان لا إله إلا انت » .

لما اراد التوجه والدعاء قدم ذكر التوحيد ، ليكون من اهل الله وحزبه ثم عقبه بذكر العدل ، بقوله سبحانه لأنه تنزيه له عن كل ما لا يليق به ، اي ان ما انزلته بي وفق العدالة وطبق الاستحقاق .

هكذا ينبغي التأدب بين يدي الله تعالى عند إرادة الدعاء ، فانه ادعى للاجابة كما ان من عادتنا ذلك في مراجعة اهل الدنيا وعظائها لحاجة نروم قضاها ترانا نقدم أمام طلب حاجاتنا الاخلاص وإنا من اتباعه وحزبه ودعائه حسب المناسبات وإنا نعتمد عليه في مهماتنا وقد جعلناه ظهراً نستند عليه في حاجاتنا إلى غير ذلك من وسائل الاستجلاب والاستعطاف .

فبالأحرى ان نقدم الاخلاص إلى الله تعالى أمام حوائجنا كما نرى من انبياء الله وهي تعاليمه سبحانه لهم .

الاعتراف بالذنب

« اني كنت من الظالمين » اي من الذين يقع منهم الظلم ومن شأنهم ذلك لأنني لا أبرأ نفسي قال الجبائي : إنما قال ذلك على سبيل الخشوع والخضوع

والتذال ، لأن جنس البشر لا يمتنع عليه وقوع الظلم .
وقال ايضاً : لم يكن يونس في بطن الحوت على جهة العقوبة من الله تعالى وإنما هو على جهة التأديب والتأديب يجوز للمكلف وغير المكلف كالتأديب الصبي وغيره فلا دلالة فيه على انه ارتكب المعصية وبقائه حياً في بطن الحوت معجزة له وكرامة .

ثمرات الخلوص في الدعاء على نحو العموم

فاستجبنا له ونجيناه من الغم - اي من بطن الحوت والظلمات - وقيل :
إنها ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت .
ولكرمته سبحانه لم يكتف بالفرج عن خصوص نبيه يونس بل يعمم القاعدة وانه حاضر لمن دعاه باخلاص فيعملن بقوله الصريح ، وكذلك تنجي المؤمنين إذا دعونا والتجأوا الينا على نهج دعاء ذي النون كي لا يتوهم انه تعالى يقتصر في إجابة الدعاء على انبيائه فقط .

الكشف عن سر الاجابة

فلولا انه كان من المسبحين - اي من المصلين والمطيعين العابدين في حال الرخاء فنجيناه عند البلاء . وهكذا حالتنا بالنسبة إلى امورنا الدنيوية فيما إذا لم تكن لنا مهمة وحاجة عند كبير ورئيس ترانا مع ذلك نواصله ونخدمه فمئذما تحدث الحاجة تراد مقبلاً على قضائها تقديراً للخدمة عند عدم الحاجة وترانا نحن ايضاً نتوجه اليه دون اي توقف حيث نعد انفسنا من اخصائه وبالعكس لو كنا

مقاطعيه عند عدم احتياجنا اليه ترانا نقدم رجلا ونؤخر اخرى خجلين من تقديم حاجتنا اليه وهو ايضاً بطبيعة الحال لا يرى لنا مثل ما كان لمواصله قبل ان يحتاجوه ، فكيف بنا ونحن بحاجة اليه سبحانه في كل آن وحتى في لحظات الأبصار ونقل الأقدام فهو جل شأنه يرشدنا الى حفظ خط الوصل به وعدم الاتكال على اي احد غيره ترغيباً تارة كمثل ما ذكرنا وترهيباً تارة اخرى كقوله : لبث في بطنه إلى يوم يبعثون - اي لصار بطن الحوت قبراً له الى يوم القيامة لو لم يكن له الوصل معنا سابقاً ، فنبتناه بالمرء - اي فطرحناه في المكان الخالي الذي لا نبت فيه ولا شجر - وقيل : بالساحل فقد ألهم الله الحوت حتى قذفه ورماه من جوفه على وجه الأرض وهو سقيم - اي مريض - حين ألقاه الحوت فيأتيه الاسعاف من ربه الكريم مبيناً بقوله تعالى : وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وهو الفرع لما هو معلوم بما فيه من الخاصية التضميدية الملائمة لانهباء جلده ورقته من جراء حرارة بطن الحوت .

وروي عن ابن مسعود قال : خرج من بطن الحوت يونس كهيئة فرخ ليس عليه ريش فاستظل من الشمس بالشجرة ، هذا ما كان من امر يونس ، واما ما كان من امر قومه ، فانهم بعدما مضت الثلاثة ايام ، اتاهم العذاب وهو الغيم المظلم الاسود وقد سد الآفاق مع الأصوات الهائلة المرعبة وأخذ يهبط إلى الأرض حتى ساوى سطوح دورهم فأخذهم الرعب وطلبوا يونس فلم يجدوه .
فالتجأوا إلى عبادهم فقالوا لهم : لا نرى لكم خلاصاً من عذاب الله حيث انه قد اتاكم ولا راد لأمره فاستعدوا للهالك .

الرجوع لذوي الفن مصحوب بالنجاح

فعندما يئس القوم من جواب عبادهم حيث أنهم قد جردوا عقولهم وحصروا إمكانياتهم على أداء الفرض فقط مما سبب صدع الشريعة المقدسة المحمدية بالنهي عن الرهبانية وسيأتي التفصيل إن شاء الله تعالى في باب فضيلة العلم وشرف طالبه فالتجأوا إلى عالم لهم قد اعتزل الناس وقيل : كان ذهابهم إليه بإرشاد العباد فاسترشدوه وحيث أنه هو المطلع على الأسرار للكونيات الإلهية والعالم بالعلل الشرعية ، لأن علمه نور الله في قلبه وهو منظاره الدقيق البعيد الأثر ولم يرد في حقه عبثاً إن ساعة للعالم أفضل من عبادة سنة أو أكثر فيجيبهم بالأمر بالخروج إلى الصحارى والقفار ويتابع الاستغفار من صميم القلوب وتفريق الأبطال عن الأمهات وحتى الحيوانات كي تتجاوب الأصوات الهائلة منهم ومن الغيوم المطلعة فضج النضا من بكائهم واستغفارهم وعظيم خوفهم .

وحيث قد علم الله تعالى صدق نبيهم وأنهم لا يعودون إلى معصيتهم كشف عنهم العذاب وذلك قوله تعالى : إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب وبقوا يفتشون عن نبيهم يونس فلا يجدون له أثراً .

يونس في تكهيل دوسه

بعد أن حسن حال يونس برجوع صحته الكاملة رجع إلى عمله حيث أنه كان كوازاً فصنع الطين بأنواع الأواني من الكؤوس والمشارب والكيزان وبعد نحرها وحرقتها وقد خرجت سالمة بأجمعها على خلاف عاداتها من انعدام بعضها قبل

ذلك أتاه شخص لشراؤها جملة وصفقة واحدة بالعقد اللازم ، وان لا خيار للبائع فبأعها بالتمن المرغوب له ، وبعد قبض تمام الثمن ، أخذ المشتري يضرب بعضها ببعض ويكسرها فتمعه يونس من ذلك ، فقال له المشتري : ليس لك حق في منعي لأن المال مالي ، والناس مسلطون علي امواهم ، فقال له يونس : هذه صنعتي وقد تعبت فيها واعتنيت باقائها ، ولم أقصد بصنعتها مجرد تمها ، وإنما قصدت انتفاع العالم منها ، وقد عملتها لصالح العام ، وانت تريد إفسادها ، فأجابه اذاً كيف تدعو الله تعالى على افساد صنعه ، واهلاك عباده وهو أيضاً قد اعنى بهم وأحسن خلقتهم وأتقنهم .

فعلم يونس انه جبرئيل وانه قد حاد عن السبيل فبكي على خطيئته حتى خدت الدموع في خديه وبانت أضراره .

الله تعالى رحيم بحباده

هذه عناية الباري بخلقهم وحبه لطاعتهم وشوقه الى سعادتهم وتوبيخه لأنبيائه من اجلهم وهدايتهم ، وهو الفائل سبحانه : يا موسى لو يعلم المدبرون من عبادي عني كيف انتظاري لرجوعهم وحي لطاعتهم لتقطعت اوصالهم من حي هذا انتظاري وحي للمدبرين ، فكيف انتظاري وحي للمطيعين .
فهل آن لنا ان نرجع عن ذنوبنا ولننحق بربنا الكريم وننفصل عن عدونا الرحيم ونتدارك بما بقي من اعمارنا ما فاتنا من ثمينها .

وبعد تمام الصلح بين يونس وبين ربه^(١)

قال تعالى : وأرسلناه الى مائة الف أو يزيدون ، حيث قبل تعالى توبته ،
واكمل له دراسته وتنويره أرسله الى اهل نينوى من ارض الموصل عن قنادة
وكانت رسالته هذه بعد نبذ الحوت عن ابن عباس ، ويجوز ان يكون ارسل الى
قوم بعد قوم ، كما يجوز ان يكون ارسل إلى الأوليين بشريعة فآمنوا بها .

وقيل في معنى - او - من قوله تعالى : او يزيدون حيث ظاهرها التشكيك
وهو محال عليه سبحانه انه على طريق الايهام على المخاطبين .

أو أن أو تخيير كأن الرأي خير بين ان يقول : هم مائة الف ، او يقول :
يزيدون ، والمعنى ان الناظر لما يرى من كثرتهم يمكنه ان يقول : هم مائة الف
او يقول : لا بل يزيدون .

وقيل : او بمعنى الواو ، وقيل : بمعنى بل ، وأجود الأقوال الثاني ، والكل
ناظر إلى كثرة العدد .

فآمنوا فمتنعناهم إلى حين ، حكى عنهم سبحانه انهم آمنوا بالله وراجعوا التوبة
فكشف عنهم العذاب وتمتعهم بالمنافع واللذات إلى انقضاء آجالهم وهو الغفور الرحيم

ايوب في صبرة عند محنته

قال الله تعالى : « واذكر عبدنا ايوب إذ نادى ربه اني مسني الشيطان
بنصب وعذاب ار كفض برجلك هذا مفتسل بارد وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم

(١) ومعنى الصلح هو عفو الله تعالى عنه وإرجاعه رسولا .

معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنت إننا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب « (١) .

وقد حكي سبحانه نفس القصة بقوله تعالى : رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر ... الخ (٢) .

قال الثعلبي في العرائس : قال وهب و كعب وغيرهما من اهل الكتاب : كان ايوب النبي (ع) رجلاً من الروم وكان مكتوباً على جبهته المبتي الصابر .

وهو ايوب بن اموص بن دارج بن روم بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام وكانت امه من ولد لوط بن هاران وكافت له البشه بلدة من بلاد الشام وكان معه ثلاثة آمنوا به وصدقوه رجل من اهل اليمن يقال له اليفن ، ورجلان من اهل بلاده بلدد وصافن .

القصة

كان ايوب في عصر يعقوب ولما رأى إبليس منزلته الرفيعة عند ربه وانه المسلم الصابر وسمع ثناء الملائكة عليه حسده فأخذ يكيد له لكي يزله ويضجره ويضعف صبره الذي مدحه الله تعالى عليه .

قيل : إنه طلب من الله التسليط على امواله ومواشيه وعباله وبدنه دفعة بعد اخرى ترتيباً فنفع على غنمه مع راعيها فأحرقها . وكانت تعد بالآلاف وجاء بصورة راعيها مخبراً وهو باك حزين ، ويحث التراب على رأسه فلم يكثرث ايوب وهكذا مع البقر والخليل وسائر انواع المواشي .

ثم توجه إلى عياله وامواله فقلب عليهم الدار من اربعة جوانب ، وأتاه

مخبراً ليفزعه وانهم ماتوا دفعة عن آخرهم ، إلا امرأة له كانت خارج البيت فشكر الله على ذلك .

ثم تسلط على جسمه فنفخ في انفه وهو ساجد نفخة نار فمض حتى تشقق جلده وسال منه الفيح وهو صابر شاکر ، ولم يكن له مساعد غير زوجته ليا بنت يعقوب ، وقيل : إنها رحمة بنت إفرائيم بن يوسف . ولعله معرب ليا فكانت تخدم الناس وتأتيه بقرصي شعير يقتات بها حيث بعدوه اهل القرية لتسويل الشيطان لهم انه بالأمراض السارية . ويخاف عليهم منه العدوى .

ولما رأى صبره على ذلك وسوس لذوي البيوت ان يمنعوا زوجته عن خدمتهم لأن يديها ملوثة بقيحه من مباشرته فتعديهم .

واعترض زوجته يوماً في الطريق بصفة طيب فطلبت منه معالجة ايوب فقال : بشرط ان يقول لي : انت الذي شفيتني ولا اطلب اي اجرة سوى هذا الشرط ، فتعهدت له بذلك واخبرت ايوباً فامتنع ، ولما ألحت عليه حلف ليضربنها مائة ضربة .

وقيل : إنه قال لها : فليسجد لي ايوب سجدة واحدة وأبرأه مما هو فيه لأنني أنا الذي فعلت به ذلك ، وأنا إله الأرض .

وقيل : إنه لما رأى صبره على عظيم البلاء وانواعه وكثير شكره ، جزع وصرخ صرخة . اجتمع منها عليه جنوده من اقطار الأرض ، فقالوا : ما حزنك ؟ قال : أعياني هذا العبد ، كلما ازيد به بلاه يزداد صبراً وشكراً وتناء على الله فأغشوني عليه فقد بطل مكري الذي اهلكت به الأولين فأشيروا علي .

قالوا : أرأيت آدم حين اخرجته من الجنة من اين أتيت ؟ قال : من قبل امرأته . قالوا : فكذلك أيوب فإنه لا يعصيها ، حيث لا يقربه ولا يخدمه أحد غيرها فهو منقاد لها .

فتمثل لها بصورة رجل وجعل يذكرها بما جرى عليهم بقوله : اين مالكم اين اولادكم اين داركم اين جمالكم وصحتكم ؟ فصرخت فعلم انها جزعت فأثاها بسخلة وقال لها : ليذبها ايوب ولا يذكر اسم الله عليها ، وياً كل منها فانه يبرأ اراد بذلك تلويث قلبه بالنجاسة كي تسري إلى سائر بدنه فأثت بها اليه وقالت : إلى متى تبقى معذباً ، إذبح هذه السخلة واسترح .

قال : اتاك عدو الله فنفض فيك وأجبتيه ، ويليك أرأيت ما كنا فيه من المال والولد والصحة من أعطانيه ؟ قالت : الله ، قال : فكم متعنا به ؟ قالت : ثمانين سنة ، قال : فكم ابتلاني الله بهذا البلاء ؟ قالت : منذ سبع سنين وأشهر ، فقال : ويحك ما عدلت وأنصفت ربك ألا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة ، والله لئن شأني الله عز وجل لأجلدنك مائة جلدة لما أمرتيني ان اذبح لغير الله ان طعامك وشرابك الذي أتيتيني به علي حرام ان اذوقه بعد إذ قلت لي هذا فاعزبي عني فلا اراك ، فطردها فذهبت ، فلما بقي وحده بدون ممرض ولا طعام ولا شراب ، قال : رب أي مسني الضر وانت ارحم الراحمين .

وقيل : إن دعاه كان بسبب سراية المرض لقلبه ولسانه ، فخشي تعطيلها

عن الفكر والشكر .

وقيل : لشماتة الأعداء بدليل انه بعدما عوفي قيل له : ما كان اشد عليك

في بلائك ؟ قال : شماتة الأعداء .

وقد ورد في الحديث ان اهل جهنم يكتمون عذاب النار حذراً من شماتة

اهل الجنة ، ولهذا كان إمام العابدين وسيد الساجدين (ع) يقول في الجواب

عند سؤاله : أي المصائب اشد عليك يا بن رسول الله ؟ آه آه الشام الشام .

وقيل : إن إبليس كان يؤذيه ولا يفارقه ويذكره بأولاده وعياله ويميره

ويقول : هلا رحمتك ربك تعريضاً منه برحمة الباري جل شأنه كل ذلك طمعاً فيه

ان تخرج منه كلمة تنافي المعقيدة .

وقيل : إنه لما رأى صبره أتى اصحاباً لأيوب كانوا رهباناً في الجبال وحبب لهم المرور به وان يسألوه عن بلائه ، فلما قعدوا عنده ونفرت دوابهم من قن ريحه قالوا : يا ايوب لو اخبرتنا بذنبك ، وما نرى هذا الابتلاء الذي لم يتبل به احد إلا لأمر كنت تسره ، فقال : وعزة ربي انه ليعلم اني ما أكلت طعاماً إلا يقيم او ضعيف يأكل معي ، وما عرض امران كلاهما طاعة إلا اخذت بأشدهما على بدني وكان فيهم شاب فقال : سواة لكم عمدتم الى نبي الله فغيرتموه حتى اظهر من عبادة ربه ما كان يسرها ، وكان غرض إبليس ، ان تصدر منه كلمة ضجر لمواده وقد خساً ، وحيث ان الأنبياء لا يتحملون العار ، لأن اذاه على الروح وهو اشد من مرض البدن ، لذا دعا ربه وطلب كشف ضره ، ولو كان سبب دعائه المرض والتفقد ، لكان من اول الأمر ، لأن المصائب عند حدوثها تكون اشد .
فقال : رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين .

فقيل له : إرفع رأسك فقد استجبت لك ار كض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ... الخ . اي اضرب الأرض برجلك ، فانبعث من تحتها عين ماء ، وقيل عينان فاغتسل بأحديهما وشرب من الأخرى ، فبرئ كل ما في جسمه . وقيل : الأولى اذهبت جروحه . والثانية اذهبت التشويه والآثار من جسمه وصار ايضاً منيراً . ثم خط جبرئيل بجناحه الأرض ، فرجعت داره كما كانت والعيال بأجمعهم مشغولون بأعمالهم حين انهدامها بهم ، حتى الرضيع يناغي في مهده ، وكذلك خط بجناحه فرجعت المزارع والمواشي مع رعاتها .

وعن ابن عباس ان الله رد على زوجته شبابها حتى ولدت له ستة وعشرين ذكراً ، وكان عنده سبع بنين وسبع بنات احياهم الله له بأعيانهم ، ووهبنا له امله - اي رددناهم - ومثلهم معهم ، قيل : معناه مضاعفة الأموال والأولاد .

وقيل : رد الله عليه اهله الذين ماتوا قبل وقوع الامتحان مع الذين ماتوا بعد وقوعه إكراماً له على عظيم صبره .
 ثم إن امرأته قالت : إن كان هو طردني فإلى من أكله ادعه يموت ويضيع فتأكله السباع ، فرجعت فرأت من رحمة الله التي قد حفت به ما انكرته وهابت ان تسأله لما هو فيه من الحلل والجلال والجمال فدعاها ايوب وقال : ما تريدان ؟ قالت : اريد ذلك المبتلى الذي كان منبوذاً على الكناسه هنا . قال : فهل تعرفينه إذا رأيته ؟ قالت : كان اشبه خلق الله بك إذ كان صحيحاً .
 قال : فأني ايوب الذي امرتني ان اذبح لابليس لعنه الله ، وأني اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله تعالى فرد علي ما تريدان .

أيوب في اخلاصه لربه

وحيث كان حلف بالله ليضربن امرأته مائة ضربة ، فيلزم نفسه الوفاء على ما انطبع عليه من طاعة ربه ، غير انه رأى عظيم خدمتها طيلة مرضه ، فهل هذا جزاؤها وهو ضد عاطفته فيتم نعمته عليه ربه قائلاً : وخذ بيدك ضعفاً فأضرب به ولا تحنت ، والضغث لغة القبضه بملء الكف من الحشيش او الأعواد او غيرها والمراد منه بالآية . ان يأخذ قبضة من الشمار يخ في عرجون النخل عددها مائة شمراخ ويضربها به ليبر قسمه ولا يؤذيها .
 وقد روى العياشي ان عباد المكي قال : قال لي سفيان الثوري : اني ارى لك من ابني عبدالله منزلة فأسأله عن رجل زنى وهو مريض ، فان اقيم عليه الحد خافوا ان يموت ما تقول فيه ؟
 قال : فسأته فقال (ع) لي : هذه المسألة من تلقاء نفسك او أمرك بها

إنسان ، فقلت : إن سفيان الثوري امرني ان اسألك عنها فقال (ع) : ان رسول الله (ص) أتى برجل أحبن قد استسقى بطنه ، وبدت عروق نخذه وقد زنى بامرأة مريضة ، فأمر رسول الله (ص) فأتي بعرجون فيه مائة شمراخ فضربه به ضربة وخلي سبيلها ، وذلك قوله تعالى : وخذ بيدك ضعفاً فاضرب به ولا تحنث .

الشمرات الفيضة للقصة

اولا لا ينبغي للانسان اذا نزل به الامتحان ان يذهب بوجهه الشيطان بأن ذاك لهوانه على الله تعالى وحقارته ووضع منزلته عنده . بل عكس ذلك إنما هو لترفيه درجته وليباهي به ملائكته وليرغم به انف الشيطان ويريه الخلف من عباده ، هذا مع ما لهم من عظيم الأجر ، كما سنذكره ان شاء الله في محله باب ابتلاء المؤمن مفصلاً .

بدليل ما وجدنا من قصة ايوب وهو المادح له ، وقد اضاف الى نفسه بقوله تعالى : واذكر عبدنا دون ان يقول : واذكر ايوب او العبد مثلاً ، حيث لم يرد معنى العبودية العام ، لأن ذلك لا يخص ايوباً ، بل يعم حتى ابليس لعنه الله فإنه عبد الله ايضاً ، وانما اراد عبدنا المخصوص المخلص لنا بسابق علمنا فيه ، وهل نعرف مقدار فضل من ينسبه تعالى لذاته .

ثانياً ان لا يكون العبد مأيوساً من رحمة الله تعالى مهما بلغ به الامتحان وتعاضمت لديه المصيبة واشتدت عليه البلية ، فان ازالة ذلك وقلبه الى الضد من الرفاه أيسر شيء عنده سبحانه وتعالى .

ولذا رأينا لما اراد سبحانه ازالة ما بأيوب وارجاع نعمته عليه وانتهاج دورته الامتحانية ، لم يفعل ذلك من الطرق الاعتيادية بأن يهيئ له طبيباً يعالجه

ويرأه شيئاً فشيئاً ويرزقه اموالا من طريق التمسك وأولاداً من طريق التزويج والولادة مثلاً ، بل فعل ذلك من طريق الاعجاز وأنا واحداً لاظهار قدرته وحضور نجاته عند استنجاهه ، وان آخرها وقتاً ما فلعصاة يراها لعبد .
ثالثاً ان يعلم الانسان ان كلما ينزل به من مصائب الدنيا فهو لصالحه كظهور كرامته ومدى ضبطه لنفسه وتحكيم عقله كما ظهر لابليس لعنه الله وللناس وللملائكة من حال ايوب (ع) مع ما له من الأجر عند الله تعالى بذلك في دار البقاء .

داود (ع) في قوته

قال تعالى : « واذكر عبدنا داود ذا الأيدي انه أواب إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والظير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وهل أتيتك نبأ الخضم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففرع منهم فالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وان كثيراً من الخلقاء ليبنغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود إنما فتناه فاستغفر ربه فخر راكعاً وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزني وحسن مآب (١) .

لا يخفى ما في الاضافة اليه سبحانه بقوله : عبدنا من التشریف لداود حيث لم يرد معنى العبودية العام لأنه يشمل حتى العصاة كما ذكرنا قريباً فلا اثر حينئذ للاضافة ، وقوله ذا الأيدي - اي ذا القوة على العبادة - وذكر انه كان يقوم

نصف الليل ويصوم نصف النهار - اي يصوم نهاراً ويفطر نهاراً ، وذلك يكون اشد من ان يصوم عدة ايام متواصلة ويفطر كذلك .

وقيل : معناه ذا القوة على الأعداء وقهرهم ، لأنه رمى بحجر من مقلاعه صدر رجل فأثغذه من ظهره فأصاب آخر فقتله ايضاً .

وقيل : إن معناه ذا التمكين العظيم والنعم الجسيمة ، لأنه كان بيت حول محرابه كل ليلة الوف كثيرة من الرجال .

أواب اي رجع عن كل ما يكرهه الله تعالى إلى ما يحبه سبحانه ، وقيل : معناه مسبح وقيل : مطيع ، إنا مسخرنا الجبال معه يسبحن اما بالتسبيح الحقيقي وقد انطقها الله تعالى إكراماً له وإعجازاً ، واما كما قال البلخي : يجوز ان يكون المراد من تسبيح الجبال معه ما اعطاه الله من حسن الصوت بقراءة الزبور ، فاذا رفع صوته بالتسبيح ردت الجبال عليه من الصدى مثل صوته ، فسمى الله ذلك تسبيحاً ، وعلى هذا يكون مجازاً ، والظير محشورة - اي مجموعة اليه - تسبح معه حتى قيل : إن العليور تهاوى عليه إذا سمعت صوته الجميل ، وآتيناه الحكمة - اي النبوة - وقيل : الاصابة في الأمور ، وقيل : العلم بالله وشرائعه ، وفصل الخطاب - اي الشهود على المدعين والأيمان على المنكرين - لأن خطاب الخصوم لا ينفصل وينقطع إلا بذلك ، فهو تعليم له من الله تعالى ليحكم بين الناس به .

وذكر في قصص الأنبياء للجزائري (١) باسناده عن ابي عبدالله (ع) قال : إن داود (ع) كان يدعو ان يعلمه الله القضاء بين الناس بالحق الذي هو عند الله وعلى الواقع لا على الظاهر .

فأوحى الله اليه يا داود إن الناس لا يهتمون ذلك واني سأفعل وأرتفع اليه رجلان فاستدعا احدهما على الآخر ، فأمر المستدعى عليه ان يضرب عنق المستدعي

ففعل فاستعظمت ذلك بنو إسرائيل وقالت : رجل جاء يتظلم من رجل فأمر الظالم ان يضرب عنق المظلوم . فقال (ع) : رب انقذني من هذه الورطة .
قال : فأوحى الله اليه يا داود سألتني أن ألهمك القضاء بين عبادي بما هو الحق عندي وان هذا المستدعي قتل ابا هذا المستدعي عليه ، فأمرت فضرب عنقه فوداه بأبيه وهو مدفون في حائط كذا تحت شجرة كذا فأته فناده باسمه فانه سيحبك فسله .

نخرج داود (ع) وقد فرح فرحاً شديداً فقال لبني إسرائيل قد فرح الله فمشى ومشوا معه . فأنهى الى شجرة فنادى يا فلان ، فقال : لبيك يا نبي الله ، قال : من قتلك ؟ قال : فلان ، قالت بنو إسرائيل : لسمعناه يقول : يا نبي الله فمنحن نقول : يا نبي الله كما قال . فأوحى الله اليه يا داود ان العباد لا يطيقون الحكم بما هو عندي فسل المدعي البينة وأضف المدعى عليه إلى اسمي (١) .
وفيهما عن ابي عبد الله (ع) كان على عهد داود (ع) سلسلة يتحكم الناس اليها ، وان رجلا اودع رجلا جواهر فحجده إياه فدعاه إلى السلسلة فذهب معه اليها وأدخل الجوهر في قناة ، فلما اراد ان يتناول السلسلة قال له : إمسك هذه القناة حتى آخذ السلسلة فأمسكها وكانت من عادتها ان تلتقف الكاذب إذا أمسكها فأوحى الله الى داود احكم بالبيئات وأضفهم إلى اسمي يحلفون به ورفعت السلسلة وفيها (٢) قال ابو جعفر (ع) : عرض على آدم اسماء الأنبياء واهلهم فمر باسم داود فإذا عمره اربعون سنة فقال آدم : يا رب وما اقصر عمر داود واكثر عمري يا رب ان انا زدت داود من عمري ثلاثين سنة أتكتب ذلك له ؟ قال تعالى : نعم . قال : إني زدته من عمري ثلاثين سنة فأنبتها له واطرحها من عمري فأثبتها الله لداود ومحاهها عن آدم فذلك قوله تعالى : يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده

(١) اي عمله البين باسمي

(٢) اي نفس الجزائري من ٣٨٦

ام الكتاب ، فلما دنا عمر آدم هبط عليه ملك الموت ليقبض روحه ، فقال :
يا ملك الموت بقي من عمري ثلاثون سنة ، قال : ألم تجعلها لابنك داود وانت
بوادي الروسا ، فقال آدم : يا ملك الموت ما اذكر هذا ، فقال : يا آدم لا تجهل
الم تسأل الله ان يثبتها لداود ويمحوها من عمرك ؟ قال : فاحضر الكتاب حتى اعلم
ذلك ، وكان آدم صادقاً لم يذكر فمن ذلك اليوم امر الله العباد ان يكتبوا بينهم
إذا تداينوا وتعاملوا الى اجل مسمى لنسيان آدم وجحوده ما جعل على نفسه .
وفي كثير من الأخبار انه زاد في عمر داود ستين سنة تمام المائة .

وكان داود بن إيشا من اولاد يهودا ، فلما قتل طالوت آتى بنو إسرائيل
داود وأعطوه خزائن طالوت وملكوه عليهم ، فلما ملك جعله الله نبياً وأنزل عليه
الزبور وامر الجبال والطير ان يسبحن معه ولم يعط الله احداً مثل صوته كان إذا
قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها .

نعود إلى الآية قوله تعالى : وهل أتيتك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب الخ
الاستفهام ليس على حقيقته لأنه طلب الفهم ، وهو محال عليه تعالى ، فالمراد
منه الترغيب في الاستماع وقوله : ففرع منهم لأنهم دخلوا عليه بتسورهم من اعلى
المحراب ومن غير الباب المعد للدخول وايضاً دخلوا في غير الوقت المعين للخصومات
وايضاً كان دخولهم بغير إذن منه لهذا كله داخله الخوف والفرع منهم فلما احسوا
ذلك منه قالوا : لا نخف إنما أتيناك لخصومة بيننا ولا تشطط ، اي لا نجر علينا
ولا تتجاوز الحق فيه بالليل لأحدنا على صاحبه ، واهدنا إلى سواء الطريق - اي
وسطه - وهو كناية عن الحق ، لأن من سلك وسط الطريق أمن من الضلال .
ان هذا اخي له تسع وتسمون نعجة ولي نعجة واحدة فقال : اكفلنيها
- اي ضمها إلي والمعنى أعطينها وانزل لي عنها .

وعزني في الخطاب - اي غلبني في مخاطبة الكلام - قيل : معناه انه ان تكلم

كان ابن مني وان بطش كان اشد مني ، وان دعا كان اكثر مني ، وهذا وان كان يستغرب في بادىء النظر ويعدده السامع منتهى الظلم وغاية الجشع غير انه بالتأمل فيما عليه المسيطرون على اختلاف مراتبهم في امتصاص دماء الضعفاء ، بل لا يمكن ان يجري قلمه المأجور دون ان يتناول منه كدح يومه ، وإبقائه جائعاً ويضمه الى بالغ مرتبه نجد الأمر غير عزيز ، وليس بغريب كما قيل : القوي يأكل الضعيف ، فهذه قصص القرآن الكريم ليست إلا أعضاء مستمرة وعبر متتابعة ونظم مخلدة تبكي على العاملين بها والمطبقين لها .

هذا وقد ذكر ابو مسلم انه لا يبعد ان يكون الداخلان على داود كانا خصمين من البشر ، وذكر النماج محمولا على الحقيقة دون الكناية عن النساء .
وإنما عوتب داود (ع) حيث حكم على المدعى عليه قبل ان يسأله ، لأن من شروط الحكم والقضاء اخذ الافادة من الطرفين .

وقال غيره : هما ملكان لتنبهه على تزوجه بامرأة أوريا وضماها الى نساءه البالغ عددهن تسع وتسمون وان الزواج كان من الطريق المشروع ، ولذا كان عتاباً لا عقاباً .

وظن داود إنما فتناه - اي علم انا اخترناه وابتليناه - وقيل : علم انا شددنا عليه في التعمد ، وقيل : اراد الظن بمعنى الرجحان ، وعلى كل صاحب العقل والعقيدة يأخذ الحيطة لرضا ربه لعلمه بأن اليه مرجعه حتى على الاحتمال فضلا عن الظن والعلم .

فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب - اي سقط ساجداً ورجع اليه سبحانه - وقد يعبر عن السجود بالركوع . وقيل : انما قال راكعاً لأنه لا يصير ساجداً حتى يركع .

قال مجاهد : مكث داود (ع) اربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه إلا

لصلاة مكتوبة او لحاجة لا بد منها . وان له عندنا لزلفي وحسن مأب - اي قربي
وكرامة - بالنسبة الى دار البقاء وإعطاء الحكمة وفصل الخطاب بالنسبة إلى دار
الفناء وقد اخلف في استغفار داود من اي شيء كان .

قال اهل العدل والمعصية : إنه حصل على سبيل الانقطاع الى الله تعالى
والخضوع والندل بالعبادة والسجود ، كما حكى سبحانه عن ابراهيم (ع) بقوله
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ، وحينئذ يكون معنى قوله تعالى :
فغفرنا له ذلك إنا قبلناه منه وأثبتناه له وكل بمرتبته حسب طاعته ، وكما ذكرنا
من ان حسنات الأخيار سيئات الأبرار ، وهذا قول من ينزه الأتبياء .

واما من يجوز الصغائر عليهم فقد اختلفوا ، فقال بعضهم : ان اوريا بن
حيان خطب امرأة وكان اهلها ارادوا ان يزوجوها له فبلغ داود جماها فخطبها
فقدموه على اوريا فعوتب داود على الحرص على الدنيا عن الجبائي .
وقال آخرون : انه اخرج اوريا الى بعض ثغوره فقتل فلم يجزع عليه
جزعه على امثاله من جنده . اذ مالت نفسه الى نكاح امرأته فعوتب على ذلك
بنزول الملكين .

وقال بعض : انه كان في شريعته انه اذا مات الرجل وخلف امرأة فأولياؤه
احق بها ، إلا ان يرغبوا عن التزويج بها فيجوز لغيرهم ان يتزوجها ، فلما قتل اوريا
خطب داود امرأته ومنعت هيئته وجلالته اولياؤه ان يخطبوها فعوتب على ذلك .
وقال آخرون : انه كان متشاغلا بالعبادة فأناه رجل وامرأة متحاكين اليه
فنظر الى الامرأة ليعرفها بعينها وذلك نظر مباح فمالت نفسه اليها ميل الطباع
ففصل بينهما وعاد الى عبادة ربه فشغله الفكر عن بعض نوافله فعوتب على ذلك .
وقد ذكرنا ذلك كله ليعرف القاري نظريات العباد وعقائدهم بالنسبة الى
انبياء الله وسفرائه الى خلقه وامثاله على تبليغ احكامه وشرائعه كيف يوصفونهم

ح ١ علياً (ع) يوصي الأمة كوصية الله تعالى لنبيه داود (ع) - ١٢٧ -

بما لا تقبل شهادة الشاهد إذا كان موصوفاً به ويحملونهم على حالة تنفر الطباع السليمة منهم ويكفيينا عن التعليق على امثال هذه الأقاويل ما روي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال : لا أوتى برجل يزعم ان داود (ع) تزوج امرأة اوريا إلا جلدته حدين حداً للنبوة وحداً للاسلام .

اتمام النعمة منه سبحانه على داود (ع)

قال تعالى : يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، اي صيرناك تدبير امور العباد من قبلنا وأمرنا .

وقيل : معناه صيرناك خلفاً عن من مضى من الأنبياء في الدعوة إلى التوحيد والعدل والشريعة بما فيها من الأحكام فالحكم بين الناس بالحق وضع كل شيء من امورهم موضعه ، ولا تتبع الهوى ، اي ما يميل طبعك اليه ، ويدعوك هواك اليه إذا كان مخالفاً للحق .

أمير المؤمنين (ع) وكلمته الموحدة

في الردع عن اتباع الهوى

إن اخوف ما اخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الأمل (١) ، اما اتباع الهوى فيصده عن الحق ، واما طول الأمل فينسي الآخرة .

ان الله تعالى قد كلف البشر بتكاليف عائدة لصالحهم وهي الكفيلة لمصالحهم الدنيوية والأخروية ، لو انهم التزموها ولأنه على الاطلاق ، ولم يكلفنا ليستعين بنا

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ٨٨ .

فلو اطاعه الخلق كلهم لم يزيدوا في ملكه شعرة ولو عصوه لم ينقصوا شعرة .
وتلك التكاليف على قسمين افعال وهي الواجبات وتتبعها المندوبات وتترك
وهي المحرمات وتتبعها المكروهات وللطفه بمعباده ورأفته عليهم يحرص كل الحرص
على اخذهم بتلك الأحكام وامثالهم هاتيك التكاليف لجلب الخير لهم بالأفعال لما
اودع فيها من المصالح ودفع الشر عنهم بالتروك لما علم ما فيها من المفاسد .
ولذا تراه يتابع الرسل اليهم وإزال الكتب عليهم وترى رسله الكرام
بمنتهى الشفقة على أممهم باذلين كل جهودهم في إرشادهم وتوجيههم إلى انوار
الحقائق ولباب الأمور وعلى رأسهم نبينا محمد (ص) الرؤف الرحيم بأمته رغم
ما قابلوا به إحسانه من الأساءة والأذى حتى قال (ص) وهو الصادق الأمين :
ما أُرذني نبي مثل ما أُوذيت ، ومع هذا كان يدعو لهم ويقول : اللهم اهد قومي
فإنهم لا يعلمون فيستدفع عنهم عذاب الله بأن ذلك منهم عن جهل لا عمد وتعند
وعلى منهجه اهل بيته ، وفي مقدمتهم امير المؤمنين (ع) قد بذلوا كل إمكانياتهم
لانقاذ هذه الأمة من هوة الضلالة وسوء المصير بالخطب الواسعة تارة والكلمات
القصيرة اخرى حسب مقتضيات والمناسبات ، غير انك تجد قصير كلماتهم على قلة
ألفاظها يعطيك كل ما تعطي الخطبة المطولة فتجده (ع) في هذا المقام يختصر
الارشاد بجملتين وقد جمع فيهما العلة التامة لدخول الجنة .

حيث يقول : إن اخوف ما اخاف عليكم اثنان ، يعني ان البقية ليست بهذه
المثابة من الخوف ، ويكاد ان لا يخاف منها ، لكنه (ع) قد ربط الكل بهما
لأنه كما بينا ان التكاليف عبارة عن الواجبات والمحرمات ، فأما ارتكاب المحرمات
فهو ناشئ عن اتباع الهوى وشهوة النفس وميلها إلى الذات ، حتى لو خرجت بها
عن الشريعة وحدودها ، لأنها التي تحملك على الظلم وأكل مال الناس والتكبر
وعدم الانصاف والركون إلى الأباطيل والزنا والخمر والقمار إلى غير ذلك ، فإذا

التزم بمخالفة الهوى وردع النفس عما تشتهي ، فقد سلم من مفسد المحرمات
بإضافة الأجر المكتسب من مخالفة النفس كما قال سبحانه : « فأما من طغى وآثر
الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي المأوى » .

وأما ترك الواجبات فهو ناشئ عن طول الأمل ، لأن الإنسان بعد ان
تدين واعتقد بالمعاد والجزاء على الحسنة والسيئة فما يمنعه عن العمل حينئذ إلا
التسوية ، فيبقى مسوفاً لغد ثم بعد غد وإذا به قد دهمه الأجل واختطفه الموت
الذي لا مفر منه ، وقد حمل على الأكراف صفر اليدين الى حفرة ، وقد خلف
جميع ما يملكه لغيره .

وقد ورد ان اكثر كلام اهل النار آه آه من سوف حيث كانوا يقولون :
سوف نتوب وسوف نعمل .

قيل : إن هشام بن عبد الملك وقد كان له مال كثير لما حضرته الوفاة
واجتمع عليه اهله يبكون قال : جاد لكم هشام بالمال وجدتم له بالبكاء وقال ايضاً :
ترك لكم هشام كلما جمع وتركتم عليه كلما حمل .

فأمير المؤمنين (ع) قد تخوف علينا بهاتين الجملتين الموجزتين عن كل ما
يعيقنا عن دخول الجنة ، لأن المانع اما ترك الواجب او فعل المحرم او كلاهما فإذا
خفنا مما خافه علينا ابونا الرؤف وتركنا الهوى وقصرنا الأمل واخذنا بقوله تعالى
وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض اعدت للمتقين فقد
فزنا وإلا فالخسران حليفنا .

وقال الصادق عليه السلام : تأخير التوبة اغترار ، وطول التسوية حيرة .
والاعتلال على الله هلكة ، والاصرار على الدنيا أمن لمسكر الله ، ولا يأمن مكر
الله إلا القوم الخاسرون .

ولهذا كله نحمد الباري جل شأنه يوصي نبيه داود (ع) عند جعله الخليفة على عباده بقوله : ولا تتبع الهوى مبيناً أضراره بقوله تعالى : فيضلك عن سبيل الله أنك إذا اتبعته يعدل بك عن طريق الحق الذي هو سبيل الله .
ثم يصرح بمصير متبعه بقوله تعالى : إن الذين يضلون عن سبيل الله ويعدلون عن العمل بما أمر الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وإعراضهم عن ذكر يوم القيامة .

وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا - أي بلا غرض وحكمة - بل هو للغرض الصحيح من إظهار الحكمة وتعريض أنواع الحيوان للمنافع الجليلة ، وكذلك الكواكب على اختلاف فوائدها ، ثم تعريض ذوي العقول منهم لعظيم الثواب وحسن المآب .

وهذه الآية من الردود الواضحة على أهل الجبر القائلين أن الخير والشر والباطل والضلال كله من الله وإنما من فعله تعالى وهو القائل : ما خلقنا ذلك باطلا تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

ذلك ظن الذين كفروا وجحدوا حكمته إلى أن يقول سبحانه : وليتذكر أولوا الألباب والعقول فهم المخاطبون به .

النفس الشريرة تحاول النهوض

في انوار النعمانية (١) ما رواه الصدوق بإسناده إلى الصادق (ع) أن داود قال : يا رب أخبرني عن قريني في الجنة ونظيري في منازلتي ، فأوحى الله إليه أنه متى أبو يونس النبي ، فاستأذن الله في زيارته فأذن له ، فخرج هو وسليمان ابنه

حتى اتيا موضعه ، فاذا هما بيت من سمف فقيل لها : هو في السوق فسألا عنه فقيل لها : اطلباه في الحنابين فسألا هناك عنه فقال لها جماعة من الناس : نحن ننتظره الآن حتى يجيء . فجلسا ينتظرانه إذا قبل وعلى رأسه وقر من حطب فقام اليه الناس وألقوا عنه الحطب وحمد الله وقال : من يشتري طيباً بطيب (١) فساومه شخص وزاده آخر حتى باعه من بعضهم فسلما عليه فقال : انطلقا بنا الى المنزل واشترى طعاماً بما كان معه ثم طحنه وعجنه في نقيير له ثم اجج ناراً وأوقدها وجعل العجين فيها وجلس معها يتحدث ثم قام وقد نضجت خبزته فوضعها في النقيير وقلقها وذر عليها ملحاً ووضع إلى جنبها مطهرة ماء وجلس على ركبتيه وأخذ لقمه ، فلما رفعها الى فيه قال : بسم الله ، فلما ازدردها قال : الحمد لله ، ثم فعل مثل ذلك بأخرى وأخرى ، ثم اخذ الماء وشرب منه فذكر اسم الله تعالى فلما وضعه قال : الحمد لله يا رب من ذا الذي انعمت عليه وأوليته مثل ما اوليتي فقد صححت سمعي وبصري ويدي وقويتني حتى ذهبت الى شجر لم اغرسه ولم اهتم بحفظه فجعلته لي رزقاً وهيئت لي من اشتراه مني فأشترت بشمه طعاماً لم ازرعه وسخرت لي النار فأنضجته وجعلتني آكله بشهوة اقوى بها على عبادتك وطاعتك فلك الحمد ، قال ثم بكى . فقال داود لسليمان : يا بني قم فانصرف بنا فأني لم أر عبداً قط اشكر الله من هذا .

تسديد آخر من اللطافه عز وجل

عن الصادق (ع) قال : قال داود النبي (ع) : لأعبدن الله اليوم عبادة ولا قرآن قرأته لم افعل مثلها قط فدخل محرابه ففعل ، فلما فرغ من صلاته إذا هو بصفدع في المحراب .

(١) أى حلال بحلال .

فقال له : يا داود اعجبك اليوم ما فعلت من عبادتك وقرأهتك ، فقال :
نعم . فقال : لا يعجبك فإني اسبح الله في كل ليلة الف تسبيحة يتشعب لي مع
كل تسبيحة ثلاث آلاف تحميدة وأناي لأكون في قعر الماء فيصوت الطير في الهواء .
فأحسبه جائعاً فأظفوه له على الماء ليأكلني وما لي ذنب .

وفي الكافي عن أبي عبد الله (ع) قال : إن داود لما وقف الموقف بعرفة
نظر إلى الناس وكثرتهم فصعد الجبل وأقبل يدعو ، فلما قضى نسكه اتاه جبرئيل
فقال له : يا داود يقول لك ربك : لم صعدت الجبل ظننت انه يخفي علي صوت
من صوت ثم مضى به إلى البحر إلى جدة فرسب به في الماء مسيرة أربعين صباحاً
في البر ، فإذا صخرة فقلقها فإذا فيها دودة فقال : يا داود يقول لك ربك : أنا
أسمع صوت هذه في بطن هذه الصخرة في قعر هذا البحر فظننت انه يخفي علي
صوت من صوت .

وعن أبي جعفر (ع) قال : بينما داود (ع) جالس وعندة شاب رث الهيئة
يكثر الجلوس عنده ويطلب الصمت إذ أتاه ملك الموت قسماً عليه وأخذ بالنظر إلى
الشاب فقال داود : نظرت إلى هذا فقال : نعم اني أمرت بقبض روحه إلى سبعة
أيام في هذا الموضع .

فرحمه داود فقال : يا شاب هل لك امرأة ؟ فقال : لا ، وما تزوجت قط
قال داود (ع) : فأت فلاناً وكان رجلاً عظيم القدر في بني إسرائيل فقل له :
إن داود يأمرك ان تزوجني ابنتك وتدخل بها في هذه الليلة وخذ من النفقة
ما تحتاج اليه وكن عندها ، فإذا مضت سبعة أيام فوافني في هذا الموضع .

فرضى الشاب برسالة داود فزوجة الرجل ابنته وادخلوها عليه ، وأقام عندها
سبعة أيام ثم وافى داود يوم الثامن فقال له داود : يا شاب كيف رأيت ما كنت
فيه ؟ قال : ما كنت في نعمة وسرور أعظم مما كنت فيه ، قال داود : اجلس فجلس

وداود ينتظر ان تقبض روحه فلما طال الوقت قال : انصرف إلى منزلك فكن مع اهلك ، فاذا كان يوم الثامن فوافني ههنا فمضى الشاب ثم وافاه يوم الثامن وجلس عنده ثم انصرف اسبوعاً آخر ثم اتاه وجلس ، فجاه ملك الموت إلى داود فقال له داود : ألسنت حدثتني بأنك أمرت بقبض روح هذا الشاب إلى سبعة ايام قال : بلى ، قال : فقد مضت ثمانية وثمانية وثمانية قال : يا داود إن الله رحمه برحمتك له فأخر في اجله ثلاثين سنة .

(ومنها) ان الله أوحى إلى داود ان اعلم خلادة بنت اوس انها قربتك في الجنة فيمضي ويتفحص حالها في العبادة فلا يجد منها غير المعتاد فيسألها عن ام اعمالها للآخرة بعدما بشرها بأنها قربتته في الجنة فتجيبه بانها مدة عمرها لم تسأل الله تحويل حال إلى حال ليعلمها بأنه لا ينزل بها إلا ما هو صالحها فرضيت بقضاء الله وحمدت وشكرت على كل حال .

وقال ابو عبدالله (ع) في ذلك : هذا دين الله الذي ارتضاه للصالحين ، وكان امير المؤمنين (ع) يقول : إن الله سبحانه لو ألقاني بالنار معذباً لما قلت انها نار بل قلت انها جنة ، لأنه رضي بها وجنتي رضاه وهذه الدرجة العليا للسالكين ونظره (ع) إلى قوله تعالى بعد ان ذكر الجنة وما أعد فيها للمتقين قال سبحانه : ورضوان من الله اكبر .

وفي كتاب مسكن القواد ان رجلاً من العباد مر خارج مصر في طريق فرأى رجلاً مطروحاً على التراب قد أكل الديدان بدنه واحتوى الذباب على جراحاته فقعده عند رأسه وروحه بالمروحة ليطير الذباب عنه ففتح عينيه وقال : من هذا الذي دخل بيني وبين ربي وعزته وجلاله ، لوقطعتني إرباً إرباً لم أزد له إلا شكراً وفيه إلا حباً .

وفي قصص الأنبياء (١) عن ابي جعفر (ع) قال : كان في بني إسرائيل

عابد فأعجب به داود (ع) فأوحى الله اليه لا يعجبك شيء من امره فإنه مرء ،
قال : فمات الرجل فأتي داود فقيل له : مات الرجل ، فقال : ادفنوا صاحبكم قال :
فأنكرت بنو إسرائيل وقالوا : كيف لم يحضره ، فلما غسل قام له خمسون رجلاً
فشهدوا بالله أنهم ما يعلمون منه إلا خيراً . فلما صلوا عليه قام خمسون رجلاً
فشهدوا بالله أنهم ما يعلمون منه إلا خيراً . فأوحى الله إلى داود ما منعك ان
تشهد فلاناً . قال : الذي اطعنني عليه من امره ، قال : وإن كان كذلك ولكن
شهادة قوم من الأجبار والرهبان فشهدوا له بانهم لا يعلمون منه إلا خيراً فأجزت
شهادتهم عليه وغفرت له علمي فيه .

قيل : دخلت امرأة على داود (ع) فقالت : يا نبي الله ربك عادل أم ظالم ؟
فقال : ويحك هو العدل الذي لا يجور ، ثم قال لها : ما قصتك ؟ قالت : اني
امرأة ارملة وعندى ثلاث بنات . واني اقوم عليهن من غزل يدي فلما كان أمس
شدت غزلي في خرقة حمراء وأردت ان اذهب به إلى السوق وأبيعه وأشتري
الطعام للأطفال ، فاذا بطائر قد انقض علي وأخذ الخرقة والغزل ومطار وبقيت
حزينة ما لي شيء ابلغ به الأطفال .

قال الراوي : فبينما المرأة مع داود (ع) في الكلام فاذا بطارق يطرق الباب
فأذن داود (ع) له بالدخول وإذا هم عشرة من التجار ومع كل واحد مائة دينار
وقالوا : يا نبي الله ادفعها لمستحقها ، فقال لهم : وما سبب إخراجكم هذا المال ؟
قالوا : كنا في مركب فهاجت علينا الريح فغاب المركب وأشرفنا على الغرق وإذا
نحن بطائر قد ألقى الينا خرقة حمراء فيها غزل فسددنا به عيب المركب فأنسد
ونذرنا ان يتصدق كل واحد منا بمائة دينار ، وهذا المال بين يديك تصدق به
علي من أردت .

فالتفت داود إلى المرأة وقال : ربك يتجرك في البحر وانت تجعلينه ظالماً

ثم اعطاها الألف دينار وقال : اذهبي وانفقيها على اطفالك والله اعلم بحالك .

النبور يعظ بني اسرائيل

في كتاب قصص الأنبياء (١) قال السيد علي بن طاووس في كتاب سعد السمود : رأيت في زبور داود (ع) في السورة الثالثة ما هذا لفظه : يا داود جعلتك خليفة في الأرض وسيتخذ عيسى إلهاً من دوني من اجل ما مكنت فيه من القوة وجعلته يحيي الموتى بأذني . يا داود من ذا الذي انقطع إلي فنحيته ومن ذا الذي اناب إلي فطرده عن باب إنا بتي مالكم لا تقدسون الله وهو مصوركم مالكم لا تطردون المعاصي عن قلوبكم كأنكم لا تموتون وكأن الدنيا باقية لكم لا تزول .

وفي السورة العاشرة

أيها الناس لا تغفلوا عن الآخرة بني اسرائيل لو تفكرتم في منقلبكم ومعادكم وذكرتم القيامة وما أعددت فيها للعاصيين قل ضحككم وكثر بكاؤكم لكنكم غفلتم عن الموت تقولون ولا تفعلون ، لو تفكرتم في خشونة الثرى ووحشة القبر وظلمته لقل كلامكم وكثر ذكركم لا تتفكرون في خلق السموات والأرض وما أعددت فيها من الآيات والنذر وحبست الطير في جو السماء يسبحن ويسرحن في رزقي وأنا الغفور الرحيم سبحانه خالق النور .

وفي السورة السابعة عشر

يا داود اسمع ما أقول ومر سليمان يقول بعدك : إن الأرض أورثها محمداً وأمه وهم خلافكم ولا يكون صلاتهم بالطناير ولا يقدسون الأوتار فازدد من تقديسك يا داود قل لبني إسرائيل لا يجمعوا المال من الحرام فأني لا أقبل صلاتهم واهجر أباك على المعاصي وأخاك على الحرام واتل على بني إسرائيل نبأ رجلين كانا على عهد إدريس فخامت لهما تجارة وقد فرضت عليهما صلاة مكتوبة فقال احدهما : ابدأ بأمر الله . وقال الآخر : ابدأ بتجارتي والحق امر الله ، فذهب هذا لتجارته وهذا لصلاته ، فأوحيت إلى السماء فنفخت وأطلقت ناراً وأحاطت واشتعل الرجل بالسحاب والظلمة ، فذهبت تجارته وصلاته ، وكتب على بابه انظروا ما تصنع الدنيا والتكائر بصاحبه .

يا داود إذا رأيت ظالماً قد رفعته الدنيا فلا تعبطه فإنه لا بد له من احد امرين : إما ان اسلط عليه ظالماً اعظم منه فينتقم منه ، وإما ألزمه رد النبعات يوم القيامة ، يا داود لو رأيت صاحب النبعات قد جعل في عنقه طوق من نار فحاسبوا انفسكم وأنصفوا الناس ودعوا الدنيا ، ويحكم لو رأيتم الجنة وما اعدت فيها لأولياي من النعيم لما ذقتم دواها بشهوة اين المشتاقون إلى لذيذ الطعام والشراب اين الذين جعلوا مع الضحك بكاء . اين الذين هجموا على مساجدي في الصيف والشتاء ، انظروا اليوم ما ترى اعينكم ، فطال ما كنتم تسهرون والناس نيام فاستمعوا اليوم ما اردتم فأني قد رضيت عنكم اجمعين ، ولقد كانت اعمالكم الزاكية تدفع سخطي من اهل الدنيا يا رضوان اسقهم من الشراب الآن فيشربون وترداد وجوههم نضرة فيقول رضوان : لم فعلت هذا لأنه لم تظأ فزوجكم فزوج

الحرام ، يا رضوان اظهر لعبادي ما أعددت لهم ثمانية آلاف ضعف ، يا داود من قاجرني فهو اريح التاجرين ، يا بن آدم ابوك وأمك يموتان ، وليس لك عبرة بهما يا بن آدم ألا تنظر إلى بهيمة ماتت فانتفخت وصارت جيئة وهي بهيمة وليس لها ذنب ولو وضعت اوزارك على الجبال الراسيات لهدتها ، يا داود وعزتي وجلالي ما شيء اضر عليكم من اموالكم ولا اولادكم ولا اشد في قلوبكم فتنة منها والعمل الصالح عندي مرفوع وانا بكل شيء محيط سبحانه خالق النور .

وفي السورة الثالثة والعشرين

يا بني آدم الطين والماء المهين وبني الغفلة والغررة لا تكثروا الالتفات إلى ما حرمت عليكم فلو رأيت مجاري الذنوب لاستقذرتموه ، ولو رأيت المعطرات قد عوفين من هيجان الطباع فهن الراضيات فلا يسخرطن ابدأ وهن الباقيات فلا يمتن ابدأ كلما افتضها صاحبها رجعت بكرأ اربط من الزبد واحلى من العسل بين السرير والفراش امواج يتلاطم الحمر والعسل كل نهر ينفذ من آخر ويحك ان هذا هو الملك الأكبر والنعيم الأطول والحياة والرغدة والسرور الدائم والنعيم الباقي عندي الدهر كله وانا العزيز الحكيم سبحانه خالق النور .

وفي السورة الثلاثين

بني آدم رهائن الموتى اعملوا لآخرتكم واشتروها بالدنيا ولا تكونوا قوماً اخذوا هواءاً ولعباً واعلموا انه من قارضني نمت بضاعته ومن قارض الشيطان قرن معه مالكم تتنافسون في الدنيا وتعطلون عن الحق غرتكم احسابكم فما حسب امرىء خلق من الطين انما الحسب عندي هو التقوى سبحانه خالق النور .

وفي السورة السادسة والاربعين

بني آدم لا تستخفوا بحقي فأستخف بكم في النار ان آكلة الربا تقطع امعالم
واكبادهم إذا ناولتم الصدقات فأغسلوها بماء اليقين ، فأني ابسط يميني قبل يمين
الآخذ ، فإذا كانت من حرام حذفت بها في وجه المتصدق ، وان كانت من حلال
قلت : ابنوا له قصوراً في الجنة وليست الرياسة رياسة الملك إنما الرياسة رياسة
الآخرة سبحانه خالق النور .

وفي السورة السابعة والاربعين

أتدري يا داود لم مسخت بني إسرائيل فحملت منهم القردة والخنازير
لأنهم إذا جاء الغني بالذنب العظيم ساهلوه وإذا جاء المسكين بأدنى منه انقموا منه
وجبت لعنتي على كل متسلط في الأرض لا يقيم الغني والفقير بأحكام واحدة انكم
تتبعون الهوى في الدنيا ، اين المفر إذا تخليت بكم .
كم قد نهيتكم عن الانتفات الى حرم المؤمنين ، وطالت ألسنكم في أعراض
الناس سبحانه خالق النور .

وفي السورة الخامسة والستين

افصحتم في الخطبة ، وقصرتم في العمل ، فلو افصحتم في العمل وقصرتم في
الخطبة ، لكان ارجى لكم ، يا داود اتل على بني إسرائيل رجل دانت له اقطار
الأرض حتى استوى وسعى في الأرض فساداً واتخذ الحق واطهر الباطل وعمر الدنيا
وحصن الحصون وحبس الأموال ، فبينما هو في غضارة دنياه إذا وحيت الى زبور

يأكل لحم خده ويدخل ويلدغ الملك ، فدخل الزبور وبين يديه ستارة وزرائه
واعوانه فضرب فتورمت وتمجرت منه اعين دماً وقبحاً فشير عليه بقطع من لحم
وجبه حتى كان كل من يجلس عنه شم منه نقتاً عظيماً حتى دفن جثة بلا رأس .
فلو كان للآدميين عبرة تردعهم لردعتهم ، ولكن شغلوا بلهو الدنيا فذرم
يخوضوا ويلعبوا حتى يأتيهم امرئ ولا اضيع اجر المحسنين سبحانه خالق النور .

داود يشيد بيت المقدس لاظهار عظمة الخالق

شرح داود (ع) في بناء بيت المقدس بعد مضي احد عشر سنة من ملكه
وحيث قد دنا اجله وقرب بعيد سفره ، اوصى الى سليمان بأتمامه .

ثم الوصية له بأن يخلفه على الشريعة أيضاً

وكان له تسعة عشر ولداً ، وسليمان كان اصغرهم ، قيل : كان عمره يومئذ
ثلاث عشرة سنة ، ولما اوصى اليه اعترضه بنو اسرائيل والأسباط وقالوا : يستخلف
علينا داود حدثاً ، فدعاهم داود فقال : قد بلغتني مقاتلكم ، فليات كل واحد منكم
بعضا ويدتوها في بيت فمن اخضرت عصاه فهو الخليفة من بعدي ، فأصبحوا وقد
اخضرت عصا سليمان ، فسلموا ذلك لداود (ع) .

وبشبه ذلك ما كان لامامنا محمد الجواد (ع) حين قام بأعباء الامامة بنص
من ابيه الرضا (ع) وقد سئل في مجلس واحد عن آلاف المسائل واجاب عنها فدل
على إمامته من طريق الامجاز كأمر سليمان (ع) .

انتقال داود (ع) لدار البقاء على مكانته

ولما حضرت الوفاة داود (ع) كانت جارية له تغلق الأبواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ويقوم الى عبادته فأغلقها ليلة ثم رأت رجلا في الدار فقالت : من ادخلك ؟ فقال : انا الذي ادخل على الملوك بغير إذن ، فسمع داود قوله فقال : انت ملك الموت فهلا ارسلت إلي رسولا فأستعد للموت .
قال : قد ارسلت اليك كثيرا قال : من كان رسولاك ؟ قال : ابن ابوك واخوك وجارك ومعارفك ؟ قال : ماتوا ، قال : فهم رسلي اليك بأفك تموت كما ماتوا ثم قبضه .

الخليفة الجديد لله على عباده

ينفذ وصية أبيه في تشييد بيت المقدس

قال تعالى : « وأسلنا له عين القطر » (١) .
حيث علم سبحانه من نية داود ان يبذل كل جهده في تشييد بيت المقدس فتسانده حينئذ أطفافه سبحانه ، وحيث وافاه الأجل المحتوم وهو يوصي بأتمامه سليمان فيسخر الله له حتى الجمادات لتحقيق امنياته اوليائه في تعظيم شعائره فيسيل لسليمان عين القطر وهي النحاس - اي اذبنها له واظهرناها له - كما سخر الله له الجن تعمل بين يديه ما يشاء من محاريب وهي بيوت الشريعة ، وكان مما عملوا له بيت المقدس .

(١) سورة سبأ الآية ١٢ .

أرادة الله في انشاء بيت المقدس

نظيرها الحادثات

سلط الله على بني إسرائيل الطاعون الجارف ، فهلك خلق كثير في يوم واحد فأمرهم داود (ع) ان يغتسلوا ويبرزوا الى الصعيد بالذراري والأهلين ويتضرعوا الى الله لعله يرحمهم ، وذلك صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد ، وإنما أمرهم داود (ع) ان يدعوا ويتضرعوا بخصوص ذلك الصعيد ، حيث كان يرى (ع) صعود الملائكة منه الى السماء وهبوطها ، فأعتبرها بقعة شريفة يقبل فيها الدعاء ، وارتفع داود (ع) فوق الصخرة فخرساجداً يبتهل الى الله تعالى وسجدوا معه فلم يرفعوا رؤوسهم حتى كشف عنهم الطاعون ، فلما ان شفح الله داود (ع) في بني إسرائيل جمعهم بعد ثلاثة ايام وقال : إن الله من عليكم ورحمكم فجددوا له شكراً بأن تتخذوا من هذا الصعيد الذي رحمكم فيه مسجداً ، ففعلوا واخذوا في بناء بيت المقدس ، وكان داود ينقل الحجارة لهم على عاتقه ، وكذلك خيار بني إسرائيل حتى رفعوه مقدار ارتفاع قامة ، وعمر داود يومئذ مائة وسبع وعشرون سنة ، فأوحى الله اليه ان تمام بنائه يكون على يدي ابنه سليمان ، فلما صار داود ابن مائة واربعين توفاه الله تعالى ، وكان قد ألان الله الحديد له وكان يصنع الدروع ويتعيش بثمنها . ولذا نسبت اليه الدروع الداودية لجودتها ، وسبب ذلك انه كان يطوف في ولايته متنكراً للاستطلاع على اعمال وكلائه ومتصرفيه فاستقبله جبرئيل ذات يوم على صورة آدمي فسلم عليه فرد عليه السلام وقال له : ما سيرة داود ؟ فقال : نعمت السيرة لولا خصلة فيه ، قال : وما هي ؟ قال : انه يأكل من بيت المال ، فشكره واننى عليه واقسم داود انه لا يأكل منه ،

فعلم الله صدق نيته ، فألان له الحديد ، فقال تعالى : وعلمناه صنعة لبوس لكم
وهي الدروع وقد كانت قبلها صفاًح يلبسونها ، فكان بذلك مشقة عليهم جعل
الله الحديد في يديه كالعجين وقال تعالى : انحصنكم من بأسكم ، اي انحرزكم
وتنمكم من وقع السلاح عليكم في حروبكم فجمع الصفتين كونها خفيفة ، لأنها
من زرد وحصينة ، لأنها متساوية الزد ، كما علمه الله تعالى بقوله : وقدر في السرر
وكان يعمل في كل يوم درعاً واحداً يبيعه بألف درهم لياً كل من حلال .
وروي ان لقمان الحكيم حضره فرآه يفعل ذلك بالحديد فصبر ولم يسأله
حتى فرغ فقام ولبس الدرع وقال : نعمت الجنة للحرب ، فقال لقمان : الصمت
حكمة وقليل فاعله .

الطاف الله تقح في محلها القابل

حيث علم الله تعالى ان القلب يتلوث بأكل الحرام وبمرور الأيام يتكلس ولا
تعود تجدي فيه المواعظ ، يتدارك سفريره إلى خلقه حتى من أكل الشبهات لشدة
الحيطة على قلبه ، لأنه مبعث الجوارح كلها إلى الخير ان صفي وتبلور ، وإلى الشر
ان تلوث وتكدر فيرسل امين وحيه جبرئيل بغير صورته وينبهه على مكروب
القلوب بعد علمه سبحانه بتجنبه عن المشتبه لأقل إشارة ، كما قد حقق (ع) ذلك
بالعهد مع ربه ان لا يأكل من بيت المال وقد علم سبحانه صدق نيته فلم يتركه
يشقى في امر معيشته فيدر عليه رزقه ويجعله المنوحد في مهنته ، باجراء الكرامة
والمعجزة ايضاً على يده وعندما يستوفي طعمته ويتوفاه ملك الموت فيستخلف
ولده سليمان (ع) قال تعالى : ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب (١) .

وان الخليفة الجديد يصمم على تنفيذ الوصية وإكمال بناء بيت الله المقدس فجمع الجن والشياطين حيث قد سخروا له ويعملون بين يديه - اي بحضرتة - ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السمير (١) . قيل : وكل الله بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ وعدل عن امر سليمان منهم ضربه ضربة أحرقتة . فقسم عليهم الأعمال يخص كل طائفة منهم بعمل ، فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمهبي الأبيض الصافي من معادنه .

وذكر في كتاب دار السلام (٢) بسنده عن ابي جعفر (ع) كان سليمان يأمر الشياطين فتحمل له الحجارة من موضع إلى موضع ، فقال لهم إبليس : كيف انتم ؟ قالوا : ما لنا طاقة بما نحن فيه ، فقال : أليس تذهبون بالحجارة وترجمون فراغاً ، قالوا : نعم ، فقال : فأنتم في راحة فأبلغت الريح سليمان ما قال إبليس فأمرهم ان يحملوا الحجارة ذاهبين والطين راجعين إلى موضعها فترامى لهم إبليس فقال : كيف انتم ؟ فشكوا اليه ، فقال : ألسنتم تنامون الليل ؟ قالوا : بلى ، قال : فأنتم في راحة فأبلغت الريح سليمان ما قالت الشياطين وإبليس فأمرهم ان يعملوا بالليل والنهار فما لبثوا إلا يسيراً ، وزاد الله قوى في اجسامهم وغيرها عما كانت من اللطافة معجزة لسليمان ، وأمر ببناء المدينة من الرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ربضاً ، وأنزل كل ربض منها سبطاً من الأسباط ، ولما فرغ من بناء المدينة شرع في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقاً فرقاً يستخرجون الذهب واليواقيت من معادنها ، ويقلمون الجواهر والأحجار الثمينة من اماكنها ، ويأتون بالمسك والعنبر وسائر الطيب ، وفرقة تأتي بالدرر من البحار ، فأوتي بشيء من ذلك لا يحصيه إلا الله تعالى .

ثم احضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الأحجار حتى صيروها ألواحاً ومعالجة

تلك الجواهر والثلاثي .

وكان التصميم والتشكيل للمسجد ، هو انه بناه بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر ، وعمده بأساطين المهي الصافي وسقفه بألواح الجواهر وفصص سقفه وحيطانه بالثلاثي والجواهر واليواقيت ، وبسط ارضه بالفيروزج ، فلم يكن بيت ابيه ولا انور منه ، كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر .

ذووا اللب في امكانياتهم

هكذا ينبغي لمن مكنه الله في ماله او بدنه او جاهه او سيطرته او في كلها ان يبذل ذلك في تعظيم شعائر الله واماكن ذكره ومحلات عبادته وإسماعف ضعفاء عباده لاجرازه التشييد لنفسه في دار البقاء ، والمزيد في دار الفناء ، لأن إتفاقه وإظهاره شكر لمعطيه ، وهو سبحانه القائل : ولئن شكرتم لأزيدنكم ، لا للقصور الفانية او الباقية لغيره والتبعة عليه .

ولما فرغ من بنائه جمع اليه أحبار بني إسرائيل وأعلمهم ان الذي بناه هو الله تعالى واتخذ ذلك اليوم عيداً .

قيل : لما فرغ من بنائه تفلقت ابوابه ، فعالجها سليمان فلم تنفتح حتى قال : بضلوات ابى داود إلا فتحت الأبواب ، ففتحت ففرغ له سليمان عشرة آلاف من قراء بني إسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار ، فلاتأني ساعة من ليل ولا نهار إلا ويعبد الله فيها ، فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزا بخت نصر بني إسرائيل ، فخرّب المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ ما في سقفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر واليواقيت والجواهر ، فحملها إلى دار مملكته في العراق .

هكذا اقتضت الحكمة في كشف اسرار عبادته بالتخويل والتمكين لهم فمنهم من يستخدم قواه في طاعة الله ، ومنهم من يجعلها حرباً لله ، كما سمعت من سليمان في طاعته وبخت نصر في معصيته .

قال تعالى : « ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين » (١) ، اي كما سخرنا لداود الجبال سخرنا لسليمان الريح عاصفة - اي شديدة الهبوب - إذا أراد السرعة ورخاء إذا أراد التأني . والأرض المباركة هي الشام ، لأنها كانت مأواه في بعلبك ، وهو بيني في بيت المقدس تسير في اليوم مسافة شهرين كما قال سبحانه : غدوها شهر ورواحها شهر . أعطاه الله ذلك عوض الجياد الصافنات التي ضحى بها في سبيل الله حيث أمر بعرضها لغرض إعداده لغزو عدو الله ، وكانت الفأ ورثتها من ابيه وكان داود أصابها من العاقلة ، وقيل غير ذلك ، وكان يحبها فانشغل بها حتى توارت الشمس بالحجاب ، اي غابت آخر العصر فأمر بردها وطقق مسحاً بالسوق والأعناق حيث فوتت عليه وقت الصلاة ، والأصح انه اول الوقت لا الوقت كله ، او كانت له نافلة فات وقتها ، وقد قيل غير ذلك ، واما معنى مسح سوقها والأعناق ، فقيل : هو عقرها بالسيف وقتلها وليس بشيء ، والأولى ما قيل انه مسحها وجعلها معاملة ومسبلة في سبيل الله .

وعلى كل فان الله قد سخر له الريح عوضها لتسهل عليه اسفاره حيث انه تعالى يقدر لعباده تضحياتهم ويجزئهم بحسبها ومنه المزيد .

الريح تحمل البساط ومن عليه بأمر الله تعالى

عن الأصمغ خرج سليمان من بيت المقدس ومعه ثلاثمائة الف كرسي عن يمينه عليها الانس وثلاثمائة الف كرسي عن يساره عليها الجن وان الطير لتظلمهم وأمر الريح فحملتهم حتى وردت بهم المدائن ، ثم رجعت وبات في اصطخر ، ثم غدا فأنتهى الى جزيرة بركادان ، ثم امر الريح فحفظتهم حتى كادت اقدامهم تصيب الماء فقال بعضهم لبعض : هل رأيتم ملكا اعظم من هذا ؟ فنادى ملك من السماء لثواب تسييحة واحدة اعظم مما رأيتم .

سفرة اخرى له تسبب شكوى بيت الله وتكشف عن سر

وقد مر بمسيرة له على مدينة الرسول (ص) فقال : هذا دار هجرة الرسول نبي في آخر الزمان ، طوبى لمن آمن به ، وطوبى لمن اتبعه ، ورأى حول البيت اصناماً تعبد من دون الله تعالى ، فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت فأوحى الله اليه ما يبكيك ؟ قال : يارب هذا نبي من انبيائك ، وقوم من اوليائك ، مروا بي فلم يهبطوا بي ولم يصلوا عندي ولم يذكروك بحضرتي والاصنام تعبد حولي من دونك ، فأوحى الله اليه ، لا تبك فاني سوف أملاك وجوهاً سجداً وأنزل فيك قرآناً جديداً وأبعث منك نبياً في آخر الزمان أحب انبيائي إلي ، وأجعل فيك عماراً من خلقي يعبدونني وأفرض على عبادي فريضة يدفون اليك دفيق النسور الى وكرها ويحنون اليك حنين النوق الى ولدها وأطهرك من الأوثان .

سليمان والنملة في مسيرة له أخرى

قال تعالى: «حتى إذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكاً من قولها ... الخ (١) وادي النمل هو وادي الطائف ، وقيل : بالشام ، وتلك النملة كانت رئيسة النمل ولذا قالت يا ايها النمل ادخلوا ... الخ ، لأن الرئيس من شؤنه المحافظة على رعيته من الهلاك الروحي والمادي معاً .

والرئاسة والرعاية تعم كل مجموعة كثرت اوقات وكل بحسبه ، ولهذا ورد كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فلا يظن ذو الأولاد المهملين بدون تعليم للدين وهدى لشريعة محمد (ص) سيد المرسلين . انهم أفلتوا من هذه الكلية المضروبة ولا عذر لهم بعدم التمكن من اصلاحهم ، حيث هم فوتوا على انفسهم وقت التمكن فان تربيتهم عند الصغر اثبت كما هي أيسر فقد قالوا العلم في الصغر كالنقش في الحجر وذكر في عيون الأخبار وغيره بسنده الى جعفر بن محمد (ع) في معنى قوله : فتبسم ضاحكاً من قولها : ان الريح حملت صوت النملة الى سليمان وهو مار في الهواء ، فوقف وقال : علي بالنملة ، فلما أتى بها قال لها : أما علمت اني نبي وانى لا اظلم احداً ، قالت : بلى ، قال : فلم حذرتهم ظلمي ؟ قالت : خشيت ان ينظروا الى زيتك فيفتنوا بها فيبعدوا عن ذكر الله تعالى ذكره فتبسم ... الخ .

ثم قالت له : انت اكبر أم ابوك داود ؟ قال : بل ابني ، قالت : فلم زيد في حروف اسمك حرف على حروف اسم ابيك ؟ قال : مالي بهذا علم ، قالت : لأن اباك داود داوى جرحه بود وانت يا بن داود ارجو ان تلحق بأبيك .

وقد قيل في معناه : ان اباك لما ارتكب ترك الأولى وصار قلبه مجروحاً لعتاب ربه له داوى جرح قلبه بود الله ومحبتة ، فلذا سمي داود اشتقاقاً من الدواء بالود ، وانت لما لم ترتكب بعد وانت سليم منه سميت سليمان ، ولما كان كلامها موهماً كونه من جهة السلامة افضل من ابيه استدركت ذلك بأن ماصدر منه لم يصر سبباً لنقصه بل صار سبباً لكمال محبته وتعام مودته وارجو ان تلحق بأبيك ولذا يجب على المذنب تدارك ذنبه بالتوبة وطلب المغفرة كي يحصل علي رفيع الدرجات على قدر ندمه وإقباله على ربه ، ثم قالت الخاتمة له : هل تدري لم سخرت لك الريح من بين سائر المملكة ، قال سليمان : مالي بهذا علم قالت : يعني جل ذكره بذلك ، اني ان سخرت لك هذه الريح ، فزوالها من يدك كزوال الريح ، فحينئذ تبسم من قولها على قول قد ذكروه .

ومن مظاهر قدرة الله تعالى

ففي كتاب مشارق الأنوار ان سليمان كان سماطه كل يوم سبعة اكرار وزناً فخرجت دابة من دواب البحر يوماً وقالت : أضفني اليوم يا سليمان ، فأمر ان يجمع لها مقدار سماطه شهراً ، فاجتمع على ساحل البحر كالجبل العظيم فأخرجت الحوت رأسها وابتلعتة وقالت : يا سليمان اين تمام قوتي ، اليوم هذا بعض قوتي فتعجب سليمان وقال لها في البحر دابة مثلك ، فقالت الف أمة فقال : سبحان الله الملك العظيم .

سليمان يعرف منطق الطير

روي ان سليمان رأى عصفوراً يقول لعصفورته : لم تمنعين نفسك مني ولو شئت لأخذت قبة سليمان بمنقاري فألقيها في البحر فتبسم سليمان من كلامه ثم دعاها فقال للعصفور : أطيعي ان تفعل ذلك ؟ فقال : لا يا رسول الله ولكن المرء قد يزين نفسه ويعظمها عند زوجته ، والمحب لا يلام على ما يقول ، فقال للعصفورة لم تمنعيني من نفسك وهو يحبك ؟ فقالت : يا نبي الله انه ليس محباً ولكنه مدع ، لأنه يحب معي غيري ، فأثر كلام العصفورة في قلب سليمان وبكى بكاء شديدا واحتجب عن الناس اربعين يوماً يدعو الله ان يفرغ قلبه لحبه وان لا يخالطه بمحبة غيره .

وسمع يوماً عصفوراً يقول لزوجته : ادن مني أجامعك لعل الله يرزقنا ولداً ذكراً يذكر الله تعالى فانا كبرنا ، فتمجّب سليمان من كلامه وقال : هذه النية خير من ملكي .

وقيل : كان سليمان جالساً ، إذ مر به طائر يطوف فقال (ع) : إن هذا الطائر يقول السلام عليك ايها الملك المتسلط على بني إسرائيل اعطاك الله سبحانه الكرامة وأظهرك على عدوك اني منطلق إلى فروخي ثم أمر بك الثانية . وانه سيرجع الينا ، فنظر القوم طويلاً فر بهم فقال : السلام عليك ايها الملك ان شئت ان تأذن لي فيما اكسب على فروخي حتى يشبوا ثم آتيك فأفعل بي ما شئت فأذن له ومر سليمان على بلبل يتصوت ويترقص فقال : هذا يقول إذا اكلت نصف التمرة فعلى الدنيا العفا ، فانظر إلى القناعة من الحيوانات حيث آمنت بربها فهل لنا مثلها ونحن العقلاء وقد سمعنا عنه تعالى يقول في توثيق عباده وتطمينهم :

لو توكلتم على الله حق التوكل لكنتم كالطير تخرج من اوكارها خفاصاً وتعود اليها بطاناً يرسلها اليها على السنة الحجج من اوليائه جل شأنه كلمة كافلة لرزق عباده لو قرنت ومزجت بشرطها وهو صدق التوكل ، وصاح ورشان عند سليمان فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا قال : إنه يقول ليت الخلق لم يخلقوا ، وصاح طاووس فقال : إنه يقول : كما تدين تدان ، وصاح هدهد فقال : إنه يقول : من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد عنده فقال : إنه يقول : استغفروا الله يا مذنبين ، وصاح طوطي فقال : إنه يقول : كل حي ميت وكل جديد بال ، وصاح خطاف فقال : إنه يقول : قدموا خيراً تجدوه ، وهدرت حمامة فقال : انها تقول : سبحان الله ملء سماواته وأرضه ، قال : والغراب يدعو على العشارين والحدأة تقول : كل شيء هالك إلا وجهه ، والقطا تقول : من سكت سلم ، والبيغاء تقول : لمن الدنيا تمت ، والصفدع تقول : سبحان ربي القدوس ، والباز يقول : سبحان ربي ويحمده ، والصفدعة تقول : سبحان المذكور بكل مكان ، وصاح دراج فقال : إنه يقول : الرحمن على العرش استوى .

وفي دعوات الراوندي ان سليمان كان جالساً على شاطئ بحر فبصر نملة تحمل حبة قمح تذهب بها نحو البحر فجعل ينظر اليها حتى بلغت الماء فإذا صفدعة قد أخرجت رأسها من الماء ففتحت فها فدخلت النملة وغاصت الصفدعة في البحر ساعة طويلة وسليمان يتفكر في ذلك متعجباً ، ثم إنها خرجت من الماء وفتحت فها وخرجت النملة ولم تكن معها الحبة فدعاها سليمان وسألها شأنها واين كانت فقالت يا نبي الله ان في قعر البحر الذي تراه صخرة مجوفة وفي جوفها دودة عمياء خلقها الله هناك فلا تقدر ان تخرج منها لطلب معاشها وقد وكلني الله برزقها فأنا احمل رزقها وسخر الله هذه الصفدعة تحملي فلا يضرني الماء وانا في فيها وتضع فها على ثقب الصخرة وادخلها ، ثم إذا وصلت لها رزقها خرجت إلى فيها فتخرجني

من البحر ، قال سليمان : وهل سمعت لها من تسيبحة ؟ قالت : نعم ، تقول : يا من لا تنساني في جوف هذه اللجة برزقك لا تنس عبادك المؤمنين برحمتك .

اندحار أبي حنيفة

روى العياشي بإسناده قال ابو حنيفة لأبي عبدالله (ع) : كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير قال : لأن الهدهد يرى الماء في بطن الأرض كما يرى احدكم الدهن في بطن الفارورة فنظر ابو حنيفة إلى اصحابه وضحك فقال ابو عبدالله : ما يضحكك ؟ قال : ظفرت بك جعلت فداك قال : وكيف ذلك ؟ قال : الذي يرى الماء في بطن الأرض لا يرى الفخ في التراب حتى يأخذ بعنقه ، فقال ابو عبدالله عليه السلام : يا نعمان أما علمت انه إذا نزل القدر أعشى البصر .

الهدهد يستكشف مملكة بلقيس

في تفسير العسكري (ع) ان سليمان لما سار من مكة ونزل باليمن قال الهدهد : إن سليمان قد انشغل بالنزول فأرتفع نحو السماء فأنظر إلى طول الدنيا وعرضها . ففعل ذلك فرأى إستاناً بلقيس ، فقال إلى الخضره فوقه فيه فإذا هو بهدهد ، وكان اسم هدهد سليمان يعفور ، واسم هدهد اليمن عنقير ، فقال عنقير ليعفور : من اين أقبلت واين تريد ؟ قال : من الشام مع صاحبي سليمان بن داود قال : ومن سليمان ؟ قال : ملك الجن والانس والوحش والشياطين والرياح ، قال : أنا من هذه البلاد ، قال : ومن ملكها ؟ قال : امرأة يقال لها بلقيس ، وان لصاحبكم ملكا عظيما ، وليس ملك بلقيس دونه ، فانها ملكة يمن وتحت يدها

اثنا عشر الف قائد . فهل انت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها ؟ قال : اخاف ان يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء ، قال الهدهد اليمني : إن صاحبك ليسرره ان تأتيه بخبر هذه الملكة ، فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها وما رجع إلى سليمان إلا وقت العصر .

ولما طلبه سليمان ولم يجده ، دعا عريف الطيور وهو النسر فسأله عنه فقال ما ادري اين هو ، وما ارسلته مكاناً ، ثم دعا بالعقاب فقال : علي بالهدهد فارفع فاذا هو به مقبل فأنقض نحوه فناشده بحق الذي قواك وغلبك علي إلا ما رحمتني ولم تعرض لي بسوء ، فولى عنه العقاب وقال له : ويلك ثكلتك أمك ان نبي الله حلف ان يعذبك او يذبحك ثم طارا متوجهين إلى سليمان ، فلما انتهيا إلى المعسكر تلقته النسر والطيور فقالوا : توعذك نبي الله ، فقال الهدهد : أوما استثنى نبي الله ؟ فقالوا : بلى ، قال : أو ليأتيني بسُلطان مبين فلما أتيا سليمان وهو على كرسيه قال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله ، فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحه يحجرها على الأرض تواضعاً لسليمان فأخذ برأسه فمده إليه فقال : اين كنت قال : يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالي ، فارتعد سليمان وغفا عنه .

وبعد أن حكى له ارسله إلى بلقيس بالكتاب بأن يأتوه مسلمين أو يأتي عليهم اجمعين ، واستشارت قومها وأرسلت هديتها تستكشف بها صحة نبوته فتسلم له او انه ملك فتحاربه كما هو مفاد الآيات الكريمة في القرآن سورة النمل قيل : إن الهدية كانت مائتي جارية ومائتي غلام ، ألبست الجوارى لباس الغلمان والغلمان لباس الجوارى ، وحققة مختومة . وذكرت في كتابها ان كنت نبياً فميز بين الجوارى والغلمان وأخبرنا بما في الحققة قبل فتحها ، فخر كها وأخبره جبرئيل بأن فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب فأخبر سليمان الرسول فقال : صدقت ، ثم قال له الرسول : فانقب الدرة وأدخل الخيط في الخرزة فأرسل

سليمان الى الأرضة ، فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فثقتبها ، ثم قال : من لهذه الخرزة يسلكها الخيط ؟ فقالت : دودة بيضاء أنا لها يا رسول الله فدخلتها .

وميز الغلمان من الجوارى ، بأن امرهم ان يغسلوا وجوههم وأيديهم ، فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية باحدى يديها ، ثم تجعله في اليد الأخرى ، ثم تضرب به الوجه ، والغلام يأخذ الماء بيده يضرب به وجهه رأساً بدون تحويله إلى اليد الأخرى ، وعلامة اخرى وهي ان الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام يصبه على ظاهره .

وقيل : إنها انفذت مع الهدايا عصاً كانت تتوارثها ملوك حمير وقالت : عرفني رأسها من أسفلها وبقدح ايضاً ، وقالت : تملأه ماء ليس من الأرض ولا من السماء ، فأرسل سليمان العصا في الهواء وقال : اي الرأسين سبق إلى الأرض فهو أصلها ، وأمر بالخيل فأجريت حتى عرقت وملاً القدح من عرقها ، وقال : هذا ليس من ماء الأرض ولا من ماء السماء .

فلما رجع اليها الرسول وعلمت انه نبي تأهبت للمسير اليه وأخبره جبرئيل بذلك فعندها قال سليمان : أيكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين حيث يحرم عليه اخذ مالها حينئذ .

وقيل : اراد ان يريها دليلاً ومعجزة لنبوته ، لأنها خلفت عرشها في دارها وعليه الحرس ، إلى آخر القصة من إسلامها وزواجه بها . وقد اخذنا العبر منها فقط وما له ربط في المقصود .

يوم لسليمان (ع) أوله بضد آخره

روي ان سليمان لما صار خليفة داود على بني إسرائيل ، اخفى امره واستتر من شيعته ما شاء الله ، وان امرأته قالت له ذات يوم : بأبي انت وأمي ما اكمل خصالك وأطيب ريحك ولا اعلم لك خصلة اكرها ، إلا انك في مؤنة أبي فلو دخلت السوق فتمرضت لرزق الله رجوت ان لا يخيبك ، فقال لها سليمان : ما عملت عملاً قط ولا أحسنه ، فدخل السوق فجال يومه ثم رجع فلم يصب شيئاً فقالت له لا عليك ان لم يكن اليوم كان غداً ، وهكذا في اليوم الثاني وفي الثالث مضى إلى ساحل البحر فإذا هو بصياد فقال له : هل لك ان اعينك وتمطيني شيئاً ؟ قال : نعم ، فأعانه فلما فرغ الصياد اعطاه سمكتين فشق بطن إحداهما فإذا هو بخاتم في بطنها فحماه إلى منزله وهو واضع الخاتم في ثوبه فقالت له امرأته : إني اريد ان تدعو أبوي حتى يعلما انك قد كسبت ، فدعاها فأكلا معه فلما فرغوا اخرج خاتمه فلبسه فخرت عليه الطير والريح وغشيه الملك ، وحمل الجارية وابوبها إلى اصطخر في اصفهان واجتمعت الشيعة واستبشروا به ففرج الله عنهم ما كانوا فيه من حيرة غيبته .

وقد كان في ملكه يطعم اضيافه اللحم بالحواري (١) ويطعم عياله الخشكار (٢) ويأكل هو الشمير غير المسحول ، فالنظر إلى كرم الباري جل شأنه إنما امره إذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون فسليمان خرج إلى ساحل البحر في اول يومه لا يملك قوت ذلك اليوم فيرجع في آخر يومه وقد ملك الدنيا ، هذا عطاه ربنا غير مجذوذ .

(١) وهي الحبز الأبيض . (٢) وهو الحبز الأسود .

وعن الأصبع قال : خرج سليمان ومعه الجن والانس يستسقي فمر بنملة عرجاء ناشرة جناحها رافعة ايديها وتقول : اللهم إنا خلق من خلقك لا غنى بنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا . فقال سليمان لمن معه : ارجعوا فقد شفّع فيكم غيركم .

وفي تفسير علي بن ابراهيم عن ابي الحسن (ع) قال : ما بعث الله نبياً قط إلا عاقلاً ، وبعض النبيين أرجح من بعض ، وما استخلف داود سليمان حتى اختبر عقله وهو ابن ثلاث عشرة سنة . وملك ذو القرنين وهو ابن اثني عشرة سنة . وفي محاسن البرقي ان سليمان (ع) جاءته امرأة عجوز مستعديّة على الريح فدعا الريح فقال لها : مادعاك إلى ما صنعت بهذه المرأة قالت : إن رب العزة بعثني إلى سفينة بني فلان لأنقذها من الغرق ، وقد كانت اشرفت على الغرق فخرجت في عجلتي إلى ما امرني الله به ، ومررت بهذه المرأة وهي على سطحها فعثرت بها ولم اردّها فسقطت فانكسرت يدها فقال سليمان : يا رب بما احكم على الريح ؟ فأوحى الله اليه يا سليمان احكم بارش كسر هذه المرأة على ارباب السفينة التي انقذتها الريح من الغرق ، فانه لا يظلم لدي احد من العالمين .

وعن علي بن الحسين (ع) ان الفنزعة على رأس القنبرة من اثر مسحة سليمان ، وذلك ان الذكر اراد ان يسفد انثاه فامتعت عليه فقال لها : لا تمتنعي مما اريد ، عسى ان يخرج الله عز وجل مني نسمة يذكر بها ، فأجابته إلى طلبه فلما ارادت ان تبيض فقال لها : أين تريد ان تبيضي ؟ قالت : لا ادري أفأنجيه عن الطريق ؟ قال لها : إني اخاف ان يمبرك مار الطريق ، ولكن اري ان تبيضي قرب الطريق ، فمن يراك قربه توهم انك تتعرضين للمقط الحب من الطريق فأجابته إلى ذلك وباضت وحضنت حتى اشرفت على النقب ، فبينما هما كذلك إذ طلع سليمان في جنوده والطير تظله فقالت له : هذا سليمان قد طلع علينا بجنوده ولا آمن

ان يحطمنا ويحطم بيضنا ، فقال لها : إن سليمان لرجل رحيم ، فهل عندك شيء خبيثه لفراخك إذا نقبت ؟ قالت : نعم عندي جرادة خبأتها منك لفراخي ، فهل عندك انت شيء ؟ قال : نعم عندي ثمرة خبأتها منك لفراخي ، قالت : فخذ انت ثمرة و آخذ انا جرادتي ونعرض لسليمان فنهديها له فانه رجل يحب الهدية فأخذ الثمرة في منقاره وأخذت هي الجرادة في رجليها ، ثم تعرضوا لسليمان فلما رأها وهو على عرشه بسط يده لها فأقبلا فوقع الذكر على اليمين والأنتى على اليسار وسألها عن حالها فأخبراه فقبل هديتها وجنب جنده عنها وعن بيضها ومسح على رأسها ودعا لها بالبركة فحدثت الفنزعة على رأسها من مسحة سليمان (ع) .

وكان سليمان إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيء إلى المساكين ويقعد معهم ويقول : مسكين مع المساكين . وكان مع ما فيه من الملك يلبس الشعر وإذا جنه الليل شد يديه إلى عنقه فلا يزال قائماً حتى يصبح باكياً ، وكان قوته من عمله بسفائف الخوص يعملها بيده ، وإنما سأل الملك ليقهر به ملوك الكفر .

دفع شبهة البخل والاحتكار

عن سليمان (ع)

قال تعالى حكاية عن سليمان : « قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي » (١) .

في كتاب معاني الأخبار وعلل التشريع باسناده إلى علي بن يقطين قال : قلت لأبي الحسن (ع) : أيجوز ان يكون نبي الله بخيلاً ؟ فقال (ع) : لا قلت

فقول سليمان (ع) : رب اغفر لي وهب لي ملكا... الخ ، ما وجهه ومعناه .
فقال (ع) : الملك ملكان ملك مأخوذ بالغلبة والجور وإجبار الناس ،
وملك مأخوذ من قبل الله تعالى ذكره ، كملك آل ابراهيم ، وملك طالوت ،
وذي القرنين وسليمان ، فقال سليمان : رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي
اي ليس مأخوذاً بالقهر والغلبة والجور وإجبار الناس ، فسخر الله له الريح تجري
بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر ، وسخر له الشياطين كل بناء
وغواص وعلم منطلق الطير ومكن في الأرض ، وان ملكه لا يشبه ملك الملوك الذين
ملكوا باختيار الناس لهم ولا الذين ملكوا بالاجبار والغلبة .

وهناك اجوبة اخرى كذلل انه طلب معجزة له تخصه كما لسائر الأنبياء من
العصا لموسى وإحياء الموتى لعيسى وغير ذلك من الأجوبة تركناها روماً للاختصار
وروي عن النبي (ص) انه قال : عرض لي الشيطان ليفسد علي صلاتي
فأمكنني الله منه فأردت ان اوثقه فتذكرت قول سليمان : رب هب لي ملكا لا ينبغي
لأحد من بعدي ولو اوثقته لشاركت سليمان في حبس الشياطين .

ثم قال تعالى : « وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفثت (١) فيه غم
القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً » .

يحكم سليمان طبق الواقع

قيل في معنى الحرث : إنه زرع وقعت فيه الغم ليلاً فأكلته ، وقيل :
كان كرمياً وقد بدت عنا قيده ، فحكم داود (ع) بالغنم لصاحب الكرم .
فقال سليمان (ع) : غير هذا يا نبي الله ، قال : وما ذاك ؟ قال : يدفع

(١) أي تفرقت فيه ليلاً .

الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه - أي يعمل باصلاحه حتى يعود كما كان -
وتدفع الغنم إلى صاحب الزرع ، فيصيب منها حتى إذا عاد الكرم كما كان ، ثم
يدفع كل واحد منهما إلى صاحبه ماله .

عن ابن مسعود وذكر ذلك ايضاً عن ابي جعفر (ع) وابي عبدالله (ع)
وقال الجبائي : اوحى الله الى سليمان (ع) بما نسخ به حكم داود (ع) الذي كان
يحكم به ، وقيل غير ذلك وقيل : إن سليمان قضى بذلك وهو ابن احدى عشرة سنة
وروي عن النبي (ص) انه قضى بحفظ المواشي على اربابها ليلا وقضى
بحفظ الحرث على اربابه نهاراً ، ثم يعني سبحانه على كل واحد منهما بقوله : وكلا
آتيناه حكماً وعلماً - أي حكمة - وقيل : معناه النبوة وعلم الدين والشرع .

امتحان سليمان (ع)

قال تعالى : « ولقد فتننا سليمان وأقمينا على كرسيه جسداً ثم أناب » (١)
إن الله تعالى لطيف بعباده يلفتهم عند وهم الذنب وشبهة المعصية كي
لا يتساحموا فتكاثروا عليهم ، فيصعب حينئذ إزالتها .

وقرب منه ما يترامى في بادي النظر من بعض الآيات من انه قد صدر
من الأنبياء بعض الذنوب كمثل قوله تعالى في حق سليمان (ع) في مقامنا هذا ثم
أناب ، وقوله بعد ذلك : فغفرنا له ذلك وما أشبهه .

فإن الأكثر فيه انهم ربما فعلوا غير الأولى ، ومع ذلك فهو امتحان لهم
واختبار بمعنى إظهار ما هم عليه من التصميم على طاعة الله ، وعدم الخروج عن
حدوده ولو بالمندوب ، لذا تراهم يتداركون ذلك على الفور بالاستغفار واللجوء
إلى الله تعالى .

قوله : ولقد فتننا سليمان ، اي اختبرناه وابتليناه وشددنا المحنة عليه بأن ألقينا على كرسیه - اي سبينا ذلك - جسداً ، اي طرحنا عليه جسداً والجسد الذي لا روح فيه .

واختلف العلماء في زلته وفتنته وفي الجسد الذي ألقى على كرسیه على اقوال (احدها) ان سليمان قال يوماً في مجلسه : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله ، ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق ولد ، روي عن النبي (ص) ثم قال (ص) : فوالذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً ، فالجسد الذي ألقى على كرسیه هو هذا الشق حيث لم يجسروا على اخباره بل أقوه على كرسیه عند ولادته ، لأنه ميت ومشوه ، فتدارك امره بالانابة ووزع الى الصلاة والدعاء على وجه الانقطاع .

(ثانيها) ان الجن والشياطين لما ولد لسليمان ابن قال بعضهم لبعض : إن عاش له ولد لنتقين منه ما اقمنا من سليمان ابيه من البلاء ، فأشفق منهم عليه فأسترضه في المزن (١) ، فلم يشعر إلا وقد وضع على كرسیه ميتاً تنبيهاً له على ان الحذر لا يدفع القدر ، فموتب على خوفه من الشياطين .

كما نقل ان احد الأنبياء مر على طائر فوجده يضحك فقال له : مم تضحك قال : من هؤلاء الذين ينصبون لي نخفاً ليصطادوني وانا انظر اليهم .
فمضى النبي لحاجته ثم رجع فوجد الطائر في وسط الفخ فقال له : كيف وقعت وكنت على حذر ؟ فقال الطائر : اسكت يا نبي الله إذا جاء القدر عمي البصر (ثالثها) انه ولد له ولد ميت جسداً بلا روح ، فألقى على كرسیه خوفاً منه من ان يعلموه .

(رابعها) انه جسد سليمان نفسه لمرض امتحنه الله تعالى به شديد وتقدير الكلام وألقينا منه على كرسية جسداً لشدة المرض الذي به فكأنه جسد لا روح فيه من باب التجريد والعرب تقول للانسان إذا كان ضعيفاً هو جسد بلا روح . وقد ذكرت وجوه أخرى فضلنا تركها ، لأنها لا تناسب مقام النبوة .

و خلاصة المقام

هي ان كلما ينزل الله تعالى بعبده مما يتراعى انه أذى وضرر فهو خير منه ولطف كما ينزل الطبيب الدواء الموع في فم المريض لقصد شفاؤه من مرضه الجسماني فكذلك ربنا لشفائنا من المرض الروحاني .

قال تعالى : « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته » (١) .

ولكل بداية نهاية

قيل : إن سليمان (ع) كان يعتكف في مسجد بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل وأكثر يدخل فيه طعامه وشرابه ويتعبد فيه .

فلما كان في المرة التي مات فيها لم يكن يصبح يوماً إلا وتنبت شجرة كان يسألها سليمان فتخبره عن اسمها ونفعها وضررها ، فرأى يوماً نباتاً فقال : ما اسمك ؟ قال : الخرنوب قال : لأي شيء انت ؟ قال : للخراب ، فعلم انه سيموت .

وقد ورد ان الله ملكا ينادي في السماء بكل ليلة ثلاث نداءات منها : يدوا للموت وابنوا للخراب .

فعند ذلك قال سليمان (ع) : اللهم عممي على الجن موتي ليعلم الانس انهم لا يعلمون الغيب ، وكان قد بقي من بنائه سنة وقال لأهله : لا تخبروا الجن بموتي حتى يفرغوا من بنائه .

ودخل محرابه وقام متكئاً على عصاه فمات وبقي سنة وتم البناء ثم سلط الله على منسأته الأرضة حتى أكلتها فخر ميتاً فعرف الجن موته وكانوا يحسبونه حياً لما كانوا يشاهدونه قائماً ، لأنه كان في قبة من زجاج تربي ما في بطنها .

وروى ابو بصير عن ابي جعفر (ع) قال : إن سليمان أمر الشياطين ان يعملوا له قبة من قوارير فبينما هو قائم متكئ على عصاه في القبة ينظر الى عمل الجن وهم ينظرون اليه ولا يصلونه ، وإذا رجل معه في القبة فقال : من انت ؟ قال : انا الذي لا اقبل الرشى ولا أهاب الملوك ، فقبضه وهو قائم متكئ على عصاه في القبة ، فمكثوا سنة يعملون له حتى بعث الله الأرضة فأكلت منسأته (١) .

وفي حديث آخر عن ابي عبدالله (ع) كان آصف يدبر أمره حتى دبت الأرضة ، قال تعالى : فلما خر - اي سقط ميتاً - تبيذت الجن وظهر وانكشف ان لو كانوا يعلمون الغيب كما كان الناس وسائر الجن يتوهمون ذلك ، وان رؤساء الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ، وهو الأعمال الشاقة .

وذكر اهل التاريخ ان عمر سليمان كان ثلاثاً وخمسين سنة ، مدة ملكه منها اربعون سنة وابتدأ في بناية بيت المقدس لأربع سنين مضيئة من ملكه .

حياة سليمان (ع) عبرة وموته عبرة

من فوائد إعطائه ملكاً معدوم النظر تسلية فقراء المؤمنين ، بأن الحكمة إذا اقتضت التوسعة على المؤمن تنجزت .

ومن فوائد إعطائه الملك انه إرهاب للكافر ودفع للوهم ، بأن الدنيا جزماً له (١) ، بل ان ذلك منوط بالمصلحة وهي في علم الله تعالى ، فان اقتضت إعطاءها للمؤمن إعطاها إياه ، كما قد أعطاها لسليمان .

ومن فوائده العبرة بموته بهذه الكيفية المخصوصة ، ليعلم ان من حضر أجله لا يؤخر ابدأ ، ولو كان لأخر سليمان (ع) مع جلالته وعظمته ، وعلى الأقل لا كمال مشروعه بناء بيت المقدس .

ومن فوائد موته بهذه الكيفية ، لأن يعلم عدم علم الجن الغيب وانهم في ادعائهم ذلك كاذبون كما نطقت الآية بذلك ، ومنها إتمام البناء كما هو مذكور في نصوصه (ع) .

سليمان (ع) في آخر نفس من حياته

فلنأخذ نظرة دقيقة عن حكمة الله تعالى وعدالته ايضاً في اختيار انبيائه وأوصيائهم على سائر خلقه وجعلهم سفراءه اليهم ونحو بلهم أمر رعايتهم وهدايتهم من آخر حاجة لسليمان بأخر لحظة من حياته يطلبها من ربه ، ألا وهي ان يعمي موته على الجن ليعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب .

وكيف يدافع عن التوحيد بدفع وهم الشرك بأعلى ما عنده ، وهي اللحظة الأخيرة من عزيز حياته غير مشفع لطلبه من ربه وهو الكريم بحاجة أخرى تخصه عليه السلام .

إذا تعقلنا قوله سبحانه : الله اعلم حيث يجعل رسالته تعقلاً جلياً بل حسياً وهكذا اوصياء الأنبياء لو سمحنا بشيء من اوقاتنا لتتبع اقوالهم وسيرة حياتهم الشريفة ، لانكشفت لنا سرائرهم اللطيفة .

أترى ان الحسين بن علي (ع) يبكي بلحظته الأخيرة من عمره الشريف خوفاً وجبناً ، وهذا ما لا يتوهمه حتى اعدائه وهو ابي الضيم .
 نعم يبكي بالغريزة التي انطبع عليها من الرحمة والرافة بعباد الله . حيث قد تحقق بتلك الآونة . وفيها التصميم من الجميع على قتله ، وانه حجة الله على خلقه خلودهم في النار ومعصية الجبار ، وانه الشرك منهم في التحقيق ، حيث قدموا طاعة المخلوق على طاعة الخالق . فهو اعظم من الشرك ، لأنه عزل للخالق رأساً .
 كما ان تضحياته الغريبة الشكل ، هي منبعثة عن الحكمة في خططه الحربية الفاتحة ولو بعد حين ، ككيفية شهادة الرضيع ، وطلب الماء له علناً ، وقوله : إن كان ذنب للكبار فما ذنب الصغار ، فإنه خط حربي قاض على ملك بني أمية باظهار ما تكنه نفوسهم الخبيثة من العداة العريق لآل بيت الرسول يظهره الى العالم كله ليقطع بذلك عليهم الطريق بالاعتذار عن قتله (ع) بأنه اراد تفريق الأمة ، إذاً فما دخل قتل الرضيع في ذلك وان يقتل عطشاناً على الخصوص ، نعم قد اظهر عليه السلام للعالم بمحسوس اعمالهم ان ذلك منهم قد كان للتشفي من جده الرسول الأعظم لما فعل بأشياخهم يوم بدر وغيره .

ومن تضحياته الغريبة حملة النساء مع علمه انها تسبي ، وهو الغيور روعي فداه فهو خط آخر قد حافظ به على ثمرات المعركة . وكل به نتائج الجهاد والتضحية ، وناهيك من ذلك الخطب الرائعة من بنات سيد البلغاء امير المؤمنين عليه السلام في الكوفة والشام باحتفالهم العام . فلم تبق لهم اي نظام والتثام ، ومنه تشكلت الجمعيات السرية ثم العلنية ، لهدم عروش ملك بني أمية ، وإلى غير ذلك من خفايا مقاصده وأسرار جهاده عليه السلام .

القرآن الكريم يثني على لقمان

قال الله تعالى : « ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر الله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » (١) .

اي اعطيناه العقل والعلم والعمل به والاصابة في الأمور .
واختلف فيه فقيل : كان حكيماً ولم يكن نبياً ، وقيل : كان نبياً وفسروا الحكمة في كلام الله تعالى بالنبوة ، وقيل : انه كان عبداً اسوداً حبشياً غليظ المشافر مشقوق الرجلين في زمن داود (ع) .

وقال له بعض الناس : ألسنت كنت ترعى معنا ؟ فقال : نعم ، فقال : فمن اين أوتيت ما أرى ؟ قال : قدر الله ، وأداء الأمانة ، وصدق الحديث ، والصمت عما لا يعنيني . وقيل : كان ابن أخت أيوب (ع) . وقيل : ابن خالته .

وروي عن نافع عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : حقاً اقول : لم يكن لقمان نبياً ، ولكن كان عبداً كثير التفكير حسن اليقين أحب الله فأجبه ومن عليه بالحكمة كان نائماً نصف النهار إذ جاءه نداء يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق ، فأجاب الصوت ان خيرني ربي قبلت العافية ، ولم اقبل البلاء ، وان عزم علي فسمعاً وطاعة ، فاني اعلم انه ان فعل بي ذلك أعانني وعصمني ، فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لقمان : لم يا لقمان ؟ قال : لأن الحكم اشد المنازل وأكدها ، يغشاه الظلم من كل مكان ان وقى فبالحري ان ينجو ، وان اخطأ اخطأ طريق الجنة ، ومن يكن في الدنيا ذليلاً وفي

(١) سورة لقمان الآية ١٢ و ١٣ .

الآخرة شريفاً ، خير من ان يكون في الدنيا شريفاً وفي الآخرة ذليلاً ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتت الدنيا ولا يصيب الآخرة .

فتعجبت الملائكة من حسن منطقته ، فنام نومة فأعطي الحكمة فغشاه بها من قرنه إلى قدمه فانتبه يتكلم بها وهو احكم اهل زمانه ، وأعطي داود الاخلافة وابتلي بالخطأ والفتنة .

ثم كان يوازر داود (ع) بحكمته فقال له داود : طوبى لك يا لقمان اعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى .

وقال ابو عبدالله (ع) : والله ما أوتي لقمان الحكمة لحسب ولا مال ولا اهل ولا بسط في جسم ولا جمال ، ولكنه كان رجلاً قوياً في امر الله متورعاً في الله ساكناً سكيناً عميق النظر طويل التفكير حديد البصر لم ينم نهراً قط ولم يتكى في مجلس قوم قط ، ولم يتفل في مجلس قوم قط ، ولم يعبث بشيء قط ، ولم يره احد من الناس على بول ولا غائط قط ، ولا على اغتسال لشدة تستره وتحفظه في امره ولم يضحك من شيء قط ، ولم يغضب قط ، مخافة الائم في دينه ولم يمازح انساناً قط ، ولم يفرح بما أوتيته من الدنيا ولا حزن على شيء منها قط وقد نكح من النساء وولد له الأولاد الكثيرة ، وقدم اكثرهم إفراطاً فما بكى على موت احد منهم ولم يمر بين رجلين يقتتلان او يتخاصمان إلا أصلح بينهما ولم يعض عنها حتى يحاجزا ، ولم يسمع قولاً استحسنه من احد قط إلا سأله عن تفسيره وعمن اخذه ، وكان يكثر مجالسة الفقهاء والعلماء والحكام ، وكان يفتش القضاة والملوك والسلاطين ، فيرثي للقضاة بما ابتلوا به ، ويرحم الملوك والسلاطين لعزتهم بالله وطمأنينتهم في ذلك ، ويتعلم ما يغلب به نفسه ويجاهد به هواه ويحترز من السلطان ، وكان يداوي قلبه بالتفكير ونفسه بالعبر وكان لا يظمن (١) إلا فيما ينفعه ولا ينظر إلا فيما يعنيه ، فبذلك أوتي الحكمة ومنح القضية .

(١) وفي نسخة لا يتكلم .

بالامكان لكل انسان ان يكون لقمان

هذا ابو لقمان وهو نبينا محمد (ص) وهذا اخوه وهو إمامنا الصادق (ع) يوصفانه لنا بكل ما هو عليه وما هو فيه ، ويوضحان لنا اسباب استحقاقه لاختيار الله تعالى له ظرفاً لحكمته وحكيما خلقته ، وهما وان شرحا ووضحا والقصد به نحن غير ان كل ذلك يعود إلى ضبطه لنفسه وسحقه لشهوته ونظمه لثباته ، وهذا ايضاً يعود إلى تمام معرفته لربه وانه المحتاج اليه اولا والمنعم ثانياً وقد حكم في كل ذلك عقله وعمل وفق إرشاده .

واي فرد منا ذوي العقل واللب لا يمكنه ذلك ، وهل ان لقمان كان ذا نسب رفيع وليس لنا مثله ، او ذا مال وليس لنا مثله ، او ذا جمال او او... لو كانت هي اسباب رفعته وليس لنا مثلها ، بل كما قال امير المؤمنين (ع) : وإنما هي نفسي أروضا... الخ .

تراثه العظيم وخيره العميم

يخذو حذو اسلافه ويبتدى* وصيته لولده وكلنا ولده بالدعوة إلى التوحيد بقوله : يا بني لا تشرك بالله بل وحده ، حيث هو الواحد الأحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ان الشرك لظلم عظيم ، لأنه ترك ما وجب عليه من معرفة التوحيد فكان ظالماً إضافة إلى ظلمه نفسه ، حيث قد استوجب بالشرك الخلود في النار ، وقد ذكر في التوحيد ما يعني عن التعليق في هذا المقام .
ثم إنه تعالى يوصيه بالشكر على ما آتاه من الحكمة مبيناً العلة بقوله :

ومن يشكر فأنا يشكر لنفسه - اي من يشكر نعمة من انعم عليه - لأن ثواب شكره عائد عليه بالنسبة إلى الآخرة ويستحق مزيد النعمة في الدنيا والزيادة الحاصلة بالشكر تكون له ايضاً ، فإذا كما قال تعالى : ومن يشكر فأنا يشكر لنفسه .

وقد ورد في لزوم الشكر وحسنه الكثير من الأخبار ، ففي أمالي الشيخ عن ابي عبدالله (ع) واشكروا من أنعم عليكم ، وأنعموا على من شكركم فانكم إذا كنتم كذلك استوجبتم من الله الزيادة ومن اخوانكم المناصحة ، ثم تلا قوله تعالى : لئن شكرتم لأزيدنكم ... الخ .

الشكر ذاك ثمر ونتاج فعلي

في الكافي عن السجاد (ع) ان الله يحب كل قلب حزين ويحب كل عبد شكور ، يقول الله تعالى لعبد من عبده يوم القيامة : أشكرت فلاناً فيقول : بل شكرتك يا رب ، فيقول : لم تشكرني إذا لم تشكره ، ثم قال (ع) : أشكركم لله . أشكركم للناس .

وفي أمالي الشيخ عن النبي (ص) يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله عز وجل فيؤمر به إلى النار فيقول : رب أمرت بي إلى النار وقد قرأت القرآن فيقول الله : اي عبدي اني أنعمت عليك ولم تشكر نعمتي . فيقول : اي رب انعمت علي بكذا وشكرتك بكذا وانعمت علي بكذا وشكرتك بكذا فلا يزال يحصي النعمة ، ويعدد الشكر فيقول الله : صدقت عبدي ، إلا انك لم تشكر من اجريت لك النعمة على يديه واني آليت على نفسي ان لا اقبل شكر عبد لنعمة انعمتها عليه حتى يشكر من ساقها من خلقي اليه .

وفي الفقيه عنه (ص) لا يشكر الله من لا يشكر الناس ، وفيه ايضاً واما

حق المعروف عليك ، فإن تشكره وتذكر معروفه وتكسيه المقالة الحسنة وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عز وجل فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّاً وعلانية .
وفي عيون اخبار الرضا (ع) من لم يشكر النعم من المخلوقين ، لم يشكر الله عز وجل .

وفي الكافي عن امير المؤمنين (ع) من صنع بمثل ما صنع اليه ، فكأنما كافاه ومن أضعف كان شكوراً ومن شكر كان كريماً .

وقال الصادق (ع) : من قصرت يده عن المكافاة فليظل لسانه بالشكر .
وفي الكافي عنه (ص) مكتوب في النوراة اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك فإنه لا زوال للنعماء إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت الشكر زيادة في النعم وأمان من الغير (١) .

وفي الصحيفة السجادية في دعاء الاستعاذة قوله (ع) : وترك الشكر لمن اصطنع العارفة الينا .

وفي شرحها للجرائري لعن الله قاطمي طريق المعروف وهو الرجل يحسن إلى الرجل فيترك شكره فيترك ذلك البار بره مرة ثانية فيسبب قطع المعروف .
وقد فهمنا من مجموع هذه التعاليم ان الله تعالى أزم بالشكر حباً منه لتنظيم عباده واستقامة امورهم وهو يتوقف على مساعدة البعض للبعض وبالشكر تتابع المساعدات ويسير امر المعاش بسهولة وانتظام .

شكر الوالدين عدل شكر الخالق تعالى

قال الله تعالى : « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنأ على وهن .
وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك وإلي المصير وان جاهدك على ان تشرك
بي ما ليس لك به علم فلا تطعمها وصاحبها في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب
إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » (١) .

لما قدم سبحانه الأمر بشكر نعمته أتبعه بوجوب شكر الوالدين ، لأن
نعمتهما عليه اعظم من نعمة غيرهما بعده تعالى ، ومعنى وصينا هنا أمرنا وقرن
شكرها بشكره ، لأنه الخالق المذمى ، وهما السبب في الانشاء وحسن التربية .
ثم بين زيادة نعمة الأم بأن حملته وهنأ على وهن ، اي ضعفاً وأذى على
ضعف وأذى ، اي نطفة الوالد على نطفة الأم ، فكلمتا ازدادت ضعفاً وجهداً
على ضعفها السابق .

وفصاله في عامين ، اي فطامه من الرضاع فتلحقها المشقة بذلك إضافة إلى
مشقة الحمل ، وقوله تعالى : ان اشكر لي ولوالديك ، تفسير لقوله : ووصينا فشكر
الله عز وجل بالحمد وشكرها بالبر والصلة ، ثم قال تعالى : وإلي المصير ، لا يخفى
ما فيه من التهديد ، ثم يستثنى من وجوب طاعتها ما إذا كان طلبها الشرك بالله
سبحانه مع الرفق بهما في الأمور الدنيوية ، وان وجبت مخالفتها في الأمور الدينية
وحيث لا يجوز إطاعتها في ذلك أمر باتباع وسلوك طريقة من رجع إلى طاعته
وأقبل عليه بقلبه وهو النبي (ص) وأوصياؤه والمؤمنون بقوله : واتبع سبيل من
اناب إلي . ثم بين بقوله : ثم إلي مرجعكم ... الخ ، ان اعمالكم تحت الضبط
عنده تعالى واخباركم بها وجزاؤكم عليها عند المرجع والمنقلب اليه بعد الموت المحتم

نعود الى حكاية الله تعالى وصية لقمان لابنه

يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السماوات
او في الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير ، اي ان فعلة الانسان من خير او
شر وان كانت في الوزن مقدار حبة خردل (١) وفي بيان غموضها يقول في صخرة
اي في بطنها والمراد الجبل العظيم لأن الحبة فيها أخفى وأبعد عن الاستخراج
وذكر السماوات والأرض بعدها على سبيل التأكيد .

وروي ان ابن لقمان سأل اياه فقال : أرأيت الحبة تكون في مقل (٢)
البحر أيعلمها الله فأجابه بالأخفى والأشد ان الله لطيف باستخراجها خبير بمسئرها
يا بني أقم الصلاة ، اي أدها في وقتها جامعة لشرائعها وأمر بالمعروف وهو
الطاعة وأنه عن المنكر وهو كل معصية وقبيح شرعاً وعقلاً .

واصبر على ما اصابك من المشقة والأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر ، ومن شدائد الدنيا ومكاريها من الأمراض وغيرها ، ان ذلك اي الصبر
من عزم الأمور والثبات في الارادة لفعل الحسن بدل القبيح والتوطين للنفس على
فعله وهو افضل من التلون في الرأي ، وقيل : إن العزم هو القوة والحزم هو الحذر
ومنه المثل لا خير في عزم بغير حزم ، وقيل : إن الحزم هو التأهب للأمر والعزم
هو النفاذ فيه .

ثم قال : ولا تصعر (٣) خدك للناس ، اي لا تمل بوجهك عنهم تكبراً

(١) الخردل نبات ري يضرب بحبه المثل في الصن ووجه أسود (٢) أي مفاص البحر

(٣) وأصل الصعر التمس الذي يأخذ الابل في رؤوسها وأعناقها فتميل بأعناقها

فتظهر وجه التشبيه .

ولا تعرض عن يكلمك استخفافاً ، ولا تمش في الأرض مرحاً - اي بطراً وخيلاً .
ان الله لا يحب كل مختال فخور ، اي متكبر وخور على الناس واقصد في مشيك
اي ليكن مشيك على سكينه ووقار ، واغضض من صوتك ، اي لا تجهر به كل
الجهر ولا ترفعه متطاولا به ان انكر الأصوات لصوت الحمير ، اي اقبحها فلا
تشبه به اوله زفير وآخره شهيق .

وروي عن زيد بن علي (ع) انه اراد صوت الحمير من الناس وهم الجهال
شبههم بالحمير كما شبههم بالأنعام في قوله تعالى : اولئك كالأنعام ، ثم ذكر سبحانه
نعمه على خلقه ونبيهم على معرفتها فقال : اولم يروا ان الله سخر لكم ما في
السموات من الشمس والقمر والنجوم وما في الأرض من الحيوان والنبات وغير ذلك
ما تفتنون به وتحيون وأسبغ عليكم نعمه ، اي وأتم عليكم نعمه ظاهرة وباطنة
فالظاهرة ما لا يمكن جرده من خلقكم وإحيائكم وإقذاركم وخلق الشهوة فيكم
وغيرها من ضروب النعم والباطنة ما لا يعرفها إلا من أمعن النظر فيها .

وقيل : الباطنة مصالح الدين والدنيا مما يعلمه الله وغاب علمه عن العباد .

وعن ابن عباس قال : سألت النبي (ص) عنه فقال (ص) : يا ابن عباس اما
ما ظهر فالاسلام وما تسوى من خلقك ، وما أفاض عليك من الرزق ، واما ما باطن
فستر مساوي عملمك ولم يفضحك به ، يا ابن عباس ان الله يقول : ثلاثة جعلتهن
للمؤمن ولم تكن له صلاة المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله ، وجعلت له ثلث
ماله اكفر به عنه خطاياها والثالث سترت عليه مساوي عمله ولم أفضحه بشيء منه
ولو أبديتها عليه لنبذ اهله فمن سواهم .

وقيل : الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة ، ولذا ورد عن الرسول
الأعظم انه قال : أتيتمكم بالشريعة السمحاء .

وقيل : الظاهرة نعم الدنيا ، والباطنة نعم الآخرة ، وقيل : الظاهرة نعم

الجوارح والباطنة نعم القلب ، وقيل : الظاهرة ظهور الاسلام والنصر والباطنة الأمداد بالملائكة ، وقيل : الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء والباطنة المعرفة ، وقيل : الظاهرة القرآن والباطنة تأويله ومعانيه .
وقال الباقر (ع) : الظاهرة النبي (ص) وما جاء به من معرفة الله وتوحيده واما النعمة الباطنة فولایتنا اهل البيت وعقد مودتنا .
ولا تنافي بين هذه الأقوال إذ كلها نعم الله تعالى ويجوز حمل الآية عليها جميعها بدون إشكال ، اسكن الاشكال بإيجاد شكرها .

لقمان حكيم من بدئه

ذكر ان مولاه دعاه فقال : اذبح شاة وأتني بأطيب مضغتين منها فذبح شاة وأتاه بالقلب واللسان .
ثم أمره بمثل ذلك وان يخرط منها اخبث مضغتين ، فأخرج القلب واللسان فسأله عن ذلك فقال : هما اطيب شي * إذا طابا وأخبث شي * إذا خبثا .
وقيل : إن مولاه دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس على الحاجة يفجع منه التكبد ويورث منه البامور ويصعد الحرارة إلى الرأس فأجلس هوناً وقم هوناً ، قال : فكتب حكته على الحش .
وقال عبدالله بن دينار قدم لقمان من سفر فلقيه غلامه في الطريق فقال له : ما فعل ابي ؟ قال : مات ، قال : ملكت امرتي ، قال : ما فعلت أمتي ؟ قال : ماتت قال : جدد فراشي ، قال : ما فعلت اختي ؟ قال : ماتت ، قال : سترت عورتني قال : ما فعل اخي ؟ قال : مات قال : انقطع ظهري .
وقيل للقمان : أي الناس شر ؟ قال : الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيئاً .

قيل له : ما أقبح وجهك ؟ قال : تعيب على النقش او على الناقش .
وفي كتاب من لا يحضره الفقيه قال لقمان لابنه : يا بني ان الدنيا بحر عميق
قد هلك فيها عالم كثير فاجعل سفينةك فيها الايمان بالله واجعل شراعها التوكل على
الله واجعل زادك فيها التقوى ، فان موجات فبرحمته وان هلكت فبذنوبك .
وقد وعظ ابنه حتى تفتطر واتشق وكان يوجه الخطاب له وهو قاصد جميع
عباد الله تعالى .

منها قال : يا بني انك منذ سقطت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة
فدار انت اليها تسير اقرب اليك من دار انت عنها متباعد .
يا بني جالس العلماء وزاحمهم بر كبتك ولا تجادلهم فيمنعوك وخذ من
الدنيا بلاغاً ولا ترفضها فتكون عيالاً وصم صوماً يقطع شهواتك ولا تصم صوماً
يمنعك من الصلاة فان الصلاة أحب إلى الله من الصيام .
يا بني ان تأدبت صغيراً انتفعت به كبيراً ، ومنه ضرب المثل العلم في الصغر
كالنقش في الحجر .

يا بني خف الله خوفاً لو أتيت يوم القيامة ببر الثقلين خفت ان يعذبك
وارج الله رجاء لو واقبت القيامة بذنوب الثقلين رجوت ان يغفر الله لك فقال له
ابنه : وكيف أطيق هذا وأنا في قلب واحد ؟ فقال : يا بني لو استخرج قلب
المؤمن فشق لوجد فيه نوران نور للخوف ونور للرجاء لو وزنا ما رجع احدهما
على الآخر مثقال ذرة .

يا بني لا تركز إلى الدنيا ولا تشغل قلبك بها ، فما خلق الله خلقاً هو
أهون عليه منها ، ألا ترى انه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين ولم يجعل بلاها
عقوبة للعاصين .

وعن ابي عبد الله (ع) قال : كان فيما اوصى به لقمان ابنه ناتان ان قال له :

يا بني ليكن مما تتسلح به على عدوك فتصرعه الماسحة (١) وإعلان الرضا عنه ولا
تزاوله بالمجانبة فيه فيبدو له ما في نفسك فيتأهب لك .

يا بني اني حملت الجندل والحديد وكل حمل ثقيل فلم احمل شيئاً اقل من
جار السوء وذقت المرارات كلها فلم اذق شيئاً أسمر من الفقر .

يا بني اتخذ الف صديق وألف قليل ولا تأخذ عدواً واحداً والواحد
كثير ، فقال امير المؤمنين (ع) في ذلك :

تكثر من الاخوان ما اسطعت انهم عماد إذا ما استنجدوا وظهور
وليس كثير الف خل وصاحب وان عدواً واحداً لكثير

وقال امير المؤمنين (ع) كان فيما وعظ به لقمان ابنه ان قال له : يا بني
ليعتبر من قصر يقينه وضعفت نيته في طلب الرزق ان الله تبارك وتعالى خلقه في
ثلاثة احوال : الأولى في رحم أمه يرزقه هناك في قرار مكين ، حيث لا يؤذيه
حر ولا برد ثم اخرجه ثانياً من ذلك وأجرى له رزقاً من لبن أمه يكفيه به ويربيه
من غير حول به ولا قوة ثم فطم من ذلك فأجرى ثالثاً له رزقاً من كسب ابويه
ورأفة له من قلوبهما لا يملكان غير ذلك حتى انهما يؤثرانه على انفسهما في احوال
كثيرة حتى إذا كبر وعقل واكتسب ضاق به أمره وظن الظنون بربه وجحد
الحقوق في ماله وقتل على نفسه وعياله مخافة إقتار رزق وسوء يقين بالخلف من الله
له في العاجل والآجل فبئس العبد هذا يا بني .

ثم قال : يا بني ان تك في شك من الموت فادفع من نفسك النوم ولن
تستطيع ذلك وان كنت في شك من البعث فادفع عن نفسك الانتباه ولن تستطيع
ذلك فانك إذا فكرت في ذلك علمت ان نفسك بيد غيرك وان النوم بمنزلة الموت
وإنما اليقظة بمنزلة البعث بعد الموت .

يا بني لا تقترب فيكون أبعدك ولا تبعد فتهمان كل دابة تحب مثلها
وابن آدم لا يحب مثله لا تنشر برك إلا عند باغيه .
يا بني لا تتخذ الجاهل رسولا فان لم تصب عاقلا حكيمًا يكون رسولك فكن
انت رسول نفسك .

يا بني فإذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخرها لشيء وصلها واسترح منها فإنها
دين وصل في جماعة ولو على رأس زج (١) .

ومن حكمته انه قال . يا بني ان الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق
ما جمعوا ولا من جمعوا له وإنما انت عبد مستأجر قد أمرت بعمل ووعدت عليه
أجرًا فأوف عمالك واستوف أجرك ولا تك في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في
زرع اخضر فأكلت حتى سممت فكان حتفها عند سمئها ولكن اجعل الدنيا بمنزلة
قنطرة على نهر جزت عليها وتركها ولم ترجع اليها آخر الدهر أخربها ولا تعمرها
فانك لم تؤمر بمارتها ، واعلم انك ستسأل غدًا إذا وقعت بين يدي الله عز وجل
عن اربع شبابك فيما أبليتة ، وعمرك فيما أفنيتة ومالك مما اكتسبته وفيما أنفقته
فتأهب لذلك وأعد له جواباً .

يا بني تعلمت سبعة آلاف من الحكمة فأحفظ منها اربعاً وسر معي إلى
الجنة إحكم سفيزتك فان بحرك عميق وخفف حملك فان العقبة كؤود (٢) وأكثر
الزاد فان السفر بعيد وأخلص العمل فان الناقد بصير .

يا بني اتعظ بالناس قبل ان يتعظ الناس بك ، يا بني اتعظ بالصغير قبل ان
ينزل بك الكبير . يا بني إملك نفسك عند الغضب حتى لا تكون لجهنم حظياً .
يا بني إياك ان تخرج من الدنيا فقيراً وتدع أمرك وأموالك عند غيرك
قيماً فتصيره أميراً .

(١) أي رأس الرع وهو كناية عن ضيق المكان . (٢) ضيقة

يا بني ان الله رهن الناس بأعمالهم فويل لهم مما كسبت ايديهم وأقنعتهم .
يا بني لا تأمن الدنيا من الذنوب والشيطان فيها ، يا بني اجعل الدنيا سجنك
فتكون الآخرة جنتك .

يا بني إنك لم تكلف ان تشيل الجبال ولم تكلف مالا تطيقه فلا تحمل البلاء
على كتفك ولا تذبج نفسك بيدك .
يا بني إنك كما تزرع تحصد وكما تعمل تجيد ، يا بني لا تجاور الملوك
فيقتلوك ولا تطعمهم فتكفر .

يا بني الوحدة خير من صاحب السوء ، يا بني الصاحب الصالح خير
من الوحدة ، يا بني إني نقلت الحجارة والحديد فلم اجد انقل من قرين السوء ،
يا بني المحسن تكافى باحسانه والمسيء يكفيك مساويه لو جهدت ان تفعل به اكثر
مما يفعله بنفسه ما قدرت عليه ، يا بني المؤمن تظلمه ولا يظلمك وتطلب عليه
فيرضى عنك والفاسق لا يراقب الله فكيف يراقبك .

يا بني كيف ينام ابن آدم والموت يطلبه وكيف يغفل ولا يغفل عنه ، يا بني
لا تشتم الناس فتكون انت الذي شتمت ابويك .
يا بني انك مدرج في اكفانك ومحل قبرك ومعابن عمك كله ، يا بني
كيف تسكن دار من قد أسخطته أم كيف تجاور من قد عصيته .
يا بني عليك بما يعينك ودع عنك ما لا يعينك فان القليل منها يكفيك
والكثير منها لا يعينك .

يا بني لا تؤثرن على نفسك سواها ولا تورث مالك أعداءك ، يا بني انه
قد أحصي الحرام القليل فكيف بالحرام الكثير .
يا بني إتق النظر إلى مالا تملكه وأطل التفكير في ملكوت السموات والأرض
والجبال وما خلق الله . فكفى بهذا واعظاً لقلبك .

في بيان التنزيل لابن شهر آشوب قال : أول ما ظهر من حكم لقمان ان
تاجراً سكر وخاطر نديمه ان يشرب ماء البحر كله وإلا سلم اليه ماله وأهله .
فلما أصبح وصحا ندم وجعل صاحبه يطالبه بذلك فقال لقمان : أنا اخلصك
بشرط ان لا تعود الى مثله قل له : اشرب ماء الذي كان فيه وقت إذ فاتني به او
اشرب ماء الآن فسد افواهه لأشربه او اشرب الماء الذي يأتي به فأصبر حتى يأتي
فأمسك صاحبه عنه .

وقال المسعودي : كان لقمان نوبياً مولى لليقين بن حر ولد على عشر سنين
من ملك داود (ع) وكان عبداً صالحاً ومن الله عليه بالحكمة ولم يزل في فيافي
الأرض مظهراً للحكمة والزهد في هذا العالم الى ايام يونس بن متى حتى بعث إلى
اهل نينوى من بلاد الموصل .

وعن الأوزاعي ان لقمان الحكيم لما خرج من بلاده نزل بقرية بالموصل
يقال لها كومليس قال : فلما ضاق بها ذرعه واشتد بها غمه ولم يكن بها احد يعينه
على أمره أغلق عليه بابه وأدخل ابنه يعظه فقال : يا بني إن الدنيا بحر عميق... الخ

في فضل قراءة سورة لقمان

عن النبي (ص) من قرأ سورة لقمان كان لقمان له رفيقاً يوم القيامة وأعطى
من الحسنات عشرأ بعدد من عمل بالمعروف وعمل بالمنكر .

وعن ابي جعفر (ع) من قرأ سورة لقمان في كل ليلة وكل الله به في ليلته
ثلاثين ملكاً يحفظونه من إبليس وجنوده حتى يصبح فان قرأها بالنهار لم يزالوا
يحفظونه من إبليس وجنوده حتى يمسي .

ومن المعلوم ان المراد بقراءتها المستزمنة لصحبة لقمان الأخذ بوصاياه ذبها

كي يكون من جنسه وبنضم إلى حزبه فيكون في القيامة رفيقه وفي الجنة صحيبه. وبالأخير وخاتمة هذا الاكسير ان الآخذ بهذه النصائح والمجتنبي لئام هذه اللثالي، تترفع ذاته عن نقائص الصفات وتتصاعد روحه إلى اوج السماوات منضمة إلى المسبحات وكل ذلك كما ذكرناه مراراً يعود إلى ملاك قهر النفس وتذليلها وصرافها عن خسيس شهواتها ورذيل غاياتها راجين من المولى جل شأنه المعونة عليها وان لا يكون هم الانسان إلا طلب رضى ربه ، اما رضى الناس فانه بالاضافة إلى انه غير مجد لو لم يقرن برضاء الله غير ممكن ايضاً كما اوضح ذلك لقمان لابنه بقصة الحمار حيث ركباه معاً ومرا على جماعة فلغتابوها ونزلا منه وتركاه يمشي ومرا على جماعة فلغتابوها وركب هو وترك ابنه يمشي فلغتابوها وأركب ابنه ومشى فكذلك .

الله تعالى يختار موسى (ع) مبلغاً

قال الله تعالى : « وهل أتيتك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا اني آنست ناراً لعلي آتيتكم منها بقبس او أجده على النار هدى فلما أتيتها نودي يا موسى اني انا ربك فأخضع لعليتك انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى اني انا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إلى قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى » (١) .

القصة

قصة موسى (ع) معلومة وقد ذكرها القرآن الكريم مفصلة سواء كان في خفاء حمله وولادته رغم الرقابة الشديدة من طاغوت زمانه فرعون او وضعه في التابوت (١) وإلقائه في البحر والتقاط آل فرعون له وتريديتهم له بأنفسهم بكفالة المؤمنة آسية زوجة فرعون وإلقاء محبته في القلوب ثم هربه بعد إرادتهم قتله برعاية الله له لا غير ثم إيواه شعيب له وتزويجه ابنته ثم سفره منه بعد انقضاء الشرط وهي الحجج ومفارقة مدين مع زوجته وهي حامل .

قال ابن عباس : وكان موسى غيوراً لا يصحب الرفقة لثلاثي زوجته وكانت على أتان وعلى ظهرها جوالق ومعه غنم له وفي الجوالق أثاث البيت فأضل الطريق في ليلة مظلمة وتفرقت ماشيته ولم ينفذ زنده وامراته في الطلق .

فلما آنس (٢) ناراً قال لأهله امكثوا (٣) لعلني أقتبس من النار شيئاً فصطلي بها او أجد هناك هادياً يدلني على الطريق ، لأن النار لا تحلوا من اهل فلما توجه إلى النار فاذا هي في شجرة فوقف متمجباً من حسن ضوء تلك النار وشدة خضرة الشجرة فنودي اني انا ربك فأجاب سريعاً ما يدري من دعاه ، فقال : اني اسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين انت ؟

فقال : أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك لا ينبغي إلا لربه عز وجل وأيقن به وإنما حصل له العلم بذلك للمعجز وخرق العادة الذي رآه حيث رأى شجرة خضراء من اسفلها إلى اعلاها تتوقد فيها نار

(١) صندوق منقذ . (٢) رأى . (٣) إلزموا مكانكم والملك

لا يدوم والاقامة تدوم .

بيضاء وسمع تسبيح الملائكة حولها ولم تكن الخضره تطفى النار ولا النار تحرق الخضره ثم امره تعالى بخلع نعليه لأنها من جلد حمار ميت او ليباشر بقدميه الأرض فتصيبه بركة الواد المقدس او للتواضع او لأمنه من الأنجاس والحشرات مما دعاه إلى الاعتعال بهما على اختلاف الأقوال في ذلك ، ولعل قوله تعالى : إنك بالواد المقدس طوى يرجح الوسطين ، وتلك كلها ارهاصات ومقدمات ودلائل للنبوته ، ثم يأتيه التعمين الصريح من قبله عز وجل بقوله : وانا اخترتك ، اي اصطفيتك بالرسالة فاستمع لما يوحى اليك من كلامي واصنع اليه وثبت .

التوحيد هو الاساس للصين

لما بشره تعالى بالنبوته أمره بالاستماع لما يوحى اليه تمهيداً وتنبهاً على اهمية ما سيوحى اليه فهو ينتظر بكل حواسه الكلمة الأولى منه تعالى ، وإذا هو يقول جل ذكره :

إني انا الله لا إله إلا انا ، اي لا إله ولا معبود يستحق العبادة غيري كما هو مفاد الحصر الصريح ، ثم بعد التوحيد يأمره بالعبادة بقوله : فأعبدني ويفسرها بقوله : وأقم الصلاة لذكري طالباً منه التطبيق على نفسه اولاً ، والتبليغ لقومه ثانياً ، ولذا قيل : خذ العظة من المتعظ والعبرة من المعتبر .

نادرة زمانه

ذكر ان مملوكا عجز عن خدمة مولاه فجاه إلى مرشد زمانه حيث كان مالكة ملازماً لمنبر وعظه وطلب منه التكلم في مجلس ذلك اليوم بأجر العتق وثوابه

لعل مولاه يسمح بعثته ويبقى المملوك يترقب صدور اي كلمة منه في ذلك فلم يكن فيشك في الواعظ الجليل ويتهمه بعدم الاعتناء به لضعفه ويمضي على ذلك ما يقارب الشهرين فيشرع الشيخ التقي باستحباب العتق وعظيم اجره ولم يذته مجلس الوعظ إلا والمملوك حر ، قد أجريت صيغة عتقه بحضرة العالم فيستوهبه المملوك من سوء ظنه فيه بالتأخير فيجيبه قدس سره ان موعظة الواعظ لا تصل القلب ما لم يكن قد طبقها على نفسه اولاً وحيث لم يصدر مني عتق مملوك فاستخدمت المدة الماضية لتوفير ثمنه واشتريته قبل يوم وأعتقته لوجه الله تعالى وابتدأت الوعظ. يوفي هذا في الذي طلبت .

ومن هذا ورد عظم الناس بفعلك قبل قولك ، فلذا تجد التعاليم السماوية والآداب الالهية بالنسبة الى الأنبياء كلها تطبيقية ولم يبعث الله نبياً إلا وسبق علمه بامتحانه واختباره بأنه سيطبق ما يأمره به اولاً ، ثم التبليغ والوعظ والارشاد ثانياً .

وقد ورد انه تعالى لم يرسل ذا كتاب إلا بعد ان يرعى الغنم مدة حتى إذا تحمل مداراة الحيوانات أرسله الى الناس .

فذكر ان موسى (ع) كان يرعى غنماً فانهزم من الغنم كبش فتبعه موسى يومه كله في رؤوس الجبال صاعداً وهابطاً فتعب موسى فلما قبض عليه قبله في وجهه وقال : لقد أتعبتك ، فلما وصل الى هذه الدرجة من الحنان بخلق الله استحق رعايتهم .

اما ما لاقاه (ع) من فرعون من الشدائد والوعيد بالقتل والتصميم على قتله أخيراً في سبيل الدعوة الى التوحيد حتى خرج خائفاً يترقب على حد تعبير القرآن الكريم فنوكله الى بيانات الكتاب العزيز حيث قد تفنن بقصها على العباد بعدة تعابير ، وكذلك ترك ما جرى بينه وبين فرعون وأعوانه عندما بعث (ع)

اليه بالدلائل الباهرات والبراهين القاهرات وإيمان سحرته رغم تهديدهم بالصلب ، ثم اتباعه بجنوده بعد خروجه ببني إسرائيل وخوفهم الشديد عند رؤيتهم وقوله لهم الناشئ عن صحة العقيدة : إن معي ربي سيهدين وعلى أثر ذلك تنشق لهم الطرق في البحر بواسطة الضرب بالعصا وهلاك فرعون و جنوده . ثم ضلال بني إسرائيل بالعجل وغضبه على هارون عندما ذهب لمناجاة ربه تعالى ورجوعه ، ووجدهم يعبدون العجل ، وإلى آخر امهم تترك ذلك كله خوف الاطالة وتلتقط من احواله (ع) ما يرتبط بموضوع الكتاب من العبر فنقول :

العجب يؤل بصاحبه الى النزول

قال الله تعالى : « وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقياً فلما بلغنا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداً ما لنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً قال أرأيت اذ آوينا الى الصخرة فأنى نسيت الحوت وما انسانيه إلا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً » (١) .

النزول

قال علي بن ابراهيم في تفسيره : لما اخبر رسول الله (ص) قريشاً بخبر اهل الكهف قالوا : اخبرنا عن العالم الذي امر الله موسى (ع) ان يتبعه من هو ؟ وكيف تبعه ؟ وما قصته ؟ فأنزل الله تعالى ذلك .

واكثر المفسرين على انه موسى بن عمران (ع) وفتاه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب ، وسماه فتاه لانه صحبه ولازمه سفرأ وحضراً لتعلم منه ، وقيل : كان يخدمه ولهذا قال له موسى : آتنا غداً .
وقيل : ان اهل الكتاب يقولون : هو موسى بن ميثا بن يوسف وكان نبياً في بني اسرائيل قبل موسى بن عمران ، إلا ان الذي عليه الجمهور هو ابن عمران ، ولأن اطلاق الآية يوجب صرفه اليه (ع) (١) .

القصة

عن ابن عباس قال : أخبرني أبي بن كعب قال : خطبنا رسول الله (ص) فقال : ان موسى (ع) قام خطيباً في بني اسرائيل بعد ان كلمه الله تكليماً وانزل عليه الألواح فيها من كل شيء موعظة .
فسئل اي الناس اعلم ؟ قال : انا ، فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه (٢)
فأوحى الله الى جبرئيل أدرك موسى فقد هلك واعلمه ان لي عبداً بمجمع البحرين هو اعلم منك ، فدخله الرعب وقال (ع) : يا رب فكيف لي به ؟ قال تعالى :
تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكمل ثم انطلق .

الايمان الكامل يسدن صاحبه

كيف ترى الكليم (ع) عندما داخله شبه العجب يتراجع عند اول تنبيهه يدركه من أطفاف ربه كي لا يتزايد به الى ما يصعب زواله ويتحمل مشاق السفر
(١) لم ذلك من أهل الكتاب دفاعاً عن نبهم (ع) . (٢) أي إلى الله تعالى

لمواجهة ذلك العالم واستكشاف مقدراته العلمية متنزلاً له بقوله (ع) : هل اتبعك على ان تعلمني ... الخ ، كما سيأتي تفصيلها .

وانطلق معه فتاه حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رأسيهما فناما واضطرب الحوت في المسكتل ، وخرج منه فسقط في البحر وأخذ سبيله سرباً (١) وقيل : توضاً (٢) يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ، ووئب في الماء وقيل : غسله ، ومعنى سرباً - اي مسلكا - لأن الماء كان ينشق له ويحمد من خلفه فبقي مسلكا وطريقاً في وسط الماء ، ونسي يوشع ان يخبر موسى (ع) بما شاهده من أمر السمكة كما انه نسي السمكة نفسها ونسي موسى (ع) ان يسأله عنها .

المعنى قال موسى ليوشع : لا أبرح ، اي لا ازال أمضي وأمشي ولا أسلك طريقاً آخر حتى ابلغ ملتقى البحرين (٣) او امضي حقياً ، اي دهرأ طويلاً ، وقيل : إن المراد سبعين سنة ، وقيل : ثمانين ، وهو كناية عن عزمه على الوصول إلى مرامه وهو لقاء الخضر ، فلما بلغا مجمع بينهما ، اي الموضع الذي يجتمع فيه رأس البحرين ، فلما جاوزا ، اي انطلقا ببقية يومهما وليلتها حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداً ما لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ، اي تعباً .

قال النبي (ص) : ولم يجد موسى التعب حتى جاوز المكان الذي أمر الله به وقالوا : ألقى الله تعالى الجوع على موسى ليتذكر أمر الحوت فقال له يوشع : رأيت إذ آوينا إلى الصخرة ... الخ ، واخبره بما شاهد من العجب من حياة الحوت ومن جود الطريق في الماء ، ثم اعتذر بأن ذلك النسيان من الشيطان بقوله وما انسانيه إلا الشيطان ان اذكره .

فعندها قال موسى ذلك : ما كنا نبع ، اي ما نطلب ونريد من العلامة

(١) معجزة من الله تعالى لموسى والخضر . (٢) اعله بعد انقباهه من النوم

فلا ممارسة . (٣) أي بحر فارس وبحر الروم .

وهو الرجل العالم ورجعا يقصان أثر مسيرها حتى انتهيا الى مدخل الحوت فوجدا عبداً من عبادنا قائماً على الصخرة يصلي وهو الخضر واسمه بلياً ، وقيل : الياس وقيل : تاليا بن ملكان بن عابر او عامر بن ارخشد بن سام بن نوح ، وكان في ايام افريدون ، وكان على مقدمة ذي القرنين وبقي الى ايام موسى ، لأنه حظى بعين الحياة في سفره مع اسكندر ورجع حينئذ اسكندر وقد كان في طلبها لأنه علم ان الذي يشرب منها واحد لا غير ، فلما شرب منها الخضر واغتسل فيها ايس ذو القرنين وعلم ان صاحبها هو الخضر ، وانما سمي خضراً لأنه كان اذا صلى في مكان اخضر ما حوله .

وروي انه صلى على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء ، وكانت معجزته من الله سبحانه لا يجلس على خشبة يابسة ولا ارض بيضاء إلا اهتزت خضراً .
واختلف فيه فقال بعض : كان ملكاً أمر الله موسى ان يأخذ عنه ما سمعه الله إياه من بواطن الأشياء .

وقال الأكترون : كان من البشر ثم اختلفوا ، فقال بعضهم : كان نبياً وانه ارسل الى قومه ودعاهم الى التوحيد والاقرار بالانبياء والرسل والكتب وحجة هذا القائل انه لا يجوز ان يتبع النبي وهو موسى (ع) من ليس بنبي .
وقال بعض : إنه عبد صالح اودعه الله من علم باطن الأمور ما لم يودعه غيره ، والجواب عن الحجة ان موسى (ع) أعلم من الخضر في العلوم التي يؤديها الى العباد من قبل الله تعالى من الأحكام اصولاً وفروعاً ، والخضر اعلم من موسى ببواطن الأمور ، وبذلك يبطل قول من يعمل بالقياس ، لأن موسى مع علمه بالأحكام لم يتمكن ان يستخرج احكام ما فعله الخضر ، وفي نظره انه فعل محرماً لأن الاحاطة بالحكم والمصالح لا تكون إلا لله تعالى وحده .
والأحكام ربما يتراعى في بادىء النظر انها متناقضة كما في فعل الخضر ،

حيث كانت بحسب الظاهر محرمة وفي الباطن كانت صالحة وواجبة ، فقصرت يد من يستخرج احكام الله تعالى بعقله وقياسه .

واما معنى قوله تعالى : آتيناه رحمة من عندنا - يعني النبوة - وقيل : طول العمر ، وعلمناه من لدنا علماً - اي علماً من علم الغيب - .

وقال الصادق (ع) : كان عنده علم لم يكتب لموسى في الألواح ، وكان موسى يظن ان جميع الأشياء وجميع العلم قد كتب له فيها ، وقيل : وجداه مسجى بشوب . وقيل : كان يصلي وانتظره موسى الى ان فرغ فسلم موسى عليه فقال : وأنى بأرضك السلام ، قال : أنا موسى . قال : موسى بني إسرائيل ، قال : نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشداً ، وقيل : إن الخضر ابتدأه وقال : انت موسى بني إسرائيل ، قال : من أعلمك باسمي ؟ قال : الذي ذلك على مكاني .

قيمة العمل عند أهله

قال قتادة : فلو كان احد مكثفياً من العلم لا كنتي نحي الله موسى واسكنه عندما علم بأن الخضر قد علم ما لم يعلم تنزل وقال : هل أتبعك ، الآية ، فمطمعه بهذا القول غاية التعظيم حيث أضاف العلم اليه ورضي باتباعه والرشد هو العلوم الدينية التي ترشد الى الحق ، وقيل : هو الألفاظ الدينية التي تخفى على الناس . نعم هكذا ينبغي ان يتأدب الطالب أمام معلمه كي يحصل على مقصوده وإنا لنستعمل هذا بدافع الطبيعة وبدون مرشد ، فيما إذا كان مطلوبنا المال وأمور الدنيا ترانا كيف نتأدب أمام صاحب المال ونخضع له غاية الخضوع والذل والتعظيم بل وحتى في حالة عدم أمل المال منه مع ان العلم آمن من المال فالعقل حاكم بوجوب التضحية في طلبه أضغاث تضحياتنا لطلب المال .

واما قوله : إنك لن تستطيع معي صبراً ، فشرحها ومعناها انه قد ذكر في قصص الأنبياء (١) انه اختلف يونس وهشام في العالم الذي أتاه موسى أيها كان اعلم ، وهل يجوز ان يكون حجة على من هو حجة الله على خلقه في وقته ؟ فقال : تاسم الصيقل ، فكتبوا إلى ابي الحسن الرضا (ع) عن ذلك فكتب في الجواب أتى موسى إلى العالم في جزيرة من جزائر البحر إما جالساً وإما متكئاً فسلم عليه موسى فأنكر السلام إذ كان بأرض ليس فيها سلام فقال : من أنت ؟ قال : أنا موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليماً ، جئت لتعلمني مما علمت رشداً . قال : إني وكنت بأمر لا تطيقه ، ثم حدثه العالم بما يصيب آل محمد عليهم السلام من البلاء حتى اشتد بكاؤها ثم حدثه عن فضل آل محمد حتى جعل موسى يقول : يا ليتني كنت من آل محمد حتى ذكر فلاناً وفلاناً ومبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وما يلقي منهم ومن تكذيبهم إياه وذكر له تأويل هذه الآية ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة حين أخذ عليهم الميثاق فقال الخضر : إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ، اي يشغل عليك الصبر ولا يخف ، ولم يرد انه لا يقدر على الصبر أصلاً وإنما قال له ذلك لأن موسى كان يأخذ الأمور على ظواهرها والخضر كان يحكم بما أعلمه الله من بواطنها فلا يسهل على موسى مشاهدة ذلك منه .

ثم أعطاه العهد بالصبر إذا شاء الله وعدم عصيانه في اي أمر من الأمور قال الزجاج وفيما فعله موسى وهو كليم الله من طلب العلم والرحلة فيه مما يدل على انه لا ينبغي لأحد ترك طلب العلم ، وان كان في نظره قد بلغ نهايته ، وانه يجب ان يتواضع لمن هو اعلم منه .

فلما خرقت السفينة عندما سمح لهما صاحبها بالركوب دون أجره ، لأنه عرف

الخضر ، وقيل : إنه قلع منها لوحين مما يلي الماء فدخلها الماء وغضب موسى وحشاها بثوبه وقال منكرأ عليه : أخرقتها لتغرق أهلها ولم يقل لتغرق وان كان في غرقها غرق جميعهم ، لأنه (ع) أشفق على القوم أكثر من إشفاقه على نفسه جرياً على عادة الأنبياء ، ولهذا نجد نبينا نبي الرحمة عند اشتداد أذى قومه له يدعو لهم بدل ان يدعو عليهم ويقول : اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون كيف يستدفع عنهم العذاب وان عصيانهم يا رب عن جهل لا عن تمرد ، كما تقدم ذلك فيجيبه الخضر الم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً ، فيتذكر موسى ما بذل له من الشرط فيقول له معتذراً : لا تؤاخذني بما نسيت ولا تعاملني بالعسر فانطلقا فلحقيا الغلام وكان يلعب مع الصبيان ، وقد كان حسن الوجه في أذنيه درتان فتأمله الخضر فذبجه بالسكين ، وقيل : صرعه ثم نزع رأسه من جسده ، وقيل : ضربه برجله فقتله ، وقيل : إن موسى وثب على الخضر وجلده به الأرض وقال : أقتلت نفساً زكية - اي بريئة من الذنوب - لقد جئت شيئاً نكراً - اي فضيماً - لا يعرف في شرع ، وانما قال ذلك لأن قلبه صار كالمغلوب عليه لما رأى من قتله وكيفيةه ايضاً ، فأجابه الم أقل لك انك لن تستطيع معي صبراً .

فيقول موسى (ع) حينئذ : ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً ، وهذا إقرار منه بأن الخضر قد قدم اليه ما يوجب العذر وروي عن النبي (ص) انه قال : استحي نبي الله موسى ولو صبر لرأى ألفاً من الأعاجيب .

فلما أتيا أهل القرية بالعشي وهي إنطاكية ، وقيل : إيلة ، وقيل : الناصرة وبها سميت النصارى نصارى استطعما اهلها .

وعن النبي (ص) انهم كانوا لثاماً فأبوا ان يضيفوها فوجدا جداراً يريد ان ينقض - اي مشرفاً على الانهدام - فوضع الخضر يده عليه وقال : قم باذن الله تعالى

فقام فعندها قال موسى : لو شئت لآخذت عليه أجراً ومعناه انه لم ينبغ ان تقيم الجدار حتى يطعمونا و يروونا ، فقال له الخضر : هذا فراق بيني وبينك .

الكشف عن أسرار الاحكام

قال له الخضر : سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً - اي بتفسير الأشياء التي لم تستطع على الامساك عن السؤال عنها صبراً - .
 اما السفينة فسبب خرقها لها ان ملكا كان يأخذ كل سفينة يجدها حاجة له بها فأعبتها ليجدها الملك غير صالحة للاستعمال فيتركها ثم يرقعها اهلها بلوح من خشب ويستعملونها حيث كانت هي سبب معيشتهم فكان خرقها لصالحهم .
 واما الغلام فقد طبع على الكفر ونظرت ذلك في جبينه ، وكان أبواه مؤمنين فعلم الله انه ان بقي يرهقها طغياناً وكفراً ، اي يحملها على ذلك ويباشر ما لا يمكنها منعه منه فيحملها على الذب عنه والدفع والتعصب له فيؤدي ذلك إلى إيجاوزتها الحدود ، وقد أعطاهما الله عوضه ما هو خير منه ديناً وطهارة وأقرب رحماً ، أي اوصل بالرحم وأبر بالوالدين .

ومن المعلوم انها فرحا به يوم ولد و حزنا عليه يوم قتل ولو عاش كان فيه مهلكتها فالأفضل لكل مؤمن الرضا بما قسم الله ، فان قضاء الله تعالى للمؤمن خير من قضائه لنفسه ، وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم .

وروي انها أبدلا عن الغلام جارية ولدت سبعين نبياً عن ابي عبدالله (ع) وقيل : إنها تزوجت نبياً فولدت له نبياً هدى الله على يديه أمة من الأمم .
 وفي أمره سبحانه الخضر بقتل الغلام دليل على وجوب اللطف كما ذهب اليه الامامية وانه إذا علم من حال إنسان انه يفسد عند عروض شيء لديه فيجب

عليه تعالى بقاعدة اللطف إزالة ذلك الشيء عنه كي لا يقع في الفساد إلا إذا كان
الإنسان يفسد حتى لو أزال ذلك الشيء عنه حينئذ يوكل إلى نفسه وضلاله ،
وهذا احد المعاني لقوله تعالى : « فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء » (١) .
واما الجدار فكان لبقيمين في تلك القرية فأقمنه حيث كان تحته كنز لها .
قيل : كانت صحف علم مدفونة تحته ، وقيل : كان ذهباً وفضة . وقيل : كان
لوحاً من ذهب مكتوب فيه هذه الكلمات :

عجيباً لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن عجيباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب عجيباً
لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجيباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل عجيباً لمن يرى
الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها . لا إله إلا الله محمد رسول الله (ص) ،
وهذا يجمع القولين من العلم والذهب .

وكان أبوهما صالحاً قد بين سبحانه ان حفظ الغلامين بصلاح أبيهما .
وعن ابي عبدالله (ع) كان بين الغلامين وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء .
وقيل : سبعين ، وقيل : سبعمائة عام .

وقال رسول الله (ص) : إن الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد
ولده وأهل دويرته ودويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله تعالى
فأراد الله ان يبلغا الرشيد ويستخرجا كنزها حيث ان الجدار علامته
وبانعدامه يذهب الكنز .

الخضر يدفع الشبهة باعترافه بالنقص وعدم العلم الذاتي

فيقول : وما فعلته عن أمري . اي من قبل نفسي وانما فعلته بأمر الله تعالى ، قال ابن عباس يريد انكشف لي علم من الله فعملت به ، فاذا الحمد كله لله تعالى والعلم كله منه سبحانه .

سر يتولد من سر

قيل : إن في خرق الخضر للسفينة وقتل الغلام وإقام الجدار إشارات من الله تعالى لموسى (ع) إلى من سبقه عليه منه سبحانه نبيه عليها وعلى مقدارها من الفضل .

ذكره بخرق السفينة انه حفظه في الماء حين ألقته أمه في التابوت وألقت التابوت في اليم فهو الذي يحفظهم في السفينة ، وذكره بقتل الغلام ، انه قد قتل رجلا في الله عز وجل ، وكانت تلك زلة عظيمة عند من لم يعلم أن موسى نبي فذكره منته عليه حين دفع عنه كيد من اراد قتله ، واما إقامة الجدار بغير أجر ذكره فضله عليه في ابنتي شعيب حين سقى لها وهو جائع قد طوى ثلاثة ايام في هربه من فرعون ولم يتبع على ذلك أجراً مع حاجته الى الطعام فنبهه على ذلك ليكون شاكراً مسروراً .

ومن الأمور التي ينبغي التنبيه لها من سيرة موسى (ع) هو ان موسى اختار من قومه سبعين رجلاً لميقات ربه فلم يصبروا بعد سماع كلام الله تعالى حتى

تجاوزوا الحد بقرهولهم : لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم
فأتوا ولو اختارهم الله لعصمهم ، ولما اختار الله تعالى من يعلم منه تجاوز الحد فاذا
لم يصلح موسى (ع) للاختيار مع فضله ومجده ، فكيف تصلح الأمة للاختيار
الامام بآرائها .

وتم كيف يصلحون لاستنباط الأحكام بالقياس وبمقولههم الناقصة وآرائهم
المختلفة ، والحال ان موسى مع مقامه من العلم ، لم يتمكن من استخراج أحكام
ما فعله الخضر كما ذكرناه سابقاً تعالى الله عن الرضا باختيارهم علواً كبيراً .
وان مثل أفعال امير المؤمنين (ع) كمثل أفاعيل الخضر وهي حكمة وصواب
وان جهل الناس وجهها .

ففي علل الشرائع عن عباية الأسدي قال : كان عبدالله بن عباس جالساً على
شفير زمزم يتحدث الناس ، فلما فرغ من حديثه أتاه رجل فسلم عليه ، ثم قال :
يا عبدالله إني رجل من اهل الشام ، فقال أعوان كل ظالم إلا من عصم الله منكم
سل عما بدا لك . فقال : يا عبدالله جئتك أسألك عن قتل علي بن ابي طالب من
أهل لا إله إلا الله لم يكفروا بصلاة ولا بحج ولا بصوم شهر رمضان ولا بزكاة
فقال له عبدالله : تكلمت أمك سل عما يعنيك ، ودع ما لا يعنيك ، فقال :
ما جئتك من حمص للحج ولا للعمرة واسكن لتشرح لي أمر علي بن ابي طالب
وفعاله ، فقال : ويلك ان علم العالم لا تحتمله ولا تقر به القلوب الصدية .

أخبرك ان علي بن ابي طالب (ع) كان مثله في هذه الأمة كمثل موسى
والعالم وذلك ان الله قال في كتابه : يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي
وبكلامي نخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين (١) وكتبنا له في الألواح من كل
شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء ، فكان موسى يرى ان الأشياء اجمع قد أثبتت

له كما ترون انتم ان علماءكم قد أنبتوا جميع الأشياء ، فلما انتهى موسى الى ساحل البحر فلقى العالم فاستنطق موسى ليصل علمه ولم يحسده .

واما انتم حسدتم علياً وانكرتم فضله ، فقال موسى : هل أتبعك على ان تعلمني مما علمت رشداً فعلم العالم ان موسى لا يطيق صحبته ولا يصبر على علمه ، فقال : إنك لن تستطيع معي صبراً ... الخ ، فخرق العالم السفينة وكان خرقها لله عز وجل وأسخط موسى ذلك ، ولنا قال له اخيراً : وما فعلته عن أمري .

فكذلك علي بن ابي طالب (ع) لم يقتل من قتل إلا الله تعالى فيه رضاً ولأهل الجهالة من الناس سخطاً .

وفي الكافي عن ابي عبدالله (ع) قال : لما أقام العالم الجدار أوحى الله الى موسى اني مجاز الأبناء بسعي الآباء ان خيراً فخير وإن شراً فشر لا تزنوا فتزني نساءكم ومن وطأ فراش امرأة مسلم وطئ فراشه كما تدين تدان .

وعنه (ع) ان موسى حين اراد ان يفارق الخضر قال له : اوصني فكان مما اوصاه ان قال له : إياك واللجاجة او ان تمشي في غير حاجة او ان تضحك من غير تعجب واذكر خطيئتك وإياك وخطايا الناس .

وقال علي بن ابراهيم لما اسري برسول الله (ص) إلى السماء وجد في طريقه ريحاً مثل ريح المسك الأذفر فسأل جبرئيل عنها فقال : إنها تخرج من بيت عذب فيه قوم في الله حتى ماتوا .

فيما يخص نشأة الخضر

تم قال جبرئيل له (ص) : إن الخضر كان من ابناء الملوك فآمن بالله وتخلّى في بيت ابيه يعبد الله ولم يكن لأبيه ولد غيره فأشاروا على ابيه ان يزوجه لعل الله

ان يرزقه ولداً ، فيكون الملك فيه وفي عقبه ، فخطب له امرأة بكرأ وأدخلها عليه فلم يلتفت اليها ، فلما كان اليوم الثاني قال لها : تمكينين على امرى ، فقالت نعم ، قال لها : إن سألك ابى أهل كان منى اليك ما يكون من الرجال الى النساء فقولي : نعم ، قالت : افعل فسأها الملك عن ذلك فقالت : نعم وشارت عليه الناس ان يأمر النساء ان يفتشنها فكانت على حالتها فقالوا : ايها الملك زوجت الغر من الغرة (١) زوجه امرأة ثيبة فزوجه ، فلما دخلت عليه سأها الخضر ان تكتم عليه فقالت : نعم ، فلما ان سأها الملك قالت : إن ابنك امرأة فهل تلد المرأة من المرأة ؟ فغضب عليه فأمر بردم الباب عليه فردم ، فلما كان اليوم الثالث حر كته رقة الآباء ، فأمر بفتح الباب ففتح فلم يجدوه فيه فأعطاه الله من القوة ان يتصور كيف شاء .

ثم كان على مقدمة ذي القرنين ، وشرب من الماء الذي من شرب منه بقي إلى الصبيحة قال : فخرج من مدينة ابيه رجلان في التجارة في البحر حتى وقعا الى جزيرة فوجدوا فيها الخضر قائماً يصلي ، فلما انقلا سألها عن خبرها فأخبراه فقال لها : هل تكتمان على امرى ان أنا رددتكما الى منازلكما في يومكما ؟ فقالا : نعم فنوى احدهما ان يكتم ونوى الآخر إن رده الى منزله ان يخبر أباه فدعا الخضر سحابة فقال : احملني هذين الى منازلها فحملتها السحابة حتى وضعتها من يومها فكتم أحدهما وذهب الآخر الى الملك فأخبره بخبره ، فقال له الملك : من يشهد لك بذلك ، قال : فلان التاجر فدل على صاحبه فبعث الملك اليه ، فأنكره وأنكر معرفته ، فقال الأول : ايها الملك ابعث معي خيلا الى هذه الجزيرة واحبس هذا حتى آتيك بابنك فبعث معه خيلا فلم يجده فأطلق عن الرجل الذي كتم عليه .

ثم ان القوم عملوا بالمعاصي فأهلكهم الله ، وجعل مدينتهم عاليها سافلها

(١) أي الغافل من العاقلة .

وابتدرت الجارية التي كتعت عليه أمره والرجل الذي كتتم عليه أمره كل واحد منها ناحية من المدينة ، فلما أصبحا التقيا فأخبر كل واحد منهما صاحبه بخبره فقالا : ما نجونا إلا بذلك ، فآمنا برب الخضر وحسن إيمانها ، وتزوج بها الرجل ووقعا الى مملكة ملك آخر وتوصلت الأمراة الى بيت الملك ، وكانت تزين بنت الملك ، فبينما هي تمشطها يوماً إذ سقط المشط من يدها ، فقالت : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقالت لها بنت الملك : ألك إله غير أبي ؟ فقالت : نعم وإلهك وإله ابيك فدخلت على ابيها وأخبرته بما سمعت من المرأة فدعاها الملك وسألها عن خبرها فأخبرته ، فقال لها : من ذلك على دينك ؟ قالت : زوجي وولدي ، فدعاهم وأمرهم بالرجوع عن التوحيد فأبوا عليه ، فدعا بمرجل من ماء وسخنه وأقام فيه وأدخلهم بيتاً وهدم عليهم البيت ، ثم قال جبرئيل لرسول الله (ص) فهذه الراحة التي تشمها من ذلك البيت .

الخضر في حياته

في الخصال بسنده عن الرضا (ع) ان الخضر شرب من ماء الحياة فهو حي لا يموت حتى ينفخ في الصور . وانه لياًتينا فيسلم علينا فنسمع صوته ولا نرى شخصه وانه ليحضر حيث ذكر فمن ذكره فليسلم عليه وانه ليحضر المواسم فيقضي جميع المناسك ويقف بعرفة فيؤمن على دعاء المؤمنين وسيؤنس الله به وحشة فأئمننا في غيبته ويصل به وحدته .

وعنه (ع) لما قبض رسول الله (ص) جاء الخضر فوقف على باب البيت وفيه علي وفاطمة والحسن والحسين (ع) ورسول الله قد سجد بثوب فقال : السلام عليكم يا اهل البيت ، كل نفس ذائقة الموت ، وانما توفون أجوركم يوم

القيامة ان في الله خلفاً من كل هالك وعزاء من كل مصيبة ودركا من كل فائت فتوكلوا عليه وتقوا به واستغفروا لله لي ولكم ، فقال امير المؤمنين (ع) هذا اخي الخضر جاء يعزيكم بنبيكم .

وكذلك في المشهور انه جاء الى قبر أمير المؤمنين (ع) بعد دفنه وزاره بالزيارة المعروفة في يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان ، وأولها السلام عليك يا ابا الحسن ... الخ .

وفي الكافي باسناده الى سيف التمار قال : كنا مع ابي عبد الله (ع) جماعة من الشيعة في الحجر فقال (ع) : علينا عين فالتفتنا بمئة ويسرة فلم نر أحداً فقلنا ليس علينا عين ، فقال : ورب الكعبة ورب البيت ثلاث مرات ، لو كنت بين موسى والخضر (ع) لأخبرتكما اني اعلم منهما ، ولأنبأتكما بما ليس في أيديهما لأن موسى والخضر أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن الى يوم القيامة ، وقد ورثناه من رسول الله (ص) .

وفي رياض الجنان باسناده الى سليمان بن عبد الملك قال : وجد في ذخيرة أحد حواربي عيسى (ع) رق فيه مكتوب بالقلم السرياني منقول من التوراة : ان موسى لما رجع من الخضر الى قومه سأله أخوه هارون عما شاهدته من عجائب البحر .

قال : بينا أنا والخضر على شاطئ البحر اذ سقط بين أيدينا طائر أخذ في منقاره قطرة ورمى بها نحو المشرق ، وأخذ ثانية ورمى بها نحو المغرب ، وثالثة ورمى بها نحو السماء ، ورابعة رماها نحو الأرض ، ثم أخذ خامسة وعاد ألقاها في البحر فبهتتنا لذلك . فسألت الخضر فلم يجب . فاذا نحن بصياد يصطاد فنظر الينا فقال : مالي أراكما في فكر وتمعجب من الطائر قلنا : هو ذاك ، قال : أنا رجل صياد قد علمت وانما نبيان ما تعلمان ، قلنا : لا نعم إلا ما علمنا ربنا

قال : هذا طائر في البحر يسمى مسلم ، لأنه إذا صاح يقول في صياحه : مسلم ، فأشار برمي الماء من منقاره إلى السماء والأرض والمشرق والمغرب ، إلى أنه يبعث نبي بعد كما يملاً أمته المشرق والمغرب ، ويصعد إلى السماء ويدفن في الأرض ، وأما رمي الماء في البحر يقول : إن علم العالم عند علمه (١) مثل هذه القطرة ، وورث علمه وصيه وابن عمه ، فسكن ما كنا فيه من المشاجرة ، واستقل كل واحد منا علمه بعد أن كنا معجبين بأنفسنا ، ثم غاب الصياد عنا ، فعلمنا أنه ملك بعثه الله إلينا ليعرفنا حيث ادعينا الكمال .

وفي كتاب مهج الدعوات . روي أن الخضر والياس يجتمعان في كل موسم ويفترقان عن هذا الدعاء وهو بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة فمن الله ما شاء الله الخير كله بيد الله عز وجل لا يصرف السوء إلا الله .

وفي قصص الأنبياء (٢) في الأمالي عن عبد الله بن سليمان قال : قرأت في بعض كتب الله عز وجل أن ذا القرنين كان عبداً صالحاً جعله الله حجة على عباده ولم يجعله نبياً فمكّن الله له في الأرض وآتاه من كل شيء سبباً ، فوصفت له عين الحياة ، وقيل له : من شرب منها شربة لم يموت حتى يسمع الصيحة ، وقد خرج في طلبها حتى وصل إلى موضع فيه ثلاثمائة وستون عيناً ، فكان الخضر على مقدمته وكان من أحب الناس إليه فأعطاه حوتاً مالحاً ، وأعطى كل واحد من أصحابه حوتاً مالحاً وقال لهم : ليغسل كل رجل منكم حوته عند عين من هذه العيون فانطلقوا وكان الوصول إليها صعباً للظلمة الشديدة التي لا تؤثر فيها المصابيح وانطلق الخضر إلى عين من تلك العيون ، فلما غمس الحوت في الماء حي وانساب في الماء فعلم الخضر أنه قد ظفر بها فرمى بثيابه وسقط في الماء ، فجعل يرتس فيه ويشرب منه فرجع كل واحد منهم إلى ذي القرنين ومعه حوته ورجع الخضر

(١) أي علم النبي محمد (ص) . (٢) لسيد نعمة الله الجزائري ص ٢٤٢ .

وليس معه الحوت فسأله عن قصته فأخبره فقال : أشربت من ذلك الماء ؟ قال :
نعم ، قال : انت صاحبها وانت الذي خلقت لهذه العين فأبشر بطول البقاء في هذه
الدنيا مع الغيبة عن الأبصار إلى النفخ في الصور .

ابن جوع الى موسى (ع)

وعن ابي عبد الله (ع) أوحى الله الى موسى اشكرني حق شكري فقال :
يا رب كيف أشكرك حق شكرك وليس من شكر أشكرك به إلا وأنت أنعمت
به علي فقال : يا موسى شكرتني حق شكري حين علمت ان ذلك مني .
وذكر ان موسى رأى رجلاً تحت ظل العرش فقال : يا رب من هذا الذي
أدنيته حتى جعلته تحت ظل العرش ؟ فقال تعالى : يا موسى هذا لم يعق والديه
ولا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله .
فلنفهم مدى تأثير بر الوالدين وعدم الحسد والقناعة بما يقسم العادل
عز وجل في رفعة المنزلة والقرب من الله ، وان عقوقها وار تكاب الحسد في
التخفيض والبعد عن الله تعالى بتلك النسبة إلى أقصاها من الخفيض .

وصية الله تعالى لموسى (ع)

عن امير المؤمنين (ع) (١) قال : إن الله تبارك وتعالى قال لموسى (ع) :
احفظ وصيتي لك بأربعة اشياء اولهن ما دمت ترى ذنوبك لا تغفر فلا تشغل
بميوب غيرك ، الثانية ما دمت لا ترى كنوزي قد نفدت فلا تغتم بسبب رزقك

الثالثة ما دمت لا ترى زوال ملكي ، فلا ترج أحداً غيري ، الرابعة ما دمت لا ترى الشيطان ميتاً فلا تأمن مكره .

نصائح من عدو لدون

فيها ايضاً قال إبليس : يا موسى لا تحل بامرأة فإنه لا يخلو رجل بامرأة لا تحل له إلا وكنت صاحبه دون اصحابي ، وإياك ان تعاهد الله عهداً فإنه ما عاهد الله أحد إلا وكنت صاحبه دون اصحابي حتى احول بينه وبين الوفاء به ، وإذا هممت بصدقة فامضها فإذا هم العبد بصدقة كنت صاحبه دون اصحابي (١) حتى احول بينه وبينها .

موسى (ع) يخلد النصائح للعباد في مناجاته

في الأمالي باسناده إلى عبد العظيم الحسيني عن ابي الحسن العسكري (ع) قال : لما كلم الله موسى بن عمران (ع) قال موسى : يا إلهي ما جزاء من شهد أني رسولك ونبيك ، وانك كلمتني قال : يا موسى تأتيه ملائكتي فتبشره بجنتي . قال موسى : إلهي فما جزاء من قام بين يديك يصلي ؟ قال : يا موسى أباهي به ملائكتي راكعاً وساجداً وقائماً وقاعداً ، ومن باهت به ملائكتي لم أعذبه . قال : إلهي فما جزاء من صام شهر رمضان لك محتسباً ؟ قال : يا موسى أقيمه يوم القيامة مقاماً لا يخاف فيه . قال : فما جزاء من صام شهر رمضان يريد به الناس ، قال : يا موسى ثوابه كثواب من لم يصمه :

(١) كناية عن ملازمته له واتقاعه عن كل أحد غيره وعدم اعتاده في ذلك على أبائته

قال : إلهي فما جزاء من أتم الوضوء من خشيتك ؟ قال : أبعثه يوم القيامة وله نور بين عينيه يتلألأ .

قال : إلهي فما جزاء من صلى الصلاة بوقتها ؟ قال : أعطيه سؤلي وأبيحه جنتي .

قال : إلهي فما جزاء من دمعت عيناه من خشيتك ؟ قال : يا موسى أقي وجهه من حر النار وأؤمنه من الفزع الأكبر .

قال : إلهي فما جزاء من ذكرك بقلبه ولسانه ؟ قال : يا موسى أظله يوم القيامة بظل عرشي وأجعله في كنفني .

قال : يا إلهي فما جزاء من أحب أهل طاعتك ؟ قال : يا موسى أحرمه على ناري .

قال : إلهي ما لمن تلا حكمتك سرراً وجهرأ ؟ قال : يا موسى يمر على الصراط كالبرق .

ومما قال : إلهي فما جزاء من كف أذاه عن الناس وبذل معروفه لهم ؟ قال : يا موسى تناديه النار يوم القيامة لا سبيل لي عليك .

ومما ناجى به ربه ان قال : إلهي فما جزاء من أطعم مسكيناً ابتغاء وجهك ؟ قال : يا موسى أمر منادياً ينادي يوم القيامة على رؤوس الخلائق ان فلان ابن فلان من عتقاء الله من النار .

قال : إلهي فما جزاء من دعا نفساً كافراً إلى الاسلام ؟ قال : يا موسى أأذن له في الشفاعة يوم القيامة لمن يريد .

قال : يا إلهي فما جزاء من ترك الخيانة حياة منك ؟ قال : يا موسى له الأمان يوم القيامة .

قال : إلهي فما جزاء من وصل رحمه ؟ قال : يا موسى أنسى أجله وأهون

- عليه مسكرات الموت ويناديه خزنة الجنة هلم الينا من أي أبوابها شئت .
قال : إلهي فما جزاء من صبر على أذى الناس وشتهم فيك ؟ قال : أعينه على أهوال يوم القيامة .
قال : إلهي ما لمن عاد مريضاً ؟ قال : أوكل به ملكا يعودُه في قبره إلى محشره .
قال : إلهي ما لمن غسل ميتاً ؟ قال : أخرجه من ذنوبه كما خرج من بطن أمه .
قال : إلهي ما لمن شيع جنازة ؟ قال : أوكل به ملائكة معهم رايات يشيعونه من محشره إلى مقامه .
قال : إلهي ما لمن عزى الثكلى ؟ قال : أظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي .
قال : إلهي ما جزاء من قتل مؤمناً متعمداً ؟ قال : لا أنظر إليه ولا أقبل عثرته .

حكمة الله في عباده

عن ابي عبدالله (ع) قال موسى لهارون : امض بنا إلى جبل طور سيناء ثم خرجا فإذا بيت على باب شجرة عليها ثوبان فقال موسى لهارون : اطرح ثيابك وادخل هذا البيت ، والبس هاتين الخلتين ونم على السرير ففعل هارون فلما ان نام على السرير قبضه الله اليه وارتفع البيت والشجرة ورجع موسى الى بني اسرائيل فأعلمهم ان الله قبض هارون ورفعهُ اليه فقالوا : كذبت انت قتلته ، فشكا موسى ذلك الى ربه فأمر الله الملائكة فأنزلته على سرير بين السماء والأرض حتى رآته بنو اسرائيل فعلموا انه مات فهم يرون انه الوصي من بعده وحكمة الله اقتضت ان يكون الوصي هو يوشع بن نون .

ولهذا في أئمتنا الأملهار نظائر كوفاة اسماعيل ابن الامام الصادق (ع) وهم يرون انه الامام بعد ابيه دون موسى الكاظم (ع) وحكمة الباري قد سبقت في موسى بن جعفر (ع) وصي ابيه والقائم من بعده فيتوفاه الله تعالى في حياة ابيه (ع) إقاعة للحجة ومع إيضاحات الامام (ع) لهم بانزال جنازته سراراً والكشف عن وجهه ليريههم وفاته لا يتركهم الشيطان بل يكيد لهم ويجري كلامه على ألسنتهم ويدعون انه الامام دون اخيه موسى (ع) وهم الاسماعيلية هذه غوايات إبليس لحزبه ومكائده لجنسه ، وكوفاة السيد محمد ابن الامام الهادي (ع) قبل اخيه الحسن العسكري (ع) حيث كان المظنون لشيعته ابيه انه الامام بعد ابيه لجلالة قدره ، ولذا ترى الامام العسكري (ع) يخرج خلف جنازته حاسراً وعلى غير الحالة الاعتيادية له (ع) ليلفت الناس ويؤكد لهم وفاته دفعاً للشبهة ودحراً لابليس لعنه الله في خدائعه ، وان جميع افعالهم حكم وان تأخرت بياناتها وأشكلت بوقتها .

الاجل المحتوم يتجلى في أعز خلق الله

اليه في وقته

في كتاب قصص الأنبياء (١) في الكافي عن عمارة قال قلت للصادق (ع):
اخبرني بوفاة موسى بن عمران . فقال (ع) : لما أتاه أجله أتاه ملك الموت فقال
السلام عليك يا كلیم الله . فقال : وعليك السلام ، من انت ؟ فقال : انا ملك
الموت جئت لأقبض روحك ، فقال له موسى (ع) : من أين تقبض روحي ؟
قال : من فمك ، قال له موسى : كيف وقد تكلمت مع ربي جل جلاله ؟ قال :

فمن يديك . قال : كيف وقد حملت بها التوراة . قال : فمن رجلك ، قال : كيف وقد وطأت بها طور سيناء ، قال : فمن عينيك ، قال : كيف ولم تزل إلى ربي بالرجاء محدودة ، قال : فمن أذنيك . قال : كيف وقد سمعت بها كلام الله عز وجل قال : فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت لا تقبض روحه حتى يكون هو الذي يريد ذلك ، وخرج ملك الموت فحك ما شاء الله أن يحك ، ودعا يوشع بن نون وأوصى إليه وأمره بكتان أمره وبأن يوصي بعده إلى من يقوم بالأمر وغاب موسى عن قومه ثم في غيبته برجل وهو يحفر قبراً فقال (ع) : ألا أعينك على حفر هذا القبر ، فقال له الرجل : بلى فأعانه على حفر القبر وسوى اللحد ثم اضطجع فيه موسى لينظر كيف هو ، فكشف له عن الغطاء فرأى مكانه من الجنة فقال : يا رب اقبضني إليك فقبض ملك الموت روحه مكانه ودفنه في القبر وسوى عليه التراب وكان الذي يحفر القبر ملك في صورة آدمي وكان ذلك في التيه فصاح صائح مات موسى كليم الله فأبي نفس لا تموت ، ولذلك لا يعرف بنو إسرائيل موضع قبره .

الخلافة في دورها الامتحاني

لا زالت الأنبياء وعلى الأخص أولي العزم وذوي الكتب محاطين بالمنافقين وحاملي النفوس الشريرة من الحقد والحسد ، وقد أنضعتهم القوة والدلالة القاطعة ويجعلون أنفسهم خواصاً وبطانة للأنبيا والأوصياء بلباقة اللسان وإظهار الاخلاص بالتملق ولو أدى الحال إلى بذل المال كل ذلك تبعيداً لشبهة النفاق أولاً وتمهيداً لاحداث الشقاق ثانياً .

وعلى هذا الأساس فقد قام وصي موسى وخليفته علي قومه بالأمر من بعد

موسى صابراً من الطواغيت على الضراء والسراء حتى مضى منهم ثلاثة طواغيت
فقوى بعدهم أمره . وحيث ان بقيتهم ليسوا بمثابة الأولين فرأوا عدم تهيؤ
الأمر لهم كسوابقهم فالتفوا حول صفراء بنت شعيب زوجة موسى (ع)
فأنهضوها وها رجلان في مائة الف رجل فقاتلوا يوشع بن نون فغلبهم وقتل منهم
مقتلة عظيمة وهزم الباقين باذن الله تعالى .

وأسر صفراء امرأة موسى (ع) وقال لها : قد عفوت عنك في الدنيا الى
ان تلقي كلم الله موسى بن عمران فأشكو ما لقيت منك ومن قومك .
فقالت صفراء : وا ويلاه والله لو أبيضت لي الجنة استحييت ان ارى فيها
رسول الله وقد هتكت حجابيه وخرجت على وصيه بعده .

تشبيهه على عكس قاعدته

قد ذكروا في فن البيان ان تشبيه شي * بشي * يقتضي ان يكون وجه الشبه
في المشبه به أقوى كي يلحق المشبه بالمشبه به كما يقال : هند كالقمر مثلاً للاحاق
هند وهي المشبه بالقمر وهو المشبه به لقوة النور فيه دونها .

وقد ذكر المؤرخون ان خلافة علي بن ابي طالب (ع) تشبه خلافة يوشع
ابن نون على حد تعبيره (ع) عنه بأخي يوشع في كثير من المقامات .

غير ان جهة الشبه وهي الابتلاء بالطواغيت والحاسدين كانت في المشبه
اقوى كما يلحظ من أسف صفراء ومن حيائها عند مواجهة نبي الله ، وبالآخر
اعترافها بالظلم وقد ضحت بالجنة كي لا ترى رسول الله بما فعلت ، ولا ترى أي
أسف وندم قد ظهر على بعض ازواج نبيينا الكريم عندما ظلمت وصي زوجها
رسول الله (ص) وسفكت في سبيل ذلك دماء آلاف من عباد الله بل ظلمت نفسها

حيث عكست حكم الله ونقضت سنة رسول الله فانه حرم الحرب والجهاد على النساء وأوجب عليهن الحجاب والقرار في البيوت ورأت بقياس عقلها ان توجب الجهاد على نفسها وان الله تعالى لم يصل علمه إلى تلك المصلحة التي تعقلتها ، وليس ذلك بمستغرب منها حيث قد تبعت فيه أسلافها ، فكمن حكم أخرجه وآخر أدخله في دين الله وسنة رسوله امتحاناً منهم لذلك ، وكانهم أدركوا من المصالح لما أدخلوه في الشريعة ، ومن المفاسد لما أخرجه منها ما لم يصل اليه علم الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وقد صرخ النبي الكريم صرخة عم صوتها كل أذن باجماع المسلمين عليها حلال محمد حلال الى يوم القيامة وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة . ويوضح إصرارها على الأمر وان انتحل لها المنتحلون الاعتذار لها بالتوبة ما أظهرته في موت الحسن (ع) من الشامة ، والتصريح بأن لا يدخلوا بيدها من لا تحب ، فقد اعترفت بيفضها لريحانة رسول الله (ص) ومن قال (ص) في حقه وحق اخيه : حبها جي وبفضها بغضي ، وحتى قيل فيها تجملت تبغلت ولو شئت تغيلت . . . الخ .

كشفت عن غامض من مخلوق الله تعالى

فقد ذكر ان موسى قال : يا رب قد قلت للسموات والأرض إئتيا طوعاً او كرهاً قالنا أتيننا طائعين فلو لم تطعك السموات والأرض ما كنت فاعلاً .
قال تعالى : كنت أمر دابة من دوابي تبتلعها ، قال موسى : يا رب وأين تلك الدابة ؟ قال تعالى : في مرج من مروحي ، قال موسى : يا رب وأين ذلك المرج ؟ قال تعالى : في علم من علمي لا يعلمه إلا انا .
وقال ابن عباس : خلق الله تعالى اربعين الف عالم الانس والجن عالمات

والبواقي لا يعلمها إلا هو .

وفي جامع الأخبار ان رجلاً فاسقاً كان في بني إسرائيل قد عجز اهل بلده من فسقه وخبوره فتضرعوا الى الله تعالى ، فأوحى سبحانه الى موسى (ع) ان اخرج الشاب الفاسق عن بلدهم لثلاث نيران عليهم بسببه ، فأخرجه من القرية الى القرية الأخرى ، فأوحى الله اليه ان يخرجها منها ايضاً ، فأخرجه موسى منها فخرج الى مغارة ليس فيها خلق ولا طير ولا زرع ولا وحش فرض الشاب في تلك المغارة وليس عنده معين يعينه فوقع على التراب ووضع وجهه على الأرض وقال : يا رب لو كانت والدتي عند رأسي لرحمتني وبكت على ذلي وغربتني ولو كان والدي حاضراً لفسلني وكفنتني وواري ولو كانت زوجتي وأولادي عندي لبكوا علي وقالوا : اللهم اغفر لوالدنا الغريب الضعيف المعاصي المطرود من بلد الى بلد ، ومن قرية الى مغارة ثم خرج من الدنيا آيساً من كل الأشياء .

آثار الانقطاع اليه سبحانه

بعد تقديم الاعتذار بصورة العتي يعود بصريح التوبة والانقطاع اليه عز وجل فيقول : اللهم يا رب إذا قطعت بي وفرقت بيني وبين والدي ووالدتي وزوجتي وأولادي فلا تقطعني يا رب من رحمتك وكما أحرقت قلبي بفراقهم فلا تحرقني بنارك لأجل معصيتي يا رب .

فأرسل الله اليه حوراء على صفة امه وحوراء على صفة زوجته وغلماناً على صفة اولاده وملكا على صفة والده فبكوا عليه وجلسوا عنده ، فقال الشاب : هذا والدي ووالدتي حضروا عندي فطاب قلبه وصار إلى ربه ، فأوحى الله إلى موسى انه قد مات ولي من اوليائي في موضع كذا فاذهب اليه وغسله وكفنه

وصل عليه وادفنه ، فسار موسى الى الموضع فرأى ذلك الشاب الذي أخرجه وعرفه بعينه ، ثم رأى الحور العين تبكي عليه فقال : يا رب أليس هو ذلك الشاب الذي أمرتني بإخراجه من المدينة والقرية ؟ فقال الله تعالى : يا موسى هو ذلك الشاب أبي رحمة وتجاوزت عنه بوحدة في مرضه وبفرقة عن وطنه وعن ولده ووالده ووالدته وزوجته واعترافه بذنبه وطلبه مني العفو والمغفرة فأرسلت اليه الحواري على صفة أمه وزوجته وعلماً على صفة اولاده وملكا على صفة والده وغفرت له لغرته وذلك ، واعلم يا موسى إذا مات الغريب بكت عليه ملائكة السماء واهل الأرض رحمة له فكيف لا ارحمه وانا ارحم الراحمين اقول : فما يمنع الانسان بعد ان علم بكرم ربه وقبول توبته بشرط صدقه ان يمد يد المصالحة معه وطلب العفو والمغفرة منه سبحانه وتعالى وهو الفائل : إن الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

نتيجة التمرد والطغيان

قال تعالى : ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناهم الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه : لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين ، قال : انما أوتيته ... الخ (١) .

المعنى في الآية

كان قارون من بني إسرائيل وهم قوم موسى (ع) وهو ابن خالته عن ابن عباس ، وروي عن ابي عبدالله (ع) ايضاً وقيل : كان ابن عمه ، لأنه ابن يصر ابن فاهت وموسى بن عمران بن فاهت وقيل : إن موسى ابن اخيه وقارون عمه وعلى كل فهو قريبه وإسرائيلي ، ومقتضى ذلك ان يعتز بنبوته موسى ويفتخر وان يدعن له . وكون النبوة فيهم أولى من ان تكون في القبط ، ولكنه نخب سريرته وحسده بغى عليهم - اي استطال عليهم - بكثرة كنوزه بدل شكره وقد كان يسمى المنور لحسن صورته ، ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ منه للتوراة ولكنه نافق كما ان السامري كذلك .

وعلى منواله قوم نبينا (ص) من قريش ، نخب سريرتهم وانطوائها على الحقد والحسد قالوا : تتبع يقيم بني هاشم بدل افتخارهم به (ص) وكان من أشدهم عليه عمه ابو لهب ، وسمي بذلك لحسن وجهه ايضاً ، كأنه يتلهب فاراً وقيل : كان قارون عاملاً لفرعون على بني إسرائيل ، فكان يبغي عليهم لما كانوا بمصر .

قال عطا اصاب كنزاً من كنوز يوسف ، وحكي ان موسى علمه الثلث من صنعة الكيمياء وعلم يوشع الثلث وعلم ابن هارون الثلث ، نخدهما قارون حتى علم ما عندهما وعمل بالكيمياء فكثرت امواله واكثرتها يوصفها تعالى بانها تنوء اي تثقل مفاتيح تلك الكنوز بالعصبة القوية إذا حملوها فكيف بالكنوز نفسها وقد قيل : إن العصبة ما بين العشرة رجال إلى خمسة عشر .

وقد وعظه قومه بقولهم : لا تفرح ، أي لا تأشر وتفرح وتتكبر بسبب

كنوزك ان الله لا يحب من هو بهذه الصفة ، لأن الانسان مهما بلغ فهو مملوك
لربه كغيره ، فالسكل ملك لله الواحد القهار ، ثم إن المال أمانة بيد صاحبه فإذا
اراد الله ذهابه فبطرفة عين على كثرته واتساعه كما فعل مع قارون .

فعلى ذوي العقول ان يزدادوا تواضعاً كلما ازداد خیرهم وتوفر رزقهم
وان يتابعوا الشكر لرازقهم استيقاناً عليه وازدياداً له لقوله تعالى : ولئن شكرتم
لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد وان من الشكر اداء حقوقه .

ثم تابعوا وعظّموا له بقولهم : وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة بأن ينفقها
في سبيل الله ووجوه الخير والبر لا ان يكدها مالا على مال وكنزاً على كنز
والفأ على الف فإلى أين يريد بها وهو مفارقة لا محالة وتاركها لغيره مشاهدة
وحسماً ويا ليتته يتركها فقط بل يتبعه حسابها وآثامها ، كما أخبر بذلك رب العزة
لاقامة الحجّة بقوله : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ذوقوا
ما كنزتم فهذا ما كنتم تكنزون » (١) ، حيث قد حرموا الفقراء نصيبهم المقروض
لهم عليهم منه تعالى للحكمة والمصلحة ، وإلا فإذا أراد سبحانه إعطاء الفقير نصيبه
مباشرة ودون توسيط الأغنياء فمن الراد له سبحانه وقد قال تعالى في حديث
المال مالي والأغنياء وكلائي والفقراء عيالي فما يضر وكلائي ان ينفقوا من مالي على
عيالي ، ثم قولهم : ولا تنس نصيبك من الدنيا فهو ان تعمل في الدنيا للآخرة
عن أكثر المفسرين ، لأن حقيقة نصيب الانسان من الدنيا الذي يعمل به لآخرفته
وما عداه فهو ليس له .

وروي عن علي عليه السلام ما هو بمعناه لا تنس صحتك وقوتك وفراغك
وشبابك ونشاطك وغناك ان تطلب بها الآخرة .

(١) - سورة التوبة الآية ٣٠ .

وقيل : معناه ان يقدم الفضل ويمسك ما يغنيه ، وقيل : معناه ان قارون كان بخيلاً فقيل له : كل واشرب واستمتع بما آتاك الله من الوجه الذي أباحه لك فان ذلك غير محظور عليك .

وأحسن كما أحسن الله اليك ، أي افضل على الناس كما أفضل الله عليك ، وقيل : احسن فيما افترض عليك كما احسن في إنعامه عليك ، وقيل : معناه احسن شكر الله على قدر إنعامه عليك وواس عباد الله بمالك ، وعلى كل الوجوه فالمقصود لهم إرشاده إلى طرق سلامته من المسؤوليات تجاه نعمته .

ولا تبغ الفساد في الأرض ، أي لا تطلب العمل بالمعاصي والعبث في الأرض والاخلال بالنظام ، حيث تعرض نفسك للهلاك والدمار ان الله لا يحب المفسدين وبعجل لهم في الانتقام ، لأنه يريد نظم عباده واستقامتهم وسير معاشهم .

أترام كيف وعظوه ونصحوه كمشفقين عليه ؟ فيكون جوابه لهم بل في الحقيقة جواب الله تعالى ، إنما اوتيته على علم عندي ، انظر إلى مدى طغيانه وتجبّره بروم نبي فضل الله عليه وان وفور نعمته مسبب عن معرفته وعلمه وليست لله فيه يد . وان علمه بوجوده المكاسب وفضله عليهم هو السبب ، والحالة ان الله قد أهلك من كان قبله من القرون الكافرة بنعم الله من هو أشد قوة من قارون واكثر جمعاً كقوم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ، فبين سبحانه ان اغتراره بماله وعدده وجمعه من الخطأ العظيم ، حيث لا يدفع عنه عند نزول العذاب كلما ضين وهذا من أطفاه يريهم المحسوس لعلمهم يرشدون .

ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ، معناه انهم يدخلون النار بغير حساب لمعرفة الموكلين لهم بسياهم فيؤخذوا بالنواصي والأقدام ، وهذا مثل قوله تعالى : فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ، وأما قوله : فو ربك لنساءلهم اجمعين فهو سؤال توبيخ وتقرّيع لا استعمال فلا تعارض بين الآيتين .

الغرور الاخير لقارون

نخرج على قومه في زيبته التي كان يتزين بها ، وفي حشمه وأتباعه قيل :
 خرج في اربعة آلاف دابة عليها اربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم
 الأرجوان (١) ، وقيل : خرج في جوار بيض على سرج من ذهب على قطف
 أرجوان على بغال بيض عليهن ثياب حمر وحلي من ذهب ، وقيل : في سبعين الفاً
 عليهن المعصفرات ، فعند ذلك انشق بنو إسرائيل إلى شقين ، الأول الكفار
 والمنافقون وضعفوا الايمان والعقيدة ، بما وعد الله المؤمنين من الثواب والنعيم
 الدائم وهم الذين عبر الله تعالى عنهم بقوله : قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت
 لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم - أي ذو نصيب وافر من الدنيا -
 وهذا يؤل إلى اتهام الله بالتحيز إلى قوم دون قوم في أرزاقهم ، تعالى عن ذلك
 علواً كبيراً .

الثاني المؤمنون الذين تركز الايمان في قلوبهم وثبتت العقيدة في صدورهم
 حيث أخذوها عن علم واطلاع دون تقليد ورياء ، وهم الذين عبر الله تعالى عنهم
 بقوله : وقال الذين أوتوا العلم وهم المصدقون بوعده الله وكانهم يشاهدون ما أعد
 الله لهم نجاه صبرهم وضيق معاشهم ، ثم قال : ويلكم ثواب الله خير لمن آمن
 وعمل صالحاً - أي افضل مما أوتي قارون - لأنه فان أوبق لغيره وذلك الباقي
 الدائم لصاحبه .

هذه نتيجة العلم وهي الثبات على العقيدة وعدم التزلزل عند الشدائد ،
 لأنهم يرون ان لها أجراً فهم ما نومسون بكسبهم كما اعطى حقيقتهم سيدهم ومعلمهم

الأكبر أمير المؤمنين (ع) بقوله : كأنهم والجنة كمن رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن رآها فهم فيها معذبون .
ثم قال : ولا يلقاها إلا الصابرون - أي الكلمة الطيبة - وقيل : الجنة في الآخرة إلا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الدنيا .

السبب الحتمي للانتقام

قال تعالى : « نخسفنا به وبداره الأرض » .

حيث لم يكتف بالتمرد على الله وعلى نبيه بل دعا بغياً من بغايا بني إسرائيل وقال لها : أعطيك الفين على ان تحييي غداً إذا اجتمعت بنو إسرائيل عندي فتقولي : يا معشر بني إسرائيل مالي ولموسى (ع) قد آذاني قالت : نعم فأعطاها خريطين عليها خاتمه ، فلما جاءت بيتها ندمت وقالت : يا ويلتي قد عملت كل فاحشة فما بقي إلا ان أفترى على نبي الله ، فلما أصبحت اقبلت ومعها الخريطتان حتى قامت بين بني إسرائيل فقالت : إن قارون قد أعطاني هاتين الخريطتين على ان آتي جماعتكم فأزعم ان موسى يراودني عن نفسي ، ومعاذ الله ان أفترى على نبي الله ، وهذه دراهمه عليها خاتمه ، فمرف بنو إسرائيل خاتم قارون ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ، ان الله لا يخذل عبده المؤمن وانه بالمرصاد لكل من يريد به كيداً حيث هو القائل على لسان رسله ، لو ان عبداً من عبادي توكل علي (١) دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيته ، ثم تكيده السماوات والأرض وما فيها لجعلت له المخرج من بينهن .

فانظر كيف ألقى سبحانه في روع البغية ذلك ولم يجذبها المال الكثير

(١) وفي نسخة اعنصم بي .

الذي قد بذلت عرضها وفضحت نفسها في سبيل الحصول على الدرهم والدرهمين منه فيغضب كليم الله ويلتجئ إلى ربه وسنده بالدعاء عليه ، فيوحى إليه ناصره بنجدة غريبة الشكل اني أمرت الأرض بطاعتك وسلطتها عليه فرها ، فقال موسى عليه السلام : يا ارض خذيه وهو على سريره وفرشه فأخذته حتى غابت سريره . فلما رأى قارون ذلك ناشده الرحم فقال : خذيه فأخذته حتى غابت قدميه ثم اخذته حتى غابت ركبتيه ثم حقويه وهو يناشده الرحم وموسى يقول خذيه حتى غيبته فأوحى الله اليه يا موسى ناشدك الرحم واستغائك فأبيت ان تغيته لو إياي دعا واستغاث لأغثته .

فلما خسفت به الأرض وانقضى أمره ورأوا ذلك بنو إسرائيل بأم أعينهم اجتمعت كلمتهم والتأم شقهم وقوي إيمانهم ، ولذا قالوا : وي كأن الله يبسط الرزق ... الخ .

فيخسر إبليس معركة الأولى باجتماع كلمتهم ورجوعهم إلى التسليم لربهم وإيكال أمورهم إليه حيث رأوا ابتلاع الأرض لقارون وهذا لا يروق له لعنه الله فيكر عليهم ويفتح لحره معهم الجبهة الثانية ويتدخل فيهم من جديد وهو الذي يوسوس في صدور الناس فيقول بعضهم او جلهم بألسنة يطلقها إبليس انما فعل موسى ذلك بقارون ليرث ماله ، لأنه ابن عمه فينتصر له ربه من جديد ايضاً ويخسف الأرض بداره وبأمواله بعد الخسف به بثلاثة أيام .

هكذا أطفاه بعباده ومساندته لهم على مكائد الشيطان وإبراز البراهين لهم برهاناً بعد برهان ، ويكشف الأمر لهم بالعيان .

فاذا بلغ الخبث في نفوسهم أقصاه وصمموا على اتباع الشيطان وعبادته يتركهم وأنفسهم وتنقطع عنهم الألفاف وإلى جهنم وبئس المصير ، وهذا معنى

قوله تعالى : فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء (١) .

أي يهنيء اسباب الطاعة لمن علم صدق نيته واسباب المعصية والخذلان لمن علم كذب إيمانه .

ثم قال تعالى : فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله تنبيهاً لأمثاله ان لا يغتروا بمن التف حولهم وكثروا جمعهم حيث لادافع لعذاب الله إذا نزل وقد كان قارون يقدر في نفسه الامتناع بحاشيته وجنوده ، وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس عندما خرج عليهم بزيفته يقولون : لولا ان من الله علينا وأعطانا مثل قارون لاغتررنا وتمردنا وخسف بنا كما خسف به وأهلكنا كما أهلكه .

وختاماً يقول تعالى : تلك الدار الآخرة - يعني الجنة - ودار القرار التي لا نصب فيها ولا وصب ولا تعب مسلماً لضمفاه عباده نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ، أي تجبراً وتكبراً على عباد الله واستكباراً عن عبادته ولا فساداً أي عملاً بالمعاصي .

أمير المؤمنين (ع) يوضح مصداق الآية

روى زاذان عن أمير المؤمنين (ع) انه كان يمشي في الأسواق وحده ويمر بالبياع والبقال ويفتح عليها القرآن ويقرأ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، ويقول : نزلت هذه الآية في اهل العدل والتواضع من الولاة واهل القدرة من سائر الناس .

وروى ابو سلام الأعرج عنه (ع) انه قال : إن الرجل ليعجبه شركه نعله فيدخل في هذه الآية ، يعني ان من تكبر على غيره بلباس يعجبه فهو ممن

يريد علواً في الأرض .

وقال الكلبي : يعني بقوله فساداً الدعاء إلى عبادة غير الله . وقال عكرمة هو أخذ المال بغير حق .

ثم قال تعالى : والعاقبة للمتقين ، اي العاقبة الجملة المحمودة من الفوز بالثواب للذين اتقوا الشرك والمعاصي .

وقيل : معناه الجنة لمن اتقى عقاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ، ويقول سبحانه في مقام الترغيب : من جاء بالحسنة فله خير منها - اي لا تقتصر على جزائه في مقام الطاعة على مقدار ما عمل ، بل نضاعفه له كراماً منه ، وان المضاعفة تختلف كثرة وقلة على قدر إتقان العمل وحسن المعرفة والاخلاص في النية

ولادته وعمرة (ع)

قال تعالى : « واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من اهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً قال إنما انا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً قالت انى يكون لي غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغياً قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجمه آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً ... الخ » (١) .

كانت مريم إذا حاضت خرجت من المسجد ، وكانت عند خالتها امرأة زكريا ايام حيضها ، فاذا طهرت عادت إلى بيتها في المسجد ، فبينما هي في ناحية الدار شرقاً وقد ضربت بينها وبين اهلها ستراً لتغسل وتمشط ، إذ دخل عليها جبرئيل في صورة رجل شاب سوي الخلقه فأنكرته واستعاذت منه بالرحمن ومعنى

(١) - سورة مريم الآية ١٦ .

قولها ان كنت تقياً ، حيث ان التقى يمنع صاحبه من التمدي ، كما تقول ان كنت مؤمناً فلا تظلمني .

فقال جبرئيل : إنما انا رسول ربك ، والغرض من مجيئي ان أهب لك غلاماً زكياً ، اي ولدأ طاهراً من الأدناس ، فاستبعدت ذلك حيث لم تكن ذات زوج وتعلم من نفسها النزاهة في العرض ، وحيث ان جبرئيل لم يعلم تفصيل ذلك أجابها بالاجمال بقوله كذلك ، اي كما وصفت لك ، وقد قال ربك هو علي هين اي احداث الولد من غير زوج لا يشق علي ليكون آية باهرة للناس على نبوته أولاً وعلى براءة أمه ثانياً ورحمة للناس بهتدون بسببه ثالثاً فحملته ، اي حملت بعيسى في الحال .

فمن الباقر (ع) ان جبرئيل تناول جيب مدرعتها ، فنفخ فيه فكمل الولد في الرحم من ساعته كما يكمل في أرحام النساء في تسعة أشهر ، فخرجت من المستحم وهو محل مشرق الشمس ، وهي مثقل فنظرت اليها خالتها ، فأنكرتها ومضت على وجهها مستحجة منها ، فانقبذت مكاناً قصياً ، أي تنحت بالحمل مكاناً بعيداً من اهلها حياةً وخوفاً من التهمة ، وقيل : إن مدة الحمل ساعة ، وقيل : تسع ساعات فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ، اي أجاها الطلق ووجع الولادة إلى النخلة لتستند اليها .

قال ابن عباس : نظرت إلى أكمة فصعدت مسرعة اليها ، فإذا عليها جذع نخلة نخرة وقد تمت عند ذلك الموت كراهية ان يعصى الله فيها للشبهات التي تدعوهم إلى الكلام عليها ، وغير ذلك ، وقيل : من الحياة .

وروي عن الصادق (ع) انه قال : لم تر في قومها رشيداً ذا فراسة ينزهها من سوء ، فعندها يفتصرها ربها فيناديها من تحتها ، ألا تحزني والمنادي قيل : عيسى حين وضعته وهو تحتها ، وقيل : جبرئيل ومعنى كونه تحتها ، اي

دونها في المكان لأنها على ربوة لبزول عنها الغم والجزع والنداء هو قوله : قد
جعل ربك تحتك سرياً - أي نهراً تشرين منه وتنظيرين من النفاس - وقيل في
«هني السري» : هو عيسى ، لأن السري الشريف ، وهزي اليك بجذع النخلة اليابس
وقد أمر لوقته وتساقط عليها منه الرطب في الشتاء في غير أوانه كرامة لها .

وقال الباقر (ع) : لم تستشف النفاس بمثل الرطب إن الله أطعمه مريم في
نفاسها ، وكل ذلك إعجاز وبراهين منه تعالى ، ويكمل البراهين لها بأن أمرها
سبحانه إن تصوم صوم السكت فذراً وإن كالمها أحد من قومها فتشير له بأن
يكلم وليدها لتكون الحجة القاطعة لها عليهم وأنه نبي .

فلما تكلم عيسى (ع) قالوا : هذا أمر عظيم ، وإن أول كلام تكلم به هو
الافرار لله بالعبودية حيث قال : إني عبد الله لبيطل قول من يدعي له (ع)
الربوبية ، وكان الله أنطقه بذلك لعلمه بما يقوله الغالون فيه ، وقد كانوا بتسويل
الشیطان على طرفي تقيض بين الافراط والتفريط ، حيث قالت اليهود : إنه ساحر
كذاب ، وقالت النصارى : إنه ابن الله وثالث ثلاثة ، وقد كذبهم الله تعالى
جميعاً بقوله : ذلك عيسى بن مريم ، وبقوله تعالى : ما كان لله أن يتخذ من ولد
وإن استبعدتم خلقته . فانه سبحانه إذا قضى أمراً فأنما يقول له كن فيكون .
والذين قالوا : هو الله اليعقوبية ، والذين قالوا : هو ابن الله النسطورية ،
والذين قالوا : هو ثالث ثلاثة - أي الله ومريم وعيسى - الاسرائيلية والذين قالوا
هو عبد الله المسلمون .

ثم قال (ع) : وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدي ولم
يحملني جباراً شقيماً ، فترى أهدافهم عليهم السلام بعهد التوحيد ، هي العبادات
ومقاومة النفس .

وفي علل الشرائع ، لما جاء المخاض مريم إلى جذع النخلة اشتد عليها البرد

فعمد يوسف النجار إلى حطب فجعله حولها كالحظيرة ثم أشعل فيه النار فأصابتها سخونة الوقود من كل ناحية حتى دفئت وكسر لها سبع جوازت وجدتهن في خرجه فأطعمها . فمن أجل ذلك توعد النصارى النار ليلة الميلاد ويلعبون بالجوز .

ابليس لعنه الله يفتش عن قيامة الجبهة

فعن الباقر (ع) ان إبليس ليلة ميلاد عيسى (ع) أتى فقيل له : قد ولد الليلة ولد لم يبق على وجه الأرض صنم إلا خر لوجهه وأتى المشرق والمغرب يطلبه فوجده في بيت دير ، وقد حفت به الملائكة ، فذهب يدنو فصاحت به الملائكة تنح فقال لهم : من أبوه ؟ فقالت الملائكة : مثله كمثل آدم ، فقال إبليس : لأضلن به أربعة أخماس الناس ، وقد خصه الله تعالى بأن يبرأ الأكمة والأبرص ويحيي الموتى ، لأن الطب في زمانه قد اتسع وأخذ محلّه من التقدير بحيث كادت الناس ان تعبد الأطباء ، فكانت معجزته مما يعجز عنه حذاقهم من إبراء الأخرس وإذهاب البرص وحياة الميت ، وله (ع) في هذه شواهد نذكر منها ما يخص إحياء الموتى لتتفهم قدرة الله الجارية على ايدي سفرائه سنداً لأوليائه ولطفاً لعباده .

في تفسير العياشي ان اصحاب عيسى سألوه إحياء ميت ، فأتى بهم إلى قبر سام بن نوح فقال له : قم باذن الله يا سام بن نوح ، فانشق القبر ، ثم أعاد الكلام فخرج سام فقال له عيسى : أيما أحب اليك تبقى أو تعود ؟ فقال : يا روح الله ، بل أعود اني لأجد حرقة الموت وهي في جوفي إلى يومى هذا .
وفيه عن أبان بن تغلب قال : سئل ابو عبد الله (ع) ان عيسى بن مريم أحيى احداً بعد موته حتى كان له أكل ورزق ومدة وولد فقال (ع) : نعم

كان له صديق مؤاخ له في الله وكان (ع) يمر به فينزل عليه ، وان عيسى غاب عنه حيناً ثم مر به ليسلم عليه فخرجت اليه أمه فقالت : مات يا رسول الله فقال : أتحبين ان تريبه ؟ قالت : نعم . قال : إذا كان غد آتيك حتى أحبيه باذن الله ، فلما كان من الغد أتاها فقال : انطلقى معي إلى قبره فانطلقا فوقف عليه عيسى ودعا الله فانفرج القبر وخرج ابنها حياً ، فلما رأته أمه ورآها بكيا فرحمها عيسى فقال له : أحب ان تبقى مع أمك في الدنيا ؟ قال : يا رسول الله بأكل ورزق ومدة او بغير ذلك . فقال له عيسى : بل أكل ورزق ومدة تعمر عشرين سنة وتزوج ويولد لك ، قال : نعم فدفعه عيسى إلى أمه فعاش عشرين سنة وتزوج وولد له .

معجزة وموعظة له ومنه (ع)

عن ابي عبدالله (ع) قال : مر عيسى على قرية قدمات اهلها وطيرها ودوابها فقال : أما انهم لم يموتوا إلا بسخطة ، ولو ماتوا متفرقين لتدافنوا فقال الحواريون : يا روح الله وكلمته ادع الله ان يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت اعمالهم فنتجنبها ، فدعا عيسى (ع) ربه فنودي من الجوا ان نادهم فقام عيسى بالليل على شرف من الأرض فقال : يا اهل هذه القرية ، فأجابه منهم مجيب لبيك يا روح الله وكلمته فقال : ويحكم ما كانت اعمالكم ؟ قال : عبادة الطاغوت وحب الدنيا مع خوف قليل وأمل بعيد وغفلة وطرب فقال : كيف كان حجبكم للدنيا ؟ قال : كحج الصبي لأمه إذا أقبلت علينا فرحنا وإذا أدبرت عنا بكينا وحزنا .

قال : كيف كانت عبادتكم للطاغوت ؟ قال : الطاعة لأهل المعاصي ، قال : كيف كانت عاقبة امركم ؟ قال : بتنا ليلة في عافية وأصبحنا في هاوية ، قال : وما

الهاوية؟ قال : سجين قال : وما سجين؟ قال : جبال من حجر توقد علينا الى يوم
القيامة قال : فما قلت وما قيل لكم؟ قال قلنا : ردنا الى الدنيا فنزهد فيها ، قيل لنا
كذبتم قال : ويحك كيف لم يكلمني غيرك من بينهم؟ قال : يا روح الله وكلمته
انهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد واني كنت فيهم فلما نزل
العذاب عمي معهم . فأنا معلق بشعرة على شفير جهنم لا ادري أ كيبك فيها أم
أنجو منها ، فالتفت عيسى الى الحواريين فقال : يا أولياء الله أكل الخبز اليابس
بالمالح الجريش والنوم على المزابل خير كثير مع عافية الدنيا والآخرة .

عيسى يحلك الدنيا تحليلا ضافيا

قيل لعيسى (ع) : مالك لا تتزوج؟ قال : وما أصنع بالتزويج؟ قيل :
يولد لك ، قال : وما أصنع بأولاد ان عاشوا أفتنونا وان ماتوا أحزنونا .
قال امير المؤمنين (ع) في بعض خطبه : وان شئت قلت في عيسى بن مريم
فلقد كان يتوسد الحجر ولبس الخشن وكان أدامه الجوع وسراجه بالليل القمر
وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها وفاكته وريحانه ما أنبتت الأرض
للبهائم ولم تكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ولا طمع يذله دابته
رجلاه وخادمه يداه .

وفي إرشاد القلوب قال عيسى (ع) : خادي يداي ودابتي رجلاي وفراشي
الأرض ووسادي الحجر ودفئي في الشتاء مشارق الأرض وسراجي بالليل القمر
وأدائي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وفاكته وريحاتي ما أنبتت
الأرض للوحوش والأنعام أبيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على
وجه الأرض احد اغنى مني . ومراهه (ع) غنى النفس وعدم الحاجة الى الناس
لأنه هو الغنى الصحيح وما عداه فقر حاضر .

الاحياء الروحاني

قال الله تعالى : من احياها فكأنما احى الناس جميعاً (١) في امالي الشيخ
 عن ابي عبدالله (ع) قال : من اخرجها من ضلال إلى هدى ومن اخرجها من
 هدى الى ضلال ، فقد امانها ، وفي المحاسن عن فضيل قال قلت لأبي جعفر (ع)
 قول الله في كتابه : ومن احياها فكأنما احى الناس جميعاً . قال (ع) : من حرق
 او غرق او غدر ثم سكت ، قلت : فمن اخرجها من ضلال إلى هدى فقال : ذلك
 تأويلها الأعظم ، وفيه عن حمران عنه (ع) في الآية قال : من حرق او غرق او
 غدر ثم سكت ، فقال : تأويلها الأعظم ان دعاها فاستجابت ، وفي مصباح
 الشريعة عن الصادق (ع) مثل الواعظ والمتعظ كاليقظان والراقد فمن استيقظ
 من رقدة غفلته ومخالفاته ومعاصيه صلح ان يوقظ غيره من ذلك الرد (٢) .
 وان لعيسى (ع) في إحياء النفوس بهذا المعنى مواقفه العظيمة وتفانيه
 بعد ان طبقها على نفسه الرفيعة من الزهد في الدنيا ، حيث قد علم انها المهلكة فلم
 يضع منها حجراً على حجر لبناء مأوى له .

فقد روى انه (ع) اشتد به المطر والرعد يوماً فأخذ يطلب موضعاً يلجأ
 اليه فظهرت له خيمة من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأة فخاد عنها فإذا هو بكهف في
 جبل فأتاه فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال : إلهي لسكل شيء مأوى ولم
 تجعل لي مأوى ؛ فأوحى الله اليه مأواك في مستقر رحمتي وعزتي لأزوجنك يوم
 القيامة مائة حوراء خلقتها بيدي ، ولأطعمن في عرسك اربعة آلاف عام يوم منها
 كعمر الدنيا ، ولأعمرن منادياً ينادي أين الزهاد في الدنيا احضروا عرس الزاهد

(١) سورة المائدة الآية ٣٥ . (٢) فيكون إحياء الناس جميعاً .

عيسى بن مريم .

وروي انه كوشف بالدنيا فرآها عجوزاً هتاء (١) عليها من كل زينة فقال لها : كم تزوجت ؟ فقالت : لا أحصيهم ، قال : كلهم مات عنك او طلقوك فقالت بل كلهم قتل فقال عيسى (ع) : بؤساً لأزواجك الباقيات كيف يرون انك تهلكينهم واحداً واحداً ولم يكونوا منك على حذر .

روي ان رجلاً قال لعيسى (ع) : اريد ان أصحبك يا نبي الله . فقال عليه السلام : نعم فمضيا ومرا على قرية وكان من عاداته (ع) إذا مر على قرية وأراد وعظ اهله دخلها وإلا امر عليها ولم يدخلها ، وحيث لم يرد دخولها فأرسل صاحبه ليشتري منها ثلاثة ارغفة ودفع له ثلاثة دراهم فأشترى ، ولما صار في الطريق حدثه الشيطان من طريق نفسه . بأن عيسى سوف يدفع له نصفها ولم تكفه فأكل رغيفاً ودفع إلى عيسى رغيفين ، فقال له : اين الثالث ؟ قال : ان اهل القرية دفعوا إلي رغيفين عوض الثلاثة دراهم فدفع له رغيفاً وأكل (ع) رغيفاً حتى إذا اتيا بحراً فقال (ع) له : ضع أقدامك مكان أقدامي وسم باسم الله تعالى فعبرا ولم تبل لهما قدم ، فقال له : أرأيت هذه المعجزة ؟ قال : نعم ، قال (ع) : فقل لي : اين الرغيف الثالث ؟ فأنكر اشد إنكار وقال : يا روح الله لم يعطوني سوى رغيفين فمضيا فوجدوا ضيماً فأمره بقبضه وذبحه وشوي لحمه وأكلا منها ثم جمع ما تبقى مع عظامها ووضعها في جدها وقال (ع) : كوني حية كما كنت باذن الله تعالى فأنفضت ومضت على سبيلها ، فقال له : أرأيت هذه المعجزة ؟ قال : نعم ، فقال : قل لي : اين الرغيف الثالث ؟ فحلف له انهم لم يعطوه غير الرغيفين فمضيا وصعدا على جبل فخط بيده (ع) على رأس الجبل ثلاثة قطع ، فإذا هي من ذهب فقال له : هذه قطعة لك وقطعة لي وقطعة لمن أكل الرغيف الثالث فقال :

(١) أي مكسرة اثنايا .

وحقك أنا اكلته ، فترك القطع له وقال : إنك لا تصلح لصحبتى .
فبقي متفكراً فيما يصنع بالذهب ، وانه سيكون من النجار ، وإذا بثلاثة
سراق قد هجموا عليه أرادوا أخذه منه وأخيراً اتفقوا على قسمتها ارباعاً ثم قالوا
له : نحن جوع ولا نقدر على دخول السوق لانا سراق ، ودفعوا له ثمناً وارسلوه
ليشتري لهم به طعاماً فمضى وجعل لهم فيه سماً ليموتوا ويخلص له الذهب ، كما انهم
ايضاً فكروا بقتله عند رجوعه وماتوا كلهم حول الذهب ، قد قتل بعضهم بعضاً
وإنما قتلهم حب الدنيا بتسويل إبليس .

فيمر عيسى (ع) مع الخواريين ويتمجبوا من ذلك ، فيحیی لهم الموتى
بإذن الله تعالى ويحكون لهم قصتهم .

وتروى ايضاً بنحو آخر ، والخلاصة ان حب الدنيا وما لها قتال .

ثم يمضي مع الخواريين فيمرون بكنز فقال الخواريون : يا نبي الله نبقى
عند هذا الكنز ونعيش به ونعبد الله ، فيقول (ع) : إما انا فأمضي إلى كنز
اعظم من هذا ، ففارقهم ومضى خجاء إلى بيت عجوز فاستضافها فأضافته فلم يجد
عندها شيئاً ، فلما حان وقت الغروب جاء ولدها ورحب بضيفه ثم استنطقه عيسى
عليه السلام فوجده ذكياً بليغاً ، غير انه تعتربه سكتة في اثناء احواله ، فسأله
عليه السلام عن سبب ذلك ، فقال : إني أعيش على الاحتطاب فكنت يوماً احمل
حزمة الحطب على ظهري لبيعها في السوق فتعبت واتكيت على حائط فنظرت إلى
فتاة في روشن أمامي كأنها الشمس فتعلق قلبي بها وسألت عنها فإذا هي بنت
ملك البلاد ولم يكن له غيرها وهي بمنتهى العز والدلال ، وكلما حاولت صرف قلبي
عنها لم يطاوعني فكلمنا تمر على خاطري تأخذني هذه السكتة .

فقال له عيسى (ع) : قم وادخل عليه واخطب منه ، وكلما اقترح عليك
تعهد له به وائتني فدخل البلاد ووقف على باب الملك فرأوه الوزراء عند دخولهم

وسألوه حاجته فذكر لهم انه خاطب ابنة الملك لنفسه فضحكوا منه ودخلوا واخبروا الملك بذلك فأمر بدخوله وسأله عن حاجته ، فقال : جئتك خاطباً ، فقال : إن بنات الملوك يطلبن صداقاً كثيراً يناسب حالهن ، فقال الخطاب : اطلب ما تريد فقال مستهزئاً به : أريد منك أوقية من الذهب وأوقية من الزبرجد وأوقية من الياقوت الأحمر ومثلها من الأصفر إلى غير ذلك من المجوهرات ، فوعده وجاء إلى عيسى (ع) وذكر له ذلك فقال (ع) : ادخل هذه الخربة وضع رءاءك وخذ من احجارها مقدار أوقية وضعه على رءائك وقل : كن ذهباً باذن الله وكذلك بقية الأنواع فكان كما اراد وأخذه ووضع بين يدي الملك ، فعجب منه وطلب منه مثله مكرراً فجاء به بأمر عيسى (ع) فلما رأى الملك ذلك قال : لا يقدر على هذا إلا روح الله عيسى (ع) فلما عرف انه رسول الله وأمره ان يزوجها له قبل الأرض وقال : انا عبدك وهي أمتك والأمر أمرك ، فزوجها من الخطاب ودخل بها في ليلته .

ولما رأى الوزراء ادب ذلك الخطاب وعلمه قالوا للملك : لو جعلته ولي عهدك فكان ولي عهده بوقته وبعد ليلة مات الملك فأصبح الخطاب ملك البلاد وما فيها والبنت المعززة المكرومة التي لم يسمح لأي احد برؤيتها زوجته وتحت أمره . فلما فكر في غدر الدنيا وقد سلبت الملك ملكه وحتى ابنته الغالية وسلمتها إلى اضعف عباد الله الخطاب قال : إذا لا اغتر بها وسوف تفتك بي كما فتكت به ولو بقيت على هذا الملك لا اتخلص من تبعاته ومظالمه إضافة الى زواله ، فترك ذلك كله ومضى الى عيسى (ع) وقال : يا روح الله ان صحبتك افضل من هذا كله فأخذه ومضى إلى الحواريين وقال : هذا الكنز الذي قلت انه اعظم من كنزكم ، وحكي لهم قصته وكيف ضحى بالفاني لكسب الباقي . ومن مواعظه انه قال (ع) : يا علماء السوء ليس أمر الله على ما تمنون

وتتخبرون ، بل للموت تبنون وللخراب تعمرون وللوارث تمهدون وبحق اقول لكم : إن موسى (ع) كان يأمركم ان لا تحلفوا كاذبين ، وانا اقول لكم : لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين ، ولكن قولوا : نعم يا بني إسرائيل عليكم بالبقل البري وخبز الشعير وإياكم وخبز البر فأني أخاف ان لا تقوموا بشكره وقيل له : لو اتخذت بيتاً قال : يكفيننا خلقان من كان قبلنا .

وقال (ع) : داويت المرضى فشفيتهم باذن الله وأبرأت الأكمه والأبرص باذن الله وعالجت الموتى فأحييتهم باذن الله وعالجت الأحمق فلم اقدر على إصلاحه فقيل : يا رسول الله وما الأحمق ؟ قال : المعجب برأيه ونفسه الذي يرى الفضل كله له لا عليه ، ويوجب الحق كله لنفسه ، ولا يوجب عليها ، فذلك الأحمق الذي لا حيلة في مداواته .

ومن وصاياه (ع) لبني إسرائيل يا عبيد الدنيا مثلكم كمثل القبور المشيدة يعجب الناظر ظاهرها وداخلها عظام مملوءة خطايا يا عبيد الدنيا مثلكم في الدنيا مثل البهائم همتمكم بطونكم وفروجكم أما تستحيون ممن خلقكم .

يا بني إسرائيل أما تستحيون من الله ان احدكم لا يسوغ له شرابه حتى يصفيه من القذى ولا يبالي ان يبلغ امثال القيلة من الحرام فكما لا يكون مطر بغير سحب كذلك لا يكون عمل في مرضاة الرب إلا بقلب تقى .

ويلكم يا عبيد السوء من اجل دنيا دنية وشهوة ردية تفرطون في تلك الجنة وتنسون هول القيامة ، إنما اعطاكم الله الدنيا لتعملوا فيها للأخرة ولم يعطكموها لتشغلكم عن الآخرة يقول الله تعالى : يحزن عبدي المؤمن ان صرفت عنه الدنيا وذلك احب ما يكون إلي وأقرب ما يكون مني ويفرح ان وسعت عليه وذلك ابغض ما يكون إلي وأبعد ما يكون مني كيف تزعمون انكم اولياء الله من دون الناس وانتم تفرون من الموت وتعتصمون بالدنيا ، فكما ان الذي يخوض في النهر

لا بد ان يصيب ثوبه الماء كذلك من يحب الدنيا لا ينجو من الخطايا ، فكما ينظر المريض الى طيب الطعام ولا يتلذذ به مع ما يجد من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يتلذذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب المال .

من لا ينقى زرعه من الحشيش يكثر فيه فيغمره ويفسده كذلك من لا يخرج من قلبه حب الدنيا يغمره حتى لا يجد لحب الآخرة طمعا ، وكيف يستكمل حب خليله من لا يبذل له بعض ما عنده لا تدركون من شرف الآخرة إلا بترك ما تحبون إنما الدنيا قنطرة فأعبروها ولا تعمروها .

وان الدنيا داء الدين والعالم طيب الدين ، واذا رأيت الطبيب يجر الداء الى نفسه فأتموه واعلموا انه غير ناصح لغيره ، ماذا يغني عن الأعمى أشعة نور الشمس وهو لا يبصر وكذلك لا يغني عن العالم علمه اذا هو لم يعمل به ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج على ظهره وجوفه موحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة ومعطلة فأسرعتم الى بيوتكم المظلمة فأترتم فيها كذلك فأسرعوا الى قلوبكم الفاسية بالحكمة قبل ان ترد عليها الخطايا فتكون أقسى من الحجارة .

لا تكونوا كالمنخل يخرج الدقيق ويمسك النخالة كذلك انتم تخرجون الحكمة من انواهم ويبقى الغل في صدوركم فلا تظنوا التوبة غداً فان دون غد يوماً وليلة قضاء الله فيها يغدو ويروح .

طوبى لمن كان همه فكر ونظرة عبرة ووسعه يده وبكى على خطيئته يا بني إسرائيل لا تجعلوا قلوبكم ماوى الشهوات عليكم بالبقل البري وخبز الشعير وإياكم وخبز البر أخاف عليكم ان لا تقوموا بشكره ، وكان (ع) يقول : اللهم ارزقني غدوة رغيفاً من شعير وعشية رغيفاً من شعير ولا ترزقني فوق ذلك فأطغى .
قيل له : كيف أصبحت يا روح الله ؟ قال : أصبحت وربى تعالى من فوقى

والنار أمانى والموت في طلبى لا املك ما ارجو ولا اطيع دفع ما اكره فأبى فقير أفقر منى ، قيل له : علمنا عملاً واحداً يحبنا الله عليه ، قال (ع) : ابغضوا الدنيا يحبكم الله ، لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن ، كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد .

قيل : يا روح الله من نجالسه ؟ قال (ع) : من يذكركم الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقته ويرغبكم في الآخرة عمله ، طوبى للمترحمين اولئك هم المرحومون يوم القيامة ، طوبى للمصلحين اولئك هم المقربون يوم القيامة ، طوبى للمطهرة قلوبهم اولئك يزورون الله ، طوبى للمساكين لهم ملكوت السماوات طوبى للمحزونين هم الذين يسرون ، طوبى للذين يجوعون ويفظأون خشوعاً هم الذين يسقون ، طوبى لكم إذ حسدتم وشتتم وقيل فيكم كل قبيلة كاذبة حينئذ فافرحوا وابتهجوا فإن أجركم قد كثر في السماء .

إذا اخذ قميص احدكم فليعط رداً ومن لطم خده منكم فليمكن من خده الآخر وسلموا على من سبكم وأنصفوا من خاصمكم واعفوا عن ظالمكم كما يحبون ان يعفى عن إساءتكم فاعتبروا بعفو الله عنكم ، أما قرون ان شمسه أشرفت على الأبرار والفجار منكم ، وان مطره ينزل على الصالحين والخطائين منكم . فان كنتم لا تحبون إلا من أحبكم ولا تحسنون إلا لمن أحسن اليكم ولا تكافئون إلا من اعطاكم ، فما فضلكم إذا على غيركم وقد يحسن هذا السفهاء الذين ليست عندهم فضول ولا لهم احلام ، ولكن ان اردتم ان تكونوا أحبباء الله واصفياً الله فأحسنوا الى من اساء اليكم واعفوا عن ظالمكم وسلموا على من اعرض عنكم .

في الكافي قال عيسى بن مريم (ع) : يا معشر الحواريين لي اليكم حاجة اقضوها لي ، قالوا : قضيت يا روح الله ، فقام فغسل اقدامهم فقالوا : كنا نحن احق بهذا يا روح الله ، فقال : إن احق الناس بالخدمة العالم ، إنما تواضعت هكذا

لكيما تتواضعوا بعدي للناس كتواضعي لكم ، ثم قال (ع) : بالتواضع تعمركم
الحكمة لا بالتكبر كذلك بالسهل ينبت الزرع لا بالجبل .

علي بن أبي طالب (ع) يوضح قول الناقوس

في كتاب الأمالي ومعاني الأخبار بالاسناد إلى الحارث الأعور قال : بينما
اسير مع امير المؤمنين (ع) في الحيرة إذا نحن بديراني يضرب الناقوس فقال
عليه السلام : يا حارث أتدري ما يقول الناقوس ؟ قلت : الله ورسوله وابن عم
رسوله اعلم ، قال : إنه يضرب مثل الدنيا وخرابها ويقول :

لا إله إلا الله حقاً حقاً صدقاً صدقاً ان الدنيا قد غرتنا وشغلتنا واستهوتنا
واستغوتنا يا ابن الدنيا مهلاً مهلاً يا ابن الدنيا دقاً دقاً يا ابن الدنيا جمعاً جمعاً تفتى الدنيا
قرناً قرناً مامن يوم يمضي عنا إلا أوهى منا ركناً قد ضيعنا داراً تبقى واستوطننا
داراً تفتى لسنا ندري ما فرطنا فيها إلا لو قد متنا .

قال الحارث : يا امير المؤمنين النصارى يعلمون ذلك ، قال (ع) : لوعلموا
ذلك لما اتخذوا المسيح إلهاً من دون الله عز وجل ، قال : فذهب إلى الديراني
وقال له : بحق المسيح عليك لما ضربت بالناقوس على الجهة التي تضربها قال :
فأخذ يضرب وأنا اقول حرفاً حرفاً حتى بلغ الى قوله : إلا لو قد متنا ، قال :
فبحق نبيكم من أخبركم بهذا ؟ قلت : هذا الرجل الذي كان معي أمس قال : فهل
بينه وبين النبي (ص) قرابة ؟ قلت : هو ابن عمه قال : بحق نبيكم أسمع هذا من
نبيكم ، قال : قلت : نعم ، فأسلم ثم قال : إني وجدت في التوراة انه يكون في
آخر الأنبياء نبي وهو يفسر ما يقول الناقوس .

في كتاب إكمال الدين عن النبي (ص) قال : لما ملك اسبيخ بن اشكان وملك

مائتين وستاً وستين سنة ، ففي سنة إحدى وخمسين من ملكه بعث الله عيسى بن مريم (ع) واستودعه النور والحكمة وجميع علوم الأنبياء قبله وزاده الأنجيل وبعثه إلى بيت المقدس إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى الإيمان بالله فمكث ثلاثة وثلاثين سنة حتى طلبته اليهود وادعت أنها قتلتها وما كان الله ليجعل لهم سلطاناً عليه ، وإنما شبه لهم .

وعن أبي جعفر (ع) ان الليلة التي قتل فيها يوشع بن نون هي التي رفع فيها عيسى بن مريم (ع) وهي التي قتل فيها علي بن أبي طالب (ع) .

ارتفاع عيسى (ع) إلى السماء

في تفسير علي بن ابراهيم عن أبي جعفر (ع) قال : إن عيسى (ع) وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه فاجتمعوا عند المساء وهم اثنا عشر رجلاً فأدخلهم بيتاً ثم خرج عليهم من عين في زاوية البيت وهو ينفذ رأسه من الماء فقال : إن الله رافعي إليه الساعة ومطهري من اليهود فأيكم يلقي عليه شبحي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي قال شاب منهم : أنا يا روح الله قال : فانت هو ذا .

ثم قال عيسى (ع) : أما ان منكم لمن يكفر بي قبل ان يصبح اثنتي عشرة كفرة فقال له رجل : أنا منهم فقال (ع) : فلتكن هو .

ثم قال لهم عيسى : أما انكم ستفترقون بعدي على ثلاث فرق فرقتين مفترقتين على الله في النار وفرقة تتبع شمعون صادقة على الله في الجنة ، ثم رفعه الله تعالى من زاوية البيت وهم ينظرون اليه .

ثم قال : إن اليهود جاءت في طلب عيسى (ع) (١) من ليلتهم فأخذوا الرجل

(١) حيث انهم صمموا على قتله وبيئوه في ذلك البيت .

الذي قال له عيسى (ع) : إن منكم لمن يكفر بي قبل ان يصبح اثنتي عشرة كفرة
وأخذوا الشاب الذي ألقى عليه شبح عيسى (ع) فقتل وصلب وكفر الذي قال له
عيسى (ع) تكفر بي ... الخ .

في القصص (١) بسنده لما اجتمعت اليهود على عيسى (ع) ليقتلوه بزعمهم
أتاه جبرئيل فغشاه بجناحه ونظر عيسى (ع) فإذا هو بكتاب في جناح جبرئيل
اللهم إني أدعوك باسمك الواحد الأعز وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعالي الذي
ثبت به أركانك كلها ان تكشف عني ما أصبحت فيه وأمست فيه ، فلما دعا به
عيسى (ع) أوحى الله الى جبرئيل ان ارفعه إلي .

ثم قال رسول الله (ص) : يا بني عبد المطلب سلوا ربكم بهذه الكلمات
فوالذي نفسي بيده ما دعا بهن عبد باخلاص إلا اهتز له العرش . وإلا قال الله
للملائكة اشهدوا اني قد استجبت له بهن وأعطيته سؤلته في عاجل دنياه وآجل
آخرته ، ثم قال لأصحابه : سلوا بها ولا تستبطئوا الاجابة .

وعن ابي عبد الله (ع) قال : رفع عيسى (ع) بمدرعة من صوف من
غزل مريم (ع) ومن خياطة مريم (ع) فلما انتهى إلى السماء نودي يا عيسى
اللق عنك زينة الدنيا .

وعن الرضا (ع) قال : ما شبه أمر احد من الأنبياء وأوصيائهم للناس
إلا أمر عيسى بن مريم وحده ، لأنه رفع من الأرض حياً وقبض روحه بين
السماء والأرض ثم رفع الى السماء ورد اليه روحه ، وذلك قوله تعالى : إذ قال الله
يا عيسى اني متوفيك ورافعك إلي .

وما أشبه ما ذكرناه عن عيسى (ع) بمبيت علي (ع) على فراش النبي
صلى الله عليه وآله واقباً له بنفسه حين بيته قريش ليقتلوه ، وإلى آخر وجوه
الشبه لمن تدبر وتفهم .

إبليس يطرح حتى بالاندياء

عن أبي عبد الله (ع) أن عيسى صعد جبلا بالشام اسمه اريحا فأتاه إبليس في صورة ملك فلسطين فقال : يا روح الله أحييت الموتى وأبرأت الأكمه والأبرص فأطرح نفسك عن الجبل ، فقال عيسى (ع) : إن ذلك أذن لي فيه وهذا لم يؤذن لي فيه .

وفي حديث آخر عنه (ع) أنه قال إبليس لعيسى (ع) : أليس تزعم أنك نحيي الموتى ؟ قال عيسى (ع) : بلى ، قال : فأطرح نفسك من فوق الحائط فقال (ع) : وويلك ان العبد لا يجرب ربه .

وقال إبليس : يا عيسى هل يقدر ربك ان يدخل الأرض في بيضة والبيضة كهيئةها ؟ فقال (ع) : إن الله لا يوصف بالمعجز ، والذي قلت لا يكون هو مستحيل بنفسه كجمع الضدين .

وعن أبي جعفر (ع) قال : لقي إبليس عيسى بن مريم (ع) فقال (ع) له : هل نالني من جبايلك شيء ؟ قال : جدتك التي قالت : رب اني وضعتها اتني الى قوله : واني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (١) فلم يكن لي فيك نصيب .

العجب من أسلحة الشيطان الخفية

في الكافي عن داود الرقي قال : سمعت ابا عبد الله (ع) يقول : اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً ان عيسى بن مريم كان في شرايعه المسيح في البلاد فخرج في بعض سيحبه ومعه رجل من اصحابه قصير ، وكان كثير اللزوم لعيسى (ع) فلما انتهى عيسى الى البحر قال : بسم الله بصحة يقين فمشى على ظهر الماء فقال الرجل القصير حين نظر الى عيسى قد جازه بسم الله بصحة يقين فمشى على الماء ولحق بعيسى فدخله العجب بنفسه فقال : هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فما فضله علي .

قال : فرمس في الماء فاستغاث بعيسى ، فتناوله من الماء وأخرجه ثم قال له ما قلت يا قصير ؟ قال : قلت : هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وانا أمشي على الماء فدخلني من ذلك عجب ، فقال له عيسى : لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه ، فمقتك الله على ما قلت فتب الى الله عز وجل ، قال : فتاب الرجل ورجع الى مرتبته التي وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً .

ايشارة (ع)

وعنه (ع) ان عيسى (ع) لما مر على شاطئ البحر رمى بقرص من قوته في البحر فقال له بعض الحواريين : يا روح الله وكلمته لم فعلت هذا ، وإنما هو من قوتك ؟ قال : فعلت هذا لدابة من دواب الماء وثوابه عند الله عظيم .

الفصل الثالث

في اللطاف الله لا نبياؤه عليهم الصلاة والسلام

تختصر الكلام في هذا الفصل تلافياً لما توسعنا في سابقه ، لاقتضاء المقام ذلك هناك تذكيراً للمطالعين احوال أسلافهم وتشجيعاً للمؤمنين بسير الأنبياء على الأخذ بمنهجهم في الدعوة الى التوحيد والتحمل في سبيل تركيزها شدائد الأمور ونقول هنا : إن لطف الله سبحانه وتعالى قد أسعفتهم وساندتهم وسددت خطاهم ، ولكن بعد علم الله تعالى بهم فيما يخص ثباتهم وقابلياتهم وعظيم تضحياتهم أولاً ، وعطفهم وشفقتهم ورأفتهم بعباده وبلغ حنانهم ثانياً ، حتى ان الفرد منهم ليستر بهدي الواحد من عباده إلى الحق بما لا يستر باعطائه الدنيا بأسرها ولو علم سبحانه بوجود غيرهم في زمان كل واحد منهم ممن يفوقهم بذرة واحدة في ذلك لما قدمهم عليه واختارهم دونه ، فالتأييدات منه سبحانه لهم لو كانت ايضاً لغيرهم لما أجدت في تقديمهم الى مرحلة أخرى غير ما انطبغوا عليه ، كما انها بلحاظهم (ع) لم تدفع عنهم رذيلة أرادوا ارتكابها ، بل انها رفعت مشقة الصراع والكفاح عنهم مع النفس وإبليسها .

وحيث ان الله تعالى قد ثبتت له العدالة الحققة بالبراهين القاطعة من العقل والنقل فوجب إذاً اختيارهم على من سواهم ، وكان حقاً على الله عز وجل ان يجعلهم أمناء على دينه ، ويخصهم رعاة خلقه وأعلاماً لعباده ومناراً في بلاده ليسود العدل ويكمل النظام ويحفظ الحقوق في الدار الموقرة وتكفل لهم السعادة في الدار المؤبدة .

وكان لزاماً علينا الاستضاءة بأنوار إرشاداتهم وان نستخلص من أعمالهم دليلاً لسير حياتنا ، ومنهاجاً لتطبيق أعمالنا ، منزهين لهم عن كل لوث ووصمة لا تناسب ذواتهم ولا تجامع اصطفاؤه الله لهم وهو العليم بالنفسيات قبل إيجادها .

في الدفع عما يوهم نقصهم (ع)

وعلينا ان نتفهم ونأمل ونتدبر فيما ورد مما يتضمن بظاهره نقصهم (ع) وصدور بعض الذنوب منهم ، انه ممن ورد وكيف دس ، حيث ان لسكل نبي او ولي حساد زمانه وشياطين أوانه وقد أعبتهم الخيل في صد دعوة الحق منهم (ع) ظاهراً فعملوا لها سراً وباطناً كوصفهم بما يحط من قدرهم لتنفير البشر عنهم ، وإيجاد الشكوك فيهم على جاري العادة في اعمال بطانة السوء .

والمعجب كل المعجب ممن درس سيرة حياتهم (ع) وحلل نفسياتهم وسبر أعمالهم كيف يتقبل في حقهم (ع) ما لم يتقبله في حق غيرهم من سائر الناس لو عرف عنهم الصلاح فرضاً ، ويبطل قول القائل فيهم ، وينسبه إلى الكذب والغرض الخاص .

أما بالنسبة إلى الأنبياء وأوصيائهم ، فتراه يتلقى الطعن فيهم بارتياح وعدم التكبر على راويه ، وكأنه من المسلمات عنده وعلى فرض الوقفة والتأمل قليلاً فتأخذه الحيرة في رد الراوي او اتهامه على الأقل بعدم التروي او قبول الرواية على ما فيها من الطعن على خيرة الله تعالى والحط من مقامهم وعن الدرجة التي رفعهم الله اليها إلى مستوى العاديين من عباده .

وبالأخير لا يجد من نفسه الجرأة على الطعن في ذلك الراوي محافظة منه على مقامه ، لأنه يراه من رجال الصحيح مثلاً ، فيقبل مضمون روايته الجارحة

في خلفاء الله في ارضه ومن جعلهم حججاً على عباده ومظهر شرعه ودينه ونموذج عدله ومعدن نوره وعلمه قبولاً يوجب سقوط عدالتهم (ع) وعدم قبول شهادتهم عليهم السلام بمقتضى مقررات القواعد الشرعية بدلا عن لزوم المحافظة على مقامهم ورعاية حقوقهم تجاه أجر الرسالة وأتباع الارشاد والهداية وما يحملوه من آلام روحية ومشقات بدنية في سبيل إنقاذ البشرية وعزلها عن صفوف الحيوانية البهيمية ورفعها إلى الدرجات العلية والمراتب الملكوتية .

هذا واجبنا تجاههم (ع) لو خيلنا ودافع العقل والانصاف (١) ، أما لو أضفنا اليه ما يلزمنا به الشرع المقدس والكتب المنزلة فيه من الاحتفاظ بحقوقهم ووجوب اتباعهم والتخلق بأوصافهم والتزام اقوالهم فالطامة حينئذ تكون اعظم لتسري التهمة منا عند عدم الالتزام بذلك الى مرسلهم وابعثهم حيث قد خصصهم في نظرنا دون مخصص وفضلهم بغير فضل لما نعتقد من مساواتهم في النقص لسائر عباده تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وهنا يحجف القلم ويقول : كفى به سبحانه حكماً بين سفرائه وأوصيائهم عليهم السلام ، وبين الظالمين لهم من عباده .

النجاة من هذه الورطة

اما الامامية وهم الفرقة الناجية بنص الحديث المتسالم عليه والذي تصافقت على تدوينه وتصحيحه أيادي علماء المسلمين من الفقهاء والمؤرخين ألا وهو قول نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى : مثل أهل بيتي كمثل

(١) أو كما يعبر عنه بالوجدان .

سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، وفي نسخة أخرى هوى (١) .
وقد أشار الامام الشافعي إلى ذلك بقوله المأثور عنه في كتاب رشفة
الصادي (٢) :

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم مذاهبهم في أبحر النفي والجبل
ركبت على اسم الله في سفن النجا وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت جبل الله وهو ولاؤهم كما قد أمرنا بالتمسك بالجبل
فالإمامية حيث انهم ركبوا في السفينة وتمسكوا بولاء ربانيها ، وأضاعت
قلوبهم بنور ذوبها ، تجلت لهم إرادة الله في رسله وتخلصوا من هذه الأقاويل
كلها سوا . كانت تجويز ارتكابهم (ع) الكبيرة او الصغيرة عمداً او سهواً فقط
بالتزامهم القول بعصمة انبياء الله وخلفائهم حيث علموا انها إرادة الله تعالى فيهم
وتأولوا كما جاء على خلافه ظاهراً وأثبت لهم (ع) ذنوباً ونقصائص تأويلا
لا ينافي قواعد التركيب وفن البلاغة جمعاً بين الحقين ، حق الأنبياء وخلفائهم ،
وحق الآيات والروايات ، راجين منه تعالى العصمة عن متابعة الهوى ، والوقوع
من جرائمه في لظى .

هذا وان لزوم عصمتهم وتحكيم حكمة الله تعالى في ذلك مما لا يكاد يخفى
على من له اقل روية ، غير ان الغالب على الظن ان داعي الانحراف عن الواقع
هو التنب عن اخطاء السلف والدفع عن نواقصهم والغض عن معاصيهم وتصحيح
زعامتهم بأن يقال لا عصمة في الأصل ولا في الفرع ، وقد اشتروا بذلك مسخط
المخالق برضاء المخلوق ، وقد قال رسول الله (ص) : من ارضى سلطاناً بما يسخط
الله تعالى فقد خرج عن دين الله عز وجل (٣) .

(١) راجع الفدير ج ٢ ص ٣٠١ فقد ذكر فيها عدة من المصادر . (٢) ص ٢٤ .

(٣) في كتاب دار السلام ج ٢ ص ٦٩ .

وقال (ص) ايضاً : ما اخلص عبد الله اربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة على لسانه (١) .
فكيف بمن اخلص له تعالى طول حياته أفلا يعصمه عن زلاته ويحفظه عن هفواته بما اودع فيه من حكيائته .

التحذير المشفع بالتهديد لمتابعي أهل الدنيا

ففي تفسير العياشي في قوله تعالى : اتخذوا أجبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، عن الصادق (ع) أما والله ما صاموا لهم ولا صلوا ولكنهم اطاعوهم في معصية الله تعالى ، فكانوا يعبدونهم من حيث لا يشعرون .
وعنه (ع) واقطع عمن ينسينك وصله ذكر الله ويشغلك إلفه عن طاعة الله ، فان ذلك من أولياء الشيطان وأعوانه ولا يحملنك رؤيتهم على المداهنة عند الحق ، فان ذلك خسران عظيم .
وعنه (ع) ان احدكم لا يصيب من دنياه شيئاً إلا أصابوا من دينه مثله
وعنه (ع) العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم .
وفي النهج في خطبته القاصعة ولا تطيعوا الأدياء الذين شربتم بصفوكم كدرهم وخلطتم بصحتكم مرضهم وأدخلتم في حقكم باطلهم ، وهم اساس القسوق واحلاس (٢) العقوق واتخذهم إبليس مطايا ضلال وجنداً بهم يصول على الناس وتراجمة ينطق على ألسنتهم استراقاً لعقولكم ودخولاً في عيونكم ونقشاً في آسماعكم فجعلكم مرعى نبله وموطئ قدمه وماخذ يده .

(١) في كتاب دار السلام ج ٢ ص ٦٩ . (٢) كساء رقيق يوضع على ظهر البهر يكون ملازماً له ، فقبل اكل ملازم لأمره وحلس ذلك الأمر ، فالذين لازموا الظلمة ودافعوا عنهم فقد عقوا رسول الله (س) وأهل بيته (ع) .

العقد الثاني في العبادة

قال الله تبارك وتعالى : « إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري » (١) .

على أثر أمره تعالى بالتوحيد يعني بالأمر بالعبادة وهي الاقرار بالعبودية والملك له سبحانه بعد ان وحدناه وعرفنا انه العلة الأولى والوحيد لا يجادنا فيجب علينا ان نخلص له في الطاعة ونوحده في العبادة .

وان جميع ما سمي بالعبادة هي مظاهر هذا الاقرار والاعتراف وكواشف هذه النية والعقيدة ودلائل الاخلاص والتوحيد . لذا جعلنا العبادة عقداً ثانياً والتوحيد عقداً أولاً أخذاً بمرتب الآية الكريمة .

وفيه فصول

الفصل الاول في الصلاة

وجعلنا الصلاة فصلاً أولاً ، حيث اعتبرها الشارع المقدس في مقدم بقية العبادات وصدرها وأهم أفرادها على حد تعبيره الصلاة عمود الدين ان قبلت قبل ما سواها وان ردت رد ما سواها لوضوح كشفها عن معنى العبودية بما تختص به أفعالها من عملية الخضوع والتذلل قياماً وركوعاً وسجوداً ، حتى ان افضل ما يمتاز به الانسان من جسمه وما به كرامته وهو جبهته يضعها على أوطأ ما لديه وأحقره وهو الأرض ، ولهذا منعت الشريعة الفراء من السجود على الماء كقول والملبوس لأن الناس عبيد ما يأكلون وما يدخرون فلو سجدوا عليه لكانوا كأنهم سجدوا له .

(١) سورة طه آية ١٤ .

تشريع الصلاة

ان تشريعها من كرم الله تعالى على عباده ومن أهم أظافه بهم حيث علم قوة نفوسهم الشريرة وضعف سيطرتهم عليها ، رغم إبداع العقل فيهم مضاداً لها لأنها كما أسلفنا فورا غير قارة وطموحة جوححة كالدابة الشرود ودوماً تمت بصاحبها إلى الكبر والجبروت والعظمة فيسعف سبحانه عباده بهذا العمل الذي هو بمجموع افعاله يمت الى الخضوع والنذل مقابل ما ترومه النفس ، فالصلاة في معركة وجدال مع النفس في الأوقات الخمسة ، فكلمتها تحركت النفس ووسوست لصاحبها بلسان شيطانها بالتكبر تقول لها : الصلاة الأولى بلسان حالها ما انت والتكبر وقد تذلت للعتكبر والمخالق والمدبر فتهدأ وقتاً ما .

ثم ترجع الى طبيعتها وبوحى من إبليسها ، فتصور له شخصيته وتحبب له طيشه وقاربت ان تجرفه فيأتيه المدد المهاوي بالصلاة الثانية مخاطبة له روحياً انك بين يدي جبار الجبابة وملك الملوك ألسنت بالفعل تقول : سبحانه ربي العظيم ويحمده ، فتتجلى له حينئذ عظمة خالقه ، وانه المتسلط على انفاسه ، فينظر إلى نفسه شزراً قائلاً لها بلسان اعماله وخضوعه : إلى كم تدفعين بي إلى المهالك وتزجين بي في ضيق المسالك فتراجع عنه ، وهكذا تستمر المعركة بتعدد جبهاتها وألوان أسلحتها ، فالصلاة من أعظم الأدوية المبيدة لجرنومة مرض النفس فهي لمصلحتها كنفود للسيارة ، فكما ان السيارة بدون مقود لا بد من وقوعها في مهوى من المهاوي ، ونتيجتها هلاك من فيها وتخطيمها ، فكذلك النفس بدون الصلاة قائمها المهلكة لصاحبها لو تركت وارادتها . وحيث علم تعالى حتمية قضاء هذا الدواء على هذا الدواء تراه يؤكد بأشد ما يكون من التأكيد وأخرج لهجة على استعماله وينادي بأن تارك الصلاة كافر .

الصلاة تتضمن وعدا ووعيدا

فترى طيبينا الرؤف بعباده ، تارة يستعمل التهديد والوعيد والتخويف والترهيب لتارك الصلاة ، سواء بمقوبات دنيوية او بمهلك أخروية ، وتارة اخرى يستعمل الوعد والترغيب بما انطوت عليه من عظيم الفوائد وجليل المقاصد عاجلا أو آجلا .

عقوبات تارك الصلاة

في كتاب نصاب الشيعية عن النبي (ص) تارك الصلاة يبتلي باثنتي عشر عقوبة ثلاث في الدنيا وثلاث عند الموت وثلاث عند القبر وثلاث في القيامة . اما التي في الدنيا يقلع الله سيماها الصالحين من وجهه ولا حظ له في الاسلام ولا يقبل له شيء من اعمال الخير ، واما التي عند الموت يموت عطشاناً جائعاً ذليلاً وجل القلب ، واما التي عند القبر يضيق به لحده ولا يلقي به الشهادتين عند منكر ونكير ويسلط الله عليه ثعباناً اسمه شجاع الأقرع ، واما التي في يوم القيامة يحشر أسود الوجه مكتوب على وجهه مسحوب في عرصات القيامة إلى جهنم ينادى عليه هذا جزاء من ترك فرائض الاسلام التي فرضها الله على عباده ، وفي الحديث ان السارق كل السارق من سرق من صلاته .

وجاء في الخبر لا تطعموا تارك الصلاة ولا تسقوه وإذا مرض فلا تعودوه فإذا مات فلا تشيعوه ولا تدفنوه في مقابر المسلمين ، وروي عن رسول الله (ص) ان كل محلة يكون فيها تارك صلاة تنزل عليها كل يوم سبعين لعنة .

وقد روى الصدوق في الفقيه عن النبي (ص) انه قال : من أعان تارك الصلاة بلفظة او كسوة ، فكأنما قتل سبعين نبياً اولهم آدم وآخهم محمد (ص) .
وفي خبر لا تسلموا على تارك الصلاة ولا تضحكوا في وجهه ، وقد حمل أمثال هذه الأخبار على معونته لتركه للصلاة ، وغير ذلك من المحامل الأخرى وعلى كل حال فإن تارك الصلاة بعيد عن الله ، وقد سئل الصادق (ع) ما بال الزاني لا يسمى كافراً ، وتارك الصلاة يسمى كافراً ؟ قال (ع) : الزاني إنما يزني لمكان شهوته ، وتارك الصلاة إنما يتركها تكبراً على الله تعالى والمتكبر على الله كافر وعن النبي (ص) من ترك الصلاة من غير عذر فقد حبط عمله ، ثم قال (ص) بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة .

وعنه (ص) ان الله تعالى يقول : من ترك الصلاة لا يرجو ثوابها ولا يخاف عقابها فلا أبالي يموت يهودياً او نصرانياً او مجوسياً ، إلى غير ذلك مما لا يحصى

فوائد الصلاة عاجلاً وآجلاً

قال تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (١) ، بعد قوله تعالى : « اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان ... الخ » إنما سميت صلاة لأنها صلة بين العبد وربه ، فهي كواجهة واتصال معه جل جلاله مباشرة ولذا يلزم على المصلي الانقطاع اليه بكله وتقطيع العلائق مع خلقه .
فقد روي عن بعض نساء النبي (ص) انه كان رسول الله يحدتنا ويحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا .

وقيل للحسن : ما بال المنتهجين من احسن الناس وجوهاً ؟ فقال : لأنهم

خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره .

ومعنى نهيبها عن الفحشاء والمنكر وان تكثرت فيه الأقوال ، إلا ان الملخص منها انها لطف منه تعالى للمكلف في ترك القبيح والمعاصي التي ينكرها الشرع والعقل ، فان انتهى يكون توفيقاً وإلا فقد غلبته نفسه وانعدم اللطف فلا يكون موفقاً ، وهن بمنزلة الناهي بالقول ، لأن اللطف معنوي ، فكأنها تقول لمصلحتها : لا تفعل الفحشاء والمنكر ، لأن فيها التكبير والتسييح والتهيل والقراءة والوقوف بين يدي الله تعالى ، وغير ذلك من صنوف العبادة ، وكل ذلك يدعو إلى شكله وصنفه ويصرف عن ضده .

وعن النبي (ص) من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً ، وعن ابن مسعود عنه (ص) انه قال : لا صلاة لمن لم يطع الصلاة ، ومعنى ذلك انها إذا كانت ناهية فمن أقامها ، ثم لم يذته عن المعاصي لم تكن صلاته بالصفة المطلوبة ، فان تاب من بعد ذلك وترك المعاصي ، فقد انكشف ان صلاته كانت نافعة له وناهية ، وان لم يذته إلا بعد زمان وكأنها كانت تعمل في جلاء القلب حتى أنتجت ، وان الأسباب ليست كلها فتأجها فعلية كالدواء بالنسبة إلى قوي الدواء ، فقد يتأخر نتاجه ثم يظهر ، وانه قد أفاد من أول استعماله .

وروى أنس ان فتى من الأنصار كان يصلي الصلاة مع رسول الله (ص) ويرتكب الفواحش ، فوصف ذلك لرسول الله (ص) فقال : إن صلاته تنهاه يوماً ما ، وعن جابر قال : قيل لرسول الله (ص) : إن فلاناً يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال (ص) : إن صلاته لتردعه ، وعن ابي عبدالله (ع) قال : من أحب ان يعلم ان صلاته قبلت منه أم لا فلينظر هل منعتة عن الفحشاء والمنكر ، فبقدر ما منعتة قبلت منه .

نادرة تخص موضوع النهي عن الفحشاء

روي ان رجلاً مؤمناً كانت له زوجة مؤمنة وجميلة وكان لها جار فاسق يتبعها عند خروجها إلى المسجد وإلى سائر حاجاتها ويؤذيها ، وإذا دخلت دارها ينظرها من شقوق الباب ، ثم يشرف عليها من السطح ، فشكت ذلك إلى زوجها وقالت : إختبر إحدى خصال ثلاث : اما الفراق او ان ترخصها ان تمضي الى اهلها او تنقل من هذه الدار ، فقال لها زوجها : إن علاج ذلك سهل اذا خرجت وتبعك كالميه وأمليه واشترطي عليه ان يصلي مدة اربعين يوماً ، ثم هي تبذل له نفسها فالترزم بالشرط وصلي ، فلما مضى عشرون يوماً قال لها زوجها تعرضي له فلما كلمته رأته منه إعراضاً وثاقلاً ، فلما مضت ثلاثون يوماً كلمته ففر منها وقال اليك غني فمن يخلصني من عقوبة يوم القيامة ، فلما مضت عليه اربعون يوماً كان من احسن المؤمنين ببركة الصلاة والمشول بين يدي رب العالمين .

الشیطان يخاف

قال رسول الله (ص) : لا يزال الشيطان ذعراً (١) من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس ، فاذا ضيعهن تجرأ عليه وأوقعه في العظام .
ولا عجب ان كانت الصلاة بهذه المثابة من التأثير في جلاء القلب وصرف فاعلها عن المعاصي ، بل عن كل شين وذيلة ، لأنها مناجاة مع الله تعالى ، ومن ناجاه واتصل به جل جلاله روحياً خصوصاً في الخلوات كمثل التهجد بنافلة الليل

(١) أي خانقاً .

يجد حلاوة ولذة لا يجدها في مكلمة غيره ، وتحصل له النفرة من الخلق ومن الاجتماع بهم ، ولا يكون له أنس إلا بربه كمن تعود على مجالسة الأمراء والملوك والأدباء فلا يجد لذة بل ثقلاً في مجالسة عوام الناس وجهلائهم ، إلا من كان قصده إرشادهم وهدايتهم ، فإنه حينئذ في خدمة ربه وتنوير عباده ، ومشغول بتنفيذ أوامره فهو منغمس أيضاً في تلك اللذة بعينها وكأنه مع ربه .

فقد ذكر في الخصال عن النبي (ص) ان الله عز وجل ناجى موسى بن عمران (ع) بمائة الف كلمة واربع وعشرين الف كلمة في ثلاثة ايام ولياليهن ما طعم فيها موسى ولا شرب فيها ، فلما انصرف إلى بني إسرائيل وسمع كلامهم مقتهم لما وقع في مسامعه من حلاوة الله عز وجل .

وقيل اوحى الله تعالى الى داود (ع) يا داود كذب من ادعى محبتي واذا جن عليه الليل نام عني أليس المحب يحب الخلو مع حبيبه ، ولنا قال الباقر (ع) ان قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وان قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار .

مسابقة الطامعين في الصلاة

لعلمهم بمغازيها وتمارها

كانت رابعة العدوية تصلي في اليوم والليلة الف ركعة وتقول : والله ما اريد بها ثواباً ولكن ليسر رسول الله (ص) ويقول للأنبيا : انظروا الى امرأة من أمي هذا عملها في اليوم والليلة .

وجزاً محمد بن المكندر أحد العباد الليل على نفسه وعلى أمه وعلى أخته

أثلاثاً ، فلما توفت اخته جزأه على نفسه وعلى أمه نصفين ، فلما ماتت أمه قام الليل كله وحده .

وكان مسلم بن بشار إذا دخل منزله سكت أهل بيته جميعاً فلا يسمع لهم كلام خشية منه ، فإذا دخل في الصلاة تحدثوا وضحكوا ، لأنه مشغول بصلاته وخطاب ربه .

وكان بعض العباد إذا انتصب الى الصلاة في المسجد الحرام يقع على رأسه الحمام حيث يظنه جذع قائم لطول انتصابه وعدم حر كته ، وكان بعضهم لا يطرد الذباب عن وجهه في الصلاة ، ف قيل له : كيف تصبر على ذلك ؟ فقال : بلغني ان بعض الفساق كان يتصبر تحت السياط ليقال فلان صبور ، وأنا بين يدي ربي أفلا أصبر على ذباب يقع علي .

وقال أويس القرني : ما بال الملائكة لا يفترون ونحن نفترون ، وقد ذكر الشهيد الثاني رضي الله عنه ان رجلاً صلى في حائط (١) له فيه شجرة فأعجبه ريش طائر على شجرة فأتبعه نظره ساعة فلم يذكر كم صلى فجعل حائطه صدقة ندماً على ما وقع منه وصدأ لنفسه عن أمثالها ، هكذا كانوا يفعلون قطعاً لمادة الفكر ومحافظه على الاتصال بالله تعالى ، ولهذا ورد في فضل التهجد بصلاة الليل ما لا يحصى لقلة شواغل الحواس ، وصفاء الخاطر ، وانتشار أنوار رحمة الباري عليهم وقت ذلك . وقد قيل في وصفهم :

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع
وقال آخر فاصح مشفق :

يا أيها الراقد كم ترقد قم يا حبيبي قد دنا الموعد

وخذ من الليل ولو ساعة تحظى إذا ما جمع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله لم يبلغ المنزل لو يجهد
أما رسول الله (ص) فقد قام حتى تورمت قدماه ، ونزل عليه من ربه
« طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » (١) .

وقال الحسن : ما كان أعبد في هذه الأمة من فاطمة بنت محمد (ص) كانت
تقوم بالأسفار حتى تورمت قدمائها .

وأما علي بن أبي طالب (ع) فناهيك من عبادته انه كانت تستخرج من
جسمه اشواك النصال ولم يشعر حيث هو مشغول بلذيد مناجاته مع ربه ، وقد
كانت تأخذه الغشوة المعروفة على أثر ذلك الاتصال بمقام الجلال ، فيظن من لا
علم له بحاله انه قد فارق الحياة ، ولذلك كثير من الشواهد قد ذكرت في محالها .
وأما علي بن الحسين (ع) فحدث عنه ولا حرج ، حتى استحق الوسام
بزين العابدين وسيد الساجدين من رب العالمين .

روي انه كان إذا قام إلى الصلاة تغير لونه ، فإذا سجد لم يرفع رأسه حتى
يرفض عرقاً .

وعن ابان بن تغلب قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : إني رأيت علي بن
الحسين إذا قام إلى الصلاة غشي لونه لون آخر ، فقال : والله ان علي بن الحسين
عليه السلام كان يعرف النبي يقوم بين يديه .

وعنه (ع) انه قال : قال ابني (٢) : كان علي بن الحسين (ع) إذا قام إلى
الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه إلا ما حركته الريح منه .

وعن ابني حمزة الثمالي قال : رأيت علي بن الحسين (ع) يصلي فسقط رداءه
عن منكبيه ، فلم يسوه حتى فرغ من صلاته فسأله عن ذلك ، فقال : ويحك

(١) سورة طه الآية ١ . (٢) يعني الباقر (ع) .

أتدري بين يدي من كنت . إن العبد لا تقبل منه صلاة إلا ما أقبل فيها ،
فقلت : جعلت فداك هل كنا فقال : كلا إن الله يتم ذلك بالنواهل .
وعن الصادق (ع) قال : إني لأحب للرجل منكم إذا قام في صلاة فريضة
ان يقبل بقلبه على الله تعالى ولا يشغل قلبه بأمر الدنيا ، فليس من عبد يقبل
بقلبه على الله إلا أقبل الله بوجهه عليه وأقبل بقلوب المؤمنين إليه بالمحبة بعد
حب الله إياه .

وعنه (ع) فإذا صليت فأقبل بقلبك على الله عز وجل ، فإنه ليس من عبد
مؤمن يقبل بقلبه على الله في صلواته ودعائه إلا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين
وأيده مع مودتهم إياه بالجنة .

وقال النبي (ص) : الصلاة ميزان من وفي استوفى .

وقال (ص) : اعبد الله كأنه تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

وقال (ص) : أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة ان يحول الله
وجهه وجه حمار .

وقال (ص) : من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من أمور الدنيا
غفر الله له ذنوبه .

وقال (ص) : من حبس نفسه في صلاة فريضة فآتم ركوعها وسجودها
وخشوعها ، ثم مجد الله عز وجل وعظمه وحمده حتى يدخل وقت صلاة أخرى
لم يبلغ بينهما كتب الله له كأجر الحاج المعتمر ، وكان من أهل عليين .

وعنه (ص) ان من الصلاة لما يقبل منها نصفها وثلاثها وربعمها - الى ان
قال (ص) - وعشرها وان منها لما تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه
صاحبها ، وإنما لك من صلواتك ما أقبلت عليه بقلبك .

وروي عنه (ص) انه رأى رجلاً يعبت بلحيته في صلاته فقال (ص) :

أما انه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه ثمانية لا تقبل صلاتهم الامام الجائر والامام
يصلي بالقوم وهم له كارهون والسكران ومانع الزكاة وتارك الوضوء والزين (١)
والمرأة تبيت وزوجها عليها ساخط والحرة تصلي بغير قناع .
وعن علي (ع) لا يقوم من احدكم في الصلاة متكاسلاً ولا ناعساً ولا يفكرن
في نفسه فإنه بين يدي ربه عز وجل وإنما للعبد من صلاته ما أقبل عليه منها بقلبه

العلاج لقطع الافكار في الدنيا

هو العلم بان ذلك كله من تتبع الشيطان ، حيث خسر معرفته الأولى مع
المصلي في تركها من أصلها فيكر عليه بحرب ثانية بتقليل أجرها وتخفيف وزنها
فاذا تعوذ المصلي منه وتباعد بفكره عن عدو لدود بقطع جذوره من سويداء القلب
وترك مطالب الدنيا إلى جانب ، فإنها حباتل الوسوسة ، فحينئذ تصفو له صلاته .

الامثلة التقريرية لذلك

رجل يصلي تحت شجرة أراد ان يصفو له فكره ، وكانت أصوات العصافير
تشوشه فهو يطيرها بخشبة بيده وهي تعود ، وهكذا فعل مراراً ، فيقال له ان
اردت الخلاص من العصافير فأقطع الشجرة من أصلها ، وهكذا شجرة الشهوة فان
أغصانها كثيرة ، فلا يجدي قطع غصن منها إلا قطع أصل حب الدنيا ، وكان
علي (ع) إذا حضر وقت الصلاة يتعامل فيقال له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول
جاء وقت امانة عرضها الله على السماوات والأرض مثال آخر ، كالنباب على الأقدار

(١) الذي يدافع البول والنااط .

فكلما ذب آب ورجع ، فالانشغال بدفعه يطول ، وربما لا يجدي ولكن كسح الأقدار من أصلها يذهب ولا يعود ، فالأفكار في العبادة ناشئة من حب الدنيا فإذا أخرج من القلب ومليء بحب الله تعالى والآخرة ، وبحب الاجتماع مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار (ع) توجهه القلب وانجذبت بقية الحواس اليه وحصل على الصلاة الآتي ذكرها وذكر فضلها .

ما ورد في فضلها

قال رسول الله (ص) : إذا قام العبد المؤمن في صلاة نظر الله اليه أو قال : أقبل عليه حتى ينصرف ، وأظلمت الرحمة من فوق رأسه إلى أفق السماء والملائكة تحفه من حوله إلى أفق السماء ووكّل الله به ملكاً قائماً على رأسه يقول : أيها المصلي لو تعلم من ينظر اليك ومن تناجي ما التفت ولا زلت عن موضعك .
وعن أبي عبد الله (ع) قال : من قبل الله منه صلاة واحدة لم يعذبه ومن قبل منه حسنة لم يمذبه .

وقال رسول الله (ص) : الصلاة مرضاة الرب وحب الملائكة وسنة الأنبياء ونور المعرفة وأصل الإيمان وإجابة الدعاء وقبول الأعمال وبركة في الرزق وراحة في البدن وسلاح على الأعداء وكراهة الشيطان وشفيع بين صاحبها وملك الموت والسراج في القبر وفراش تحت جنبه وجواب منكر ونكير ومؤنس في السراء والضراء وصائر معه في قبره إلى يوم القيامة .

وعن أبي عبد الله (ع) قال : من صلى ركعتين يعلم ما يقول فيها انصرف وليس بينه وبين الله ذنب إلا غفر له .

وقد روى الصدوق في الفقيه انه قال النبي (ص) : ما من صلاة يحضر

وقتها إلا نادى ملك بين يدي الناس ايها الناس قوموا إلى نيرانكم التي اوقدتموها على ظهوركم فاطفئوها بصلاتكم .

وفي الأمالي باسناده إلى العسكري (ع) قال : لما كلم الله موسى (ع) تكليماً كان مما قال موسى (ع) : إلهي فما جزاء من آثم الوضوء من خشيتك ؟ قال : أبعثه يوم القيامة وله نور بين عينيه يتلأأ ، قال : إلهي فما جزاء من قام بين يديك يصلي ؟ قال : يا موسى أباهي به ملائكتي راكعاً وساجداً وقائماً وقاعداً ومن باهيت به ملائكتي لم أعذبه قال : يا إلهي فما جزاء من صلى الصلاة بوقتها ؟ قال : أعطيه سؤلي وأبيحه جنتي .

تشبيه الصلاة بالحمة (١)

قال رسول الله (ص) : إن الصلاة كالحمة تكون على باب الرجل يغتسل بها في اليوم والليلة خمس مرات ، فما عسى ان يبقى فيه شيء من الدرن (٢) فكذا الصلاة فانها تحت الذنوب عن المصلي حث الورق عن الشجر ، وكما ورد في الخبر انها كفارة للذنوب التي اكتسبها ما بين الصلاتين .

الصلاة يعالج بها سواد آدم (ع)

في كتاب قصص الأنبياء (٣) عن كتاب علل الشرائع عن ابي عبدالله (ع) لما أهبط آدم من الجنة ظهرت في وجهه شامة سوداء ثم انتشرت من قرنه إلى

(١) العين النابتة بالماء الحار يستشفى بها من الملل ؛ ولله لما فيها من المواد الكبريتية

وغيرها . (٢) المرض . (٣) لسيد نعمه الله الجزائري ص ٤٩ .

قدمه فطال حزنه وبكاؤه على ما ظهر به فأتاه جبرئيل فقال : ما يبكيك يا آدم ؟ قال : لهذه الشامة التي ظهرت بي قال : قم فصل فهذا وقت الصلاة الأولى ، فقام فصلى فأنحطت الشامة إلى صدره ، ثم جاءه في الصلاة الثانية فقال : يا آدم قم فصل فهذا وقت الصلاة الثانية فقام فصلى فأنحطت الشامة إلى سرته ، ثم جاءه في الصلاة الثالثة فقال : يا آدم قم فصل فهذا وقت الصلاة الثالثة ، فقام فصلى فأنحطت الشامة إلى ركبتيه ، ثم جاءه في الصلاة الرابعة فقال : يا آدم قم فصل فهذا وقت الصلاة الرابعة ، فقام فصلى فأنحطت الشامة إلى رجليه ، ثم جاءه في الصلاة الخامسة فقال : يا آدم قم فصل فهذا وقت الصلاة الخامسة ، فقام فصلى فخرج منها فحمد الله وأثنى عليه فقال جبرئيل : يا آدم مثل ولدك في هذه الصلاة كمثلك في هذه الشامة من صلى من ولدك في كل يوم وليلة خمس صلوات ، خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشامة .

فالمستفاد من هذا مدى أثر الصلاة وتكفيرها للذنوب وانها كفسيلا أولا وتشبيه الذنوب بالشامة في السواد والرين على القلب تانياً .

الاعتبار لذوي اللب والأفكار

فهل آن لنا ان نأخذ العبرة باستمرار الفكرة في اهتمام هؤلاء الرجال العظام والمؤمنين الكرام بالصلاة لهذا الحد ، بحيث قد تركوا راحتهم في النوم إضافة إلى النهار وسهروا طول ليلاتهم صافين أقدامهم متمثلين أمام خالقهم ، كما قدمنا بعض احوالهم ، وان ذلك منهم ما هو إلا لما علموه من عظيم ثوابها وفهموه من رفيع شأنها وعميق أسرارها ، وحتى قال رئيسهم وسيدهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وقره عيني الصلاة .

الاسرار الدفينة في الصلاة

قال الله تبارك وتعالى : « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً » (١) .

في العلل والأماي مسنداً إلى الحسن بن علي (ع) قال : جاء نفر من اليهود إلى رسول الله (ص) فسألوه عن مسائل فقالوا : اخبرنا عن الله لأي شيء وقت هذه الصلوات الخمس في خمس مواقيت على أمتك في ساعات الليل والنهار فأجاب وقال (ص) : إن الشمس إذا بلغت الزوال لها حلقة تدخل فيها ، فإذا دخلت زالت الشمس فسيح كل شيء ما دون العرش لربي ، وهي الساعة التي يصلي علي فيها ربي فافترض علي وعلى أمي فيها الصلاة ، إذ قال : أقم الصلاة لدلوك الشمس وهي الساعة التي يؤتى بجهنم فيها يوم القيامة ، فما من مؤمن يوافق في تلك الساعة ساجداً او راکعاً او قائماً في صلاته إلا حرم الله جسده على النار .

واما صلاة العصر فهي الساعة التي أكل فيها آدم من الشجرة فأخرجه الله من الجنة فأمر ذريته بهذه الصلاة إلى يوم القيامة واختارها لأمي فهي من أحب الصلاة إلى الله وأوصاني ان أحفظها من بين الصلوات (٢) .

واما صلاة المغرب فهي الساعة التي تاب الله فيها على آدم وكان ما بين ما أكل من الشجرة وبين ما تاب الله عليه ثلاثمائة سنة من ايام الدنيا ، وفي أيام الآخرة يوم كآلف سنة وهي من وقت صلاة العصر إلى وقت العشاء ، فصلي آدم

(١) - سورة الاسراء الآية ٨١ . (٢) اقوله : وحافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى حيث أكد على الوسطى وهي العصر على أكثر التفسير والتأكيد لجهة دخولها في الصلوات عموماً ثم أفردتها خصوصاً .

ثلاث ركعات ركعة لخطيئته وركعة لخطيئة حواء وركعة لتوبته فتاب الله عليه
فافترض الله هذه الثلاث ركعات على أمي ، وهي ساعة الاجابة وعدني ربي ان لا
يخيب من سأله حيث قال : فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون .

واما صلاة العتمة (١) فان للقبر ظلمة وليوم القيامة ظلمة أمر الله لي ولأمي
بهذه الصلاة ، وما من قدم مشت إلى صلاة العتمة إلا حرم الله عليه قعود النار وينور
الله قبره ويعطى يوم القيامة نوراً يتجاوز به الصراط وهي الصلاة التي اختارها
الله للمرسلين قبلي .

واما صلاة الفجر فان الشمس إذا طلعت تطلع من قرن الشيطان فأمر الله لي
ان أصلي قبل طلوع الشمس وقبل ان يسجد الكفار لها يسجدون أمي لله وسرعتها
احب إلى الله وهي الصلاة التي تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار ، قال تعالى :
وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً (٢) .

ثم قال اليهودي : لأي شيء توضع هذه الجوارح الأربعة ، وهي أنظف
المواضع في الجسد ؟ قال النبي (ص) : لما وسوس الشيطان إلى آدم ودنا من
الشجرة ونظر إليها ذهب ماء وجهه ، ثم قام وهو أول قدم مشت إلى الخطيئة ، ثم
تناول بيده ، ثم مسها فأكل منها فطار الحلي والحلل عن جسده ، ثم وضع يده
على رأسه وبكى ، فلما تاب الله عليه فرض الله عليه وعلى ذريته الوضوء على هذه
الجوارح الأربعة ، وأمره ان يغسل الوجه لما نظر إلى الشجرة ، وأمره ان يغسل
الساعدين إلى المرفقين لما تناول منها بها ، وأمره ان يمسح الرأس لما وضع يده
عليه وبكى ، وأمره ان يمسح القدمين لما مشى بها إلى الخطيئة .

واما الأمر بالتيمم وضماً لتلك الأعضاء الرئيسية ، وهضمها بملاقاة التربة
الخشيسة مقدمة لكسر القلب من التكبر والتجبر .

(١) أي العشاء . (٢) سورة الاسراء الآية ٨١ .

وقال امير المؤمنين (ع) : لا تجوز صلاة امرىء حتى يطهر خمس جوارحه
الوجه واليدين والرأس والرجلين بالماء والقلب بالتوبة .

الرموز الخفية في اجزاء الصلاة وشرائها

وحيث قد تعرفنا على بعض الأسرار في الصلاة مما يعطينا نظرة جديدة
عن أهمية الصلاة وما أودع فيها من الخير والدروس الدقيقة إضافة الى ثوابها
وعظيم اجرها لمصلحتها ، فلنفصل الكلام في كشف هاتيك الأسرار وإيضاح تلك
الرموز ، فان للصلاة بجميع أفعالها وشرائها ظاهراً ، وهو ما امر به المكلف
جامعاً لما هو المذكور من الشرائط والاجزاء في الكتب الفقهية والمسائل العملية
وباطناً وتأويلاً على حد تعبير مولانا امير المؤمنين (ع) في بعض أجوبته في ذلك
وهاك تفاصيلها :

اما الطهارة فهي رمز الى لزوم تطهير القلب والسريرة ، مثل ما طهرت
الأعضاء ، بل هو أولى بالتطهير من تنن رائحة الذنوب المؤذية للملائكة في السماء
عند رفع السيئات خصوصاً عند إرادة الوقوف بين يدي رب العالمين كما لو أردنا
الوقوف عند ملك من ملوك الدنيا ، هل ندع نتناً مؤذياً في أبداننا .

واما ستر العورة في الصلاة فهو رمز الى وجوب ستر عورات الباطن فانه
إذا وجب على المصلي ستر عورات ظاهر بدنه عن الناظرين ، وهم مخلوقون مثله
فما ظنك في عورات باطنك وفضايح سترك التي هي موضع نظر معبودك وخالقك .
فإنها أولى بالستر وأحرى ، فاحضر تلك الفضايح ببالك ، وطالب نفسك بسترها
بالندم والحياء والخوف ، وأنزل نفسك منزلة العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم
فرجع الى مولاه منكساً رأسه .

واما الاستقبال الذي هو صرف وجهك عن سائر الجهات الى جهة خاصة وهي جهة بيت الله الحرام فقط ، بحيث لا تشركه جهة أخرى في النظر والتوجه فهو رمز الى لزوم صرف وجه قلبك مع وجه بدنك عما سوى الله تعالى ، فكما لا يمكنك التوجه الى البيت فقط إلا بالصرف عن سائر الجهات فكذلك لا يمكنك التوجه الى الحق خالقك ومدبرك ومرجعك إلا بصرف قلبك عن سواه .

واما القيام في الصلاة بشرطه من السكون والطمأنينة ، فهو رمز الى الوقوف بين يدي الرب يوم القيامة والعرض عليه شاخصة أبصارهم ترهقهم ذلة وحاسب نفسك قبل ان تحاسب وزن نفسك قبل ان توزن .

واما النية وهي قصد التقرب اليه سبحانه ، فانها رأس العبادات ولا تصح بدونها ولكل امرئ ما نوى ، فهي رمز الى الخلوص الى الله رجاء ثوابه وخوف عقابه ، وطلباً للقرب منه تعالى وان لم يخلص العبد لله تعالى في عمله فلا يجد له أثراً في سجله ، فقد ورد انه يؤتى بالعبد يوم القيامة ويحاسب فيؤمر به الى النار فيقول : يا رب وانت العدل الذي لا يجوز ان لي عملاً لم أجده في قائمة أعمالى ويعدده فيجاب من قبل الله تعالى حيث هو العالم بالسر وأخفى اطلب أجر عملك ممن عملته له « لأنك لم تقصدني به » لذا قلنا ان النية رأس العبادات .

واما التكبير المسمى بتكبير الاحرام ، فمعناه ان يقول لسالك : إن الله اكبر من كل شيء فهو رمز الى ان قلبك ايضاً يلزمه ان يقول ذلك وان لا يكون قلبك مكذباً لسانك ولا تكون طاعتك هواك أشد من طاعتك لربك وإلا فقد عظمت هواك وكبرته على الله تعالى وكذبت نفسك في قولك : الله اكبر ، لأن هواك حينئذ عندك اكبر وأعظم .

واما القراءة فاستحباب الاستعاذة (١) وقد قيل بوجودها ايضاً فهو رمز

(١) اطلق العلماء على الاستعاذة بان يقول بعد تكبير الاحرام قبل الخروج

بالأمانة أوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وللشيخ الطوسي بوجودها .

لأجل تذكر عداوة الشيطان وفعله مع آدم وسائر العاصين من ذريته ، وأنواع مكائده لعلمه بأهمية الصلاة وعظيم فوائدها لمصلحتها وفيها السجود المسبب لبعده فوقه فيها شديد فهي رمز الى شدة التحذر منه ومن مساوسه القلبية وإشغالك بخصوص امور الدنيا والتباعد عن التفكير بمطالب الصلاة ، حيث يروم تقليل فضلها بعد ان صار مأيوساً من اغوائك على تركها فقول : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم إشارة الى التحذر من ذلك ، والى صفاء القلب والسريرة ، كي ينفتح لك باب الملكوت بالمغفرة وباب الجبروت بالفضل والكرامة .

واذا قلت : بسم الله الرحمن الرحيم فهو رمز الى التبرك باسمه ولتعلم ان الأمور كلها به ، وهي من فيض رحمته في الدنيا والآخرة ، فاذا كانت النعم مبدؤها جوده ، ومن بحر كرمه وجوده كما قال سبحانه : وما بكم من نعمة فمن الله فاذا لا يليق الحمد والثناء إلا له . وعليه فتقول حينئذ : الحمد لله واذا حمدته فلتعلم انك تأسيت بالملائكة المقربين حيث قالوا : نحن نسبح بحمدك وبعباده الصالحين حيث يحكم بينهم وبين المجرمين يوم الدين فيحمدون ربهم كما اخبر سبحانه عنهم بقوله : وقضي بينهم بالحق ، وقيل : الحمد لله رب العالمين .

وبعدما يعبرون الصراط يقولون : الحمد لله الذي هدانا لهذا وبعدما يتمكنون في قصور الجنان يقولون : الحمد لله الذي صدقنا وعده وبعدما ينالون غايات الآمال يكون آخر كلامهم الدنيوي الحمد كما اخبر عنهم بقوله ، وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين .

وفي كتاب عيون اخبار الرضا (ع) (١) بسنده عن امير المؤمنين (ع) لما سأل رجل عن معنى الحمد لله رب العالمين ، قال (ع) : رب العالمين مالسكنهم وخالقهم وسائق أرزاقهم اليهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون ، فالرزق

مقسوم وهو يأتي ابن آدم على أي سيرة سارها من الدنيا ليس تقوى متق بزائده ولا فجور فاجر بناقصه وبينه وبينه ستر وهو طالبه ، فلو ان أحدكم يفر من رزقه لطلبه رزقه كما يطلبه الموت فقال جل جلاله قولوا : الحمد لله على ما انعم به علينا وذكرنا به من خير في كتب الأولين قبل ان نكون .

ففي هذا إيجاب على محمد وآل محمد وعلى شيعتهم ان يشكروه بما فضلهم وذلك ان رسول الله (ص) قال : لما بعث الله موسى بن عمران (ع) واصطفاه نبياً وخلق له البحر ونجى بني إسرائيل وأعطاه التوراة والألواح رأى مكانه من ربه عز وجل فقال : يا رب لقد اكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً قبلي فقال الله تعالى : يا موسى أما علمت ان محمداً عندي افضل من جميع ملائكتي وجميع خلقي قال موسى : يا رب فان كان محمد اكرم عندك من جميع خلقك فهل في آل الأنبياء اكرم من آلي؟ قال الله تعالى : يا موسى ان فضل آل محمد على جميع آل النبيين كفضل محمد على جميع المرسلين فقال موسى : يا رب فان كان فضل آل محمد كذلك فهل في أمم الأنبياء افضل عندك من أممي ظلت عليهم الغمام وأنزلت عليهم المن والسلوى وفلقت لهم البحر ، فقال الله تعالى : أما علمت ان فضل أمة محمد على جميع الأمم كفضله على جميع خلقي ، فقال موسى : يا رب ليتني كنت أراهم فأوحى الله عز وجل اليه يا موسى انك لن تراهم وليس هذا أوان ظهورهم ولكن سوف تراهم في الجنات جنات عدن والفردوس بحضرة محمد (ص) في نعيمها ينقلبون وفي خيراتها يتجبحون (١) ، أفنحب ان اسمعك كلامهم؟ قال : نعم إلهي . قال جل جلاله : قم بين يدي واشدد مثزرك قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل ، ففعل موسى ذلك فنادى ربنا عز وجل يا أمة محمد فأجابوه كلامهم وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان

(١) أي يتمكون في اللقائم فيها أو يتوسطون .

الحمد والنعمة والملك لك لا شريك لك قال (ع) : فجعل الله عز وجل تلك
الاجابة شعار الحاج .

ثم نادى ربنا عز وجل يا أمة محمد ان قضائي عليكم ان رحمتي سبقت غضبي
وعفوي قبل عقابي فقد استجبت لكم من قبل ان تدعوني وأعطيتكم من قبل ان
تسألوني ، من لقيني منكم بشهادة ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً
عبده ورسوله صادق في اقواله محق في افعاله ، وان علي بن أبي طالب أخوه
ووصيه من بعده ووليه ويلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمد ، وان اولياءه المصطفين
الظاهرين المطهرين المنبئين بمعجائب آيات الله ودلائل حجج الله من بعدها اوليائه
أدخله جنتي وان كانت ذنوبه مثل زبد البحر .

قال (ع) : فلما بعث الله محمداً (ص) قال سبحانه : يا محمد وما كنت
بجانب الطور إذ نادينا (١) ، ثم قال الله عز وجل لمحمد : قل الحمد لله رب العالمين
على ما اختصني به من هذه الفضيلة ، وقال لأمة : قولوا : الحمد لله رب العالمين
على ما اختصنا به من هذه الفضائل .

وفي ص ٣٠٠ منه بسنده إلى امير المؤمنين (ع) قال : قال رسول الله (ص)
قال الله عز وجل : قسمت فأحمة الكتاب بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي
ولعبدي ما سألت إذا قال العبد : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين .
قال الله جل جلاله : حمدني عبدي وعلم ان النعم التي له من عندي وان
البلايا التي دفعت عنه فبطولي أشهدكم اني أضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة
وادفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا .

فاذا قال العبد الرحمن الرحيم قال الله جل جلاله : شهد لي عبدي اني الرحمن
الرحيم اشهدكم لأوفرن من رحمتي حفظه ولأجزلن من عطائي نصيبه .

(١) أي أمك بهذه الكرامة سورة القصص الآية ٢٤٦ .

فإذا قال : مالك يوم الدين ، قال الله جل جلاله : اشهدكم كما أعترف اني
مالك يوم الدين لأسهلن يوم الحساب حسابه ولأتجاوزن عن سيئاته ، فإذا قال :
إياك نعبد ، قال الله عز وجل : صدق عبدي إياي يعبد اشهدكم لأنيبنه على عبادته
ثواباً يغبطه كل من خالفه في عبادته لي ، فإذا قال : وإياك نستعين ، قال الله
عز وجل بي استعان عبدي والتجأ إلي ، اشهدكم لأعيننه على أمره ولأغيننه في
شدائده ولأأخذن بيده يوم نوائبه .

فإذا قال : إهدنا الصراط ... الخ ، قال الله عز وجل : هذا لعبدي ولعبدي
ما سأل فقد استجبت لعبدي وأعطيته ما أمل وآمنته مما وجل .

وفيه أيضاً (١) عن رسول الله (ص) قال : إن الله تعالى قال لي : يا محمد
واقدم آيتناك سبعمائة من المثاني والقرآن العظيم فأفرد الامتنان علي بفاتحة الكتاب
وجعلها بازاء القرآن العظيم وان فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش وان
الله عز وجل خص محمداً (ص) وشرفه بها ولم يشرك معه احداً من انبيائه ما خلا
سليمان فانه أعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم .

ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمد (ص) وآله الطيبين منقاداً لأمرها مؤمناً
بظاهرها وباطنها أعطاه الله عز وجل بكل حرف منها حسنة كل واحدة منها افضل
له من الدنيا وما فيها من أصناف أموالها وخيراتها ومن استمع إلى قاريء يقرؤها
كان له بقدر ما للقاريء فليستكثر أحدكم من هذا المعرض لكم فانه غنيمة لا يذهب
أوانه فتبقي قلوبكم في الحمرة .

وبعد الفراغ من القراءة تشرع في الركوع وهو رمز إلى عظمة الباري
جل شأنه حيث انك قد تجلت لك بواسطة ما تقدم بأعظم مما كنت تعرفه فتجد
نفسك حينئذ مقصراً في تعظيمه ، ولا يفغني لك الوقوف بين يديه كما تقف بين

يدي أكابر خلقه ، وما الميزة له ولعظمته فتقصد بركوعك زيادة التعظيم وان لا تبقى مستقيم الغمامة أمام هذه العظمة مقروناً بالخشوع .

وقال ابو جعفر (ع) : من أتم ركوعه لم تدخله وحشة في القبر ، وكان رسول الله (ص) إذا ركع لو صب الماء على ظهره لاستقر ، واما مد العنق فمعناه اني آمنت بك ولوضرت عنقي ثم تشهد وتعبر عما داخل قلبك من عظمته عز وجل بقولك : سبحان ربي العظيم وبحمده ، ثم ترفع رأسك قائلاً سمع الله لمن حمده إشارة منك إلى العقيدة بأنه لا تخفى عليه خافية من حسنة او سيئة وانه السميع البصير .

ثم السجود رمز منك إلى انك بعد لم تؤد وظيفة العبد للمولى ، إلا ان تهوي إلى اقصى درجات التذلل ، حيث تلصق اعز جوارحك واشرفها وهو جبهتك بأذل الأشياء وأخسها وهو التراب كما اشرنا اليه سابقاً ، ولهذا نهى عن السجود على الذهب والفضة والمأكول والملبوس ، لأنها متاع الدنيا والسجدة متاع الآخرة ، ولما فيها من الاعتزاز بها ما ليس في التراب ولدفع شبهة العبودية لزينة الدنيا حيث ان الانسان عبد للدنيا ومتاعها .

وقد روي عن امير المؤمنين (ع) حين سئل عن معنى السجدة الأولى والرفع منها والسجدة الثانية والرفع منها ، فقال (ع) : معناه منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ، فالسجدة الأولى إشارة إلى ان مادة خلقنا من هذا التراب والرفع إشارة إلى خروجنا منها ورفع رؤوسنا قليلاً لا تصل إلى حد القيام إشارة إلى قصر هذا الوقت وان مدة العمر اقل قليل ، وإلى انتقالنا من هوان إلى هوان ، والسجدة الثانية إشارة إلى رجوعنا إلى هذا التراب عند الموت والرفع الثاني إشارة إلى الحشر والنشر والبعث منها للحسنات التي هي نتاج هذه الصلوات .

وان للسجود عظمتة ، فقد روي انه اقرب ما يكون العبد الى ربه وهو ساجد ، ولهذا يتأذى ابليس وتقوم قيامته اذا رأى المؤمن يصلي ويسجد فينخر نخرة يملأ الفضاء صوتها فتجتمع عليه ابالسته وتقول له : ما دهالك ؟ فيقول : اما ترون هذا كيف يصلي وان في صلاته لسجوداً وبه يدخل الجنة حيث قد امثله امر الله بالسجود ونحن ندخل النار لامتناعنا عن السجود فاني لا ياخذني قرار مادام هذا مطيعاً لربه فتقول له شياطينه نحن ندخله كل مدخل حتى يعصى فيقول : اخبروني كيف تدخلون عليه فيقول احدهم : انا ادخل عليه من طريق المال فيقول له : هذا لو أعطيتك كل مال الدنيا لم يعص الله ، فيقول له الآخر : انا ادخل عليه من طريق النساء فيقول له : لو أعطيتك حورا لم يعص الله فيها الى غير ذلك من مصائدكم وشباكم وهو يرد عليهم .

السلح المنهائي لابليس لعنه الله

فيقول : بل انا ادخل عليه من طريق الزهد والعبادة حيث هي رغبته ومعشوقه فيأتي اليه ويصف أقدامه إلى قربه ويعبد عبادة معدومة النظر لا يتغوط ولا ينام ولا يأكل ولا يشرب ولا يستريح دائماً على العبادة فتعجب عبادته ذلك العابد ويستقل عبادة نفسه فيقبل عليه ويسأله معظماً له من اين حصل لك هذا النشاط والاقبال على العبادة ، وقد عبدت الله عدة من السنين ولم يكن لي مثل هذا الشوق والقوة على مثل عبادتك ، فيجيبه ابليس نعم انا أدلك على الطريق الذي يحصل لك مثل ما حصلت عليه .

اعلم اني قد أذنبت ذنباً واحداً ، ثم حصل لي الندم واستغفرت فغفر لي ربي فكنت كلما أتذكر ذلك الذنب أقوى وأنشط ، وكما يعتريني فتور أجعل

ذلك الذنب أمامي فيسوقني إلى ان اطيع لأتدارك ذنبي كل ذلك خوفاً من ربي .
 فيقول له العابد : أي ذنب أرتكب ، فيجيبه إبليس إمض الى الفاحشة
 الفلانية واعمل معها الفبيح فيقول : ليس عندي تمن وهي لا تقبل إلا بالمال فيبذل
 له خمسة دنانير كما هي عادة شياطين الانس عند إغوائهم لقرنائهم ورفقائهم يبذلون
 تمن السكر او الفاحشة او أجرة الملهي لهم ليووقعهم بالشهوة ثم الاستمرار على العمل
 فيمضي العابد المغرور ويدخل على البغية فيأخذها العجب وتقول له : إن
 هذا مقام لا يليق بك لأنه محل البغاء والمعاصي فيقول : واني قد أتيتك لهذا
 فتستغرب ذلك وتقول واعظة له : إنك مقتدانا واليك نزع في شدائدنا ومهام
 أمورنا لتدعو لنا وتشفع لنا بمقبول دعائك ، فمن ارشدك الى هذا ؟ فيقول :
 ذلك العابد وهو رفيقي ، وذكر لها السبب وانه الذي بذل له العوض فقالت له :
 ليس كذلك وما هذا إرشاد مؤمن بل هو شيطان أراد فساد عبادتك عليك
 فامض بنا اليه نستكشف أمره ، فلم يجداه وقد فر حيث قد انكشفت حيلته وبطل
 سحره ، فتقول البغية عند ذلك : انا الآن قد علمت قدر عداوته لابن آدم ،
 وكيف يحزن لو رأى عابداً قد انقطع الى ربه فوالله لأتوب إلى ربي وأقلع عن
 ذنبي وأمضي معك أعبد الله تعالى لأديم على إبليس حزنه وأشدد عليه مصيبتة
 فتعضي الى الجبل وتعبد ربه باخلاص وندم مستعيذة به جل شأنه من مكائد
 إبليس وتحسن توبتها باخلاص نيتها .

وبعد ثلاثة أيام يأتيها أجلها المحتوم محودة العاقبة فيوحي سبحانه إلى نبي
 زمانها ان شيع جنازتها وعظم شأنها ففعل وخرج الناس جميعاً حيث رأوا النبي
 قد خرج واستغربوا ذلك منه لعدم علمهم بها ، إلا انها فاحشة فيلجئهم الاستغراب
 الى السؤال من نبيهم وانها كيف استحققت هذا التعظيم .

فيجيبهم لأنها أحييت العابد من الهلكة أولاً ولحسن توبتها وقهرها لابليسها

ثانياً ، ومن أحبي نفساً فكأنما أحبي الناس جميعاً ، فقدر الله لها عملها وشكر مسعيها بعد قبول توبتها .

والمستفاد من هذا مدى تتبع الشيطان لاغواء الانسان وعدم يأسه منه بمجرد طاعته وعبادته هذا أولاً وأهمية الارشاد وإحياء النفوس وعظيم أثره عند الله تعالى لفاعله وجزائه عليه ثانياً .

وقبول التوبة إذا كانت نصوحاً مهما عظمت المعصية ثالثاً ، وان التوبة من أشد الصواعق على رأس إبليس ، لأنها تفسد عليه عدة متاعب قد كاد بها ذلك النائب وقد كانت تسره .

عودة الى السجود وبيان نتائجه

في الأمالي عن ابي عبد الله (ع) قال : اوحى الله الى موسى بن عمران (ع) يا موسى أتدري لم انتخبتك من خلقي واصطفيتك لكلامي ؟ فقال : لا يا رب فأوحى الله اليه اني اطلمت على الأرض فلم أجد أشد تواضعاً لي منك فخر موسى ساجداً وغفر خديه في التراب تذلاً منه لربه عز وجل ، فأوحى الله اليه ارفع رأسك يا موسى ومر يدك على موضع سجودك وامسح بها وجهك وما نالته من بدنك فإنه أمان من كل سقم وداء وآفة وعاهة .

وفي خبر آخر عن ابي جعفر (ع) قال : اوحى الله عز وجل الى موسى (ع) أتدري لم اصطفيتك بكلامي دون خلقي فقال موسى : لا يا رب فقال : يا موسى اني قلبت عبادي ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أذل لي منك نفساً يا موسى انك إذا صليت وضعت خديك على التراب .

فقد روي ان موسى (ع) كان اذا صلى لم ينفثل حتى يلصق خده الأيمن

بالأرض ثم الأيسر ، وهذا الوضع على الأرض بعد الصلاة هو المسمى بسجدة الشكر الذي قال باستحبابه علماءنا ونطقت به أخبارنا وعمل به أئمتنا ، حتى ان الامام موسى بن جعفر (ع) كان إذا فرغ من صلاة الصبح والتعقيب سجد حتى الضحى ، وكان (ع) يسمى ذو السجدة الطويلة وذو الثغفات (١) ، واما الامام السجاد فحدث عنه ولا حرج ، ويكفي من ذلك انه السجاد سلام الله عليه .

وقد شنع علينا مخالفونا في ذلك تشديهاً شنيعاً وقالوا : إن سجدة الشكر من مبتدعات اليهود والرافضة ، والحال انهم قد رووا في أخبارهم ان اول من سجد سجدة الشكر في الاسلام هو امير المؤمنين (ع) لما أمر بالمبيت على فراش النبي محمد (ص) ليلة الغار وسأله (ع) أو تسلم يا رسول الله ؟ قال : نعم يا علي فسجد عند ذلك شكراً لله على سلامة رسول الله (ص) ولم يسأله عن سلامة نفسه حيث قد جعلها فداءً له من اول يوم بايعه فيه ، ولعل شدة إنكارهم لهذه السجدة العظيمة ، لسكنه غير مجد ، لأن إظهار فضله مأخوذ على عهدة ربه وعلى السنة مبغضيه ، ويكفي دليلاً على ذلك ما نطق به عدوه عند محاورته لسليمان الأعمش - الى ان قال - ما اقول في رجل قد أخفى فضائله مبغضوه حسداً وأخفى ايضاً فضائله محبوبه خوفاً ، وما ظهر منها بين ذلك ما ملأ الخافقين فلتلعب يد الجهل ما شاءت ان تلعب وتتحرف ما أرادت ان تحرف والله متم نوره . ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

وقال رسول الله (ص) : ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط بها عنه سيئة ويكون في يوم القيامة في شفاعتي وفي الجنة من رفقائي وبعد الانتهاء من السجود يجلس للتشهد على يسارك وترفع يمينك وتأويله اللهم أمت الباطل وأقبح الحق فتجدد العهد لله تعالى بالشهادة له بالتوحيد وللنبي (١) التي تكون بجبهته (ع) من كثرة سجوده لربه فيأخذها بالمقراض بين آونة وأخرى

صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة وتصلي عليه وآله لأنهم وسائط الفيوضات وبهم قبول الصلاة وسائر العبادات .

ثم أحضر شخصه (ص) في قلبك وقل : السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ليتدخل في زمرة المؤمنين المحبين والمجيبين لنداء يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ، ثم سلم على نفسك وعلى عباد الله الصالحين وتأمل وانتظر ان الله يرد عليك سلاماً بعدد عباد الصالحين واما قولك : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فتقصد بخطابك فيه الأنبياء والملائكة والأئمة والمؤمنين من الجن والانس وتحضرهم ببالك وتخطبهم به ، ومعنى هذا التسليم هو الرجوع عن الحق إلى الخلق ، لأنه في مجموع صلواته كان خطابه مع الحق وهو الله تعالى ، وحين أراد الخروج من الصلاة والوداع مع ربه توجه الى خلق الله وعباده وجدد العهد بهم والاتصال وقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الفلسفة في حديث الرسول الاعظم ﷺ

قال (ص) : بني الاسلام على اربع الصلاة والصوم والحج والزكاة .
قال بعض المحققين : هذه الأحكام الأربعة هي المصفية للعناصر الأربعة في الانسان وهي التراب والماء والنار والهواء ، فان الله بحكمته أنزل الصوم من العنصر الناري لمناسبة بين الصوم والنار لمعنى مشترك بينهما في رفع الأبخار وتنوير مكان الأبصار وإحراق التبعثات والصلاة من العنصر المائي لمناسبة بينهما في إنبات الآبار والأمطار والحج من العنصر الريحي لمعنى مشترك بينهما وهو كشف الأستار وتبيين المقصد والزكاة من العنصر الترابي لمعنى مشترك بينهما وهو الامساك والتحصيل ولمعنى رفع رذائل البخل .

فالإنسان إذا صام صار عنصره الناري طاهراً فيتبين فيه واحد من حملة العرش وهو جبرئيل وصار قلباً له على النفس ، وإذا صلى صلاة فاهية عن الفحشاء والمنكر صار عنصره المائي رقيقاً يظهر المظهر ويتبين فيه واحد من حملة العرش وهو ميكائيل وصار عقلاً له .

وإذا حج البيت فرضاً ووقف في المواقف عرضاً صار عنصره الريحي طويلاً عريضاً ويتبين فيه واحد من حملة العرش وهو إسرافيل وصار روحاً له في الحياة . وإذا زكى ماله لقطع الرذائل صار عنصره الترابي صافياً ، ويتبين فيه واحد من حملة العرش وهو عزرائيل وصار نفساً له في دار السلام .

المبادرة الى أداء الصلاة

فإذا جاء وقت الصلاة وقد سمع الأذان ينبغي المبادرة ، لأنه سبحانه قد ارسل اليه من يطلبه لخدمته في ذلك الوقت الخاص وقد أذن له في المواجهة لعرض مطالبه ومهامه ، ولاظهار عبوديته وإخلاصه .

من هو الرسول نعم هم المؤذنون الذين تنجأوب أصواتهم مع اصوات الملائكة في السماء والسكل مناد من قبله سبحانه وتعالى أن اقبلوا .

مبادرة بل مسارعة طبيعية

ترانا كيف تسارع عند نداء المنادي (١) فيما إذا كنا نروم مراجعة دائرة حكومية للمواجهة مع مسؤولها ، او سمعنا منادي الطبيب باسمنا حيث كنا نقصد

(١) الفراش مثلا ينادي باسمه عند حضور تسلسل رقه .

إصلاح مرض ابداننا فمنادي الصلاة يكون لمواجهة رئيس كل رئيس وطبيب فوق كل طبيب لقضاء حوائجنا وإصلاح امراض قلوبنا ، فالتنا نسارع هناك ونتناقل هنا ، نعم هنا يد للشيطان .

ولهذا كان الحسن (ع) اذا سمع المؤذن تغير وجهه واصفر لونه فقيل له في ذلك ، فقال (ع) : ان الله ارسل إلي من يطلبني لخدمة خاصة ، ولا ادري أيقبلها مني أم لا فكيف لا يتغير لوني .

فوائد المبادرّة الى الصلاة في أول وقتها

منها انها في اول الوقت تصعد بيضاء نقية تقول : حفظتني حفظك الله وفي آخر الوقت تصعد سوداء مظلمة وتقول : ضيعتني ضيعك الله كما هو مفاد الرواية ، ومنها ما روي ان اول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله واين الرضوان من العفو فانه لا يكون إلا عن ذنب .

ومنها ان صلاة الامام (ع) عجل الله تعالى فرجه في وقتنا هذا تقع اول الوقت وتصعد بها الملائكة الحفظة ، وكذلك صلاة الأولياء والصلحاء ، فاذا آتي بها في اول الوقت صعدت مع صلاة الامام (ع) في وقت واحد فلعل الله ان يمن بقبول تلك الصلاة المردودة بصعودها مع الصلوات المقبولات لأنها صارت صفقة واحدة ، ومن حكم بيع الصفقة قبول الكل الصحيح والمعيب ، ولمثل هذه الفائدة لعله شرعت صلاة الجماعة ايضاً وتكون احدي فوائدها .

ومن الفوائد ان هناك كمالات للصلاة اذا أضيفت اليها تورثها زيادة في الفضل مثل ما روي ان صلاة المتزوج تعدل صلاة العزب سبعين مرة وصلاة المتطيب تعدل صلاة غير المتطيب سبعين مرة وان من قدم امام صلواته صدقة

كانت صلواته افضل و صلاة المتنفل افضل من صلاة غير المتنفل و صلاة المعقب افضل الى غير ذلك من الخصوصيات ، فالصلاة في اول وقتها و كذلك مع الجماعة تنضم مع الصلاة المستجمعة لهذه الكمالات فتوزن بوزنها .

الصلاة جماعة لا يحصى ثوابها

فمن ابي سعيد الخدري عن النبي (ص) انه قال اتاني جبرئيل و معه سبعون الف ملك بعد صلاة الظهر فقال : يا محمد ان الله يقرؤك السلام و أهدي اليك هديتين لم يهدهما الى نبي قبلك ، قلت : يا جبرئيل و ما الهديتان ؟ فقال : الصلوات في الجماعات ، قلت : يا جبرئيل و ما لأمتي في الجماعة ؟ قال : يا محمد اذا كانا اثنين كتب الله لكل واحد منهما بكل ركعة مائة و خمسين صلاة ، و اذا كانوا ثلاثة كتب لكل واحد منهم مائتين و خمسين صلاة ، و اذا كانوا اربعة كتب لكل واحد منهم الفاً و مائتي صلاة ، و اذا كانوا خمسة كتب لكل واحد منهم الفاً و ثلاثمائة صلاة ، و اذا كانوا ستة كتب الفين و اربعمائة صلاة ، و اذا كانوا سبعة كتب اربعة آلاف و ثمانمائة صلاة ، و اذا كانوا ثمانية كتب تسعمائة الف و مئتين صلاة ، و اذا كانوا تسعة كتب بكل ركعة تسعة عشر الف صلاة ، و اذا صاروا عشرة او زادوا على العشرة ولو واحداً (١) .

فلو صارت بحار الأرض و السماوات كلها مداداً و الأشجار أقلاماً و الثقلان و الملائكة كتاباً لم يقدرُوا ان يكتبوا ثواب ركعة واحدة .

يا محمد تكبيرة يدر كها المؤمن مع الامام خير له من سبعين حجة و الف عمرة سوى الفريضة .

(١) يميل وجود أغلاط و امدد و فضلنا نقل الرواية دون تغيير حيث ان الفصوص واضح

وعن عبدالله بن مسعود انه فاتته تكبيرة الافتتاح يوماً فأعتق رقبة وجاء الى النبي (ص) وقال : يا رسول الله قد فاتتني تكبيرة الافتتاح يوماً فأعتقت رقبة هل كنت مدركا فضلها ؟ فقال (ص) لي : لا ، فأعتقت أخرى فقلت : هل كنت مدركا فضلها ؟ قال : لا يا بن مسعود لو أنفقت ما في الأرض جميعاً لم تكن مدركا فضلها ، وقال (ص) : صلاة الرجل جماعة خير من صلاته في بيته اربعين سنة قيل : يا رسول الله صلاة يومه ، قال : صلاة واحدة ، وإذا كان العبد خلف الامام كتب الله له مائة الف وعشرين الف درجة .

وقال (ص) : من كان جار بيت الله ولم يحضر الجماعة ثلاثة ايام متواليات فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين فان تزوج فلا تزوجه ، وان مرض فلا تعوده ، ألا فلا صلاة له ، ألا فلا صوم له ، ألا فلا زكاة له ، ألا فلا حج له ، ألا فلا جهاد له .

وقال رسول الله (ص) : اتاني جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل مع كل واحد الف ملك فقال : يا محمد الجبار يقرؤك السلام ويقول لأمتك : إنه من بات مفارق الجماعة لا يشم رائحة الجنة وان كان عمله اكبر من اهل الأرض لا اقبل منه صراً ولا عدلاً ، يا محمد تارك الجماعة عندي ملعون وعند الملائكة ملعون وقد لعنته في النوراة والانجيل والزبور والفرقان وتارك الجماعة يصبح ويمسي في لعنة الله تعالى .

يا محمد تارك الجماعة لا أستجيب له دعوة ولا انزل عليه رحمة وهم يهود أمتك ان ماتوا فلا تشهد جنازهم ولا يمسي على وجه الأرض أبغض علي من تارك الجماعة ، يا محمد تارك الجماعة قد امرت كل ذي نفس وروح ان يلعنوه وتاركها أشر من شارب الخمر والمحكر ومن سفك الدماء وآكل الربا وتارك الجماعة ليس له في الجنة نصيب وشر من النباش والمخث وشاهد الزور وأدخله النار .

ملك ذو عيون يشهد لصلاة الجماعة

في حديث الاسراء ان رسول الله قال : مررت في السماء على ملك له عيون كثيرة تعد بالآلاف فقال جبرئيل : سلم عليه واسأله فسألته عن وظيفته فقال : اني أعد قطر المطر فقلت : إذا انت لا يعصيك شيء فقال : نعم يعصيني شيء واحد فقلت : ما هو ؟ قال : إحصاء نواب صلاة الجماعة .

وقد ورد ايضاً ان صلاة ركعة خلف الامام العادل افضل عند الله تعالى من ان يتصدق بمائة الف دينار على الفقراء والمساكين .

وقد ورد عن سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى : « وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون » (١) ، قال : كانوا يسمعون قول المؤذن : حي على الفلاح فلا يجيبون ، وقال كعب الأحبار : والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون الجماعات .

وقد ورد عن الربيع بن خيثم انه عرض له الفالج فكان يهادى بين رجلين الى المسجد فقيل له : لو جلست فان لك رخصة قال : من سمع حي على الفلاح فليحبوا ولو حبواً .

وإذا سمعت الأذان من المؤذن فأخطر على قلبك هول يوم القيامة وسارع فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر بعد الصيحة الكبرى والنداء المهول المريع فأعرض هذا النداء على قلبك ، فان وجدته مملوءاً بالفرح والاستبشار ومستعداً بالرغبة إلى الابتدار ، فأعلم انه يأتيك النداء يوم العرض الأكبر بالبشرى .

(١) سورة ن الآية ٤٣ .

وفي الحديث ان الرجل تعجله الحاجة تخفف صلاته لتندار كها قال الله : انظروا يا ملائكتي إلى عبدي كيف خفف صلاته أيظن ان قضاء حوائجه بيده قال تعالى ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذرکم ان الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم فاذا اطمانتم فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً (١) .

قيل : إن سبب نزول هذه الآية الكريمة ان النبي (ص) غزا محارباً لبني أنمار فنصره الله عليهم وهزمهم وأحرزوا الدراري والمال فنزل النبي (ص) والمسلمون ولا يرون من العدو ولا واحداً فوضعوا أسلحتهم وقد كان اعداؤهم يرقبونهم من فوق جبل ، من حيث لا يشعرون بهم ، فحاولوا الهجوم عليهم عند صلاة الظهر فلم يسمعهم لبعده المسافة وكثرة المطر فقال بعضهم : إن لهم صلاة أعز عليهم من هذه - يعني بها صلاة العصر - فلذا أنزل الله تعالى على نبيه من قبل هذا قوله تعالى : وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة فلتنقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم وتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلاً واحدة .

فهذه تعاليم من العليم الخبير بالسر وأخفى وإلطف بالمؤمنين من غدر الكافرين وتحذير لهم مما يضمرون لهم من الكيد .

فالما وضع النبي (ص) سلاحه والمسلمون خرج النبي (ص) ليقضي حاجة فجعل بيده وبين أصحابه الوادي على عادته من التباعد عن الناس وكان من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم ان الأرض مأمورة بابتلاع خروجه كرامة له (ص) وقد

كانت السماء ترش وقد درى الوادي وحال بينه وبين أصحابه وجلس في ظل شجرة وهو أعزل فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال له أصحابه: يا غورث هذا محمد قد انقلع من أصحابه فقال: قتلني الله إن لم أقتله وأنحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله (ص) إلا وهو قائم على رأسه ومعه السيف قد سله من غمده وقال: يا محمد من يعصمك مني الآن؟ فقال النبي (ص): الله فأنكب عدو الله على وجهه فقام رسول الله (ص) فأخذ سيفه وقال: يا غورث من يعصمك مني الآن؟ قال: لا أحد، قال (ص): أتشهد ان لا إله إلا الله، وأني عبد الله ورسوله، قال: لا، واسكن أعهد ان لا اقاتلك ابداً ولا اعين عليك عدواً فأعطاه رسول الله (ص) سيفه فقال له غورث: والله لأنت خير مني قال (ص): أنا أحق بذلك يريد صلى الله عليه وآله انه لصفاء سريرته، وانه لا يحقد على أحد مما بلغ في أذاه ولا يريد بأحد النشفي لنفسه، وإنما قصده وهدفه الخير لكل أحد، فهو أحق بالعمو والسماح من غيره الذي لم يحصل على هذا الصفاء، بل كان ملوث النفس كسدر السريرة.

وخرج غورث إلى أصحابه فقالوا: يا غورث لقد رأيناك قائماً على رأسه بالسيف فما منعك منه؟ قال: أهويت له السيف لأضربه فما ادري من زلخني (١) بين كتفي فخررت لوجهي وخر سيفي وسبقني إليه محمد واخذه.

ثم قطع رسول الله (ص) إلى أصحابه عندما سكن المطر وانخفض الوادي فاخبرهم الخبر وقرأ عليهم قوله تعالى: ولا جناح عليكم (٢) إن كان بكم أذى من مطر... الخ، وللفقهاء في كيفية صلاة الجماعة في الحرب وفي تقسيم الركعات بين الطائفة الأولى والثانية اقوال ليس هذا محل ذكرها.

(١) الزلعة وجم يأخذ الطهر لا يتحرك الإنسان من شدته.

(٢) أي لا حرج.

والفرض أنه تعالى حيث علم ما يقاسونه من خطر أعدائهم في إرادة القضاء عليهم لشدة ما يلتزمون من صلاة الجماعة في الحالات المرهقة والخطرة لما سمعوه من النبي (ص) من عظيم فضلها خفف عنهم بأن جعل لها ولهم حكماً خاصاً في ذلك الحين ليدرك السكل منهم ثوابها مع المحافظة على انفسهم من عذر الأعداء .

ولذا قال سبحانه بعد ذلك الحكم : فإذا اطعنا نتم فأقيموا الصلاة قيل في معناه : اي اذا استقررتم بزوال خوفكم فأتموا حدود الصلاة وقيل : إذا استقررتم وأقمتم في اوطانكم فأتموا الصلاة التي أذن لكم في قصرها .

ثم قال تعالى : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » مبيناً سبحانه أهميتها وان لا رخصة في تركها بتاتاً ، وان خففناها عنكم في اوقات الضيق لكن تعود إلى اصلها وحكمها عند رفع العارض ، ولذا ورد في الشرع المقدس الصلاة لا تترك بحال ، وقد قيل في معنى قوله تعالى : موقوتاً - اي واجبة مفروضة - وقيل : معناه فرضاً موقوتاً - اي منجماً تؤدونها في أنجمها وأوقاتها - وعلى كل فان للصلاة مراتب تختلف بانضمام الصفات الكمالية اليها وعدم انضمامها اليها ومن أعلا الصفات وأثقلها ، وزنا بالحسنات هي صلاة الجماعات وفي بيوت الله المقدسات ، ولا تنس ما مر عليك قريباً في حديث الاسراء من عدم إحصاء الملك ثوابها وهو ذو الآلاف من العيون الموكل بعد المطر قطرات وما سلف ايضاً من خبر ابن مسعود في عتقه رقبتين ليتدارك بها ثواب ما أفقته من إدراك تكبيرة الاحرام وإخبار النبي (ص) له بعدم إدراك ذلك حتى لو بذل جميع ما في الأرض وقد ورد عن علي امير المؤمنين (ع) عن النبي (ص) انه سئل عن افضل الأعمال ، فقال : إسباغ الوضوء في السبرات (١) ونقل الأقدام الى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط حيث قد قيل في تفسير قوله تعالى :

صابروا وربطوا (١) اي رابطوا الصلوات اي انتظروها واحدة بعد واحدة والمقصود من تلك التشويقات ، هو الارشاد الى الحصول على ما اودع الله لعباده من عظيم الخير في الصلاة وقد هياه لعباده بأسهل وسيلة وأقل عمل بحيث لا يعارض مكاسبهم وأمور معاشهم ولا يتعب ابدانهم في خمس صلوات كلها تجمع سبعة عشر ركعة .

وقال رسول الله (ص) لعلي (ع) يا علي ان جبرئيل (ع) تمنى ان يكون من بني آدم لسبعة خصال قد خصهم الله بها ، قال علي (ع) : وما هي يا رسول الله قال (ص) : صلاة الجماعة ومذاكرة العلم والاصلاح بين الاثنين وإكرام اليتيم وعبادة المريض وسقي الماء في الحج والجيران فأحرص عليها يا علي .

هذا كله بالاضافة الى ما في صلاة الجماعة من الاجتماع والتعارف المسبب للتعاون في الاقتصاديات وما به نظم العباد قال الله تعالى : « وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » (٢) قيل : إن معنى أقم الصلاة ، اي ادها وائت بأعمالها على حدودها على وجه التمام في ركوعها وسجودها وسائر اجزائها وشرائطها وفروضها ، وقيل : اي اعملها على استواء . وقيل : معناه آدم واستمر على فعلها لا كما يفعله بعض الناس يصلي في شهر رمضان مثلاً ثم يقطعها .

واما معنى طرفي النهار فقد قيل : إنه اراد صلاة الفجر والمغرب واراد بزلف من الليل صلاة العشاء الآخرة والزلف اول ساعات الليل .

عن ابن عباس وابن زيد قالوا : وإنما ترك ذكر الظهر والعصر لأحد امرين اما لظهورها انها صلواتا النهار فكأنه قال : وأقم الصلاة طرفي النهار مع المعرفة انها من صلاة النهار ، واما لسكونها مذكورتين على التبع للطرف الأخير لأنها

(١) سورة آل عمران . (٢) سورة مود الآية ١١٤ .

بعد الزوال فما اقرب اليه ، وقد قال سبحانه : أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وذلوك الشمس زوالها ، وهذا القول هو المروي عن ابي جعفر (ع) وقيل : صلاة طرقي النهار الغداة والظهر والعصر وصلاة زلف الليل المغرب والعشاء الآخرة قالوا : لأن طرف الشيء من الشيء . وصلاة المغرب ليست من النهار .

قال الحسن : قال رسول الله (ص) المغرب والعشاء زلفنا الليل ، وقيل : اراد بطرقي النهار صلاة الفجر وصلاة العصر وعلى كل المفصود زيادة الحث والترغيب على الفعل بهذا التنويع ولخصوصيات ايضاً في نفس الأوقات .

واما قوله تعالى : إن الحسنات يذهبن السيئات فليل في معناه : إن الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب ، لأنه عرف الحسنات بالألف واللام مع تقدم ذكر الصلاة ، وذلك يقتضي الاعادة إلى المذكور عن ابن عباس واكثر المفسرين وذكر الواحدي باسناده عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن ابي عثمان قال : كنت مع سلمان (رض) تحت شجرة فأخذ غصناً يابساً فبهزه حتى تحات ورقه ثم قال : يا عثمان ألا تسألني لم أفعل هذا ؟ قلت : ولم تفعله ؟ قال : هكذا فعله رسول الله (ص) وانا معه تحت شجرة فأخذ منها غصناً يابساً فبهزه حتى تحات ورقه ثم قال : ألا تسألني يا سلمان لم أفعل هذا ؟ قلت : ولم فعلته ؟ قال (ص) : إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحات خطاياهم كما يتحات هذا الورق ، ثم قرأ الآية وأقم الصلاة ... الخ .

وباسناده عن ابي أمية قال : بينما رسول الله (ص) في المسجد ونحن قعود معه إذ جاءه رجل فقال : يا رسول الله اني أصبت حداً فأقمه علي فقال : هل شهدت الصلاة معنا ؟ قال : نعم يا رسول الله ، قال (ص) : فان الله قد غفر لك حدك او قال : ذنبك .

وباسناده عن الحرث عن علي بن ابي طالب (ع) قال : كنا مع رسول الله

في المسجد نذطر الصلاة فقام رجل فقال : يا رسول الله أصبت ذنباً فأعرض عنه فلما قضى النبي (ص) الصلاة قام الرجل فأعاد القول فقال (ص) : أليس قد صليت معنا هذه الصلاة أحسنت لها الطهور قال : بلى قال : فإنها كفارة ذنبك .

وروى اصحابنا عن ابن محبوب عن ابراهيم الكرخي قال : كنت عند ابي عبدالله (ع) إذ دخل عليه رجل من اهل المدينة قال له : من اين جئت فأجابه ثم قال (ع) له : تقول : جئت من ههنا وههنا لغير معاش تطلبه ولا لعمل آخرة تكسبه ، انظر بماذا تقطع يومك وليلتك ، واعلم ان ممك ملكا كريماً موكلابك يحفظ عليك ماتصنع ويطلع على سرك الذي تخفيه من الناس فاستح ولا تستحقرن سيئة فإنها ستسوؤك يوماً ولا تحقرن حسنة وان صغرت عندك فإنها ستسرك يوماً ، واعلم انه ليس شيء أضر عاقبة ولا أسرع ندامة من الخطيئة وانه ليس شيء أشد طلباً ولا أسرع دركاً للخطيئة من الحسنه ، اما انها لتدرك الذنب العظيم القديم المنسي عند عامله فتجتذبه وتسقطه وتذهب به بعد إثباته ، وذلك قول الله تعالى : إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين .

فانظر شفقتهم عليهم السلام على المؤمنين فلا يدعه يخرج من مجلسه دون فائدة وكسب فيعظه حيث علم منه تضییع اوقاته ويرشده إلى تمين عمره وان لا يتصرم عليه دون ان يكتسب به الأعمال الصالحة ، لأنه كبضاعة لصاحبه يتجر بها ويؤمل الربح منها .

كما قد ذكر ورام في مجموعته انه قد ورد في الخبر انه ينشر في يوم القيامة عن كل يوم من عمره اربعة وعشرون خزانة مصفوفة على عدد ساعات اليوم فيفتح له واحدة ، فاذا هي مملوأة نوراً فيصيبه من الفرح ما لو وزع على اهل النار لم يحس احدهم بألم النار ، وتفتح الثانية فاذا هي مظلمة تنتن فيصيبه من الكدر والأذى ما لو وزع على اهل الجنة لم يحس احدهم بلذة النعيم ، وتفتح له

ثالثة فإذا هي فارغة فيقال له : الأولى نتيجة اعمالك الحسنة في الساعة الفلانية ،
والثانية نتيجة اعمالك السيئة في الساعة الفلانية ، والثالثة صرفت ساعتها في العمل
المباح لا طاعة ولا معصية .

وروا عن ابي حمزة الثمالي قال : سمعت احدهما (ع) يقول : إن علياً
اقبل على الناس فقال : اي آية في كتاب الله أرجى عندكم ؟ فقال بعضهم : قوله
تعالى : إن الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال (ع) :
حسنة وليست إياها ، وقال بعضهم : قوله تعالى : ومن يعمل سوءاً ويظلم نفسه ثم
يستغفر الله يجدهم الله غفوراً رحيماً ، فقال : حسنة وليست إياها . وقال بعضهم :
قوله تعالى : قل يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ... الخ
قال : حسنة وليست إياها ، وقال بعضهم : قوله تعالى : والذين إذا فعلوا فاحشة
او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم
يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات ، قال
عليه السلام : حسنة وليست إياها ، قال : ثم أحجم الناس فقال : ما لكم يا معشر
المسلمين ؟ فقالوا : لا والله ما عندنا شيء ، قال (ع) : سمعت جبري رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أرجى آية في كتاب الله قوله تعالى : وأقم الصلاة
طرفي النهار وزلفاً من الليل ، وقرأ الآية كلها وقال (ص) : يا علي والذي بعثني
بالحق بشيراً ونذيراً ان أحدكم ليقوم من وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب
فإذا استقبل الله بوجهه لم ينفتل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمه ، فان أصاب
شيئاً بين الصلاتين كان له مثل ذلك حتى عد الصلوات الخمس ثم قال : يا علي إنما
منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهج جار على باب احدكم فما يظن احدكم لو كان في
جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات أكان يبقى في جسده درن
فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي .

وقيل أيضاً : إن المراد بالحسنات المذهبة للسيئات التوبة فلنما تذهب السيئات بأن تسقط عقابها فإنه لا خلاف في ان العقاب يسقط عند التوبة وفي ختامها يقول سبحانه : ذلك ذكرى للذاكرين اي ان ما ذكرناه فيه تذكير وموعظة لمن تذكر به وفكر فيه . اما الذين تمر على آذانهم مروراً بأن تدخل من أذن وتخرج من أخرى فليست هذه لهم بمعنى انهم لا يجتنبون من تمارها .

ولذا ورد ان الموعظة جلاء القلب من الرين ، ولسكن إذا اخذت قرارها وقد قيل : إن لقمان مر على مقبرة فيها جاجم الموتى بكثرة فأخذ واحدة منها وكانت بيده درة فوضعها في ثقب أذنها فخرجت من الأذن الأخرى بسرعة ولم تلبث فنحها وأخذ ثانية ووضع الدرة في ثقب أذنها فخرجت بعد قليل من ثقب الأذن الأخرى فأخذ ثالثة ووضعها في ثقب أذنها فلبثت ولم تخرج فكلمها وكلمته فيما يخص حالها وما لاقته بعد الموت ، فعندها سأله اصحابه عن ذلك فقال : إن هذه الدرة مثال الموعظة فصاحب الجمجمة الأولى كانت الموعظة تدخل في أذنه وتخرج من الأخرى بسرعة دون ان يذتفع بها كخروج هذه الدرة منها وصاحب الثانية كان إذا سمع الموعظة تلبث عنده ما دام في مجلس الوعظ فإذا فارقه خرجت من أذنه ورجع على حاله السابقة ، واما صاحب الثالثة كان سمعها ووعاها وجعلها نصب عينيه ومرآته في كل اوقاته واعماله ، واعتبر بها وارتدع عن معاصيه بسببها فعلمت انه ذو خير في الآخرة وراحة وسيجيبني إذا سأله كما رأيتم وسمعتم وذلك من تمار قرار الموعظ فيه .

وفي الحقيقة ان الموعظة كالدرة بل هي أعم منها ، لأن تمارها باقية وتمار الدرة فانية والباقي أغلا من الفاني .

وان الموعظة لتأتي على امراض النفوس والقلوب وتزيلها من اعماقها كالدواء لمرض الأبدان ، لكن بشرط الاستمرار وجودة الاستعمال وان تكون الموعظة

قد خرجت من قلب قد انمطت وجرت على لسان قد تنزه .
 قال رسول الله (ص) : إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل : فما
 جلاؤها يا رسول الله ؟ قال : قراءة القرآن وذكر الموت .
 وفي رواية والموعظة مع العلم ان القرآن سيد الواعظين وكله موعظة سواء
 كان في قصصه او احكامه او مواعظه .

نداء آخر من القرآن الى المؤمنين

قال الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة
 فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت
 الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلمكم
 تفلحون وإذا رأوا تجارة او لهواً انفضوا اليها وتركوا الصلاة فأنما قل ما عند الله خير
 من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين » (١) .

في اللغة الجمعة والجمعة بالضم والسكون ، وفيها لغة نالته جمعة بالفتح وإنما
 سميت بذلك لأن الله فرغ فيه من خلق الأشياء فاجتمعت فيه المخلوقات ، وقيل :
 لأنه يجتمع فيه الجماعات ، وقيل : إن اول من سماها جمعة كعب بن لوي وهو اول
 من قال في الخطب ، اما بعد وكان يقال للجمعة العروبة ، وقيل : إن اول من
 سماها جمعة هم الأنصار قيل : جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبي (ص) الى المدينة
 وقيل : قبل ان تنزل سورة الجمعة .

فقال الأنصار : إن لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة ايام وان
 للنصارى يوماً كذلك فلنجعل لنا يوماً نجتمع فيه فنذكر الله عز وجل ونشكره

كما قالوا : يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فأجعلوه يوم العروبة فأجتمعوا الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا اليه فذبح لهم اسعد بن زرارة شاة فتغدوا وتعمشوا من شاة واحدة ، وذلك لفلتهم يومئذ فأنزل الله تعالى في ذلك إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة ، الآية فهذه اول جمعة جمعت في الاسلام .

فأما اول جمعة جمعها رسول الله (ص) بأصحابه فقيل : إنه قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهاجراً حتى نزل قبا على نبي عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين الضحى فأقام بقبا يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامداً المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذوا اليوم في ذلك الموضع مسجداً ، وكانت هذه الجمعة اول جمعة جمعها رسول الله (ص) في الاسلام وخطب في هذه الجمعة وهي اول خطبة خطبها بالمدينة فيما قبل .

أول خطبة للرسول الاعظم بالمدينة

الحمد لله أحمدته وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا اكفره وأعادي من يكفره وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً أوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الآخرة وان

يأمره بتقوى الله فأحذروا ما حذركم الله من نفسه وان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم وما كان سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه أمدأ بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد والذي صدق قوله ونجز وعده لا خلف لذلك ، فإنه يقول : ما يبذل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً .
وان تقوى الله توفي مقته وتوفي عقوبته وتوفي سخطه وان تقوى الله تبيض الوجوه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله اليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة ولا حول ولا قوة إلا بالله فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بئد اليوم فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فلهذا صارت الخطبة شرطاً في انعقاد الجمعة .

سبب النزول

قال جابر بن عبد الله : أقبلت غير ونحن نصلي مع رسول الله (ص) الجمعة فانفض الناس اليها فما بقي غير اثني عشر رجلاً أنا فيهم فنزلت الآية وإذ رأوا تجارة .. الخ .

وقال الحسن وأبومالك : أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية ابن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي (ص) يخطب يوم الجمعة ، فلما رأوه قاموا إليه في البقيع خشية ان يسبقوا إليه فلم يبق مع النبي (ص) إلا رهط فنزلت الآية فقال (ص) : والذي نفسي بيده لو تابعتم حتى لا يبقى احد منكم لسال بكم الوادي ناراً .

وقال المقاتلان : بينا رسول الله (ص) يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة بن فروة الكلبي ، ثم أحد بني الخزرج ، ثم أحد بني زيد بن مناة من الشام بتجارة وكان إذا قدم لم يبق أحد بالمدينة إلا أتاه ، وكان يقدم إذا قدم بكل ما يحتاج إليه من دقيق او بر او غيره فينزل عند احجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ، ثم يضرب بالطلبل ليؤذن الناس بقدمه ، فيخرج الناس إليه ليتبايعوا معه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل ان يسلم ، ورسول الله قائم على المنبر يخطب فخرج الناس فلم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلاً وامرأة ، فقال النبي (ص) : لولا هؤلاء لسومت عليهم الحجارة من السماء وأنزل الله هذه الآية وقيل : لم يبق في المسجد إلا ثمانية رهط ، عن الكلبي عن ابن عباس وقيل : إلا أحد عشر رجلاً عن ابن كيسان ، وقيل : إنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل يوم مرة لعير تقدم من الشام وكل ذلك يوم الجمعة .

المعنى

إذا نودي - اي أذن - وذلك إذا جلس الامام على المنبر يوم الجمعة لأنه لم يكن على عهد رسول الله (ص) نداء سوى الجلوس على المنبر للخطبة وكان لرسول الله (ص) مؤذن واحد وهو بلال فاذا جلس (ص) على المنبر أذن على باب

المسجد فإذا نزل (ص) أقام للصلاة ثم كان أبو بكر وعمر كذلك حتى إذا كان عثمان زاد أذاناً فأمر بالأذان الأول على سطح دار له بالسوق يقال لها الزوراء وكان يؤذن له عليها فإذا جلس على المنبر أذن مؤذنه ثانياً ، فإذا نزل أقام للصلاة فلم يعب ذلك عليه مع انه إحداه في الدين وزيادة في الشريعة ، نعم لأمر استحسنه هو ، ثم لم يكتف بذلك حيث رأى تتأقل المسلمين عن حضور خطبته وكرهيتهم سماع كلامه فأخر الخطبة عن الصلاة لقصد اجتماع الناس فبدل سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغير سيرته بدل ان يقلع عن الأسباب التي كرهته للمسلمين فيمودوا للحضور مع المحافظة على سنة الرسول (ص) .

واما معنى قوله تعالى : فاسعوا الى ذكر الله - اي امضوا مسرعين غير متثاقلين - وقيل : معناه فامضوا إلى ذكر الله ، وكذلك قرأها ابن مسعود ، وروي ذلك عن علي (ع) وعمر بن الخطاب وابي بن كعب وابن عباس وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبدالله (ع) ، وقال ابن مسعود : لو علمت الاسراع لأسرعت حتى يقع ردائي عن كتفي ، وقال الحسن : ما هو السعي على الأقدام وقد نهوا ان يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ، ولكن المراد السعي بالنية والقلوب والخشوع ، وقيل : إن المراد بذكر الله الخطبة التي تتضمن ذكر الله والمواعظ ، فأذاً لا بد من حضورها للأمر منه تعالى بذلك .

ومعنى قوله تعالى : وذروا البيع ، اي دعوها واتركوها ، اي المبايعة ذاكم خير لكم ، اي الذي أمرتم به من حضور الجمعة واستماع الوعظ والذكر وأداء الفريضة وترك البيع أذنع لكم عاقبة ان كنتم تعملون منافع الأمور ومضارها ومصالح انفسكم ومفاسدها وقيل : إنه بمعنى الأمر ، اي اعملوا ذلك ، وفي هذه الآية دلالة على وجوب صلاة الجمعة وحرمة البيع وفساده لو وقع ، لأن النهي يقتضي الفساد ، غير ان الوجوب مشروط بشروط تؤخذ من السنة منها العدد

قيل : لا تمنعقد إلا بسبعة فما فوق عن اهل البيت ، وقيل : بثلاثة سوى الامام
عن ابي حنيفة ، وقيل : بأربعين عن الشافعي ، وقيل : باثنين سوى الامام
عن ابي يوسف .

ومن الشروط ان يكون على مسافة أقل من فرسخ او فرسخين على الخلاف
في ذلك ايضاً .

ومن الشروط عدم السفر وعدم العمى وعدم العرج وعدم الشيخوخة وعدم
كونه مملوكاً وعدم المرض إلى غير ذلك .

ومن الشروط حضور السلطان العادل المبسوط اليد حتى لاقامة الحدود
او من نصبه لذلك .

وكل هذه الشروط لا تستفاد من الآية الكريمة بل من السنة الشريفة على
حدود سائر الأحكام ، لأن الكتاب العزيز لا يكفل الفروع ، لأن من أهم الفرائض
الصلاة ، كما قد اوضح ذلك من المباحث السابقة ، ومع ذلك لا يمكننا ان نفهم
كيفيةها وعدد ركعاتها من القرآن فلم نقبل سائر الشروط من السنة ، ولنعترف
بأنها إذا فقدت سقط الوجوب ولم نقبل انفعال شرط حضور الامام العادل في
ذلك ونقول : إن الآية مطلقة فهل هذا إلا تحمك ، ثم يقول سبحانه : فإذا قضيت
الصلاة فانتشروا في الأرض ، اي تفرقوا في الأرض كل على حسب صالحه الخاص
ولا يجب عليكم الاجتماع بعد الفراغ من الصلاة كما كان يجب قبلها .

وابتغوا من فضل الله ، اي واطلبوا الرزق في البيع والشراء ، وروي عن
النبي (ص) ليس المراد طلب دنيا ، وإنما هو عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة
أخ في الله ، وقيل : إن المراد من فضل الله هو طلب العلم .

وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال : الصلاة يوم الجمعة والافتشار يوم
السبت ، وقد روى عنه (ع) انه قال : إني لأركب في الحاجة التي كفاها الله

ما اركب فيها إلا التماس ان يراني الله تعالى أضحى في طلب الحلال أما تسمع قول الله عز وجل : فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله أرأيت لو ان رجلاً دخل بيتاً وطن عليه بابه ثم قال : رزقي ينزل علي أياكون هذا ، اما انه أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم ، قال الراوي : قلت : من هؤلاء الثلاثة ؟ قال : رجل عنده المرأة فيدعو عليها فلا يستجاب له ، لأن عصمتها في يده لو شاء ان يخلي سبيلها لخلى سبيلها ، والرجل يكون له الحق على الرجل فلا يشهد عليه فيجحد حقه فيدعو عليه فلا يستجاب له ، لأنه ترك ما أمر به ، والرجل يكون عنده الشيء فيجلس في يده فلا ينتشر ولا يطلب ولا يلتمس حتى يأكله فيدعو فلا يستجاب له .

واما معنى قوله تعالى : واذكروا الله كثيراً ، اي اذكروه على إحسانه واشكروه على نعمه وعلى ما وفقكم من طاعته واداء فرضه ، وقيل : المراد بالذكر هنا الفكر كما ورد ان تفكر ساعة خير من عبادة سنة ، وقيل : معناه اذكروا الله في تجارتكم وأسواقكم .

وروي عن النبي (ص) انه قال : من ذكر الله مخلصاً في السوق عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب له الف حسنة ويغفر له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر ، ثم قال سبحانه لعلمكم تفلحون ، اي تفوزوا بشواب النعيم فأفهمنا سبحانه ان في يوم الجمعة فلاحاً ، إلا انه علق الحصول عليه والفوز به على القيام بما تقدم من اعمال الجمعة ، وقد صح الحديث عن ابي ذر عن رسول الله (ص) من اغتسل يوم الجمعة فأحسن غسله ولبس صالح ثيابه ومس من طيب ثم لم يفرق بين اثنين غفر الله له ما بينه وبين الجمعة الأخرى ، وزيادة ثلاثة ايام بعدها اورده البخاري في الصحيح .

وروي سلمان التميمي عن النبي (ص) قال : إن الله عز وجل في كل يوم

جمعة ستائة الف عتيق من النار كلهم قد استوجب النار .

وفي كتاب الاختصاص (١) عن جابر بن يزيد الجعفي عن ابي جعفر (ع) انه سئل عن يوم الجمعة وايلتها فقال (ع) : ليلتها غراء ويومها أزهر وليس على الأرض يوم تغرب فيه الشمس اكثر معتقاً من النار من يوم الجمعة فمن مات يوم الجمعة عارفاً بحق اهل البيت كتب له براءة من النار وبرائة من عذاب القبر ومن مات ليلة الجمعة أعتق من النار .

وروى علي بن مهزيار بسنده الى ابي عبدالله (ع) قال : من مات ليلة الجمعة عارفاً بحقنا عتق من النار وكتب له براءة من عذاب القبر ثم اخبر سبحانه عن جماعة قابلوا اكرم الكرم بالأم اللوم فقال : وإذا رأوا تجارة او لهواً انفضوا اليها اي إذا علموا ان هناك بيعاً وشراء او لهواً وهو الطبل ، وقيل : المزامير تفرقوا عنك ذاهبين اليها .

وروي عن ابي عبدالله (ع) انه قال : معناه انصرفوا اليها وتركوا قائماً يخطب على المنبر قال جابر بن سمرة : ما رأيت رسول الله (ص) يخطب إلا وهو قائم ، فمن حدثك انه يخطب وهو جالس فكذبه ، وسئل عبدالله بن مسعود أكان النبي (ص) يخطب قائماً فقال : أما تقرأ وتركوك قائماً ، وقيل : أراد تعالى وتركوك قائماً في الصلاة .

ثم قال تعالى : قل يا محمد لهم : ما عند الله من الثواب والأجر على سماع الخطبة وحضور الموعظة والصلاة والثبات مع النبي (ص) خير وأحمد عاقبة من الله ومن التجارة والله خير الرازقين ، اي قادر على ان يرزقكم وان لم تتركوا الخطبة والصلاة ان كان في علمه وقدره ان لكم في هذه الساعة رزقاً وان لم يكن لكم رزق فلا تقدروا ان تحصلوا عليه ولو سارعتم وتركتم النبي (ص) وخطبته

وصلاته فما هو إلا عن ضعف اليقين وقلة الايمان ، وكم من امثالهم في زماننا ففي الخبر قال رسول الله : ليجيئني يوم القيامة اقوام لهم من الحسنات كأمثال الجبال فيؤمر بهم إلى النار ، فقيل : يا رسول الله أما مصلون ؟ فقال (ص) : كانوا يصلون ويصومون ويأخذون وهنا من الليل ، لكنهم إذا عن لهم شيء من الدنيا ونبوا عليه ، اى لا يفتنون إلى حله وحرامه وشبهاته ويتركون في سبيل الحصول عليه حتى الواجبات ، وفي الخبر لما قال الرضا (ع) : إن الحسين (ع) يخرج المختار من النار ، سئل لم أدخل النار وهو من الشيعة ومن أفضل الأنصار ؟ قال (ع) : إنه كان يحب السلطنة وكان يحب الدنيا وزينتها وزخرفها وان حب الدنيا رأس كل خطيئة ، لأن العبادة الكاملة ما كانت لله تعالى وناشئة من حبه سبحانه وإذا كان الانسان منهمكا في حب الدنيا وقد أخذت بمجامع قلبه لا يتأني له حب الله لأنها ضدان كما أخبر عز وجل عن ذلك بقوله : يا ابن آدم اخرج حب الدنيا من قلبك فإنه لا يجتمع حب الدنيا وحبى في قلب واحد ، وقال ايضاً : يا عيسى الدنيا قصيرة العمر طويلة الأمل وعندى دار خير مما تجمعون .

السر الغامض لهذه الآيات

في كتاب الاختصاص (١) عن الباقر (ع) يا جابر لم سميت الجمعة جمعة قلت : تخبرني جعلت فداك ، قال (ع) : أفلا أخبرك بتأويله الأعظم ؟ قلت : بلى قال : يا جابر لأن الله تعالى جمع في ذلك اليوم الأولين والآخريين من الجن والانس وكل شيء خلقه ربنا والسموات والأرضين والبحار والجنة والنار وأخذ منهم الميثاق له بالربوبية ولمحمد (ص) بالنبوة ولعلي بالولاية ، وفي ذلك اليوم قال

للسماوات والأرض إئتيا طوعاً او كرهاً قلنا أتينا طائعين فسمى الله ذلك اليوم الجمعة لجمعه فيه الأولين والآخريين .

ويؤيد ذلك بالمعنى العام وهو حبهم عليهم السلام وما له من الأجر ما رواه ابن شاذان في مناقبه بسنده إلى ابن عمر قال : قال رسول الله (ص) : من أراد التوكل على الله فليحب اهل بيتي ، ومن أراد ان ينجو من عذاب القبر فليحب اهل بيتي ، ومن أراد الحكمة فليحب اهل بيتي ، ومن أراد دخول الجنة بغير حساب فليحب اهل بيتي ، فوالله ما أحبهم أحد إلا ربح في الدنيا والآخرة .

وفي كتاب اعلام الدين للدبليبي من كتاب الحسين بن سعيد عن الصادق عليه السلام عن آبائه (ع) عن رسول الله (ص) انه قال لأمر المؤمنين (ع) بشر شيعتك بعشر خصال اولها طيب مولدهم (١) ثانيها حسن إيمانهم ، ثالثها حب الله لهم ، رابعها الفسحة في قبورهم ، خامسها نورهم يسمى بين ايديهم سادسها نزع الفقر من بين أعينهم وغنى قلوبهم ، سابعها اللعنة من الله لأعدائهم ، ثامنها الأمن من البرص والجذام ، تاسعها المحطاط الذنوب والسيئات عنهم ، عاشرها هم معي في الجنة وانا معهم فطوبى لهم وحسن مآب .

بشارة من مصدرها النائي

في تفسير فرات ان امير المؤمنين (ع) قال لقنبر : ابشر وبشر واستبشر والله لقد قبض رسول الله (ص) وهو ساخط على جميع أمته إلا الشيعة وان لكل

(١) حيث ان مبنضهم ولد زنا حتى تكثرت الأخبار عن الأصحاب انهم كانوا على عهد رسول الله (ص) إذا شكوا في أولاد نساءهم يقولون بهم على طريق علي (ع) فيقولون لهم : أمحون هذا ، فان قالوا نعم الحقوه بهم ، وان قالوا لا نفوه اعتماداً على الحديث يا علي لا يفضك إلا ولد زنا ، وقد سمعوه منه (ص) بأم آذانهم فما ادري لم تركوا العمل به بعد ذلك .

شيء شرفاً وشرف الدين الشيعة ، وفي عيون اخبار الرضا (ع) (١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أتاني جبرئيل عن ربي وهو يقول : ربك يقرؤك السلام ويقول : يا محمد بشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ويؤمنون بك وبأهل بيتك بالجنة فإن لهم عندي الحسنى (٢) قال محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد ، عن الحسن بن متيل ، عن ابراهيم بن اسحاق النهاوندي ، عن محمد بن سليمان الديلمي عن ابي سليم الديلمي ، عن ابي بصير قال : اتيت ابا عبد الله (ع) بعد ان كبرت سني وقد أجهدتني النفس فقال : يا أبا محمد ما هذا النفس ؟ فقلت له : جعلت فداك كبر سني ورق عظمي واقترب أجلي مع اني لست أدري ما اصير اليه في آخرتي فقال : يا ابا محمد إنك لتقول هذا القول ؟ فقلت جعلت فداك كيف لا اقله ؟ فقال : أما علمت ان الله تبارك وتعالى يكرم الشباب منكم ويستحي من الكهول ؟ قلت : جعلت فداك كيف يكرم الشباب منا ويستحي من الكهول ؟ قال : يكرم الشباب منكم ان يعذبهم ويستحي من الكهول ان يحاسبهم ، فهل سررتك ؟ قال قلت : جعلت فداك زدني فانا قد نبزنا نبزاً انكسرت له ظهورنا وماتت له افئدتنا واستحلت به الولاة دماءنا في حديث رواه فقهاؤهم هؤلاء ، قال : فقال : الراضية قلت : نعم ، قال : لا والله ما هم سموكم ، بل الله سماكم ، أما علمت انه كان مع فرعون سبعون رجلاً من بني إسرائيل يدينون بدينه فلما استبان لهم ضلال فرعون وهدى موسى رفضوا فرعون ولحقوا بموسى فكانوا في عسكر موسى أشد اهل ذلك العسكر عبادة وأشد هم اجتهاداً ، إلا انهم رفضوا فرعون فأوحى الله إلى موسى ان اثبت لهم هذا الاسم في التوراة فاني قد نخلتهم ثم ذخر الله هذا الاسم حتى سماكم به إذ رفضتم فرعون وهامان وجنودهما ، واتبعتم محمداً وآل محمد ، يا ابا محمد فهل سررتك ؟ قال : قلت : جعلت فداك زدني ، قال :

افترق الناس كل فرقة واستشيعوا كل شيعة فاستشيعتم مع اهل بيت قبيلكم فذهبتم
حيث ذهب الله واخترتم ما اختار الله وأحببتم من احب الله وأردتم من اراد الله
فابشروا ثم ابشروا فانتم والله المرحومون المتقبل من محسنكم والمتجاوز عن مسيئكم
من لم يلق الله بمثل ما انتم عليه لم يتقبل (الله) منه حسنة ولم يتجاوز عنه سيئة ،
فهل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : قلت : جعلت فداك زدني ، فقال : إن الله
وملائكته يسقطون الذنوب عن ظهور شيعتنا كما يسقط الريح الورق عن الشجر
في أوان سقوطه وذلك قول تعالى : « والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون
لمن في الأرض » فاستغفروهم والله لكم دون هذا العالم ، فهل سررتك يا ابا محمد ؟
قال : قلت : جعلت فداك زدني ، فقال : لقد ذكركم الله في كتابه فقال : « من
المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر
وما بدلوا تبديلا » والله ما عنى غيركم إذ وفيتم فيما أخذ عليكم ميثاقكم من ولايتنا
وإذ لم تبدلوا بنا غيرنا ولو فعلتم لغيركم الله كما غير غيركم في كتابه إذ يقول :
« وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين » فهل سررتك
يا ابا محمد ؟ قال : قلت : جعلت فداك زدني ، قال : لقد ذكركم الله في كتابه
فقال : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » فالخلق والله غداً أعداء
غيرنا وشيعتنا ، وما عنى بالمتقين غيرنا وغير شيعتنا ، فهل سررتك يا ابا محمد ؟
قال : قلت : جعلت فداك زدني ، فقال : لقد ذكركم الله في كتابه فقال :
« ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » فمحمد (ص) النبيين ونحن الصديقون
والشهداء وانتم الصالحون ، فتسموا بالصلاح كما سماكم الله فوالله ما عنى غيركم ،
فهل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : قلت : جعلت فداك زدني ، فقال : لقد جمعنا الله
ووليننا وعدونا في آية من كتابه فقال : قل يا محمد : « هل يستوي الذين يعلمون

والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب » فهل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : قلت : جعلت فداك زدني ، قال : فقال : لقد ذكر كم الله في كتابه فقال : « وقالوا مالنا لا نرى رجلاً كنا نعدهم من الأشرار » فأنتم في النار تطلبون وفي الجنة والله تحبسون فهل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : قلت : جعلت فداك زدني ، قال : فقال : لقد ذكر كم الله في كتابه فأعاذكم من الشيطان فقال : « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان » والله ما عنى غيرنا وغير شيعتنا فهل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : قلت : جعلت فداك زدني ، قال : والله لقد ذكر كم الله في كتابه فأوجب لكم المغفرة فقال : « يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً » قال : قلت : جعلت فداك ليس هكذا نقرأه إنما نقرأ « يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة ان الله يغفر الذنوب جميعاً » (١) قال : يا ابا محمد فإذا غفر الله الذنوب جميعاً فمن يعذب ، والله ما عنى غيرنا وغير شيعتنا ، وانها خاصة لنا ولكم فهل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : قلت : جعلت فداك زدني ، قال : والله ما استثنى الله أحداً من الأوصياء ولا اتباعهم ما خلا امير المؤمنين (ع) وشيعته إذ يقول : « يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون » إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم » والله ما عنى بالرحمة غير امير المؤمنين (ع) وشيعته ، فهل سررتك يا ابا محمد ؟ قال : قلت : جعلت فداك زدني ، قال : قال علي بن الحسين (ع) ليس على فطرة الاسلام غيرنا وغير شيعتنا وسائر الناس من ذلك براء فهل شفيتك يا ابا محمد ؟ .

(١) ربما يتوهم أن السائل أعاد نفس الجواب وهو كذلك بظاهره واسكنه أراد بسؤاله انه يظهر من الآية العموم المنفور لهم وجواب الإمام (ع) يريد منه ان لا عموم الأفراد وإنما العموم الذنوب فقط .

البشائر تتوالى

في كتاب عيون اخبار الرضا (ع) (١) عنه (ع) قال : كان قوم من خواص الصادق (ع) جلوساً بحضرته في ليلة مقمرة مضيئة فقالوا : يا بن رسول الله ما احسن اديم هذه السماء وأنوار هذه النجوم والكواكب ، فقال (ع) : إنكم تقولون هذا وان المدبرات الأربع جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ينظرون إلى الأرض فيرونكم واخوانكم في اقطار الأرض ونوركم الى السماوات واليهم أحسن من هذه الأنوار للكواكب وانهم ليقولون كما تقولون : ما أحسن أنوار هؤلاء المؤمنين .

وعن مالك الجهني قال : إني يوماً عند ابي عبدالله (ع) جالس وأنا أحدث نفسي بفضل الأئمة من اهل البيت (ع) إذ أقبل علي أبو عبدالله (ع) فقال : يا مالك أنتم والله شيعتنا حقاً لا نرى انك افرطت في القول في فضلنا يا مالك انه ليس يقدر أحد على صفة الله وكنه قدرته وعظمته والله المثل الأعلى ، وكذلك لا يقدر أحد أن يصف حق المؤمن ويقوم به كما أوجب الله له على أخيه المؤمن يا مالك ان المؤمنين ليلتقيان فيصافح كل منهما صاحبه فلا يزال الله ينظر اليهما بالمحبة والمغفرة وان الذنوب لتتحات عن وجوههما حتى يفترقا فمن يقدر على صفة من هو هكذا عند الله تعالى .

وروى هشام بن الحكم ان رجلاً من اهل الجبل أتى ابا عبدالله (ع) ومعه عشرة آلاف درهم فقال : اشترلي بها داراً أنزلها إذا قدمت وعبالي بعدي ثم مضى الى مكة فلما حج وانصرف أنزله الصادق (ع) في داره وقال : اشتريت

لك داراً في الفردوس الأعلى حدها الأول الى رسول الله (ص) وحدها الثاني إلى علي (ع) وحدها الثالث إلى الحسن (ع) وحدها الرابع إلى الحسين (ع) وكتبت لك الصك فيه ، فلما سمع الرجل ذلك قال : رضيت ففرق الصادق (ع) تلك الدنانير على اولاد الحسن والحسين (ع) وانصرف الرجل فلما وصل إلى منزله اعتل علة الموت فلما حضرته الوفاة جمع اهل بيته وحلفهم ان يجعلوا الصك معه في قبره ففعلوا ذلك فلما اصبحوا وغدوا على قبره ، وجدوا الصك على ظهر القبر وقد كتب على ظهر الصك وفي لي ولي الله جعفر بن محمد (ع) بما وعدني ، وقد تحصل من ذلك ان شيعة اهل البيت (ع) ومحبيهم هم نخبة الأمة وزبد المخاض حيث أنهم تلقوا اوامر ربهم وسنة نبيهم بالقبول والتسليم وحافظوا على المراد منها دون اي تحريف وتعمقوا في فهم معانيها وأسرار مغازيها ونبذوا سطوحها وقشورها اخذاً للعياء عن مجاريها وكل ذلك يعود إلى فضل جبههم (ع) واتباع شرعهم (ع) واتخاذهم جبههم (ع) وحكمة الحكيم جل شأنه في تشريع جبههم (ع) .

الحكمة في الالزام بحبهم (ع)

قال الله تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » (١) ، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً ان الله غفور شكور ، أم يقولون افتري على الله كذباً فان يشاء الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تعملون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد .

سبب النزول

ذكر المفسرون بسند يفتي الى عبدالله بن عباس إن رسول الله (ص) لما قدم المدينة واستحکم الاسلام قالت الأنصار فيما بينها : نأتي رسول الله (ص) فنقول له : إن تعرك أمور فهذه أموالنا نحكم فيها غير حرج ولا محذور عليك ، فأتوه في ذلك فنزلت هذه الآية ومعناها ان الله تبارك وتعالى يأمره بأن يقول لهم : لا أسألكم على أتعابي في تبليغ الرسالة وجهودي التي بذلتها لأجل الأخذ بكم من درك الجهل المادي والروحي الى هذه الدرجات الرفيعة من المادي والروحي إلا ان تودوا قرابتي واهل بيتي وعترتي وتحفظوني فيهم ، عن علي بن الحسين (ع) وسعيد بن جبير وجماعة . وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبدالله (ع) وقد ذكر البعض ان المراد من القربى ان تحبوا القربى الى الله ، ولا يخفى على المنصف ضعف هذا ورأى حتى بالنسبة لبلاغة القرآن ، وإنما هو تخلص مما ثقل على نفوسهم من جوارح الغل والحسد ، فلما أخبرهم رسول الله (ص) بذلك وقرأ الآية عليهم خرجوا من عنده مسلمين لقوله فقال المنافقون ان هذا لشيء افتراه في مجلسه أراد بذلك ان يدللنا لقربته من بعده فنزلت « أم يقولون افتري على الله كذباً » فأرسل عليهم فتلاها عليهم فبكوا واشتد عليهم أمرهم فأنزل الله « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده » الآية ، فأرسل في أثرهم فبشرهم . وقال تعالى على أثر هذه الآية « ويستجيب الذين آمنوا » وهم الذين سلموا لقوله ، ثم قال سبحانه : « ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً » اي من فعل طاعة نزد له في تلك الطاعة حسناً بأن نوجب له الثواب .

وذكر ابو حمزة الثمالي عن السدي ان اقرار الحسنة ، المودة لآل الرسول

محمد (ص) وصح عن الحسن بن علي (ع) انه خطب الناس فقال في خطبته : انا من اهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال : « قل لا أسألكم عليه أجراً » الآية . فاقراف الحسنة مودتنا اهل البيت .

وعن ابي عبدالله (ع) انه قال : نزلت فينا اهل اصحاب الكساء « ان الله غفور شكور » اي غفور للسيئات ، شكور للطاعات ، يعامل عباده معاملة الشاكر في توفية الحق حتى كأنه ممن وصل اليه النفع فشكره سبحانه جل شأنه « فان يشأ الله يختم على قلبك » اي لو حدثت نفسك بأن تفترى علي كذباً لطبع الله على قلبك ولأنساك القرآن فكيف تقدر ان تفترى على الله ، وهذا إبطال لما ادعوه عليه (ص) من الافتراء وانه غير ممكن ، وقيل : إن معنى يختم ، اي يربط على قلبك بالصبر على أذام حتى لا يشق عليك قولهم إنك مفتر وساحر « ويمح الله الباطل » اي يزيله ويرفعه باقامة الدلائل على بطلانه « ويحق الحق بكلماته » اي يثبت الحق بأقواله التي ينزلها على نبيه (ص) وهو هذا القرآن المعجز « انه عليم بذات الصدور » اي بضائر القلوب « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده » وان جلت معاصيهم فكأنه قال : من نسب محمداً الى الافتراء ثم تاب قبلت توبته وان جلت معصيته ويمحو عن السيئات ويعلم ما تفعلوه من خير وشر فيجازيهم على ذلك .

التأييدات الطبيعية

« خير الناس من نفع الناس » انها قاعدة مسلمة عند جميع الناس على اختلاف اديانها ومعدد طرقها ، بل حتى عند اشراهم ، ولو سئل الفرد من هو خير الناس ؟ لأجاب من نفع الناس حتى ولو كان ممن لم يتأت منه اي نفع لغيره ،

والناس على ثلاثة أقسام : منهم من يأتي منه الشر ، ونعوذ بالله منه ، وانه الجرثومة على العباد والمعول التعمال لهدم نظامهم وقد تركت فيه الغلظة والقسوة ، ومنهم من لم يأتي منه شر ولا خير وهذا وان لحقته المذمة بلسان العرف ولم يحصل على نصيبه من الخير لدنياه بالتقدير والمدح ولأخوانه بالجزاء من الله تعالى يوم الحاجة لو كان قاصداً بخيره وجهه تعالى ، لكنه مع ذلك أخف وطأة من سابقه ومنهم من يكون منه الخير فقط وهذا من رقة القلب وتركز الرأفة والحنان فيه على عكس الأول وهو أيضاً على أقسام ، تارة يلحظ فيه الخير كثرة وقلة من جهة وروحاً ومادة من جهة أخرى ، وتارة بلحاظ ذاته من كون فعله للخير برغبة تارة او يتكلف وعندما يقصد أخرى ، او انه هو المتصدي والمنادي متبرعاً ومبتدئاً ، وتارة منقطعاً خيره وأخرى متواصلاً ومتتابعاً ، إلى غير ذلك من التفصيلات والعرف فضلاً عن العقل يحكم بأن افضل الأقسام من كان خيره كثيراً ومتواصلاً روحياً لبقائه وانقطاع غيره ، راغباً فاعله مبتدئاً غير مسؤول لبعده عن المنة ، وهذا كله قد استجمع في أئمتنا الطاهرين (ع) وعلى رأسهم أمير المؤمنين (ع) الشفيق على هذه الأمة والحريص على توجيهها لخيرها وواقعها والمربي الأول لها بعد نبيها (ص) فتراه قد صرف كل عمره الشريف وبذل جميع جهوده وكرس كل إمكانياته على نشر الخير والمعارف الكفيلة لسعادة البشر على الاطلاق سواء كان للدنيا ونظمها او للآخرة ونعيمها ، كما يوضح لنا ذلك جيداً تراثه العظيم وسفره الجليل (نهج البلاغة) المجاري للقرآن المجيد بكل معانيه والحاوي لكل مغازيه ، حتى قيل ان كلامه (ع) تحت كلام الخالق وفوق كلام المخلوق ، فهو وأولاده (ع) محسنون لنا ، وقد قال رسول الله (ص) النفوس قد أجبلت على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها فإذا حبناله ولأولاده عليهم السلام بدافع الطبيعة وتضحياتنا دونهم يباعث الانصاف وهل جزاء الاحسان

إلا الاحسان ، فنسأل الفرد المندفع على حده والمضحى لآخر نفس من انقاسه لمن افاض عليه المادة من المال او الرتب ما هذا الحب المفرط والتضحيات الزائدة؟ فيجبنا هذا قليل بحقه وهل وجودي لإمانه مع اعترافه بأن الخير الروحي افضل من المادي وإنا لم نجد في هذه الأمة بعد الرسول الأعظم (ص) من افاض علينا بعض ما افاضوه عليهم السلام من الخير كي نتفانى في حبه كتفانينا في حبههم (ع) فهذا الامام علي بن ابي طالب (ع) يرسل الينا كلماته الذهبية المشفعة بالأنوار الساطعة والبراهين اللامعة يضمنها اعظم النصائح لقصد إنقاذنا من هوة الضلالة وانتشالنا من حيرة الجهالة تارة بمطول كلماته اللؤلؤية المنتظمة بسلكها التبري فائراً لها على الرؤوس حيث يحب السامع كثرة الالتقاط مسبقاً غيره فيما يحوزه وتارة يبعثها موجزاً لها حيث يخشى التضجر وقلة التدبير وضياح جوهريات تلك اللآليء عن الأذهان فيرسل كلمته القصيرة مثلاً « إن أخوف ما أخاف عليكم اتنان اتباع الهوى وطول الأمل ، اما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، واما طول الأمل فينسي الآخرة » وهي على إيجازها تعطي ما يعطيك المفصل منها ، اما إذا اضفنا إلى مقتضى الطبيعة ما ورد من الحث على حبههم (ع) والتزام طاعتهم من الوحي والحديث فهو أكثر من ان يحصى ، ومنها مفتتح كلمتنا هذه « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » .

فوجوب محبتهم ولزوم اتباع طريقتهم (ع) شرعي وعقلي وعرفي وطبيعي فاذا وجدنا من يحميد عن ذلك مع هذا الوضوح فلسبب ما ، وان الحكمة في تشريع حبههم (ع) عائدة لنفعنا ، لأن الحب يجذب إلى الأخذ بسنة المحبوب وطريقته فهو من الوسائل والألطف منه تعالى لدفعنا نحو الخير وجذبنا عن الشر كما هو مطلوبه لعباده ، حيث ان الخير سنتهم ودأبهم ، وإلا فمراكمهم محفوظلة وقدرهم رفيع سواءً امثلنا الأمر بحبههم (ع) أم عصيناه ، لأن الله سبحانه قد قال :

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » (١)
 فإذا كان هو المتمهد بأتمام نورهم وارتفاع شأنهم فمن يقدر على رد تلك الإرادة
 وصد ذلك النور ، ولذا جعل جل شأنه أفئدة من الناس تهوي إليهم وجعلهم في
 بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه .

تأييد طبيعي آخر

لقد رأينا سيرة البشر وجميع الأمم وسائر الملل تعتز برجالها العظام ومن
 خلفوا لهم التراث العلمي او مهدوا لهم أسباب التقدم والسيطرة وان شئت فقل
 الملك ، ولذا يجددون لهم الذكريات وإقامة المهرجانات وما يتأتى لهم فيها من
 الكلمات بمناسبة مرور السنوات ، وانه امر طبيعي يكون بدافع مشاهدة منافعهم
 الشاملة لمن خلفهم والمستمرة استمرار الأزمان .

وإننا إذا رأينا مخلقات اهل البيت (ع) سواء كانت العلمية او التهيدية
 لبناء صرح الاسلام وتشديد سلطانه ، فهي من جهود ايهم امير المؤمنين (ع)
 وتعاليم جدهم سيد المرسلين ، فالطبيعة على مقتضى عادتها باضافة الانصاف تدفعنا
 الى إحياء ذكرهم وتعظيم شعائرهم ، سواء كان بمناسبة الأفراح كواليدهم ويزوغ
 أنوارهم ، او الأحزان كوفياتهم وعظيم مصائبهم ، وإذا ضمنا إلى ذلك الأمر
 الشرعي وندب القرآن الكريم على ذلك بمصعب المدح والثناء فيكون الأمر أشد
 لزوماً وأقوى إبراماً وأثبت احكاماً .

قال الله تعالى ذلك : « ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب » (٢)
 المعنى « شعائر الله » اي معالم دين الله والأعلام التي نصبها لطاقته ،

(١) - سورة الصف الآية ٨ . (٢) - سورة الحج الآية ٣٠ .

والمراد من تعظيمها هو الاهتمام بها وتبجيلها والاعتزاز بها وبذل الجهود في إقامةها والاستمرار عليها ، وان من أظهر مصاديق تعظيم شعائر الله تعالى إقامة الاحتفالات بمناسبة مواليدهم ووفاياتهم (ع) المعبرة عن العقائد الدينية والمهرجانات الكاشفة عن شدة الفرح والسرور بذكريات أقطاب الدين ، فهو ان دل على شيء فأنما يدل على رسوخ العقيدة وسلامتها عن شوائب الضلال والانصاف في إعطاء ذوي الحقوق حقوقهم ، وان الله سبحانه قد طلب منا القيام بمثل هذا بأبلغ طلب حيث انه سبحانه قد استعمل التشويق والترغيب بقوله : « فأنها من تقوى القلوب » اي يكون عمله منبعثاً عن التقى المستقر في القلوب ، واذن تقوى القلوب ، لأن من التقوى ما يكون ظاهرياً لا تركيز له في القلب وهذا ما لا فائدة فيه ولربما يعود بالضرر على صاحبه لو كان مرئياً فيه ، ومن التقوى ما يكون صاحبه مستعداً فيه من صميم القلب وبنية خالصة وعقيدة ثابتة ، وبذلك يكون واقعياً ، وأي وسام رفيع يطلبه المسلم بعد هذا ، فأنه جل شأنه يدخل المحفز والمرغب في تركيبه هذا مع الطلب الضمني كي لا يتكاسل الفرد ولا يتخاذل عن القيام بذكرياتهم وإحياء أمرهم ، ولذا ورد عنهم قولهم (ع) : « رحم الله من أحى أمرنا » فأنها معالم دين الله وإنا إذ نتقدم بذلك لا ينبغي لنا الاقتصار على سرد فضائلهم وبيان كراماتهم وما وهبهم الله تعالى من معجز وخوارق وإن كان لاغنى لنا عن ذلك ، وليكن ذكرها تيمناً وبركاً وإنما المهم ان نصرف الأنظار ونحيل الأفكار ونعمن التدبير في اسباب استحقاقهم لهذه الدرجات العالية والفضائل السامية كي نفتني آثارهم في ذلك فنفوز كما فازوا ورتفع عند الله تعالى كما ارتفعوا نعم ان الله سبحانه لم يعطهم ذلك عفواً ولم يختصهم به اعتباراً ، بل لاطلاعه بتقديم علمه على جوهر نفسياتهم وزكي ذواتهم وخلص نياتهم وانهم المستحقون لرعاية خلقه وإرشاد عباده ، حيث انهم قد استجمعوا كل صفات الكمال وتباعدوا عن

الذائل حتى في عالم الخيال ، فتراهم في ناحية العلم لا يحجمون عن جواب سؤال ولا يعجزون عن تنفيذ شبهة ضال وهم مصادر علوم الورى مها تنوعت وتباعدت وسأطها وقد استقوها عن جدم محمد (ص) معدن وحي الله تعالى ، كما انهم في ناحية طاعة الله وتنفيذ احكامه والرهبة منه هم اطوع عباده وأعبد خلقه ، اما في الاهتمام بامور الدين فهم العين الساهرة والحارس الأمين والرصيد الكافي لسد أى ثلمة تحدث في الدين وأي كسر يكون على المسلمين ، ولو استلزم ذلك التضحية بالنفس بعد النفيس كما قد وقع لسيد الشهداء الحسين بن علي (ع) بما هو غني عن البيان ، وان نظرت إلى جودهم وكرمهم فهم الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة بشهادة نص القرآن الكريم ، وبذلك الكفاية عن بقية الآثار . اما عطفهم على الضعفاء والمساكين وإجابة الملهوفين ومساندة المظلومين فذاك سجيتهم ومعدن طيبتهم وكاد أن يكون من ذاتياتهم ، وهكذا سائر صفات الكمال والمحكم في ذلك تصفح حياتهم واستقرأ احوالهم بمختلف أزمانهم وأدوارهم لا ترى لجميل صفاتهم تبديلاً ولا لمكارمهم تحويلاً ونراهم قد كرسوا عزيز حياتهم وبذلوا كل إمكانياتهم وضحوا بأنفسهم وجعلوها وقفاً في سبيل تشييد معالم الدين وإقامة العدل وكسح الظلم وتبرير الجبروتية والظغيان ، وأرادوا لكل مسلم حقه ولكل مؤمن كرامته ، ولم يذكر لنا تاريخ حياتهم انهم استخدموا الدنيا في لذات أنفسهم وشهوات أشخاصهم يوماً ما ، فلم يأخذوا منها غير ضروريات حياتهم ، والعقل عندما يثبت كل ذلك من الحس لهم لا جرم يحكم باستحقاقهم رعاية خلق الله وحفظ دينه ، أما إذا أضفنا إلى هذا نصوص القرآن ومتواتر الأحاديث بتفضيلهم والأمر بودهم وجعله أجر أتعاب الرسالة ووجوب طاعتهم والأخذ عنهم والتحذير عن مخالفتهم والتهديد على بغضهم فذاك لون آخر من الاستدلال وإذا جمع العقل والنقل على استجاءهم هذه المزايا فكان حقاً على الله تعالى ان يجعلهم

أمناء على دينه ويخصهم رعاة خلقه وأعلاماً لعباده ومناراً في بلاده فيسود العدل ويكمل النظام وتحفظ الحقوق في الدار الموقرة وتكفل لهم السعادة في الدار المؤبدة فكان لزاماً علينا إحياء أمرهم والتزام سيرتهم تخليداً لذكريات من تبلورت ذواتهم وتنزهت أعمالهم ليكون كسبه وفاء منا لما بذلوه في سبيل إحيائنا من موت الجهالة وإنقاذنا من هوة الضلالة هذا أولاً ، ولناخذ من سيرتهم ضوءاً ونستخلص من عملهم دليلاً نسير عليه في حياتنا ونؤمن بذنابجه دار بقائنا عند حلول آجالنا ثانياً ولنكون من مصاديق قوله تعالى ذلك : ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ثالثاً .

آية أخرى من القرآن تحمل سرراً أهل البيت (ع) موطنه

قال الله تبارك وتعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً » (١) .

لا اريد ان أتوسع في إيضاح ان المقصود بهذه الآية هو حسد محمد (ص) وأهل بيته ، وانهم هم المراد من الناس لأنه يكاد ان يكون من توضيح الواضح وقد تضافرت به الأخبار ونكتني بما ذكره في مجمع البيان باسناده عن ابي الصباح الكناني قال : قال ابو عبدالله (ع) : يا ابا الصباح نحن قوم فرض الله طاعتنا لنا الأنفال ولنا صفو المال ، ونحن الراسخون في العلم ، ونحن المحسودون الذين قال الله في كتابه : أم يحسدون الناس ، الآية .

والمراد بالكتاب النبوة وبالْحِكْمَةُ الفهم والقضاء وبالمملك العظيم افتراض الطاعة وعن ابي جعفر (ع) ان المراد بالناس النبي (ص) وآله والمراد بالفضل فيه النبوة وفي آله الامامة .

ثم التنظير بآل ابراهيم (ع) يعطينا صورة جلية ، ومعناه لا ينبغي حسدهم على ذلك لأنه غير مبتكر فيهم ، بل آتينا آباءهم من قبلهم مثلهم ، ثم يرفع سبحانه استبعاد الحسد تسلية لهم (ع) بأن من مضى كذلك بالنسبة إلى ابراهيم وآله منهم من آمن به وقبله ومنهم من صد عنه وكفر به حسداً ثم يعقبه تعالى بالتهديد الصارم بقوله : « وكفى بجهنم سعيراً » وناراً موقدة إيقاداً شديداً ، نعم فان ذلك الحسد من ذويه والحق من حامله إنما يؤلم ويؤذي لو انه يمضي لهم فواتاً وبدون أي مجازاة ، اما إذا كان ربك لهم بالمرصاد وبعد هنيئة يدخلهم جهنم وبئس المهاد فالصبر أجمل والرضا بقضائه افضل .

نتائج تصفية النفس

قد ورد اتقوا فراسة المؤمن وورد ايضاً المؤمن ينظر بنور الله وغير ذلك مما محصله ان الايمان جلاء القلوب من الرين وكلما قوي ازداد تأثيره وظهرت آثاره في تصفية النفس فتتكشف لها الأمور حينئذ كالألاء كلما زاد صفاء زاد كشفه عما تحته حتى ان البحار لصفائها تريك مافي قعرها رغم بعد قرارها بيننا النهر الكثيف مائة لا يريك ما تحته فيما بعد بشر واحد عن الرأي .

فالأرواح والنفوس كلما تبلورت وتصفت من الأكدار تنكشف لها المغيبات والأسرار فلاغرو إذا إذا كان اهل البيت عليهم السلام قد اخبروا عن المغيبات عند اقتضاء الحال ذلك ، لأن نفوسهم بحكم الحس قد صارت إلى منتهى الامكان في

الصفاء ، وقد تكثرت الأخبار عنهم (ع) في ذلك ونذكر شيئاً منها لئلا تخلو مائدتنا هذه عن مثل هذه النكاكة فنقول : اما امير المؤمنين (ع) فيكفي في ذلك اخباره في بعض خطبه المسماة بالملاحم وقد فصلوها شراح كلامه سلام الله عليه فنحيل الفاري* عليها ولها عدة مواضع بمناسبة شتى .

اما ابو عبدالله الصادق (ع) ففي كتاب الخراج للراوندي عن عبدالله الكاهلي قال : قال لي ابو عبدالله (ع) : إذا لقيت السبع ما تقول له : قلت : ما ادري ، قال (ع) : إقرأ في وجهه آية الكرسي وقل : عزمت عليك بعزيمة الله وعزيمة محمد (ص) وعزيمة سليمان بن داود وعزيمة علي امير المؤمنين (ع) والأئمة من بعده فإنه ينصرف عنك فقدمت إلى الكوفة فخرجت مع ابن عم لي إلى قرية فإذا سبع قد اعترضنا فقرأت كما علمني (ع) فنظرت إليه وقد طأطأ رأسه وأدخل ذنبه بين رجليه وتكعب الطريق راجعاً من حيث جاء فقال ابن عمي ما سمعت كلاماً قط أحسن من هذا ، فقلت : سمعته من ابي عبدالله (ع) فقال : أشهد انه إمام مفترض الطاعة وما كان ابن عمي يعرف قليلاً ولا كثيراً (١) فدخلت على ابي عبدالله (ع) من قابل فأخبرته الخبر وما كنا فيه وساق الحديث معه الى ان قال (ع) : أتري اني لم أشهدكم بئسما تری بئسما تری (٢) ان لنا مع كل ولي أذنًا سامعة وعيناً ناظرة ولساناً ناطقاً ، ثم قال (ع) لي : أنا والله صرفته عنكما وعلامة ذلك انكما في البداية على شاطئ النهر وان اسم ابن عمك حبيب وحبيب عندنا وما كان الله يميته حتى يعرف هذا الأمر ، فرجعت إلى الكوفة وأخبرت ابن عمي بمقالته (ع) ففرح وسر سروراً عظيماً ، وما زال مستبصراً حتى مات وقد كان منحرفاً .

فانظر إلى علو مرتبتهم عند ربهم حيث أطاعوه حق طاعته وهو الفائل

(١) أي من أمر أهل البيت (ع) حيث كان منحرفاً عنهم . (٢) يكررها (ع)

سبحانه : عبدي أظعني تكن مثلي او مثلي تقول للشبيء كن فيكون .
 وقوله (ع) لعبدالله الكاهلي : إذا لقيت السبع ... الخ ، فيه إشعار
 بانك سوف تلقى السبع وهو من المفيات المنكشفة لصافي نفوسهم عليهم السلام
 ولعل السر في كشف هذه الواقعة هداية ابن عم عبدالله الكاهلي .

كرامة أخرى له (ع)

قال أبو كهس : كنت بالمدينة نازلاً في دار كانت بها وصيفة تعجيني
 فأنصرفت ليلة ممسية ففتحت لي الباب فمدت يدي وقبضت علي ثديها ، فلما كان
 من الغد دخلت علي ابي عبدالله عليه السلام فلما رأي قال : تب إلى الله مما
 صنعت البارحة .

وفي مجالس الشيخ باسناده إلى داود الرقي قال : كنت جالساً عند ابي عبدالله
 عليه السلام إذ قال لي مبتدئاً : يا داود لقد عرضت علي اعمالكم يوم الخميس فرأيت
 لما عرضت علي عملك وصلتك إلى ابن عمك فلان فسرني ذلك ان صلتك لفلان
 اسرع لقناء عمره وقطع أجله ، قال داود : وكان ابن عم لي ناصب فبغطني عنه
 وعن عياله سوء حال فصككت له بنفقة قبل خروجي إلى مكة ، فلما صرت إلى
 المدينة اخبرني ابو عبدالله (ع) بذلك وفي قوله تعالى : لتكونوا شهداء علي
 الناس ويكون الرسول شهيداً عليكم ، قال ابو عبدالله (ع) : نحن الشهداء علي
 خلقه فليتقوا .

ومن معاجز الكاظم موسى بن جعفر (ع)

ما في البحار عن المناقب من رواية علي بن راشد عن محمد بن علي النيشابوري الوكيل (١) من حديثه مع الامراة المؤمنة المسماة شطيطة النيشابورية وما أرسلته الى الامام من الدرهم وشقة خام من غزل تساوي اربعة دراهم في حديث طويل إلى ان جاء بها إلى الامام في جملة ما حمل معه من الأموال - إلى ان قال - فلما جئت بها إلى الامام فقال (ع) مبتدئاً : جئني بدرهم شطيطة وأزارها ثم قال : يا ابا جعفر أبلغ شطيطة سلامي واعطها هذه الصرة . وكانت اربعين درهماً ثم قال (ع) : وأهديت لها شقة من اكفاني من قطن قريتنا صيدا قرية فاطمة وغزل أختي حليلة بنت الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) ثم قل لها : إنك ستعيشين تسعة عشر يوماً من وصول ابي جعفر ووصول الشقة والدرهم فانفقي على نفسك منها ستة عشر درهماً واجعلي اربعة وعشرين صدقة عنك وأنا أتولى الصلاة عليك ، فاذا رأيتني يا ابا جعفر فآكتم علي فانه أبقى لنفسك ، ثم قال (ع) واردت الأموال إلى اصحابها إلى ان قال الراوي : فعاشت شطيطة كما قال الامام عليه السلام ، فاما توفيت شطيطة جاء الامام علي بعير له فلما فرغ من تجهيزها ركب بعيره وانثنى نحو البرية ، وقال (ع) : عرف اصحابك واقراءهم مني السلام وقل لهم : إني ومن يجري من الامام لا بد لنا من حضور جنازكم في اي بلد كنتم فاتقوا الله في أنفسكم ، هذه منازلهم عند خالقهم ، وهذه منازل شيعتهم عندهم ومحافظتهم على دماءهم ويريدون منهم كتمان هذه الأسرار لئلا يقتلوا فهم المحافظون عليهم في الدارين معاً .

(١) أي وكيل الإمام (ع) في نيبابور .

معجزة للامام الجواد (ع)

عن قاسم احد الموالين لهم (ع) قال : اعترتنا هواء عاصف في البرية ونحن في طريق الحج بر الحجاز بين مكة والمدينة فأخذت الريح العمامة من رأسي وطار بها إلى ان غابت عني ، ولما وردت المدينة وتشرفت بزيارة مولاي الجواد (ع) فلما رأيته قال (ع) : يا قاسم ما فعلت الريح بعمامتك ؟ قلت : سيدي انت اعلم بها فأشار إلى يأسر عبده ان ائت بعمامته فحياها إلي بها بعينها فقال (ع) : إن الله أمر الريح بها ان جاءت بها الينا وذلك بتصدقك بذلك المنزل على فلان الفقير والله يجزي المتصدقين .

كرامة أخرى تجمع له (ع) علم الغيب وطى الأرض

فقد روى ابن الصباغ المالكي والشبلنجي من علماء السنة ان خالداً قال : كنت في العسكر (١) فسمعت الناس يقولون : إنه آتى برجل من الشام يتنبأ فأرسل به محمد بن عبد الملك الزيات الى السجن في سامراء فزجوه في السجن فأتيت الى ارباب السجن فدفعت اليهم شيئاً فأدخلوني عليه فلما اختبرته وإذا هو رجل ذو عقل وثبات ودين ، فقلت له : ما هذا الذي رموك به من الادعاء بالنبوة فقال : والله اني ما ادعيت النبوة ، ولكن كنت أعبد الله في الشام في مسجد يسمى بمسجد رأس الحسين (ع) فلما كنت ذات ليلة على عادتي أتعبد إذ طلع

(١) أي سامراء .

علي رجل بهي فسلم علي وقال لي : اتبعني فتبعته ومشينا قليلا وإذا نحن في مسجد الكوفة فقال لي : أتعرف هذا الموضع ؟ فقلت : نعم انه مسجد الكوفة فقال لي : صل فيه ركعتين فصليت وصلى هو ثم انصرفنا فمشينا قليلا وإذا نحن في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فصليت وصليت ثم مشينا قليلا فإذا نحن في مكة في مسجد الحرام ، فصليت وصليت ثم مشينا قليلا فإذا نحن في الشام في مسجد رأس الحسين عليه السلام فتركتني وانصرف فبقيت متحيراً وندمت كثيراً حيث اني لم أسأله ولم أعرفه من هو ، فلما كان من السنة القابلة في مثل تلك الليلة وإذا به قد أقبل علي وسلم وفعل مثلما فعل في السنة الأولى فلما رجعنا الى موضعنا في مسجد رأس الحسين (ع) قلت له : بالذي اعطاك هذه المنزلة إلا أخبرتني من انت ؟ فقال لي : انا محمد بن علي الجواد (عليه السلام) ، فلما أصبحت حدثت بذلك بعض من يجتمع معي ، فشاع الخبر ووصل إلى الوالي محمد بن عبد الملك فقبضني وكبلني بالحديد وأرسل بي الى العسكر في سامراء فأدخلوني السجن كما ترى فعند ذلك قلت له : لأرفعن أمرك اليه إن شاء الله ، فخرجت وكتبت الى محمد بن عبد الملك في أمره وإطلاقه فوقع على ظهر كتابي ، فليخرجه إمامه الذي مشى به الى مسجد الكوفة والمدينة ومكة والشام في ليلة واحدة . فصرت مهموماً ودخلني من الغم ما لا مزيد عليه فبت تلك الليلة ، فلما أصبحت قلت أمضي الى السجن وأمره بالصبر وحسن الظن بالله تعالى ، حيث اني وعدته بالسمي في أمره ، فلما انتهيت الى باب السجن وجدت السجناء في هرج ومرج فقلت لهم : ما الخبر ؟ فقالوا : إن هذا الرجل الشامي اصبح مفقوداً من السجن والأبواب مغلقة ، ووجدنا الحديد الذي كان في رجليه والأغلال التي في عنقه مطروحة في مكانه ولا نعرف كيف خرج منها ، فعلمت ان إمامه الجواد (عليه السلام) أخرجه ، وهذا قليل من كثير من معجزه (عليه السلام) .

كرامة أخرى للإمام الصادق (ع)

عن شعيب المقرئ في ، قال : دخلت أنا وعلي بن ابي حمزة وابو بصير علي ابي عبدالله (ع) وهمي ثلاثمائة دينار فصبيتها قدامه فأخذ منها ابو عبدالله عليه السلام قبضة لنفسه ورد الباقي علي ، وقال : يا شعيب رده هذه المائة دينار الى موضعها الذي أخذتها منه ، قال شعيب : فقضينا حوائجنا جميعاً ، فقال لي ابو بصير : يا شعيب ما حال هذه الدنانير التي ردها عليك ابو عبدالله (ع) قلت أخذتها من عروة أخي سرّاً منه وهو لا يعلمها قال لي ابو بصير : اعطاك ابو عبدالله عليه السلام والله علامة الامامة ، ثم قال لي ابو بصير وعلي بن ابي حمزة : يا شعيب عد الدنانير فعددتها فإذا هي مائة دينار لا تزيد ديناراً ولا تنقص ديناراً .

وعن شعيب ايضاً قال : إن رجلاً بُعث معه بألف درهم الى ابي عبدالله عليه السلام فقلت : إنني أريد ان اعرف فضل ابي عبدالله (ع) ، فأخذت منها خمسة دراهم وجعلت مكانها خمسة دراهم مستوفة (١) ، ثم أتيت ابا عبدالله (ع) فأخذها ونثرها وأخذ الخمسة منها وقال : هاك خمستك وهات خمستنا .

ذخائر ثمينة في أوعية حصينة

تلك حكياتهم (ع) وموجز كلماتهم يحملونها وجوه اصحابهم واهل العلم والدين من طلابهم وذوي الأمانة من روايتهم كي يؤديها إلى اللاحقين من أمثالهم والمتأخرين من شيعتهم ومحبيهم الآخذين بهديهم أبرزوها من مكنون صدورهم

مدوية في الفضاء بالغة آذان السامعين من عباد ربهم وأمة جدم (ص) قاصدين
تقديمهم في مراحل الكمال والتدرج بهم في مراتب الجمال بشحد أذهانهم من
أنوار علومهم وتصفية نفوسهم ببلغ مواعظهم .

منها كلمات مولانا أمير المؤمنين المسماة بالقصار

قال (ع) : افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئاً ، فان صغيره كبير وقليله
كثير (١) « من ظن بك خيراً فصدق ظنه » « لا تظن بكلمة خرجت من احد
سوءاً ، وانت تجدها محتملاً » « ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً
ممن قدر فعف ، لكاد العفيف ان يكون ملكاً من الملائكة » « العفو زكاة الظفر »
« أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة » « إذا قصرت يدك عن المكافأة
فليطل لسانك بالشكر » « لا يزهدنك في المعروف من لا يشكر لك » « إحصد
الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك » « لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ
اخاه في ثلاث : في نكبته ، وغيبته ، ووفاته » « صديقك من نهاك وعدوك من
أغراك » « حسد الصديق من سقم المودة » « إذا كنت في إديار والموت في
إقبال فما أسرع الملتقى » « عاتب اخاك بالاحسان اليه وارده بالانعام عليه »
« ازجر المسيء بثواب المحسن » « إذا حييت بتحية فحيي بأحسن منها ، وإذا
أسديت اليك يد فكافئها بما يربى عليها والفضل في ذلك للبادي » « شر الاخوان
من تكلف له » « لاتصحب المائق الأحمق فانه يزين لك فعله ويود ان تكون مثله »
« إياك ومصادقة الأحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك ، وإياك ومصاحبة البخيل

(١) فقد ورد أنه دخل رجلان الجنة بسبب حجر أحدهما وضعه في الطريق له وورث الناس

عليه وثانيهما رفعه بعد جفاف الطريق لثلا يثر الناس به .

فانه يبعد عنك احوج ما تكون اليه ، وإياك ومصادقة الكذاب فانه كالسراب
يقرب عليك البعيد ويبعد عنك القريب « من كفارات الذنوب العظام إغاثة
الملهوف والتنفيس عن المسكروب » « من عرف نفسه فقد عرف ربه » « الجاهل
بقدر نفسه يكون بقدر غيره اجهل » « هلك امرئ لم يعرف قدره » « افضل
الزهد إخفاء الزهد » « من اشرف اعمال الكريم غفلته عما يعلم » « ليس من
طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه » « ان لم تكن حليماً فتعلم فانه قل
من تشبه بقوم إلا اوشك ان يكون منهم » « انتهزوا فرص الخير » « إذا رأيتم
الشر فأعرضوا عنه » « أشد الذنوب ما استهان به صاحبه » « بتس العدوان على
العباد » « ما ظفر من ظفر الأثم به ، والغالب بالشر مغلوب » « يوم المظلوم على
الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم » كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من
غيرك « « يأتي زمان على الناس لا يقرب فيه إلا الماحل (١) ولا يظرف فيه
إلا الفاجر ، ولا يضعف فيه إلا المنصف » « ما شككت بالحق مذ رأيت » « لا
تسمت بالمصائب ولا تدخل في الباطل ولا تخرج من الحق » « اتقوا الله في عباده
وبلاده فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم » « الطمع رق مؤبد » « في تقلب
الأحوال علم جواهر الرجال » « إذا ايسرت فكل الرجال رجالك ، وإذا أعسرت
انكرك اهلك » « إذا اقبلت الدنيا على احد أعارته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه
سلبته محاسن نفسه » « اما انه ليس بين الحق والباطل إلا اربع اصابع » (٢)
« ليكن أمر الناس في الحق عندك سوا » « من صارع الحق صرعه » « إن
يد الله مع الجماعة » « علامة الايمان ان تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب
حيث ينفحك » « لا يؤنسك إلا الحق ولا يوحشك إلا الباطل » « ما اكثر

(١) الساعي في الناس بالوشاية عند السلطان

(٢) وهو مسافة ما بين الأذن والعين .

العبر وأقل الاعتبار « المؤمن نفسه منه في عناه ، والناس منه في راحة » « قيمة كل امرئ ما يحسنه » « لا حسب كالتواضع ، ولا شرف كالعلم ، ولا قرين كحسن الخلق » « كفى بحسن الخلق نعيماً » « الكرم اعطف من الرحم » « كم من أكلة منعت أكلات » « محتاج القرابة الى مودة ، ولا محتاج المودة إلى قرابة » « رب قريب أبعد من بعيد ، ورب بعيد أقرب من قريب ، والغريب من لم يكن له حبيب » « فقد الأحبة غربة » « فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها » « إذا سألت كريماً حاجة فدعه يفكر ، فإنه لا يفكر إلا في خير وإذا سألت اللئيم حاجة فعاجله فإنه ان فكر عاد إلى طبعه » « البخل جامع لمساوي » العيوب ، وهو زمام يقاد به إلى كل سوء » « الحرص والكبر والحسد دواع إلى التقحم في الذنوب » « لم يذهب من مالك ما وعظك » « من كرمت عليه نفسه هان عليه ماله » « يابن آدم كن وصي نفسك في مالك ، واعمل فيه ما تؤثر ان يعمل فيه من بعدك » « العلم يحرسك وانت تحرس المال » « ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير ان يكثر علمك » « هلك خزان المال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر » « إذا ارذل الله عبداً حظر عليه العلم » « كل وعاء يضيق بما جهل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع » « ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا إلا اخذ على اهل العلم ان يعلموا » « العلم مقرون بالعمل ، فمن علم عمل والعلم يهتف بالعمل ، فإن أجابه وإلا ارتحل عنه » « ان هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة » « المرء محبوب تحت لسانه » « هانت عليه نفسه من أمر عليها لسانه » « لسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الأحمق وراء لسانه » « لا خير في الصمت عن الحكم ، كما انه لا خير في القول بالجهل » « لا تسأل عما لا يكون ففي الذي قد كان لك شغل » « الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله » « لا تضعوا الحكمة في غير أهلها فتظلموها » « كم من صائم ليس من صيامه إلا الظمأ

وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر والعناء « « حبذا نوم الأكياس
 وافتارهم « « نوم على يقين خير من صلاة على شك « « يكون الصبر على قدر
 المصيبة « « لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان « « عند تنامي الشدة
 تكون الفرجة « « يابن آدم ما تكسب فوق قوت يومك فانت فيه خازن لغيرك «
 « الصبر صبران ، صبر على ما تكره وصبر عما تحب « « من كساه الحياء ثوبه ،
 لم ير الناس عيبه « « اللهم اغفر لي ما انت اعلم به مني ، فان عدت فعد علي
 بالمغفرة ، اللهم اغفر لي زمرات الأحاظ وسقطات الألفاظ وشهوات الجنان
 وهفوات اللسان ، اللهم اجعلنا خيراً مما يظنون واغفر لنا ما لا يعلمون « « ان
 الأمور اذا اشتبهت اعتبر اولها بأخرها « « من لان عوده كثفت اغصانه « « من
 تذكر بعد السفر استعد « « من حذر كمن بشرك « « الخلاف يهدم الرأي «
 « لا رأي لمن لا يطاع « « الناس اعداء ما جهلوا « « الدهر يومان ، يوم لك
 ويوم عليك . فان كان لك فلا تبطر ، وان كان عليك فأصبر « « لا تكن
 عند النعماء بطراً ، ولا عند البأساء فشلاً « « خالطوا الناس مخالطة ان متم معها
 بكوا عليكم وان عشم حنوا عليكم « « نفس المرء خطاه الى اجله « « اعتصموا
 بالذمم « « اصبروا على البلاء ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم «
 « رحم الله امرئاً رأى حقاً فأعان عليه ، او رأى جوراً فرده ، وكان عوناً بالحق
 على صاحبه « « من نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذاك الأحمق
 بعينه ، ومن نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره « .

ومنها حكميات الامام الصادق (ع)

يذخرها لمن يولد من أمة جده والمتضلعين من شيعته في اوعية حصينة من صدور الأمان من تلامذته كي يفرغوها في آذان السامعين ويركزوها في قلوب المتبصرين والعاملين ليوم الدين خوفاً من عقاب رب العالمين .

قال (ع) : اصل الرجل عقله وحسبه دينه وكرمه تقواه والناس في آدم مستوون . وسئل (ع) لم صار الناس يكلبون في ايام الغلاء على الطعام ويزيد جوعهم على العادة في الرخص ؟ قال (ع) : لأنهم بنوا الأرض (١) فاذا قحطت قحطوا واذا اخصبت اخصبوا .

وعنه (ع) وشكا اليه رجل جاره ، فقال (ع) : اصبر عليه فقال : ينسبني الناس الى الذل ، فقال (ع) : إنما الدليل من ظلم . وقال (ع) : إني لأملق احياناً فأتاجر الله بالصدقة . وقال (ع) : لا يزال العز قلقاً حتى يأتي داراً قد استشعر أهلها اليأس مما في ايدي الناس فيوطنها . وقال (ع) : من لم يستح من العيب ويرعوي عند الشيب ، ويخشى الله بظهر الغيب فلا خير فيه . وقال (ع) : « إن خير العباد من يجمع فيه خمس خصال : إذا حسن استبشر ، وإذا أساء استغفر ، وإذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر ، وإذا ظلم غفر . وقال (ع) : « يهلك الله ستاً بست : الأمراء بالجور ، والعرب بالعصبية ، والدهاقين (٢) بالكبر ، والتجار بالخيانة ، واهل الرستاق بالجهل ، والنقهاء بالحسد . وقال (ع) : صلة الأرحام منسأة في الأعمار ، وحسن الجوار عمارة للديار ، وصدقة السر مثارة للعمال » السريرة اذا صلحت قويت العلانية . وقال (ع) : ثلاثة أقسم بالله

(١) أبناؤنا . (٢) هم رؤساء القرى .

إنها الحق : ما نقص مال من صدقة ولا زكاة ، ولا ظلم أحد بظلامة فقدر ان يكافي بها فكظمها إلا أبدله الله مكانها عزاً ، ولا فتح عبد على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر . وقال (ع) : ثلاثة لا يزيد الله بها المرء المسلم إلا عزاً الصفيح عمن ظلمه ، والاعطاء لمن حرمه (١) ، والصلة لمن قطعها . وقال (ع) : من اليقين ان لا ترضي الناس بما يسخط الله ، ولا تذهمهم على ما لم يؤتكم الله ، ولا تحمدهم على رزق الله ، فان الرزق لا يسوقه حرص حريص (٢) ، ولا يصرفه كره كاره ولو أن احدكم فر من رزقه كما يفر من الموت ، لأدركه الرزق كما يدركه الموت ، وقال (ع) : من صدق لسانه زكى عمله ، ومن حسنت نيته زيد في رزقه ومن حسن بره في اهل بيته زيد في عمره . وقال (ع) : صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة ، قال الله تعالى : « والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب » (٣) .

كتب اليه (ع) ، المنصور كتاباً يقول فيه : لم لا تخشانا كما يخشانا ساير الناس ؟ فأجابه الصادق (ع) ليس لنا ما نخافك من أجله ، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له ، ولا انت في نعمة فنهنيك ، ولا تراها نقمة فنعزبك بها ، فما نصنع عندك ؟ فكتب اليه : تصحبنا لتنصحننا ، فأجابه (ع) : من أراد الدنيا لا ينصحك ، ومن أراد الآخرة لا يصحبك .

فقال المنصور : والله لقد ميز عندي منازل الناس ، من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة وانه ممن يريد الآخرة لا الدنيا . وقال (ع) : « اذا بلغك عن اخيك شيء يسوؤك فلا تنعم فانه ان كان كما يقول كانت عقوبة عجلت ، وان

(١) لأن رزقك ليس بيدهم ، ولو أراد الله لك لأنك من قبلهم .

(٢) فاته سبحانه هو الذي يميت لك الرزق على يد الحرص ، ولولا الله لانه حرصه .

(٣) سورة الرعد الآية ٢٢ .

كان على غير ما يقول كانت حسنة لم تعملها . وعنه (ع) لا زاد افضل من التقوى ولا شيء . احسن من الصمت ، ولا عدو أضر من الجهل ، ولا داء أدوى من الكذب « وقال (ع) : في الحكمة والموعظة ما كل من نوى شيئاً قدر عليه ولا كل من قدر على شيء وفق له ، ولا كل من وفق أصاب له موضعاً ، فإذا اجتمعت النية والقدرة والتوفيق والاصابة ، فهناك تمت السعادة .

ومما حفظ عنه (ع) في الحث على التوبة قوله (ع) : تأخير التوبة اغترار وطول التسوية حيرة ، والاعتلال على الله هلكة ، والاصرار على الدنيا أمن لمكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

وعنه (ع) أوحى الله الى الدنيا ان اخدي من خدمني ، واتعبي من خدمك . قال مالك بن أنس : قال جعفر الصادق (ع) يوماً لسفيان الثوري : يا سفيان إذا انعم الله عليك بنعمة فأحبيت بقاءها فأكثر من الحمد والشكر عليها فإن الله عز وجل قال في كتابه : « لئن شكرتم لأزيدنكم » وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله عز وجل يقول في كتابه : « واستغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين » يعني في الدنيا ويجعل لكم جنات ، يعني في الآخرة ، يا سفيان إذا أحزنك أمر من سلطان او غيره فأكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله فانها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة . وقال (ع) عن جده : ما من مؤمن أدخل على قوم سروراً إلا خلق الله من ذلك السرور ملكاً يعبد الله ويوحده ويمجده فإذا صار المؤمن في قبره أتاه السرور الذي أدخله عليه فيقول : أما تعرفني ؟ فيقول : ومن أنت ؟ فيقول : انا السرور الذي أدخلتني على فلان ، انا اليوم الذي أوّس وحشتك وألقنتك حجتك وأثبتتك بالقول الثابت وأشهد بك مشاهد القيامة وأشفع لك الى ربك وأريك منزلتك من الجنة . وقال (ع) : يا زارة أعطيك جملة من القضاء

والقدر ، قال : نعم جعلت فداك قال (ع) : انه اذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق سألهم عما عهد اليهم ولم يسألهم عما قضى عليهم . وقال (ع) : الفقهاء أمناء الرسل فاذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا الى السلاطين فاتهموهم . وعنه (ع) قال الصلاة قربان كل تقي ، والحج جهاد كل ضعيف وزكاة البدن الصيام والداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر واستنزلوا الرزق بالصدقة وحصنوا اموالكم بالزكاة وما عال امرى اقتصد والتقدير نصف العيش والنودد نصف العقل وقلة العيال احدى اليسارين ومن حزن والديه فقد عقمها ومن ضرب على نخذه عند المصيبة فقد جبط أجره والصدمة لا تكون صدمة إلا عند ذي حسب او دين والله عز وجل ينزل الصبر على قدر المصيبة وينزل الرزق على قدر المؤنة ومن قدر مميسته رزقه الله ومن بذر مميسته حرمه الله . وقال (ع) : أربعة اشياء القليل منها كثير : النار والعداوة والفقر والمرض .

وعن بعض اصحابه (ع) قال : دخلت عليه وموسى (ع) بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية فكان مما حفظت منها ان قال : يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فانك ان حفظتها تعيش سعيداً وتمت حميداً ، يا بني من قنع بما قسم الله له استغنى ومن مد عينيه الى ما في يد غيره مات فقيراً ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم الله في قضائه ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، يا بني من كشف عن حجاب غيره تكشف عورات يديه ومن سل سيف البغي قتل به ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها ومن داخل السفهاء حقر ومن خالط العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ، يا بني إياك ان تزري بالرجال فيزري بك وإياك والدخول فيما لا يعينك فتزل ، يا بني قل الحق لك وعليك تستشار من بين أقرانك ، يا بني كن لكتاب الله تالياً وللإسلام فاشياً وبال معروف آمراً وعن المنكر ناهياً ولن قطعك واصلاً ولن سكت عنك مبتدئاً ولن سألك

معطياً وإياك والنجمة فأنها تزرع الشحنة في قلوب الرجال وإياك والتعرض لعيوب الناس فنزلة المتعرض لعيوب الناس كمنزلة الهدى يا بني اذا طلبت الجود فعليك بمعادنه فان للجود معادناً وللمعادن اصولاً وللأصول فروعاً وللفروع ثمرات ولا يطيب ثمر إلا بفرع ولا فرع إلا بأصل ولا أصل ثابت إلا بمعادن طيب ، يا بني إذا زرت فزر الأخيار ولا تزر الفجار ، فانهم صخرة لا ينفجر مأوها وشجرة لا يخضر ورقها وأرض لا تظهر عشبها ، قال علي بن موسى ارضا (ع) : فما ترك ابني هذه الوصية الى ان توفي (ع) .

وسئل الامام الصادق (ع) عن فضيلة لأمر المؤمنين (ع) لم يشركه فيها أحد ، فقال (ع) : فضل الأقربين بالسبق وفضل الأبعدين بالقرابة .

من حكم الحسن بن علي (ع)

لا أدب لمن لا عقل له ولا مروءة لمن لا همّة له ولا حياة لمن لا دين له ورأس العقل معاشرّة الناس بالجميل وبالعقل تدرك الداران جميعاً ومن حرم العقل حرمها جميعاً . وقال (ع) : لا تأت رجلاً إلا ان ترجو نواله او تخاف يده او تستفيد من علمه او ترجو بركة دعائه او تصل رحمًا بينك وبينه . وقال (ع) : يا بن آدم عف عن محارم الله تكن عابداً وارض بما قسم الله تكن غنياً واحسن جوار من جاورك تكن مسلماً وصاحب الناس بمثل ما تحب ان يصاحبوك به تكن عدلاً انه كان بين ايديكم اقوام يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً ويأملون بعيداً اصبح جمعهم بوراً وعملهم غروراً ومساكنهم قبوراً ، يا بن آدم لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فخذ مما في يديك لما بين يديك فان المؤمن يتزود والكافر يتمتع . وقال (ع) : ما فتح الله عز وجل على أحد باب مسألة فخرن عنه باب

الاجابة ولا فتح على رجل باب عمل نخزن عنه باب القبول ولا فتح لعبد باب شكر نخزن عنه باب المزيد .

وسئل (ع) عن البخل فقال : هو ان يرى الرجل ما انفقته تلقاً وما أمسكه شرفاً . وقال (ع) : لا تعاجل الذنب بالمعقوبة واجعل بينهما للاعتذار طريقاً . وقال (ع) : المزاح يأكل الهيبة وقد أكثر من الهيبة الصامت . وقال (ع) : الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود . وقال : تجهل النعم ما أقامت فاذا ولت عرفت

نذر من حكم الحسين (ع) القصيرة

كان (ع) يقول : شر خصال الملوك الجبن عن الأعداء والفسوة على الضعفاء والبخل عن الاعطاء .

وقال (ع) : صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك فأكرم وجهك عن رده . وقال (ع) : ما أخذ الله طاعة أحد إلا وضع طاعته ولا أخذ قدرته إلا وضع عنه كلفته . وقال (ع) لرجل اغتاب عنده رجلاً : يا هذا كف عن الغيبة فانها أدام كلاب النار .

وقال (ع) لابنه علي (ع) : اي بني إياك وظلم من لا يحد عليك ناصرأ إلا الله عزوجل . وسئل (ع) عن معنى قوله تعالى : « واما بنعمة ربك فحدث » قال : أمره ان يحدث بما أنعم الله به عليه في دينه .

وقال (ع) : من علامات القبول الجلوس الى أهل العقول من دلائل العالم اذتقاده لحديثه وعلمه بحقائق فنون النظر .

وقال (ع) : إياك وما يعتذر منه فان المؤمن لا يسي ولا يعتذر والمنافق كل يوم يسي ويعتذر .

وقال (ع) لياقوت المستعصي : لا تتكلف ما لا تطيق ولا تتعرض لما لا تدرك ولا تمتد بما لا تقدر عليه ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت ولا تفرح إلا بما نلت من طاعة الله ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك له اهلا .

ومن خطبه (ع) ان الحلم زينة والوفاء مروءة والصلاة نعمة والاستكبار صلف والمجالة سفه والسفه ضعف والغلو ورطة ومجالسة اهل الدناوة شر ومجالسة اهل الفسق ريبة ، وقال رجل عنده (ع) المعروف اذا أسدي الى غير أهله ضاع فقال : ليس كذلك ولكن الصنعة كوابل المطر تصيب البر والفاجر .

من حكم علي بن الحسين (ع)

قال (ع) : الرضا بمكروه القضاء ارفع درجات اليقين . وقال (ع) : من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا .

وقال رجل بحضرة : اللهم أغني عن خلقك فقال (ع) : ليس هكذا انما الناس بالناس ولسكن قل : اللهم أغني عن شرار خلقك ، وقال (ع) : من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس .

وقال (ع) : لا يقل عمل مع تقوى وكيف يقل ما يتقبل . وقال (ع) : كفى بنصر الله لك ان ترى عدوك يعمل بمعاصي الله فيك وقال (ع) : الخير كله صيانة الانسان نفسه .

وقال له رجل : ما الزهد ؟ قال (ع) : الزهد عشرة أجزاء فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضى وان الزهد في آية من كتاب الله لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم . وقال

عليه السلام : طلب الحوائج الى الناس مذلة للحياة ومذهبة للحياء واستخفاف بالوقت وهو الفقر الحاضر وقلة طلب الحوائج من الناس هو الغنى الحاضر .

وقال (ع) : إن اجبكم الى الله احسنكم عملاً وان اعظمكم عند الله عملاً اعظمكم فيما عند الله رغبة وان اجباكم من عذاب الله أشدكم خشية لله وان أقربكم من الله أوسعكم خلقاً وان ارضاكم عند الله أسعاكم على عياله وان اكرمكم على الله اتقاكم لله .

وقال (ع) لبعض بنيه : يا بني انظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق ، فقال : يا أبة من هم ؟ فقال : إياك ومصاحبة الكذاب فإنه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب وإياك ومصاحبة الفاسق فإنه بأعمك بأكلة او اقل من ذلك (١) وإياك ومصاحبة البخيل فإنه يخذلك في ماله احوج ما تكون اليه وإياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد ان ينفعك فيضرك وإياك ومصاحبة الفاطم لرحمة فاني وجدته ملعوناً في كتاب الله (٢) .

وقال (ع) : يا بن آدم انك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك وما كانت المحاسبة من همك وما كان الخوف لك شعاراً والحذر لك دناراً يا بن آدم انك ميت ومبعوث وموقوف بين يدي الله عز وجل فأعد له جواباً يا بن آدم اعمل بما افترض عليك تكن من أعبد الناس .

وقال (ع) : لا يخاف عبد إلا ذنبه ولا يرجو إلا ربه ولا يستحي الجاهل إذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم (٣) والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان لمن لا صبر له . وقال (ع) : رب مغرور مفتون يصبح لاهياً ضاحكاً يأكل ويشرب وهو لا يدري لعله قد سبقت له من الله سخطة يصلي بها نار جهنم .

(١) قال وما درنها قال يطعم فيها فلا ينالها . (٢) في بعض النسخ في ثلاثة مواضع .

(٣) وفي نسخة أن يتعلم .

ومن نوادير حكم الباقر (ع)

فمنه (ع) عن رسول الله (ص) انه قال : من نقله الله عز وجل من ذل المعاصي الى عز التقوى أغناه بلا مال وأعزه بلا عشيرة وأنسه بلا أنيس ومن خاف الله أخاف الله منه كل شيء * ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء * ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضي الله منه بالسير من العمل ومن لم يستح من طلب المعيشة خفت مؤنته ورخى باله ونعم عياله ومن زهد في الدنيا ثبت الله الحكمة في قلبه وأنطلق بها لسانه وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار القرار .

وقال (ع) : ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله بمقدار ما دخله من ذلك قل او كثر .

وقال (ع) في قوله تعالى : « اولئك يجزون الغرفة بما صبروا » قال : على الفقر في دار الدنيا .

وفي قوله تعالى : « وجزاءهم بما صبروا جنة وحريراً » قال : بما صبروا على الفقر ومصائب الدنيا .

وقال (ع) : عالم ينفع بعلمه افضل من الف عابد « والله لموت العالم أحب الى إبليس من موت سبعين عابداً » .

وقال (ع) : الأعمال ثلاثة : ذكر الله على كل حال وإنصافك الناس من نفسك ومواساة الأخ في المال .

وقال (ع) : إذا رأيتم القاري يحب الأغنياء فهو صاحب الدنيا ، وإذا رأيتموه يلزم السلطان من غير ضرورة فهو لص شيعتنا من اطاع الله عز وجل إياكم والخصومة فإنها تفسد القلب وتورث النفاق .

وقال (ع) : كان لي أخ عظيم في عيني وكان الذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه .

وقال (ع) : ما شيب شي * بشي * احسن من حلم بعلم « كل الكمال النفقه في الدين والصبر على النائبة وتفدير المعيشة » المتكبر ينازع الله رداؤه .

وقال (ع) : الظلم ثلاثة : ظلم لا يغفره الله وظلم يغفره الله وظلم لا يبدءه الله فاما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك بالله ، واما الظلم الذي يغفره الله فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله ، واما الظلم الذي لا يدعه الله فإلحادية بين العباد .

وقال (ع) : ما من عبد يبخل بنفقة ينفقها فيما يرضي الله إلا ابتلى بأن ينفق اضعافها فيما اسخط الله .

وقال (ع) : لا يكون الرجل عالماً حتى لا يكون حاسداً لمن فوقه ولا محقراً لمن دونه .

وقال (ع) : اربع من كنوز البر : كتمان الحاجة وكتمان الصدقة وكتمان الوجع وكتمان المصيبة .

وقال (ع) : من صدق لسانه زكا عمله ومن حسنت نيته زيد في رزقه ومن حسن بره بأهله زيد في عمره « من استفاد أخاً في الله على إيمان بالله ووفاء باخائه طلباً لمرضاة الله فقد استفاد شعاعاً من نور الله وأماناً من عذاب الله وحجة يفلح بها يوم القيامة وعزاً باقياً وذكرأ نامياً » .

من حكم كاظم الغيظ الامام موسى بن جعفر (ع)

قال (ع) : كثرة الهم تورث الهرم « المصيبة لا تكون مصيبة يستوجب صاحبها أجرها إلا بالصبر والاسترجاع عند الصدمة والصنعة لا تكون صنعة إلا عند ذي دين او حسب والله ينزل المعونة على قدر المؤنة وينزل الصبر على قدر المصيبة ومن اقتصد وقنع بقيت عليه النعمة ومن بذر وأسرف زالت عنه النعمة وأداء الأمانة والصدق يجلبان الرزق والخيانة والكذب يجلبان الفقر والنفاق .
وقال (ع) : ينبغي لمن عقل عن الله ان لا يستبطئه في رزقه ولا يتهمه في قضاءه .

وقال (ع) لبعض اصحابه : اتق الله وقل الحق وان كان فيه هلاكك فان فيه نجاتك اتق الله ودع الباطل وان كان فيه نجاتك فان فيه هلاكك .
وقال (ع) عند قبر حضره : إن شيئاً هذا آخره لحقيق ان يزهد في اوله وان شيئاً هذا اوله لحقيق ان يخاف آخره .

وقال (ع) : اشتدت مؤنة الدنيا والدين ، فلما مؤنة الدنيا فانك لا تمد يدك الى شيء منها إلا وجدت فاجراً قد سبقك اليه ، واما مؤنة الآخرة فانك لا تجد أعواناً يعينونك عليها .

وقال (ع) : ليس حسن الجوار كف الأذى ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى .

وقال (ع) : اجتهدوا في ان يكون زمانكم اربع ساعات ، ساعة لمناجاة الله وساعة لأمر المعاش وساعة لمعاشرة الاخوان والثقة الذين يعرفونكم عيوبكم

ويخلصون لكم في الباطن وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم وبهذه الساعة تقدرّون على الثلاث ساعات .

وقال (ع) : ينادي مناد يوم القيامة ألا من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم إلا من عفا وأصلح فأجره على الله .

وقال (ع) : السخي الحسن الخلق في كنف الله لا يتخلى الله عنه حتى يدخله الجنة وما بعث الله نبياً إلا سخيّاً وما زال أبي بوصيني بالسخاء وحسن الخلق حتى مضى .

وقال (ع) : عونك الضعيف من افضل الصدقة .

وقال (ع) لبعض ولده : يا بني إياك ان يراك الله في معصية نهاك عنها ، وإياك ان يفقدك الله عند طاعة أمرك بها وعليك بالجد ولا تخرج نفسك من التقصير في عبادة الله وطاعته فان الله لا يعبد حق عبادته وإياك والمزاح فانه يذهب بنور إيمانك ويستخف مهروءتك وإياك والضجر والكسل فانها يمنعان حظك من الدنيا والآخرة « وقال في وصيته لهشام : يا هشام لو كان في يدك جوزة وقال الناس في يدك لؤلؤة ما كان ينفعك وانت تعلم انها جوزة ولو كان في يدك لؤلؤة وقال الناس انها جوزة ما ضرك وانت تعلم انها لؤلؤة ما من عبد إلا ومملك آخذ بناصيته فلا يتواضع إلا لرفعه الله ولا يتعاضلهم إلا وضعه الله » ان الله على الناس حجبتين حجة ظاهرة وحجة باطنة ، فاما الظاهرة فالرسول والأنبياء والأئمة ، واما الباطنة فالعقول « ان العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره ولا يغلب الحرام صبره .

وقال (ع) : إن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيء من الدنيا يغنيك .

من حكم الامام الرضا (ع)

قال (ع) : لا يتم عقل امرئ مسلم حتى تكون فيه عشر خصال : الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون ، يستكثر قليل الخير من غيره ، ويستقل كثير الخير من نفسه ، لا يسأم من طلب الحوائج اليه ، ولا يمل من طلب العلم طول دهره ، الفقر في الله أحب اليه من الغنى ، والنذل في الله أحب اليه من العز في عدوه ، والحمول أشهى اليه من الشهرة ، ثم قال : العاشرة وما العاشرة ، قيل له : ما هي ؟ قال : لا يرى أحداً إلا قال : هو خير مني وأتقى إنما الناس رجلان رجل خير منه وأتقى ورجل شر منه وأدنى فأذا لقي الذي هو شر منه وأدنى قال : لعل خير هذا باطن وهو خير مني وخيري ظاهر وهو شر لي ، وإذا رأى الذي هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به فإذا فعل ذلك فقد علا مجده وطاب خيره وحسن ذكره وساد اهل زمانه .

وسئل عن خير العباد فقال (ع) : الذي إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا وإذا أعطوا شكروا وإذا ابتلوا صبروا وإذا أغضبوا غفروا . وسئل عن حد التوكل فقال (ع) : ان لا تخاف إلا الله ، وقال (ع) : الايمان اربعة اركان : التوكل على الله ، والرضا بقضاء الله ، والتسليم لأمر الله ، والتفويض الى الله .

وقيل له : كيف أصبحت ؟ فقال (ع) : أصبحت بأجل منقوض وعمل محفوظ والموت في رقابنا والنار من ورائنا ، ولا ندرى ما يفعل بنا . وقال (ع) : الصمت باب من ابواب الحكمة ، ان الصمت يكسب المحبة ، وانه دليل على كل خير ، صديق كل امرئ عقله وعدوه جهله .

وقال (ع) : لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى تكون فيه خصال ثلاث :
التفقه في الدين وحسن التقدير في المعيشة والصبر على الرزايا وقال (ع) : ليس
لبخيل راحة ولا لحسود لذة ولا لملول وفاء ولا لكذوب مروءة .
وقال (ع) : اوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن : يوم ولد فيرى
الدنيا ، ويوم يموت فيعابن الآخرة وأهلها ، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها
في دار الدنيا .

وقال (ع) : من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن خاف أمن
ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم وصديق الجاهل في تعب وأفضل
المال ما وقى به العرض وأفضل العقل معرفة الانسان نفسه والمؤمن إذا غضب لم
يخرجه غضبه عن حق وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل وإذا قدر لم يأخذ
أكثر من حقه .

من حكم الامام مهدي الجواد (ع)

قال (ع) : المؤمن يحتاج الى ثلاث خصال : توفيق من الله ، وواعظ
من نفسه . وقبول ممن ينصحه .
وقال (ع) : من أصغى الى ناطق فقد عبده فان كان الناطق عن الله فقد
عبد الله وان كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبّد إبليس .
وقال (ع) : تأخير النوبة اغترار وطول التسويف حيرة والاعتلال على الله
هلكة والاصرار على الذنب أمن لمكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون
وقال (ع) : قد عاداك من ستر عنك الرشد اتباعاً لما تهواه .
وقال (ع) : إظهار الشيء قبل ان يستحكم مفسدة .

وقال (ع) : كيف يضيع من الله كافلته وكيف ينجو من الله طالبه ومن انقطع إلى غير الله وكله الله اليه ومن عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح « من أطاع هواه أعطى عدوه مناه » « ركب الشهوات لا تستقال له عثرة » « الثقة بالله تمن لكل غال وسلم إلى كل عال » « إذا نزل القضا ضاق القضا » وقال (ع) : « كفى بالمرء خيانة ان يكون أميناً للخونة » « عز المؤمن غناه عن الناس » .

قال له رجل : أوصني قال (ع) : أو تقبل ؟ قال : نعم قال : توسد الصبر واعتنق الفقر وارفض الشهوات وخالف الهوى واعلم انك لن تخلو من عين الله فانظر كيف تكون .

من حكم الامام علي الهادي (ع)

قال (ع) : من اتقى الله يتق ومن أطاع الله يطع ومن أطاع الخالق لم يبال مسخط المخلوقين ، من أمن مكر الله وأليم أخذه تكبر حتى يحل به قضاؤه ونافذ أمره ومن كان على يدنة من ربه هانت عليه مصائب الدنيا ، ولو قرض ونشر . وقال (ع) : الشاكر أسعد بالشكر منه بالنعمة التي أوجبت الشكر ، لأن النعم متاع والشكر نعم وعقبى .

وقال (ع) : إن الله جعل الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقبي وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً ، الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون .

وقال (ع) : الغنى قلة تمنيك ، والرضا بما يكفيك ، والفقر شره النفس وشدة الفئوط .

وقال (ع) : الناس في الدنيا بالأموال وفي الآخرة بالأعمال .

وقال (ع) : الحسد ماحي الحسنات جالب المقت ، والعجب صارف عن طلب العلم داع إلى الغمط والجهل ، والبخل أذم الأخلاق ، والطمع سجية سيئة والهزء فكاهة السفهاء وصناعة الجهال والمعقوق يعقب القلة ويؤدي إلى الذلة .

وقال (ع) : السهر ألد للمنام والجوع يزيد في طيب الطعام (١) .

وقال (ع) : اذكر مصرعك بين يدي أهلك ولا طيبب يمتعك ولا حبيب ينفعك .

وقال (ع) : خير من الخير فاعله ، وأجل من الجميل قائله ، وأرجح من العلم حامله وشر من الشر جالبه وأهول من الهول رآكبه .

وقال (ع) : إياك والحسد فإنه يبين فيك ولا يعمل في عدوك .

وقال (ع) : إذا كان زمان العدل فيه أغلب من الجور فحرام ان يظن أحد بأحد سوءاً حتى يعلم ذلك منه ، وإذا كان زمان الجور أغلب فيه من العدل فليس لأحد ان يظن بأحد خيراً ما لم يعلم ذلك منه .

وقال (ع) للمتوكل في جواب كلام دار بينهما : لا تطلب الصفا ممن كدرت عليه ، ولا الوفاء ممن غدرت به ، ولا النصيح ممن صرفت سوء فلنك اليه ، فأعما قلب غيرك كقلبك له .

وقال (ع) : ابقوا النعم بحسن مجاورتها واتمسوا الزيادة فيها بالشكر عليها واعلموا ان النفس أقبل شيء لما أعطيت وأمنع شيء لما منعت ، ان الظالم الحالم يكاد ان يعنى على ظلمه بحلمه وان المحق السفیه يكاد ان يظني نور حقه بسفهه .

(١) يريد به الحث على قيام الليل وصيام النهار .

حكم الامام الحسن العسكري (ع)

قال (ع) لشيئته : أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بر أو فاجر وطول السجود وحسن الجوار ، فهذا جاء محمد (ص) صلوا في عشائهم واشهدوا جنازهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم فان الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل : هذا شيعي فيسرني ذلك اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً جروا الينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح فانه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله ، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك لنا حق في كتاب الله وقرابة من رسول الله وتطهير من الله لا يدعيه احد غيرنا إلا كذاب ، اكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي (ص) فان الصلاة على رسول الله عشر حسنات احفظوا ما وصيتم به واستودعكم الله وقرأ عليكم السلام وقال (ع) : ليس العبادة كثرة الصيام والصلاة وإنما العبادة كثرة التفكير في أمر الله بئس العبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري اخاه شاهداً ويأكله غائباً ان اعطي حسده وان ابتلي خذله .

وقال (ع) : الغضب مفتاح كل شر ، اقل الناس راحة الحقود ، اورع الناس من وقف عند الشبهة ، أعبد الناس من أقام على الفرائض ، أزهد الناس من ترك الحرام ، أشد الناس اجتهاداً من ترك الذنوب ، انكم في آجال منقوصة وأيام معدودة والموت يأتي بغتة ، من يزرع خيراً يحصد غبطة ومن يزرع شراً يحصد ندامة لكل زارع ما زرع ، لا يسبق بطي* بحظه ولا يدرك حريص ما لم يقدر له ، من اعطي خيراً فالله أعطاه ومن وقي شراً فالله وقاه ، المؤمن بركة

على المؤمن وحجة على الكافر ، قلب الأحمق في فمه وفم الحكيم في قلبه ، لا يشغلك رزق مضمون عن عمل مفروض ، ما ترك الحق عزيز إلا ذل ولا أخذ به ذليل إلا عز ، خصلتان ليس فوقهما شيء . الايمان بالله ونفع الاخوان .

وقال (ع) : جرأة الولد على والده في صغره تدعو إلى العفوق في كبره ، ليس من الأدب إظهار الفرح عند المحزون خير من الحياة ما إذا فقدته بغضت الحياة وشر من الموت ما إذا نزل بك أحببت الموت .

وقال (ع) : التواضع نعمة لا يحسد عليها ، من وعظ اخاه سرأ فقد زانه ومن وعظه جهراً فقد شاناه .

وقال (ع) : ما من بلية إلا والله فيها حكمة تحيط بها ، ما أقبح بالمؤمن ان تكون له رغبة تذله ، من مدح غير المستحق فقد قام مقام المنهم ، لا يعرف النعمة إلا الشاكر ولا يشكر النعمة إلا العارف .

وقال عليه السلام :

واعلم ان الالحاح في المنال يسلب البها . ويورث التعب والعناء فاصبر حتى يفتح الله لك باباً يسهل الدخول فيه فربما كانت الغير نوعاً من أدب الله والحظوظ مراتب فلا تعجل على عمرة لم تدرك ، وإنما تناولها في أوانها . واعلم ان المدبر لك اعلم بالوقت الذي يصلح حالك فيه ، فشق بخيرته في جميع امورك يصلح حالك ولا تعجل بحوائجك قبل وقتها فيضيق قلبك وصدرك ويفشاك القنوط .

وقال (ع) : من ركب ظهر الباطل نزل به دار الندامة ، المقادير الغالبة لا تدفع بالمغالبة والأرزاق المكتوبة لا تنال بالشره ولا تدفع بالامساك عنها ، من كان الورع سجيته والكرم طبيعته والحلم خلته كثير صديقه والثناء عليه

وانتصر من اعدائه بحسن الثناء عليه ، السهر ألد للنعام والجوع ازيد في طيب الطعام (١) ان الوصول إلى الله عز وجل سفر لا يدرك إلا بامتطاء الليل .
وقال (ع) : لو عقل اهل الدنيا خربت (٢) ، خير اخوانك من نسي ذنبك وذكر إحسانك اليه . أضعف الأعداء كيداً من أظهر عداوته ، حسن الصورة جمال ظاهر وحسن العقل جمال باطن ، من أنس بالله استوحش من الناس وعلامة الاستيناس بالله الوحشة من الناس ، جعلت الخبائث في بيت وجعل مفتاحه الكذب إذا نشطت القلوب فأودعوها وإذا نفرت فودعوها (٣) .

وقال (ع) : اللحاق بمن ترجو خير من المقام مع من لا تأمن شره ، الجهل خصم والحلم حكم ولم يعرف راحة القلب من لم يجزعه الحلم غصص الغيظ ، إذا كان المقضي كائناً فالضراعة لماذا ، نائل الكريم يجيبك اليه ويقربك منه ، ونائل اللئيم يباعدك منه ويبغضك اليه .

هذه كلماتهم عليهم السلام وقد ذكرنا التزر منها خوف الاطالة تنويراً للأفهام وتذبيهاً للأنام بأن مثل هذه الذوات الزكية والأخلاق المرضية وذوي العلوم الغزيرة الجليلة وذوي النفوس السخية والعدالة الذاتية وان صارحت بالحق فقل هي العصمة الالهية واهل العطف والحنان على جميع البرية .

هؤلاء لو نذيت لهم الوسادة واستلموا القيادة وكانوا الرعاة لعباد الله كما أراد تعالى والساسة تخلقه كما صدع بذلك رسوله والمراجع لشرعه حيث هم معدن وحيه وغيبة علمه .

فهل ترى يبقى مجال لندي ظلم في ظلمه او مسلك لصاحب غدر لغدره ، بل

(١) رغب (ع) فيه على صوم النهار وقيام الليل وسدر مثله عنهم (ع) قريباً .

(٢) أي الدنيا ادم العامل لها حينئذ

(٣) أي إذا رغبت فخلها من المعارف والعلوم والطاعة لله ، وإذا كات ومك ولم

تبق لها رغبة وشوق فانركها كي تستريح .

هل يبقى ذو جهل على جهله مع هذه المعارف والدروس التي لم يصدر منها عن
مكتون علومهم إلا القليل وقد تابعها التفضيل ومحققها التصرف والقياس والتأويل
فنعم الحكم الله .

الخلاصة لهذا الفصل بالمقارنة

وخلاصة هذا الفصل المعقود في الصلاة والمذيل بزوم حب اهل بيت النبي
صلى الله عليه وآله وسلم انها عدلان متكافئان ومتساويان لا يرجح احدهما على
الآخر سلباً وإيجاباً .

فكما ثبت ان تارك الصلاة كافر وانه لا يقبل منه اي عمل وانه معاقب في
الدنيا وعند الموت وفي القبر وفي القيامة باثني عشر عقوبة ، ومنها انه يحشر اسود
الوجه مسحوب في عرصات القيامة إلى النار إلى آخر ما فصلناه في هذا الفصل .
فكذلك تارك حب اهل البيت لا يقبل منه اي عمل ولو كان يعادل الجبال
الرواسي وانه يبرأ منه رسول الله (ص) يوم القيامة كما هو مفاد الروايات وقد
فصلت في مواضعها بصحيح اسانيدها .

وكما ثبت ان الصلاة ان قبلت قبل ما سواها وان ردت رد ما سواها وان
ركتين منها بشرط القبول تشفع إلى الله تعالى في غفران جميع الذنوب على حد
تعبير الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

فكذلك حبهم (ع) بشرط الصدق فيه فانه الشفيع إلى الله تعالى في حط
ذنوب المحب بما لا يعارض عدله سبحانه وتعالى وانه شفيع غير مردود عند الله
وهو القادر على إرضاء ذوي الحقوق عليهم لو اراد ذلك ، ولم يتجاوز الشاعر
حدود الواقع والحقيقة حيث قال :

جبه الاكسير لو ذر على سيئات الخلق عادت حسنات

* * *

هذا وان النبي الكريم قد حرص كل الحرص على استفادة أمته بل عباد ربه من اهل بيته وجعلهم المرجع لهم وحرّم التخلف عنهم وأوجب الانتعاق بركبهم وألزم بطاعتهم واتباعهم والأخذ منهم .

وناهيك عن ذلك مأثرة الغدير غدیر خم وما قام به النبي (ص) فيه من جعل الولاية الكبرى لأبيهم سيد الوصيين وأمير المؤمنين عليه صلوات رب العالمين حيث قد نزل عليه الوحي المبين الملزم بذلك من خالق السموات والأرضين .
ولنذكر رؤوس الأقسام من ذلك تفصيلاً للغافلين وخدمة للمؤمنين وإظهاراً لمركزات الدين .

قال الله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فإبلى رسالتك والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي الكافرين » (١) .
وقال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » (٢) .

وقال تعالى : « سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المارج » (٣) .

هذه ثلاث آيات كلها تخص يوم الغدير ، والكلام في هذا الموضوع يكون من جهات : تارة في اسباب يوم الغدير ومنشئه ، وتارة فيما وقع فيه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمر من الله تعالى ، وتارة بما تعقبه ، وتارة في ثواب اعماله . أما من الجهة الأولى ، فحيث ان علم الله تعالى بانتقال نبيه الكريم (ص) إلى جواره قد حل وقته ، ولا يجوز على الله ان يترك عباده سدى وبدون راع

(١) و (٢) سورة المائدة الآية ٧٢ - ٦ . (٣) سورة المارج أول آية منها .

قد علم الله عدله وإحاطته بجميع ما يحتاجه عباده بنفس دليل النبوة حرفاً بحرف
لذا أنزل جبرائيل على النبي (ص) بقوله تعالى : يا أيها الرسول بلغ ... الخ ، بعدما
أعلمه مزاراً قبل هذا - لكن لا بهذا اللسان من الحتم والوعيد وكان نزولها يوم
الثامن عشر من شهر ذي الحجة بغدير خم في حجة الوداع وقد تكثرت الأخبار
في ذلك حتى من طرق الجماعة ، ونكتني بما ذكره الحافظ محمد بن جرير الطبري في
كتاب الولاية في طرق حديث الغدير عن زيد بن ارقم قال : لما نزل النبي (ص)
بغدير خم في رجوعه من حجة الوداع وكان وقت الضحى وحر شديد .

وفي رواية أخرى اتاه جبرئيل (ع) على خمس ساعات مضت من النهار ،
وقال : يا أيها الرسول بلغ ... الخ ، وكان أوائل القوم وهم مائة الف او يزيدون
قريباً من الجحفة فأمر (ص) ان يرد من تقدم منهم ويحبس من تأخر عنهم في
ذلك المكان والحكمة في تعيينه انه مفرق الطرق فأراد سبحانه ان يبلغ الكل
لاتمام الحجة فأمر (ص) بالدوحات فقامت (١) ونادى (ص) الصلاة جامعة وهذه
هي الجهة الثانية من البحث نخطب خطبة بالغة ومن كلماته فيها :

يوشك ان ادعى فأجيب ثم قال (ص) : ان الله أنزل إلي بلغ ... الخ .
وأمرني ان اقوم في هذا المشهد وأعلم كل ابيض واسود ان علي بن ابي طالب (ع)
اخي ووصيي وخليفتي والامام بعدي ، فسألت جبرئيل ان يستعفي لي من ربي
لعلمي بقلّة المتقين وكثرة المؤذنين لي واللائمين لكثرة ملازمي لعلي وشدة إقبالي
عليه حتى سموني أذنا فقال تعالى : ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون : هو أذن
قل أذن خير لكم .

ولو شئت ان اسميهم وأدل عليهم لفعلت ولكني بسترهم قد تكلمت .
وفي بعض الروايات ان النبي (ص) خاف من قومه النكت عند نزول آية

(١) أي كسح الشوك من تحتها .

النبليغ والعدو به باختلاسه حتى قال (ص) : يا رب فكيف أفعل وإنما انا وحدي فنزلت الآية : والله يعصمك من الناس ، فأطمأن قلبه وكان يحرس ففرق الحرس عند ذلك وكان من جملة الحراس سعد وحذيفة .

ثم قال (ص) : فلم يرض ربي إلا بتبليغي فيه فأعلموا معاشر الناس فإن الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً فرض طاعته على كل احد ماض حكمه جائز قوله : ملعون من خالفه مرحوم من صدقه ، اسمعوا وأطيعوا فإن الله مولاكم وعلي إمامكم . ثم الامامة في ولده من صلبه إلى يوم القيامة لا حلال إلا ما أحله الله ورسوله ولا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله وهم (١) فما من علم إلا وقد احصاه في ونقلته اليه فلا تضلوا عنه ولا تستكفوا منه فهو الذي يهدي الى الحق ويعمل به لن يتوب الله على أحد أنكره ولن يغفر له حتماً على الله ان يفعل ذلك ان يعذبه عذاباً نكراً أبداً الأبدان فهو افضل الناس بعدي ما نزل الرزق وبقي الخلق ملعون من خالفه قولي عن جبرئيل عن الله فلتنظر نفس ما قدمت لغد افهموا بحكم القرآن ولا تتبعوا متشابهه ولن يفسر ذلك لكم إلا من انا آخذ بيده وشاغل بعضده ومعلمكم ان من كنت مولاه فعلي مولاه ومولاته من الله عز وجل انزلها علي ألا وقد أدبت ألا وقد بلغت ألا وقد أسمعت ألا وقد أوضحت ، لا تحل إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره ، ثم رفاه الى السماء حتى صارت رجلاه (ع) مع ركة النبي (ص) فقال : إن إبليس اخرج آدم من الجنة مع كونه صفوة الله بالحسد فلا تحسدوا فتحبط اعمالكم وتزل أقدامكم .

في علي نزلت سورة والعصر ... الخ ، معاشر الناس سيكون بعدي أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون وان الله وانا بريتان منهم وأنصارهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار وسيجعلونها ملكاً اغتصاباً فعندها يفرغ لكم

ايها الثقلان ويرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تقتصران ، الحديث .
وفي رواية انه (ص) نصب علي بن ابي طالب (ع) خليفة بأمر الله في
غدِير خَم ورفعهُ حتى بان بياض ابطيه « لأنه كان الناس يومئذ عليهم مئزر ورداء
لشدة الحر ، فلذا لما رفعه (ص) انحسر الرداء فبان للناس بياض ابطه (ص)
ونادى له بالولاية وقال : ألسنت اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا : بلى يا رسول الله
قال : من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر
من نصره واخذل من خذله .

فقال عمر بن الخطاب : بخ بخ يا بن ابي طالب اصبحت مولاي ومولى كل
مسلم ومسلمة .

وكان اكثر الناس يومئذ ولاء لأمير المؤمنين عليه السلام « لأنه سمع في
خطبة النبي (ص) ولو شئت لسميتهم » .

ولما تعينت الخلافة الكبرى لموكلية الاسلام بعهد من الله ورسوله الى علي
ابن ابي طالب (ع) كان من الحري تويجه بما هو شارة الملوك وسمته الأسماء
ولما كانت التيجان المكلمة بالذهب والمرصعة بالجواهر من عادات ملوك الفرس ولم
يكن للعرب بدل منها إلا العمام ، وكان لا يلبسها إلا العظماء والأشراف منهم ،
ولذلك جاء عن رسول الله (ص) قوله : العمام تيجان العرب ، فعلى هذا الأساس
عممه رسول الله (ص) في هذا اليوم بهيئة خاصة تعرب عن العظمة والجلال وتوجه
بيده الكريمة بعمامته (السحاب) في ذلك المحتشد العظيم .

وفي عدة من الروايات ومن طرق العامة ايضاً ان رسول الله صلى الله عليه
وآله دعا علياً يوم غدِير خَم فعممه بعمامته السحاب وسدل طرفها على منكبه ومن
خلفه ، ثم قال (ص) : أدبر فأدبر ثم قال له : أقبل فأقبل ، ثم أقبل (ص) علي
اصحابه فقال : هكذا تكون تيجان الملائكة ، ان الله عز وجل أيدني في يوم بدر

وحنين بملائكة معتمين هذه العمة فعند ذلك نزل قوله تعالى : اليوم اكملت لكم دينكم ... الخ ، ومعناه ان نصب علي (ع) هو آخر فريضة فرضها الله على عباده واتيتمت عليكم نعمتي بولاية علي امير المؤمنين (ع) لأنها من افضل النعم على البشر حيث ان النعمة الروحانية وهي العلم افضل من النعم المادية وهي عنده (ع) ، لأنه معدن العلم وباب مدينة العلم إلى غير ذلك مما لا ينكره حتى العدو ، ورضيت لكم الاسلام ديناً ، اي على ما شرعت لكم من حدوده وفرائضه ومعامله ، ديناً اي طاعة منكم لي ، والفائدة في هذا ان الله لم يزل يعرف نبيه محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه في درجات الاسلام ومراتبه درجة بعد درجة ومنزلة بعد منزلة حتى اكمل لهم شرائعهم وبلغ بهم أقصى مراتبه ودرجاته ، فقال : ورضيت لكم الحال التي أنتم عليها اليوم ووصلتم اليها فزموها ولا تفارقوها فانها هي الكفيلة لتنظيم اموركم في الدنيا وسعادتكم الأبدية في الآخرة .

واما الجهة الثالثة وهي ما تعقب ذلك ، فهو نزول قوله تعالى : سأل سائل بعذاب واقع ... الخ ، أذعنت الشيعة بأن نزولها في الغدير ، وقد روى ذلك الكثير من علماء العامة ايضاً ، فقد ذكر الحافظ ابو عبيد الهروي من علماء السنة في تفسيره غريب القرآن ، قال : لما بلغ رسول الله (ص) في غدير خم ما بلغ وشاع ذلك في البلاد أتى جابر بن النضر بن كلدة العبدي (وقد قتل امير المؤمنين والده النضر صبراً بأمر رسول الله لما أسر يوم بدر الكبرى) وقيل : إنه الحارث بن النعمان الفهري فقال : يا محمد أمرتنا من الله أن نشهد ان لا إله إلا الله وانك رسول الله وبالصلاة والصوم والحج والزكاة فقبلنا منك ، ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك .

وفي رواية حتى نصبت هذا الغلام ، ففضلته علينا وقلت : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فهذا شيء منك أم من الله ؟ فقال رسول الله (ص) : والذي لا إله

إلا هو ان هذا من الله ، فولى جابر يريد راحلته وهو يقول : اللهم ان كان ما يقول محمد حقاً فامطر علينا حجارة من السماء او اثنتا بعذاب أليم ، فما وصل اليها حتى رماه بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله ، وأنزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع ... الخ .

واما الجهة الرابعة وهي ثواب الأعمال فيه فقد ذكر في كتاب الغدير (١) في المصباح للطوسي عن داود الرقي عن ابي هارون عمار بن حريز العبدي قال : دخلت على ابي عبدالله (ع) في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة فوجدته صائماً فقال لي : هذا يوم عظيم عظم الله حرمة على المؤمنين واكمل لهم فيه الدين وتمم عليهم النعمة وجدد لهم ما أخذ عليهم من العهد والميثاق فقليل له : ما ثواب صوم هذا اليوم ؟ قال : إنه يوم عيد وفرح وسرور ويوم صوم شكر الله وان صومه يعدل ستين شهراً من أشهر الحرم .

وعن ابي عبدالله (ع) صيام يوم الغدير يعدل عند الله في كل عام مائة حجة ومائة عمرة مبرورات متقبلات ، وهو عيد الله الأكبر . وقد ذكر العلماء استحباب صومه في رسائلهم .

وفي الصفحة نفسها ، ان رسول الله (ص) أوصى امير المؤمنين (ع) ان يتخذوا ذلك اليوم عيداً . وكذلك كانت تفعل الأنبياء ، يوصون اوصيائهم بذلك فيتخذونه عيداً . وفيه (٢) عن الفياض بن محمد بن عمر الطوسي وقد بلغ التسعين انه شهد ابا الحسن الرضا (ع) في يوم الغدير وبحضرته جماعة من خاصته وقد احتبسهم للافطار ، وقد قدم الى منازلهم الطعام والبر والصلاة والكسوة حتى الخواتيم والنعال ، وقد غير من أحوالهم وأحوال حاشيته وجددت لهم آلة غير الآلة التي جرى الرسم بابتدائها قبل يومه وهو يذكر فضل اليوم وقدمه . فيه (٣)

(١) ج ١ ص ٢٨٦ . (٢) ص ٢٨٧ . (٣) ص ٢٨٤ .

ايضاً . خطب امير المؤمنين (ع) في سنة في يوم عيد الغدير ومما قال فيها :
 عودوا رحمكم الله بعد انقضاء مجتمكم بالنوسعة على عيالكم وبالبر باخوانكم والشكر
 لله عزوجل على ما منحكم واجمعوا يجمع الله شملكم وتباروا يصل الله إلتفتم وتهادوا
 نعمة الله كما من عليكم بالثواب فيه على أضعاف الأعياد قبله او بعده إلا في مثله
 والبر فيه يثمر المال ويزيد في العمر والنعاطف فيه يقتضي رحمة الله وعطفه ، وهيئوا
 لآخوانكم وعيالكم عن فضله بالجهد من وجودكم ، وبما في القدرة من استطاعتكم ،
 وأظهروا البشر فيما بينكم والسرور في ملاقاتكم ... الخ .

وعن الصادق اعليه السلام) من صلى فيه ركعتين من قبل ان تزول الشمس
 بنصف ساعة شكراً لله تعالى يقرأ في كل واحدة منها الحمد مرة والتوحيد وآية
 الكرسي والقدر عشراً عشرأ ، وفي نسخة ، تقديم القدر على آية الكرسي ،
 عدلت مائة الف حجة ومائة الف عمرة ، وما سأل الله تعالى من حوائج الدنيا
 والآخرة كائنة ما كانت إلا أتى الله على قضائها في يسر وعافية وهذه الصلاة
 بعينها واردة في الواحد والعشرين من ذي الحجة ايضاً والرابع والعشرين منه
 وهو يوم المباهلة .

واما قوله تعالى : « وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين وما هو
 على الغيب بظنين » (١) ... الخ .

روى علي بن ابراهيم في تفسير هذه الآية بسنده عن جعفر بن محمد (عليه
 السلام) قال ابو بصير : قلت له (ع) : قوله تعالى : وما صاحبكم بمجنون ، قال
 عليه السلام يعني النبي (ص) : ما هو بمجنون في نصبه امير المؤمنين (عليه السلام)
 عالماً للناس قلت : قوله تعالى : وما هو على الغيب بظنين ، قال (ع) : ما هو
 تبارك وتعالى على نبيه بنبيه بظنين عليه - اي بخيل - قلت : « وما هو بقول

(١) من كتاب البراعة الجزء (٦) ص ١٩١ من سورة التكويد .

شيطان رجيم» قال السكينة الذين كانوا في قريش فنسب كلامهم إلى كلام الشيطان الذي كان يتكلم على ألسنتهم قلت : « فأين تذهبون ان هو إلا ذكر للعالمين » قال (ع) : « أين تذهبون في علي (ع) يعني ولايته أين تفرون منها ، ان هو إلا ذكر للعالمين قد أخذ الله الميثاق ولايته قلت : « لمن شاء منكم ان يستقيم » قال (عليه السلام) : « في طاعة علي والأئمة من بعده (عليهم السلام) » ومن كلام امير المؤمنين (ع) « فأني تؤفكون » اي تصرفون عن عبادة الله الى عبادة غيره وتقبلون عن طريق الهدى إلى سبيل الضلالة والردى .

واما قوله تعالى : ولقد رآه بالأفق المبين ، فقد ذكر الطبرسي في معناه اي ولقد رأى محمد (ص) جبرئيل (ع) على صورته التي خلقه الله تعالى عليها حيث تطلع الشمس وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق ، وذلك لصفاء نفسيته صلى الله عليه وآله وسلم وتبلور ذاتيته وتجرده عن الماديات ، لذا يتأتى له رؤية الروحانيات من الملائكة وغيرها ببصره وإلا فبصر ابن آدم قاصر عن إبصار المجردات وذكر ايضاً في معنى قوله تعالى : ظنين انها ان قرئت بالظاء ، فلمعنى ان النبي (ص) ليس بمتهم فيما يؤدي عن الله تعالى ، وان قرئت بالضاد فمعناه ليس ببخيل ان يعلم الناس كما علمه الله تعالى ، وعلى تفسير علي بن ابراهيم يكون المعنى ان الله تعالى ليس ببخيل على نبيه ان يظهره على غيبه .

ويمكن ان يقال في قوله تعالى : فأين تذهبون ، ان معناه إنا جمعناكم هذا المجمع في يوم القدير رغم محاولتكم ان لا يعم التبليغ وان يكون في المدينة مثلاً كي يتفرق الجمع عند مفرق الطرق « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » او أن المعنى على فرض تمامية مكركم واغتصابكم الخلافة فأين تذهبون يوم القيامة والعرض عليه سلام الله عليه والاحتياج اليه في عدة من المواقف فلا بد من ورودكم عليه سواء عند الاحتضار او عند مسالة منكر ونكير او عند الحوض

يوم العطش الأكبر أو عند الصراط ، وعلى كل ذلك شواهد وأدلة من الأحاديث والأخبار المفصلة فعلينك بمراجعتها . وإن العبد لا يجوز على الصراط إلا بجواز منه عليه السلام .

ففي كتاب غاية المرام من طريق العامة بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إذا كان يوم القيامة أمر الله مالكا أن يسمر النيران السبع وأمر رضوان أن يزخرف الجنان الثمان ويقول : يا ميكائيل مد الصراط على متن جهنم ويقول : يا جبرائيل انصب ميزان العدل تحت العرش وينادي يا محمد قرب أمتك للحساب ثم يأمر الله تعالى أن يعقد على الصراط سبع قناطر طول كل قنطرة سبعة عشر الف فرسخ وعلى كل قنطرة سبعون الف ملك قيام فيسألون هذه الأمة نساءهم ورجالهم على القنطرة الأولى عن ولاية أمير المؤمنين (ع) وحب أهل بيت محمد (ص) فمن أتى به جاز على القنطرة الأولى كالبرق الخاطف ، ومن لم يحب أهل بيت نبيه سقط على أم رأسه في قعر جهنم ، ولو كان معه من أعمال البر مثل عمل سبعين صديقاً .

وعلى القنطرة الثانية فيسألون عن الصلاة وعلى القنطرة الثالثة عن الزكاة وعلى الرابعة عن الصيام وعلى الخامسة عن الحج وعلى السادسة عن الجهاد وعلى السابعة عن العدل ، فمن أتى بشيء من ذلك جاز على الصراط كالبرق الخاطف ومن لم يأت عذب ، وذلك قوله تعالى : وقومهم انهم مسؤولون ، أي عن ولاية علي وحب أهل البيت .

كما قد ورد في معنى قوله تعالى : اهدنا الصراط المستقيم ، هما صراطان صراط في الدنيا وهو ولاؤهم دون إفراط وتفریط وصراط في الآخرة ، ومن جاز صراط الدنيا جاز صراط الآخرة .

وقال الصدوق : والصراط اسم حجج الله فمن عرفهم في الدنيا وأطاعهم اعطاه

الله جوازاً على الصراط الذي هو جسر جهنم قال (رض) : وقال رسول الله لعلي يا علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وانت وجبرئيل على الصراط ولا يجوز على الصراط احد إلا من كان معه براءة بولايتك .

وقال المفيد (رض) : الصراط بمعنى الطريق . ولذلك يقال على ولاية امير المؤمنين والأئمة من ذريته الصراط لسكونها طريق النجاة .

وقد ورد ايضاً لا تزول قدم في يوم القيامة حتى يسأل عن ثلاث : عن عمره فيم افناه . وعن ماله ممن اكتسبه وفيم اتفقه ، وعن جنبنا اهل البيت .

وبعد هذا كله حق ان يقال فأين تذهبون من ولايته (ع) إضافة إلى أليم العذاب وشديد العقاب الذي أعده الله تعالى لظالميه وغاصبيه ، بل قد ظلموا الأمة كلها باضلالها عن الحق وإماتها عن الطريق المستوي الذي لو سلكوه لانتظموا في دنياهم وسعدوا في آخرهم باحرازهم لرضا ربهم .

القرآن يتابع البيان

قال الله تعالى : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » (١) .

النزول قال في مجمع البيان بسنده المفصل : بينما عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول : قال رسول الله (ص) : إذ أقبل رجل متمم بمامة فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله إلا قال الرجل قال رسول الله (ص) فقال ابن عباس سألتك بالله من انت ؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال : ايها الناس من عرفني فقد

عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا جندب بن جنادة البدري أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله (ص) بهاتين وإلا فصمتا ، ورأيت بهاتين وإلا فعميتا يقول : علي قائد البررة وقاتل الكفرة ومنصور من نصره ومخذول من خذله ، أما أني صليت مع رسول الله (ص) يوماً من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يده إلى السماء وقال : اللهم اني أشهد اني سألت في مسجد رسول الله (ص) فلم يعطني احد شيئاً وكان علي راکماً فأوماً بخنصره اليمنى اليه ، وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى اخذ الخاتم من خنصره ، وكان ذلك بعين رسول الله (ص) ، فلما فرغ النبي من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم ان اخي موسى سألك فقال : رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون اليكما .

اللهم وانا محمد نبيك وصفيك اللهم فأشرح لي صدري ويسر لي امري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري قال ابو ذر : فوالله ما استتم رسول الله (ص) الكلمة حتى نزل عليه جبرئيل من عند الله يا محمد اقرأ قال : وما اقرأ ؟ قال : اقرأ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ... الخ .
وذكر ايضاً بهذا المضمون من طريق آخر وبسند آخر ، وبالجملة فعليه إجماع اهل البيت والامامية إضافة الى اكثر علماء السنة ايضاً .

ومعنى الآية ان الله تعالى بين ان من له الولاية على الخلق والقيام بأمرهم ومن تجب طاعته عليهم بقوله تعالى : إنما وليكم الله ، اي ان الذي يتولى مصالحكم وتدير اموركم هو الله ورسوله والذين آمنوا لا على الاطلاق ، بل الموصوفين والمقيدين باقامة الصلاة بشرائها وحدودها وإيتاء الزكاة في حال الركوع وان

هذه الآية من اوضح الأدلة على إمامة علي أمير المؤمنين (ع) بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدون فصل لمن له اقل دراية بقواعد العربية وفن البلاغة ويكاد ان يكون انفهامه منها فطرياً وطبيعياً .

وقد ذكر المخالفون ان المراد من الولاية في الآية المحبة والولاء لعلي لا وجوب الطاعة وتولي امورهم ، لأن لفظ الولاية مشترك بعد ما لم يجدوا اي وجه لصرها عنه (ع) .

ويرد ذلك ويبطله ان الحصر بانما لا معنى له على هذا ، لأن المحبة مطلوبة لسلك المؤمنين بعضهم مع بعض لا تخص مؤمناً دون مؤمن كما قال سبحانه :
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فلا يناسب التخصيص ، إلا ان يكون معنى الولاية هو وجوب الطاعة وهو معنى الامامة فيه (ع) .

وقد ذكروا ان يوم التصديق بالخاتم هو الخامس والعشرون من ذي الحجة واما التصديق على المسكين واليتيم والأسير في اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة وفيه نزلت سورة الدهر ، ومنها قوله تعالى : إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً فوقام الله شر ذلك اليوم ولقاهم نظرة وسروراً .

كما ان اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة هو يوم المباهلة ايضاً ، ونزل فيه ما يخص علياً وفاطمة والحسن والحسين .

علي نفس النبي محمد ﷺ

قال الله تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من المعتزين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » (١) .

النزول قيل : نزلت في وفد نصارى نجران وهم العاقب والسيد ومن معها فقالوا لرسول الله (ص) في احتجاجهم : هل رأيت ولدأ من غير ذكر فنزل ان مثل عيسى ... الخ ، فقرأها عليهم ولما دعاهم إلى المباهلة استنظروه إلى صبيحة غد من يومهم ذلك ، فلما رجعوا إلى رحا لهم قال لهم الأسقف : انظروا محمداً في غد فان غدا بولده وأهله فأحذروا مباهلتهم وان غدا بأصحابه فباهلوه فانه على غير شيء . فلما كان الغد جاء النبي (ص) آخذاً بيد علي بن ابي طالب (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) بين يديه بمشيان وفاطمة (ع) تمشي خلفه .

وخرج النصارى يقدمهم اسقفهم فلما رأى النبي (ص) قد أقبل بمن معه سأل عنهم فقيل له : هذا ابن عمه وزوج ابنته وأحب الخلق اليه وهذان ابنا بنته من علي ، وهذه الجارية بنته فاطمة اعز الناس عليه وأقربهم الى قلبه ، وتقدم رسول الله (ص) فحبا علي ركبتيه .

قال ابو حارثة الأسقف : عند ذلك جثا والله كما جثا الأنبياء للمباهلة فكعب ولم يقدم علي المباهلة فقال له السيد : اقدم يا ابا حارثة للمباهلة فقال : لا لأنني ارى رجلاً جريئاً على المباهلة وأخاف ان يكون صادقاً ولئن كان صادقاً لم يحل والله

(١) - سورة آل عمران الآية ٥٣ .

علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء فقال الأسقف : يا ابا القاسم إنا لا نباهلك ولكن نصالحك فصالحنا على ما تنهض به فصالحهم رسول الله (ص) على التي حلة من حلل الأواقي قيمة كل حلة اربعون درهماً فما زاد او نقص فعلى حساب ذلك ، وعلى عارية ثلاثين درعاً وثلاثين ربحاً وثلاثين فرساً ان كان باليمن كيد ورسول الله (ص) ضامن حتى يؤديها وكتب لهم بذلك كتاباً .

وروي ان الأسقف قال لهم : إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة .

وقال النبي (ص) : والذي نفسي بيده لولا عنوني لمسخوا قردة وخنازير ولأضرم الوادي عليهم فاراً ، ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا كلهم فلما رجع وفد بجران لم يلبث السيد والعاقب إلا يسيراً حتى رجعا الى النبي (ص) وقد اهدى العاقب له (ص) حلة وعصا وقدحاً ونعلين وأساما .

معنى الآية الكريمة

إن الله تعالى رد على النصارى قولهم إن المسيح هو ابن الله حيث لم يلد ذكر فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، اي في خلقه من غير أب ومن غير أم ايضاً فهو ابدع واعجب من خلق عيسى لأنه من ام فكيف انكروا هذا وأقروا بذلك فقال سبحانه خلقه ، اي أنشأه من تراب ، اي آدم ولم يخلق احداً قبله من تراب ومعناه انه تعالى خلق عيسى من الريح إلى قوله تعالى : فلا تكن ، اي ايها السامع من المعتزين ، اي المشككين والمفتريين حيث قد وضع الأمر وقامت الحجة فلا ينبغي العناد فمن حاجك ، اي يا محمد وخاصمك وجادلك فيه ، اي في أمر

عيسى (ع) من بعد ما جاءك من العلم ، اي من البرهان الواضح على انه عبدي ورسولي لا ولدي فقل يا محمد لهؤلاء النصارى تعالوا إلى كلمة ، اي إلى حجة أخرى ماضية فاصلة بين الحق والباطل وتبين الصادق من الكاذب ندع ابناؤنا . الخ فقد أجمع المفسرون على ان المراد بأبنائنا الحسن والحسين (ع) وهذا يدل على ان ولد البنت ولد ولا يمنع صغرهما عن المباهاة لشبهة ان المباهاة تكليف وهما غير مكلفين ، لأن عدم البلوغ حد الحلم لا يتنافي كمال العقل ، وإنما جعل بلوغ الحلم حداً لتعلق الأحكام الشرعية ، وعندنا نحن الامامية يجوز ان يخرق الله العادات للأئمة عليهم السلام ويخصهم بما لا يشرکہم به غيرهم إبانة لهم عن سواهم ودلالة على مكانتهم من الله تعالى واختصاصهم بما نزهوا به انفسهم واخلصوا له بطاعتهم ومما يؤيده قول النبي (ص) ابناي هذان إمامان قاما او قعدا .

ونساء اتفقوا ايضاً على ان المراد به فاطمة (ع) لأنه لم يحضر من النساء المباهاة غيرها ، وهذا يدل على تفضيلها على جميع النساء بدون استثناء ويعضده ما جاء عن النبي (ص) فاطمة بضعة مني يريني ما راها .

وقال (ص) : إن الله يفضي لفضب فاطمة ويرضى لرضاها .

وعن حذيفة قال سمعت النبي (ص) يقول : أتاني ملك فبشرني ان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة ونساء أمي .

وعن عائشة قالت أسر النبي (ص) إلى فاطمة شيئاً فضحكت فسألتها فقالت قال : ألا ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الأمة ونساء المؤمنين فضحكت لذلك إلى قوله تعالى : وأنفسنا - يعني علياً خاصة - ولا يجوز ان يكون المعنى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه هو الداعي ولا يكون الانسان يدعو نفسه وإنما يصح ان يدعو غيره وهذا يدل على غاية الفضل وعلو الدرجة والبلوغ منه (ص) إلى حيث لا يبلغه أحد إذ جعله الله تعالى نفس الرسول (ص) وجعل الله لا يرد

ومما يعضده ما صح عن النبي (ص) انه سأل بعض اصحابه في اثناء حديث له فقال له : فعلي فأجابه فقال (ص) : سألتني عن الناس ولم تسألني عن نفسي وقوله (ص) ليريدة : لا تبغض علياً فإنه مني وانا منه ، ان الناس خلقوا من شجر شتى وخلصت انا وعلي من شجرة واحدة . وقوله (ص) بأحد وقد ظهرت تكايته عليه السلام في المشركين ووقايته له بنفسه وقد فر عنه اصحابه حتى قال جبرئيل : إن هذه هي المواساة ، فقال (ص) : يا جبرئيل انه مني وانا منه ، فقال جبرئيل : وانا منكما الى قوله تعالى ثم نبتهل ، اي نضرع في الدعاء ، وقيل : نلتعن فنقول لعن الله الكاذب ، فامتناءهم دليل علمهم بصدق النبي (ص) وإقدام النبي (ص) بأولاده وأعر الخلق عليه ، دليل علمه بنزول العذاب عليهم ، فهو من معاجزه وعلمه بالمغيبات .

وإلى هنا فقد جرى القلم بما لم يكن مقصوداً ، لأنه غني عن البيان ولنختم به الفصل الأول ليكون ختامه مسك .

الفصل الثاني في الصوم

قال الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً او على سفر فعدة من ايام آخر وعلي الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً او على سفر فعدة من ايام آخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة وتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

المعنى يا ايها المصدقون بالله وبرسوله وبكتابه .

وروي عن الصادق (ع) انه قال : لذة ما في النداء ازال تعب العبادة والمعناء
وقال الحسن البصري : إذا سمعت الله عز وجل يقول : يا ايها الذين آمنوا فارع
لها سمعك فانها لأمر تؤمر به او لنهي تنهى عنه .

وأقول : بل ان فيها نوع اختصاص وان الله تعالى يميز بالمؤمنين ويخصهم
خيره وتكاليفه ويجمعهم قدوة ونموذجاً لسائر عبادته وعامة خلقه ، لأنهم الممثلون
وهم المحققون لارادته حيث علموا بصحيح إيمانهم به جل شأنه ان ذلك يعود
بالنفع عليهم وانه الغني على الاطلاق ، فكأنهم بنسبتهم إلى ملوكيته الجبارة
وسلطته الفهارة الحرس الخاص لشرعه ، والنوج القدوي لدينه والقوة المرصودة
لتنفيذ أحكامه ، فهل يبقى بعد هذا عذر لمن يدعي الايمان ، وقد خرق مسامحه
صدي هذا النداء من رب الأرض والسماء يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام
ان لا يسارع إلى الامثال والتدليل على انه من الذين آمنوا . وإذا اضفنا إلى
ذلك فلسفة التشريع وما فيه من النفع الواسع سواء كان مما يؤل إلى نظمنا في الدنيا
او سعادتنا في الآخرة كما سيأتي فيكون الأمر أزم وحكم العقل أتم .

ونعود إلى معنى الآية فقوله تعالى : كتب عليكم ، اي فرض عليكم هذه
العبادة بشروطها المعروفة في الشرع كما كتب على الذين من قبلكم ، وفي معناه
اقوال احدها انه تعالى شبه فرض صومنا بفرض صوم من تقدمنا من الأمم ، اي
كتب عليكم صيام ايام كما كتب عليهم صيام ايام دون نظر إلى العدد ولا إلى
الوقت عن ابي مسلم والجبائي .

ثانيها ان معنى التشبيه انه فرض علينا صوم شهر رمضان كما فرض على
النصارى صوم شهر رمضان ايضاً ، وكان يتفق في الحر الشديد والبرد الشديد
فحولوه إلى الربيع وزادوا في عدده عن الشعبي والحسن ، وقيل : كان الصوم علينا

من العتمة إلى العتمة ثم اختلفوا فقال بعضهم : كان يحرم الطعام والشراب من وقت صلاة العتمة إلى وقت صلاة العتمة وقال بعضهم : كان يحرم من وقت النوم إلى وقت النوم ، ثم نسخ ذلك .

فالمراد بقوله تعالى : الذين من قبلكم النصارى على قول الشعبي والحسن واهل الكتاب من اليهود والنصارى على قول غيرهما .

ففي قصص الأنبياء (١) ان نقرأ من اليهود سألوا النبي (ص) قالوا : لأي شيء فرض الله الصوم على أمتك بالنهار ثلاثين يوماً وفرض الله على آدم أكثر من ذلك قال (ص) : لما أكل آدم من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً وفرض الله على ذريته ثلاثين الجوع والعطش والذي يأكلونه تفضل من الله عز وجل عليهم وكذلك كان على آدم ، ثم تلا رسول الله (ص) كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم .

وفيه أيضاً بسنده عن ابي عبد الله (ع) ان موسى سأل ربه ان يجمع بينه وبين آدم فجمع فقال له موسى : يا أبا ألم يخلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكة وأمرك ان لا تأكل من الشجرة فلم عصيته ؟ قال : يا موسى بكم وجدت قبل خلقي في التوراة قال : بثلاثين سنة قال : فهو نسلك قال الصادق عليه السلام فنج آدم موسى (ع) .

القرآن الكريم يشير الى فلسفة الصوم

من فقرات الآية قوله تعالى : لعلمكم تتقون ، اي لكي تتقوا المعاصي بفعل الصوم وقيل : لتكونوا اتقياء بما لطف لكم في الصيام ، فانه اقوى الوسائل والوصل

(١) لجزائري س ٢٧ من خبر طويل .

إلى الكف عن المعاصي كما روي عن النبي (ص) انه قال : خصاء أمي الصوم لأن بعض الرهبان كانوا يخصون انفسهم وذلك محرم في شرع الاسلام ، فالصوم بمنزلة الخصاء في تأدية الفائدة المطلوبة منه وهي كسر الشهوة عن النفس وتذليلها وخشوعها وخضوعها ، ولم ينقطع النسل الذي هو المطلوب من الخلقة في الصوم كما ينقطع في الخصاء .

وقال (ص) : الصوم جنة من النار ، اي من العقاب ووقاية من النار في يوم الحساب ، وإنما خص الصوم بهذا مع ان سائر العبادات كذلك لكونه اشد وقاية من غيره ببيان ان استحقاق العقاب بالقرب من الشيطان والاطاعة له وللنفس الأمارة وبقوة القرب وضعفه يتفاوت العقاب شدة وضعفاً وبكثرة الطاعة وقلتها يختلف العذاب زيادة ونقصاً وسبيل الشيطان على الانسان ووسيلته اليه هي الشهوات وقوة الشهوات بالأكل والشرب ، فبالجوع والعطش بسبب الصوم تضعف الشهوة وتنكسر صولة النفس وينسد سبيل الشيطان وينجو الانسان من العقوبة والخذلان كما قال رسول الله (ص) : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضية وامجاريه بالجوع .

وقال (ص) لعائشة : أديمي قرع باب الجنة قالت : بما ذا ؟ قال (ص) : بالجوع ، وان السمادة كلها في ان يملك الرجل نفسه كما ان الشقاوة كلها في ان تملكه نفسه كما انك لا تملك الدابة الجموح إلا بضعف الجوع ، فإذا شبت قويت وشردت ، فكذلك النفس ، ولذا قيل : الجوع خزائن من خزائن الله تعالى ، فقد انضح بذلك كون الصوم جنة من النار ووقاية من غضب الجبار ، وان فيه من إذلال النفس وقهر إبليس وكسر الشهوات ما ليس في سائر العبادات .

ففي الكافي والفقيه عن النبي (ص) انه قال لأصحابه : ألا أخبركم بشيء ان انتم فعلتموه تباعد الشيطان عنكم كما تباعد المشرق من المغرب ، قال : بلى

يا رسول الله ، قال (ص) : الصوم يسود وجهه والصدقة تكسر ظهره والحب في الله والمؤازرة على العمل الصالح يقطع دابره والاستغفار يقطع وتينه ولكل شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام .

وفيها ايضاً عن ابي عبدالله (ع) اوحى الله إلى موسى (ع) ما يمنعك من مناجاتي فقال : يا رب أجلك عن المناجاة مخلوق فم الصائم فأوحى الله اليه يا موسى مخلوق فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك .

وعنه (ع) من صام لله يوماً في شدة الحر فأصابه ظمأ وكل الله به الف ملك يمسحون وجهه ويبشرونه حتى إذا افطر قال الله عز وجل : ما أطيب ريحك وروحك يا ملائكتي اشهدوا اني قد غفرت له .

واما قوله تعالى في مقام آخر : الصوم لي وانا اجزي به فنخصيصه بذلك مع ان سائر العبادات ايضاً له تعالى فيحتمل ان الصوم لم يعبد به غيره بخلاف الركوع والسجود وغيرها من العبادات فقد عبدوا بها الشمس والصنم وغيرها كما انه يحتمل لجهة بعد الصوم عن شبهة الرياء ، لأنه خفي يكون بين الصائم وبين ربه بخلاف غيره من العبادات .

وسأل هشام ابا عبدالله (ع) عن علة الصيام فقال (ع) : فرض الصيام ليستوي به الغني والفقير ، وذلك لأن الغني لم يكن ليجد من الجوع فيرحم الفقير فأراد الله سبحانه ان يذيق الغني من الجوع ليرق على الضعيف ويرحم الجائع وأقول : ولعله فيه تذكير على جوع يوم القيامة ، لأن ضعفاء يوم القيامة هم قليلوا العمل فليتباعد الصائم لما يجد من ألم الجوع عن ان يكون بعمله القليل ضعيفاً وجائعاً في يوم القيامة .

ومن فضله فقد ذكر في الوسائل عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطها الله أمة نبي

قبلي إذا كان أول يوم منه نظر الله لهم فإذا نظر الله عز وجل إلى شيء لم يعذبه بعدها ، وخلق افواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك ، ويستغفر لهم الملائكة كل يوم وليلة منه ، ويأمر الله عز وجل جنته فيقول : تزيني لعبادي المؤمنين يوشك ان يستريحوا من نصب الدنيا وأذاها إلى جنتي وكرامتي ، فإذا كان آخر ليلة منه غفر الله لهم جميعاً .

وقال (ص) : رجب شهر الله الأصب وشهر شعبان تتشعب فيه الخيرات وفي أول يوم من شهر رمضان تغل المردة من الشياطين ويغفر في كل ليلة منه لسبعين الفأ ، فإذا كان ليلة القدر غفر الله لمثل ما غفر في رجب وشعبان ورمضان إلى ذلك اليوم إلا رجل بينه وبين أخيه شحناء فيقول الله عز وجل : انظروا هؤلاء حتى يسطلحوا .

وعن علي بن الحسين (ع) ان لله عز وجل في كل ليلة من شهر رمضان عند الافطار سبعين الف الف عتيق من النار كل قد استوجب النار فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان اعتق مثل ما اعتق في جميعه .

وعن الصادق (ع) قال : حدثني ابي عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث قال : من صام شهر رمضان وحفظ فرجه ولسانه وكف أذاه عن الناس غفر الله له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر واعتقه من النار وادخله دار القرار وقبل شفاعة بعدد رمل عاج من مذنب اهل النوحيد وإن افضل الصوم ما صامت فيه الجوارح قال رسول الله (ص) لامرأة سمعها تسب جارية لها وهي صائمة بعد ان دعا (ص) بطعام فقال لها : كلي فقالت : إني صائمة قال : كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتهك ، ان الصوم ليس من الطعام والشراب .

ومن المعلوم ان ذلك إرشاد منه (ص) إلى الحصول على فوائد الصوم التي

تقدمت لا ان اصل الصحة يتوقف على ذلك . بل كماله وان لا يقتصر الصائم في صومه على قصد إسقاط التكليف فقط وقال ابو عبدالله (ع) إذا صمت فليصم سمعك وبصرك من الحرام والقبيح ، ودع المراء وأذى الخادم ، وليكن عليك وقار الصيام ، ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك . وان افضل الصوم ما صامت فيه الجوارح ، فلا ينظر بطرفه ما حرم الله لما روي ان النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه .

وقال رسول الله (ص) : ما من عبد صالح يشتم فيقول : إني صائم سلام عليك لا أشتمك كما شتمني ، ألا قال الرب تبارك وتعالى : استجار عبدي بالصوم من شر عبدي وقد أجرته من النار .

وفي قصص الأنبياء (١) مما ناجى به موسى ربه قال : إلهي ما جزاء من صام شهر رمضان لك محتسباً ؟ قال : يا موسى أقيمه يوم القيامة مقاماً لا يخاف فيه قال : فما جزاء من صام شهر رمضان يريد به الناس ؟ قال : يا موسى ثوابه كشواب من لم يصمه .

وفي الخصائص (٢) قال النبي (ص) في جواب سؤال اليهودي : فما جزاء من صام الثلاثين يوماً ؟ قال (ص) : ما من مؤمن يصوم يوماً من شهر رمضان حاسباً محتسباً إلا اوجب الله له سبع خصال : اولها يذوب الحرام من جسده ، ثانيها يتقرب إلى رحمة الله ، ثالثها يكفر خطيئته ألا تعلم ان الكفارات في الصوم تكفر ، رابعها يهون عليه سكرات الموت ، خامسها أمنه الله من الجوع والعطش يوم القيامة ، سادسها براءة من النار ، سابعها أطعمه الله من طيبات الجنة .

وقال (ص) : نوم الصائم فيه عبادة وصمته تسبيح ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف ، وقال رسول الله (ص) : من صام من شهر رمضان يوماً خرج من ذنوبه

كيوم ولدته أمه ، فإذا انسلخ عنه الشهر وهو حي لم يكتب عليه خطيئة حتى الحول ما اجتنب الكبائر ومن عطش نفسه في يوم شديد الحر في الدنيا كان حقاً على الله ان يرويه يوم القيامة .

وقال اص : إن لكل صائم دعوة فإذا اراد ان تقبل فليقبل عند إفطاره يا واسع المغفرة اغفر لي .

وقال (ص) : لو يعلم الناس ما في شهر رمضان من الخير لتمنت أمي أن يكون رمضان السنة كلها ، ولو أذن الله للسموات والأرض ان تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة .

وعن النبي (ص) انه من صام شهر رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه .

وعنه (ص) ان للصائم فرحتين فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء ربه ، وقد ذكر بعض المفسرين في قوله تعالى : كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية (١) انها ايام الصوم حيث تركوا فيها الأكل والشرب .

آثار الصوم

قال رسول الله (ص) : من صام من كل شهر ثلاثاً كان كمن صام الدهر كله وهي ليال البيض .

في كتاب قصص الأنبياء (٢) عن ابن مسعود سئل عن ايام البيض ما سببها قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : إن آدم لما عصى ربه عز وجل ناداه مناد من لدن العرش يا آدم اخرج من جواربي فإنه لا يجاورني أحد عصاني فبكي

(١) سورة الحاقة الآية ٢٥ . (٢) الجزائري ص ٥٠ .

وبكت الملائكة فبعث الله جبرئيل فأهبطه إلى الأرض مسوداً ، فلما رآته الملائكة
ضجعت وبكت وانتحبت وقالت : يا رب خلقاً خلقته ونفخت فيه من روحك
وأسجدت له ملائكتك فبذنب واحد حولت بياضه سواداً فنادى مناد من
السماء صم لربك اليوم فصام فوافق يوم الثالث عشر من الشهر فذهب نلت السواد
ثم نودي يوم الرابع عشر ان صم لربك فصام فذهب نلتا السواد ، ثم نودي في
يوم الخامس عشر بالصيام فصام وقد ذهب السواد كله فسميت ايام البيض الذي
رد الله فيها على آدم من بياضه .

ثم نادى مناد من السماء يا آدم هذه الثلاثة ايام جعلناها لك ولولدك من
صامها في كل شهر فانما صام الدهر ، ثم قال : فأصبح آدم وله لحية سوداء كالجم
فصرف يده اليها فقال : يا رب ما هذه ؟ فقال : هذه اللحية زينتك بها انت
وذكور ولدك إلى يوم القيامة .

الرسول الاعظم ينور الامة تمهيدا للصيام

روى الحسن بن محبوب عن ابي ايوب عن ابي الورد عن ابي جعفر (ع)
قال : خطب رسول الله (ص) الناس في آخر جمعة من شعبان فحمد الله وأثنى عليه
ثم قال (ص) : أيها الناس انه قد أظلم شهر فيه ليلة هي خير من ألف شهر وهو
شهر رمضان فرض الله صيامه وجعل قيام ليلة فيه بتطوع صلاة كمن تطوع بصلاة
سبعين ليلة فيما سواه من الشهور وجعل لمن تطوع فيه بخضعة من خصال الخير
والبر كأجر من أدى فريضة من فرائض الله فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه من
فرائض الله كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور ، وهو شهر الصبر
وان الصبر ثوابه الجنة ، وهو شهر المواساة ، وهو شهر يزيد الله فيه من رزق

المؤمنين ، ومن فطر فيه مؤمناً صائماً كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لذنوبه فيما مضى .

وقيل له : يا رسول الله ليس كلنا نقدر ان نفطر صائماً ، قال : إن الله كريم يعطي هذا الثواب من لم يقدر منكم إلا على مذقة من لبن يفطر بها صائماً او شربة من ماء عذب او تمرات لا يقدر على اكثر من ذلك ومن خفف فيه عن مملوكه خفف الله عليه حسابه وهو شهر اوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره إجابة والعتق من النار .

ولاغنى بكم فيه عن اربع خصال خصلتين ترضون الله بهما وخصلتين لاغنى لکم عنهما ، فأما اللتان ترضون الله بهما فشهادة ان لا إله إلا الله واني رسول الله ، واما اللتان لاغنى بكم عنهما فتسألون الله فيه حوائجكم والجنة وتسالون الله فيه العافية وتعوذون به من النار .

وفي رواية سلمان فاستكثروا فيه من اربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لاغنى بكم عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة ان لا إله إلا الله وتستغفرونه ، واما اللتان لاغنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار .

ومن بعض خطبته (ص) ايها الناس ان ابواب الجنان في هذا الشهر مفتحة فاسألوا ربكم ان لا يغلقها عليكم وابواب النيران مغلقة فاسألوا ربكم ان لا يفتحها عليكم والشياطين مغلولة فاسألوا ربكم ان لا يسلطها عليكم ، ايها الناس من حسن خلقه في هذا الشهر كان له جواز على الصراط يوم تزل فيه الأقدام .
وقال (ص) : إن انفسكم مرهونة ففكوها باستغفاركم .

وروي ايضاً ان تسبيحة واحدة في شهر رمضان افضل من الف تسبيحة

في غيره .

التهديد لتارك صومه

ان ما مضى كان من طريق الوعد والترغيب على جاري العادة من الرب الرؤف بعبدته في ترغيبه على الاقبال على ما يعلم سبحانه فيه الصلاح له ، ثم يعود عليه من جهة الحث والدفع لذلك الفعل المعلوم نفعه والمحكم صلاحه بطريق الوعيد والتهديد حرصاً منه جل شأنه على إحراز عبده لتلك المنفعة المودوعة من قبله عز وجل في ذلك الفعل ، ونكتفي من ذلك بما روي عن النبي (ص) انه قال : من افطر يوماً من شهر رمضان من غير رخصة لم يقض عنه صيام الدهر .

وما روي عنه (ص) ايضاً ان من لم يغفر له في شهر رمضان لم يغفر له في غيره إلى غير ذلك مما يعطي للنبيه أهمية شهر رمضان وعظيم أجر الصائم فيه وما اودع الكريم فيه لعباده من أنواع الخير وجيليل النفع .

ونعود إلى معاني الآيات ومن فقراتها قوله تعالى : أياماً معدودات ، اي معلومات محصورات مضبوطات ، ويجوز ان يريد سبحانه انها قلائل كما قال تعالى دراهم معدودة ، اي فلا تستثقلوها ترغيباً منه للعباد .

واختلف في هذه الأيام على قولين احدهما انها غير شهر رمضان وكانت ثلاثة ايام من كل شهر ، ثم نسخ عن معاذ وعطا وابن عباس ، وروي ثلاثة من كل شهر وصوم عاشوراء عن قتادة ، ثم قيل : إنه كان تطوعاً ، وقيل : بل كان واجباً ، واتفق هؤلاء على ان ذلك منسوخ بصوم شهر رمضان .

ثانيهما ان المعدودات شهر رمضان ، وهذا ايضاً عن ابن عباس واختاره الجبائي وابو مسلم ، وعليه اكثر المفسرين قالوا : اوجب سبحانه الصوم أولاً فأجله ولم يبين انه يوم او يومان أم اكثر ، ثم بين انه أيام معدودات وأبهم ، ثم

بينه بقوله شهر رمضان... الخ ، فذلكم وتمهيد للبيان وهذا يعد من البلاغة بمكان
ثم قال سبحانه تسهيلاً على العباد : فمن كان منكم مريضاً او على سفر فعدة
من ايام آخر عطف قوله على سفر وهو ظرف على قوله مريضاً وهو اسم مع ان
الظرف لا يعطف على الاسم ، لأن الظرف بمعنى الاسم وتقديره ، فمن كان منكم
مريضاً او مسافراً ، فالذي ينوب مناب صومه عدة من ايام آخر وفيه دلالة على
ان المسافر والمريض يجب عليهما الافطار ، لأنه سبحانه اوجب القضاء بقوله : فعدة
من ايام آخر بنفس السفر والمرض ولو كان رخصة كما قيل لقال سبحانه : فافطر
فعدة من ايام آخر ، لأن القضاء لا يجب على المسافر إلا إذا اختار الافطار بناء
على الرخصة ، اما إذا اختار الصيام فلا قضاء والحال انه تعالى اوجب عليه العدة
بنفس كونه مسافراً على الاطلاق ، اي افطر أم لم يفطر .

وقد ذهب من العامة جماعة من الصحابة إلى وجوب الافطار في السفر كما
هو مذهب جميع الامامية كعمر بن الخطاب وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر
وعبد الرحمن بن عوف وابي هريرة وعروة بن الزبير ، وهو المروي عن اهل البيت
عليهم السلام ، فقد روي ان عمر بن الخطاب أمر رجلاً صام في السفر ان
يعيد صومه .

وروي يوسف بن الحكم قال : سألت ابن عمر عن الصوم في السفر فقال :
أرأيت لو تصدقت على رجل صدقة فردها عليك ألا تغضب فأنها صدقة من الله
تصدق بها عليكم .

وروي عن ابي عبدالله (ع) انه قال : الصائم في السفر كالمفطر في الحضر
وعنه (ع) قال : لو ان رجلاً مات صائماً في السفر لما صليت عليه .

وعنه (ع) قال : من مسافر أفطر وقصر إلا ان يكون سفره إلى صيد
أو معصية .

وروى عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله (ص) : الصائم في السفر كالمفطر في الحضر .

وروى العياشي بإسناده مرفوعاً إلى محمد بن مسلم عن أبي عبد الله (ع) قال : لم يكن رسول الله (ص) يصوم في السفر تطوعاً ولا فريضة منذ نزلت هذه الآية بكراع النعميم عند صلاة الهجير فدعا رسول الله (ص) بأناه فيه ماء فشرب وأمر الناس أن يفطروا فقال قوم : قد توجه النهار لو تمننا يوماً هذا فسماهم رسول الله العصاة فلم يزالوا يسمون بهذا الاسم حتى قبض رسول الله (ص) .
ثم قال تعالى : وعلى الذين يطيقونه فدية .

مرجع الضمير في يطيقونه فيه قولان أحدهما إلى الصوم وهو عند أكثر أهل العلم ، ومعناه أن الله تعالى خير المطيقين للصوم من الناس بين أن يصوموا ولا يكفروا وبين أن يفطروا ويكفروا عن كل يوم باطعام مسكين ، لأنهم كانوا لم يتعمدوا الصوم في بدء التشريع ، ثم نسخ ذلك بقوله : فمن شهد منكم الشهر فليصمه .

ثانيهما أن الضمير يعود إلى الفداء ، وأما المعنى بقوله : الذين يطيقونه ففيه ثلاثة أقوال أولها أنه سائر الناس كما قدمنا من التخيير أولاً ثم النسخ ، لأن الذي لا يطيق لا فداء عليه بمقتضى القول بالتخيير .

ثانيها أن هذه الرخصة كانت للحوامل والمرضع والشيخ الفاني ، ثم نسخ من الآية الحامل والمرضع وبقي الشيخ الكبير .

ثالثها أن معناه وعلى الذين كانوا يطيقونه ، ثم صاروا بحيث لا يطيقونه ولا نسخ فيه .

وقد رواه بعض أصحابنا عن أبي عبد الله (ع) وإن معناه وعلى الذين كانوا يطيقون الصوم ثم أصابهم كبر أو عطاش وشبه ذلك فعليهم بكل يوم مد .

وعن علي بن ابراهيم باسناده عن الصادق (ع) من مرض في شهر رمضان فأفطر ثم صح فلم يقض ما فاتته حتى جاء شهر رمضان آخر فعليه ان يقضي ويتصدق اسهل يوم بعد من طعام .

واما معنى قوله تعالى : فمن تطوع خيراً فهو خير له ، قيل : إن معناه من أطعم أكثر من مسكين واحد ، وقيل : من أطعم المسكين الواحد أكثر من قدر الكفاية حتى يزيد على نصف الصاع ، وقيل : معناه عام اي من عمل برأ في جميع الدين فهو خير له وأفضل ، وقيل : معناه من صام مع الفدية وجمع بينهما .

واما قوله تعالى : وان تصوموا خيراً لكم ، فمعناه اما ان يكون اي وصومكم خير لكم من الافطار والفدية ، وكان هذا مع جواز الفدية والافطار في زمن التخيير ، فأما بعد النسخ فلا يجوز ان يقال الصوم خير من الفدية مع ان الافطار لا يجوز ، واما ان يكون معناه الصوم خير لمطيقه وأفضل ثواباً من التفكير لمن أفطر بالعجز .

ثم قال تعالى : إن كنتم تعلمون اي تعلمون افضل اعمالكم وتختارون أرجحها وزناً بالحسنات وتعملونها رصيدياً لكم كما ورد ان افضل الأعمال أحمرها ثم قال سبحانه : شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ... الخ قد بين تعالى انه خصه بتشريع الصوم فيه لاختصاصه بالفضائل المذكورة وهو انه أنزل فيه القرآن الذي عليه مدار الدين وانه معجزة سيد المرسلين وهو منبع إيمان المؤمنين وهادياً للناس ودالاً لهم على ما كلفوا به من العلوم فانه أحد الثقلين .

واما قوله تعالى : وبينات من الهدى ، اي دلالات من الهدى ، وقيل : المراد بالهدى الأول الهدى من الضلالة وبالهدى الثاني بيان الحلال والحرام وبعبارة أجلى ان الهدى الأول إلى العقائد والثاني إلى الأحكام .

وقيل : أراد تعالى بالأول ما كلف من العلم والثاني ما يشتمل عليه من ذكر

الأنبياء وشرائعهم وأخبارهم ، لأنها لا تدرك إلا بالقرآن ، وقوله بعد ذلك :
والفرقان اي انه مما يفرق به بين الحق والباطل .

وروي عن ابي عبدالله (ع) انه قال : المراد من القرآن جملة القرآن
وبالفرقان المحكم منه الواجب العمل به .

ثم قال تعالى : فمن شهد منكم الشهر فليصمه فيه وجهان : الأول ان معناه
من شهد منكم المصر وحضر ولم يغيب في الشهر فليصم جميعه ، وهذا معنى ما رواه
زرارة عن الباقر (ع) انه لما سئل عن هذه قال (ع) : ما أبيتها لمن عقلها من
شهد شهر رمضان فليصمه ، ومن سافر فيه فليفطر ، وعن ابن عباس وجماعة من
المفسرين ان معنى من شهد الشهر بأن دخل عليه الشهر وهو حاضر فعليه ان
يصوم الشهر كله .

الوجه الثاني من شاهد منكم الشهر مقبلاً مكلفاً فليصم الشهر بعينه ، وهذا
نسخ للتخيير أولاً بينه وبين القدية .

ثم قال تعالى : ومن كان منكم مريضاً ... الخ ، قد مضى تفسيره في صدر
الآية يريد الله بكم اليسر ، اي في الرخصة للعريض والمسافر إذ لم يوجب عليها
الصوم ، وقيل : إن المراد عام وان الله تعالى يريد بعباده اليسر في جميع امورهم
ثم قال مؤكداً ولا يريد بكم العسر ، اي التضييق والاحراج .

وهذا من اوضح البراهين على بطلان قول المجبرة بأن افعال العباد كلها
بارادة الله تعالى ، ولذا نسبوا له الخير والشر ، لأنه قد بين بصريح قوله جل ذكره
ان من افعال العباد ما يريد وهو اليسر ومن افعالهم ما لا يريد وهو العسر
وإذا كان لا يريد العسر بهم فلا أن لا يريد بهم تكليف ما لا يطاق أولى ويهون
الأمر انه تعالى لهم بالمرصاد ومحاسب لهم على كل اقوالهم وما ينسبون له اليه جل شأنه
من الأباطيل وأنا جميعاً عن قريب ذاهبون اليه شاخصون أمامه ونعم الحكم الله .

ثم قال تعالى : واتكلموا العدة وانكبروا الله على ما هداكم ولعلمكم تشكرون وهذا لطف منه آخر وإرشاد إلى ان افضل العبادات هو ان يعلم العبد الذي وفق لأداء فريضة من الفرائض كصيام شهر رمضان المبارك وإكمال عدته هو من فضل الله عليه وهدايته له . ولولا ذلك لكان مثل من عصى وهتك حرمة الشهر بافطاره وحمل وزره وخسر أجره فالتكبير لله تعالى بعد إكمال الصيام كإتمام للعمل وليكون على أفضل ختام ، ولعل المراد منه تكبير صلاة العيد ولعلمكم تشكرون باعترافكم بنعمه تعالى عليكم وإظهارها كما ورد ان شكر النعمة إظهارها ومن فوائد شكرها دوامها وازديادها كما قال تعالى : ولئن شكرتم لأزيدنكم .

وإن الله تعالى قد ختم الشهر المبارك لعباده بجعل عيد لهم لفوائد فيه تعود عليهم ، ومن أهمها رفع الأحقاد ونبذ البغضاء والتقاطع وإبدالها في يوم العيد بالتواصل والتحابب والتعاطف ، لأن المسلم أخو المسلم والمؤمن عين المؤمن ومرآته ومهما كان بينهما من شيء ينبغي نبذه وطرحه إلى جانب في يوم العيد .

وقد ورد في الخبر انه إذا كان بين اثنين شيء فأيهما سبق إلى إرضاء الآخر كان سابقه إلى الجنة .

وليعتبر قيمة هذا السبق في اليوم الرهيب يوم يفر المرء من أخيه وأمه الخ بسبقك على غيرك في الخلاص من شدة من شدائد الدنيا ، وما قدر سعيك فيها وفرحك بتحقيقها ، فالسبق في ذلك اليوم يكون أشد فرحاً فالسعي لتحقيقه لا بد وان يكون أعظم ، ومن مهات تشريع عيد الفطر هو الاتفاق فيه ومواساة الفقراء سواء بأداء الفريضة كالفطرة او غيرها من انواع البذل من الاطعام وغيره وان الانبساط والرافة والحنان والفرح فيه يكون سائداً ومنتشراً على المسلمين ، وبذلك يكون اللطف والحنان سائداً علينا من رب العالمين والخلاصة انه جل شأنه لعلمه بعدم خلونا من الذنوب والأحقاد المترسبة على القلوب قد أعد لغسلها عاملين

العامل الصغير اليومي وهو الصلاة اليومية ، وإذا كانت جماعة فأثرها أقوى كما تقدم أنها كفارة للذنوب التي اكتسبها فيما بين الصلاتين ، والعامل الكبير وهو صلاة العيد لما فيها من عظيم الاجتماع واستماع الخطب وبلغ وعظها ، كما نعد نحن لغسل اوساخ ثيابنا عاملاً صغيراً وهو البيتي مثلاً وعاملاً كبيراً فيما إذا تراكم الوسخ عليها وهو الفني مثلاً .

فشهر رمضان بجميع مزاياه وما اودع في خلاليه خير فياض منتشر على كل العباد لا يحرم من جوده وخيره إلا الشقي فتراه يفيض بره حتى على من لم يصمه لعذره فيه ، فيقول الامام الصادق (ع) كما في الكافي : من فطر صائماً فله أجره والمراد مثل أجره ، وفيه ايضاً عن ابي جعفر (ع) إيفطارك اخاك المسلم يعدل رقبة من ولد اسماعيل .

وفي التهذيب عن الصادق (ع) من فطر مؤمناً كان كفارة لذنبه إلى قابل ومن فطر اثنين كان حقاً على الله ان يدخله الجنة . وقد مر أمثاله في خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ويأتينا بلون آخر لا اكتساب الخير من الشهر المبارك على لسان النبي (ص) فيقول : ليس من عبد يصلي في ليلة من شهر رمضان إلا كتب الله له بكل ركعة الفاً وخمسمائة ركعة وبني له بيتاً في الجنة من ياقوتة حمراء لها سبعون الف باب لكل باب مصرانان من ذهب وله بكل سجدة يسجد لها شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام .

ثم لم يرض سبحانه وتعالى لنفسه من السكرم بهذا فقط ، لأنه مبدأ الفيوضات فيعمود على عباده بفتح باب عظيم النفع واسع الخير بعد قوله : ولعلمكم تشكرون ، فيقول : وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا

دعان فليستجيبوا لي وليأمنوا بي لعلمهم يرشدون (١) .

النزول روي ان سائلا سأل النبي (ص) أقریب ربنا فنناجیه ؟ أم بعيد فننادیه ؟ فنزلت الآية وقيل نزلت جواباً لقوم سألوا النبي (ص) كيف ندعو وعلى كل حال فانه تعالى لما ذكر الصوم عقبه بذكر الدعاء وبيان مكاتته منه وإجابته إياه ، وانه حاضر لمن دعاه فقال : فأني قريب ، ودل بهذا على انه لا مكان له إذ لو كان له مكان لم يكن قريباً لسكل من دعاه لتباعد الداعين في وقت واحد ، وان معناه سريع الاجابة إلى دعاه الداع ، لأن السريع والقريب متقاربان ، وقيل : إن معناه اني أسمع دعاه الداع كما يسمعه القريب المسافة منهم فجاءت لفظة قريب لحسن البيان ، واما قرب المسافة فلا يجوز عليه سبحانه ، لأن ذلك من صفات المحدثات وقوله تعالى : أجب دعوة الداع إذا دعان ، واضح المعنى ، واما قوله تعالى : فليستجيبوا لي قيل في معناه : اي فليجيبوني فيما دعوتهم اليه ، وقيل : معناه فليذعنوا للحق بطلب الموافقة لما أمرتهم به ونهيتهم عنه وقيل : فليستجيبوا لي بالطاعة والسكل متقارب وقيل : إن معناه فليدعوني .

وقد روي عن النبي (ص) انه قال : اعجز الناس من اعجز عن الدعاء ، وأبخل الناس من بخل بالسلام وأجفا الناس من ذكر اسمي عنده فلم يصل علي وأمرق الناس من سرق من صلاته واكسل الناس العبد الصحيح الفارغ ولا يذكر الله بشفة ولا لسان .

واما قوله تعالى : وليأمنوا بي ، اي وليصدقوا بجميع ما أنزلته .

وروي عن ابي عبدالله (ع) انه قال في معناه : وليتحققوا اني قادر على إعطائهم ما سألوه ، فهل ترى كرمأ من أحد كهذا وإرشاد من مشفق كدلالاته تعالى على قدسي ذاته وقد ختم الآية بقوله : لعلمهم يرشدون ، اي يصيبوا الحق

(١) سورة البقرة الآية ١٨٢ .

ويهدون إلى طرقه المنصوبة من قبله جل شأنه ، لأن الرشد في اللغة ضد الغي .

ايضاح في رد شبهة

فلو قال القائل : نرى كثيراً من الناس يدعون فلا يجيبهم الله تعالى فأين هذا التمهيد منه سبحانه .

فالجواب انه ليس أحد يدعو على مقتضى الحكمة وما توجيه المصلحة إلا أجابه عز وجل فيجب على الداعي ان يسأل بما له فيه صلاح ولا يكون فيه المفسدة له ولا لغيره فالله يوجبه إذا اقتضت المصلحة إجابته او يؤخر الاجابة ان كانت المصلحة في التأخير .

ولو قال المعارض : إذا كانت الاجابة منوطة بالحكمة فمقتضاها لا بد ان يفعله فما الفائدة في الدعاء حينئذ .

فالجواب أولاً ان الدعاء في ذاته هو عبادة يعبد الله تعالى بها لما فيه من إظهار الخضوع والانقياد اليه والاعتراف بالحاجة لكرمه ورحمته ، وثانياً لا يمنع ان يكون مطلوبه ذا مصلحة بعد الدعاء ، وبسببه ولا يكون ذا مصلحة قبله ففائدة الدعاء إحداث المصلحة في مطلوبه ، ويؤيده ما روي عن ابي سعيد الخدري قال : قال النبي (ص) : ما مسلم دعا الله بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا أعطاه بها إحدى خصال ثلاث : اما ان يعجل له دعوته ، واما ان يؤخر له في الآخرة واما ان يدفع عنه من السوء مثله ، قالوا : يا رسول الله إذا نكث ، قال (ص) : الله اكثر ، وفي رواية انس بن مالك الله اكثر وأطيب ثلاث مرات ، فاذا لا بد من الاجابة .

وروي عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله (ص) : إن العبد ليدعو

الله وهو يحبه فيقول : يا جبرئيل لا تقضي لعبدي هذا حاجته وأخرها فإني احب ان لا أزال أسمع صوته وان العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول : يا جبرئيل اقض لعبدي هذا حاجته باخلاصه ومجملها فإني اكره ان اسمع صوته .

وروي عن امير المؤمنين (ع) انه قال : ربما أخرت عن العبد إجابة الدعاء ليكون اعظم لأجر السائل وأجزل لاعطاء الآمل .

وفي الكافي سأل الصادق (ع) بعض اصحابه عن قوله تعالى : ادعوني أستجب لكم ثم ندعو فلا نرى الاجابة : فقال (ع) : أتري ان الله أخلف وعده قال : لا ، فقال (ع) : أما انكم لو أطعتموه ثم دعوتموه لأجابكم . وسأله ايضاً عن قوله تعالى : وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ، قال : فأنفق فلا أرى خلفاً فقال : أتري ان الله أخلف وعده ؟ قال : لا ، فقال (ع) : لو كسبتم المال من حله ثم أنفقتموه في حقه لم ينفق رجل درهماً إلا أخلفه الله عليه . وفي الاحتجاج سأل الزنديق الصادق (ع) بمثل هذا فأجابه (ع) ما يدعوه أحد إلا استجاب له ، اما الظالم فدعاؤه مردود حتى يتوب ، فالنظر إلى غزارة علمهم وتفننهم في أجوبة الشبهات على حسب المقتضيات وملاحظة المناسبات والملاقي لأجوبتهم واحد رغم اختلافها ظاهراً تباً لمن سبب حرمان العباد من غزير علومهم وفياض دروسهم ، حيث قد بقي الكثير منه في مكنون صدورهم وقد قال امير المؤمنين (ع) مشيراً إلى صدره الشريف ان ههنا لعالم جماً لو وجدت له حملة وفي أمالي الشيخ إذا ظلم الرجل فظل يدعو على صاحبه قال الله تعالى : إن ههنا آخر يدعو عليك يزعم انك ظلمته فإن شئت أجبك وأجبتك عليك وان شئت أخرتك كما فيوسع كما عنوي .

وفي العدة ان الله اوحى إلى عيسى (ع) قل لظلمة بني إسرائيل اني لا أستجيب لأحد منهم دعوة ولأحد من خلقي عندهم مظلمة .

وقيل لابراهيم بن آدم : ما بالنا ندعو الله فلا يستجيب لنا ؟ فقال : لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه ، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سذنه ، وعرفتم القرآن فلم تعملوا بما فيه ، واكلمتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها ، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها ، وعرفتم النار فلم تهربوا منها ، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه ، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم ، وتركتكم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس فتدعون فلا يستجاب لكم ، نعم كما قال لأن هذه الخصال تجعل اصحابها اناس ميتة قلوبهم والداعي والسائل انما يستجاب له إذا كان بقلب حي أتري ان لو سألك سكران ذاهب العقل حاجة فهل تجيبه وتعطيه او تعتبره كالميت وترى كل شيء تعطيه إياه عديم الفائدة وكأنما ألقىته في البحر .

الدعاء عبادة في حد ذاته

قد أشرنا قريباً إلى عبادة الدعاء في جواب شبهة عدم إجابة الدعاء والآن نبين السند لذلك .

ففي كتاب عيون اخبار الرضا (ع) (١) عن النبي (ص) انه قال : افضل العبادات الدعاء ، وإذا أذن للعبد في الدعاء فتح له باب الرحمة ، انه لن يهلك مع الدعاء احد .

وعن معاوية بن عمار عن ابي عبدالله (ع) قال : قلت لأبي عبدالله في الرجلين افتتحا الصلاة في ساعة واحدة فتلا هذا القرآن فكانت تلاوته اكثر من دعائه ودعا هذا فكان دعاؤه اكثر من تلاوته ثم انصرفا في ساعة واحدة أيها افضل ؟ قال (ع) : كل فيه فضل وحسن ، قلت : إني اعلم ان كلا حسن وان كلا

فيه فضل لكن ايها افضل ؟ فقال (ع) : الدعاء افضل ، اما سمعت قول الله عز وجل : وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين هي والله العباداة هي والله افضل أليست هي العباداة هي والله العباداة هي والله العباداة أليست هي أشدهن هي والله اشدهن هي والله اشدهن فان في هذا التأكيد منه سلام الله عليه ما لا يخفى لرد الشبهة الشائعة من تفضيل التلاوة عندهم .

وفي نفس الكتاب قال رسول الله (ص) : الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض .

وعنه (ص) افزعوا الى الله في حوائجكم والجاؤا اليه في ملماتكم وتضرعوا اليه وادعوه فان الدعاء يخ العباداة وما من مؤمن يدعو الله إلا استجاب له فاما ان يعجل له في الدنيا او يؤجل له في الآخرة ، واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بما آثم .

وفي الكافي عن ابي عبد الله (ع) هل تعرفون طول البلاء من قصره ؟ قلنا لا ، قال (ع) : إذا أطم احد الدعاء عند البلاء فاعلموا ان البلاء قصير .

وفيه عن ابي الحسن (ع) ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله الدعاء إلا كان كشف ذلك البلاء وشيكا (١) ، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلا كان ذلك البلاء طويلا فاذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرع الى الله عز وجل .

وفي حديث مرفوع قال رسول الله (ص) : رجلان كانا يعملان عملا واحداً يدخلان الجنة فيرى احدهما صاحبه فوقفه فيقول : يا رب بما اعطيتهم وكان عملنا واحداً ؟ فيقول عز وجل : سأني ولم تسألني ، ثم قال (ص) : اسألوا الله

وأجزلوا فإنه لا يتعاضمه شيء .

وعنه (ص) ليسألن الله أو ليقضين عليكم ان الله عبداً يعملون فيعطيهم
وآخرين يسألونه فيعطيهم ثم يجمعهم في الجنة فيقول الذين عملوا ربنا عملنا فأعطيتنا
فبم اعطيت هؤلاء؟ فيقول: عبادي اعطيتكم اجوركم ولم ألتكم (١) من اعمالكم
شيئاً وسألني هؤلاء فأعطيتهم وهو فضلي أوتيته من اشاء ، فيلاحظ من هذا شبه
التهديد لتارك الدعاء من النبي (ص) الرؤف حيث يخاف علينا ان يفوتنا السوم
لأن الدنيا عمرها محدود وفيها العمل دون الحساب وفي الآخرة الحساب دون
العمل فليكسب العاقل وعلى الأقل من كثرة الدعاء بالخير من الله لنفسه .

وعن الصادق (ع) انه قال لميسر بن عبدالعزيز : يا ميسر ادع الله ولا تقل
ان الأمر قد فرغ منه ان عند الله منزلة لا تقال إلا بمسألة ، ولو ان عبداً سد
فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً فأسأل تعط يا ميسر انه ليس باب يقرع إلا يوشك ان
يفتح لصاحبه .

وعن يعقوب بن شعيب قال : سمعت ابا عبد الله (ع) يقول : إن الله
اوحى الى آدم اني سأجمع لك الكلام في اربع كلمات قال : يا رب وما هن؟ قال :
واحدة لي وواحدة لك وواحدة فيما بيني وبينك وواحدة فيما بينك وبين الناس
فقال آدم : بينهن لي يا رب ، فقال الله تعالى : اما التي لي فتعبدني ولا تشرك بي
شيئاً ، واما التي لك فأجزيك بعملك احوج ماتكون اليه ، واما التي بيني وبينك
فعليك الدعاء وعلى الاجابة واما التي بينك وبين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك

آيات مشفعة بآيات ولاستجابة الدعاء كافات

في كتاب دار السلام (١) عن الكشي في حاشية مصباحه ذكر صاحب الدلائل عن ابي الحسن محمد بن علي الشريف العلوي قال : اصابني هم وغم شديد حتى ضاق صدري وعيل صبري فرأيت جدي رسول الله (ص) في منامي فقال صلى الله عليه وآله وسلم لي : ما شأنك يا محمد ؟ قلت : هم وغم توالي علي من امور الدنيا وقد ذهب مالي وجاهي وكثر مع ذلك عيالي واصابني خلال ذلك خوف من السلطان وهو أعظم ما بي فقال (ص) : ألا أعلمك شيئاً من عزائم القرآن يرد الله عز اسمه بذلك عليك مالك وجاهك ويرد بها السلطان عنك ويزيل همك وغمك ويصلح شأن عيالك . فقلت : نعم يا رسول الله فقال : اقرأ هذه الآيات وأجوبتها عند كل شدة فانه تعالى يجعل لك من أمرك مخرجاً ، ويكفيك امر الدنيا والآخرة ولا يقرؤها مهموم إلا فرج الله همه ولا محبوس إلا خلص قال : فانتبهت فقرات الآيات بعد صلواتي وإذا برسول السلطان يدعوني اليه وقال لي : لقد ارعبتني في منامي وأظنك دعوت علي والله ما يلحقك مني خوف ثم رد علي ما اخذ مني وزادني من ماله وقد لقيت ببركتها كل خير .

اما الآيات فالأولى الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون واما جوابها وكافل إجابتها قوله تعالى : اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون .

واما الثانية الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . واما جوابها على اثرها فانقلبوا بنعمة من

الله وفضل لم يمسههم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم .
الثالثة : وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فنادى في
الظلمات ان لا إله إلا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ، واما شفيعتها وجوابها
فلمستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك ننجي المؤمنين .

الرابعة : وايوب إذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين ، واما
الكفيلة لها قوله تعالى : فلمستجبنا له وكشفنا ما به من ضرر وآتيناه اهله ومثلهم
معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين .

الخامسة : وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد ، واما جوابها قوله
تعالى : فواته الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب .

السادسة : والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، واما
جوابها وكافلها فقوله تعالى : على اثرها اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين .

وفيه ايضاً (١) دعاء الجامع بتعليم من فاطمة الزهراء (ع) لبعض موالها
وهو اللهم قنني بما رزقني واسترني وعافني ابدأ ما ابقيتني واغفر لي وارحمي
اذا توفيتني ، اللهم لا تعنني في طلب ما لم تقدره لي وما قدرت لي فأجمله سهلاً
يسيراً اللهم كاف عني والدي وكل ذي نعمة علي اللهم فرغني لما خلقتني له ولا
تشغلي بما تكفلت لي به ولا تعذبني وأنا استغفرك ولا تحرمني وأنا أسألك اللهم
ذل نفسي لي في نفسي وعظم شأنك في قلبي وألهمني طاعتك والعمل بما يرضيك
والتجنب لما يسخطك يا ارحم الراحمين .

وبحكم العقل والوجدان حق ان يسمى بدعاء الجامع فانها سلام الله عليها

لم تبق شيئاً يخص العقيدة أو العمل سواء كان للدنيا أو للآخرة إلا وقد تعرضت له وطلبت من القادر المساعدة عليه مع إيجاز في كلماتها وبلاغة في تركيبها وفصاحة في ألفاظها وإطناب في معانيها وتوسع في حاجاتها وكثرة في مطالبها ومنشأ ذلك كله قول الرسول الأعظم : فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله كبه على منخربه في نار جهنم .

فحق إذاً للفرع ان ينمى الى الأصل والبضعة ان تلتحق بالكل وهو الفائل (ص) : أنا أفصح من نطق بالضاد ، هذا بلحاظ فصاحتها (ع) واما بلحاظ معرفتها بربها والتجائها اليه في حوائجها فهو الفائل : يا علي ما عرف الله غير أنا وانت ، وما عرفني غير الله وانت ، وما عرفك غير الله وأنا فبضعت منه ومثله في معرفة الله تعالى فلقد فاز بحبها ومتبع سيرتها وخاب وخسر مبعضها ومؤذيتها والمنحرف عن طريقتهما .

وعن ابي الحسن الرضا (ع) ينبغي لمن عقل عن الله ان لا يتهم الله في قضائه ولا يستبطل رزقه . ومعناه ان لا يقطع دعائه ولا يمل مسأله .

اما الدعاء للمؤمنين واستثمار الداعي له

ففي خبر الخصال ما من مؤمن دعا للمؤمنين والمؤمنات إلا رد الله عليه مثل الذي دعا لهم به من كل مؤمن ومؤمنة مضى من اول الدهر او هو آت الى يوم القيامة وان العبد ليؤمر به الى النار يوم القيامة فيسحب فيقول المؤمنون والمؤمنات : يا رب هذا الذي كان يدعونا لنا فشفعنا فيه فيشفعهم الله عز وجل فيه فينجو .

وفي الأمالي عنه (ص) ما من مؤمن ولا مؤمنة مضى من اول الدهر

او هو آت الى يوم القيامة إلا وهم شفعاء لمن يقول في دعائه : اللهم اغفر
للمؤمنين والمؤمنات .

وفيه ايضاً عن النبي (ص) ما من عبد دعا للمؤمنين والمؤمنات بظهر الغيب
إلا قال الملك ولك مثل ذلك .

وفيه عن ابي الحسن الأول (ع) من دعا لآخوانه من المؤمنين والمؤمنات
والمسلمين والمسلمات وكل الله به ملكا عن كل مؤمن يدعو له .

وفيه عن الرضا (ع) ما من مؤمن يدعو للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين
والمسلمات الأحياء منهم والأموات إلا كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة
منذ بعث الله آدم الى ان تقوم الساعة .

وذكر في الخصال انه اذا جاءك المؤمن في حاجة فان كان عندك ما تفرج به
عنه ففرج عنه وإلا فادع له ، والأخبار في ذلك كثيرة وان الدعاء في حق المؤمن
لا يرد وانه سبب لقضاء حاجة الداعي وانه يخرق الحجب السبع الى غير ذلك .

في صفة المؤمن وكرامته على الله تعالى

قال رسول الله (ص) في وصف المؤمن : العلم خليل المؤمن والحلم وزيره
والعقل دليله والعمل قيمه واللين أخوه والرفق والده .

وفي كتاب إرشاد القلوب حديث قدسي في وصف اهل الخير ان اهل الخير
رقيقة وجوههم كثير حياؤهم قليل حمقهم كثير نعمهم قليل مكرهم ليس الناس منهم
في تعب كلامهم موزون محاسبين لأنفسهم متعبين لا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم .
وقد ذكرهم الله تعالى في كتابه المجيد مادحاً لهم ومطرباً عليهم حيث
ذكروا اخوانهم المؤمنين بالدعاء لهم .

قال في سورة الحشر (١) : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم » . ومعنى الآية الذين جاءوا من بعد المهاجرين والأنصار وهم التابعون إلى يوم القيامة ، وقيل : هم كل من اسلم بعد انقطاع الهجرة وبعد إيمان الأنصار والظاهر ان المراد الذين خلفوهم ويجوز ان يكون المراد من هم بعدهم بالفضل وقد يعبر بالقبل والبعد عن الفضل كقول النبي (ص) نحن الآخرون السابقون ، اي الآخرون في الزمان السابقون بالفضل فقد مدحهم ربهم حيث يدعون ويستغفرون لأنفسهم ولمن سبقهم بالايمان ثم قالوا مؤكدين إخلاصهم للمؤمنين ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، اي حقداً او غشاً وعداوة سألوا الله تعالى ان يزيل ذلك عن قلوبهم بلطفه لعلمهم بحبث النفس ، وانها الأمانة بالسوء فاستعانوا عليها بالطف بالرفق وقد احسنوا الدعاء للمؤمنين ولم يرسلوه إرسالا وطلبوا العصمة من الله عن إرادة السوء بالمؤمنين ، حيث علموا ان من ابغض مؤمناً وأراد به السوء لا يمانه فهو كافر ، واذا كان لغير ذلك فهو فاسق فكيف بمن ابغض إمام زمانه واهل بيت نبيه ، وكاد لهم بكل كيد طمعاً في الدنيا الفانية وكل نفس بما كسبت رهينة . وقد عظم سبحانه شأن الداعين للمؤمنين وجعلهم القسم الثالث من عباده الصالحين وهم التابعون باحسان ، واما القسم الأول فهم المهاجرون وقد ذكروهم قبل هذا بقوله للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون (٢) . واما الأنصار فهم القسم الثاني وقد وصفهم على اثر ذلك بقوله تعالى : والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم (٣) اي من قبل المهاجرين يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة ، اي حسداً وحزازة وغيظاً مما

أتوا ، اي مما اعطوا المهاجرون من النبي . حيث خصهم الله ورسوله بمال بني النضير دون الأنصار ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، اي ان الأنصار يعطون المهاجرين من اموالهم ويسكنونهم معهم في دورهم ولو كان بهم حاجة إلى المال ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، اي ومن يمنع عن نفسه البخل والشح فهو المفلح ، لأنها من اعظم اسباب منع الحقوق الواجبة فضلاً عن المستحبة وبدفعه عن نفسه فقد افلح بالاتفاق .

وقد ذكرنا الآيات وبعض معانيها لتضمنها بعض صفات المؤمنين وحبهم لآخوانهم المؤمنين وشدة إخلاصهم لهم بالدعاء والبذل والايثار كل ذلك حيث علموا من تعاليم الاسلام فضل محبة المؤمن والدعاء له وإدخال السرور عليه وقد ورد في فضل إدخال السرور على المؤمنين إضافة إلى فضل الدعاء لهم ما يبرر العقول وما هو إلا لكرامة المؤمن لأنه بإيمانه الخالص الصحيح صار من خاصة الله تعالى وحزبه فحق عليه ان يعطيه تلك المنزلة ، لأنه العدل الكريم المحسن ، فلنذكر شيئاً من ذلك ثم نعود إلى موضوعنا من آية الصوم .

ففي الكافي عن رسول الله (ص) من سر مؤمناً فقد سرني ومن سرني فقد سر الله عز وجل .

وعن الباقر (ع) ما عبد الله بشيء أحب إلى الله من إدخال السرور على المؤمن . وفيه عن الصادق (ع) لا يرى احدكم إذا أدخل سروراً على مؤمن انه أدخله عليه فقط ، بل والله علينا ، بل والله على رسول الله (ص) . وفيه عنه عليه السلام من أدخل السرور على مؤمن فقد أدخله على رسول الله (ص) ومن أدخله على رسول الله فقد وصل ذلك الى الله ، وكذلك من أدخل عليه كرباً ، وفيه عنه (ع) من أحب الأعمال الى الله عز وجل إدخال السرور على المؤمن وإشباع جوعته وتنقيس كربته او قضاء دينه .

وفي النهج عن أمير المؤمنين (ع) ما من عبد أودع قلباً سروراً إلا وخلق الله من ذلك السرور لطفاً، فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كلاً في المحدارة حتى يطردها عنه، كما تطرد غريبة الأبل عن حياضها .

وفي ثواب الأعمال عن أبي عبد الله (ع) من أسر امرئاً مؤمناً سره الله يوم القيامة وقيل له : تمن على ربك ما أحببت فقد كنت تحب أن تسر أوليائي في دار الدنيا فيعطى ما يمتنى ويزيده الله مما عنده ما لم يخطر على قلبه من نعيم الجنة وفي كتاب رياض الأبرار عن أبي عبد الله الحسين (ع) أنه قال صح عندي قول النبي (ص) : أفضل الأعمال بعد الصلاة إدخال السرور في قلب المؤمن بما لا إثم فيه فإني رأيت غلاماً يواكل كلباً فقلت له في ذلك فقال : يا بن رسول الله اني مغموم أطلب سروراً بسروره لأن صاحبي يهودي اريد مفارقتي فأتى الحسين الى صاحبه بمائتي أدينار تمناً له ، فقال اليهودي للحسين (ع) : الغلام فداء لخطاك وهذا البستان له ورددت عليك المال ، فقال (ع) : وأنا قد وهبت لك المال ، قال : قبلت المال ووهبته للغلام ، فقال الحسين (ع) : أعتقت الغلام ووهبت له الجميع فقالت امرأته : قد أسلمت ووهبت زوجي مهري ، فقال اليهودي : وأنا ايضاً قد أسلمت وأعطيتها هذه الدار .

وفي كتاب الاخوان عن الباقر (ع) فيما ناجى الله عبده موسى (ع) قال : إن عبداً أبيعهم جنتي وأحكمهم فيها قال : يا رب ومن هؤلاء الذين تبيعهم جنتك وتحكمهم فيها قال : من أدخل على مؤمن سروراً .

وعن الرضا (ع) عن آباءه قال : أوحى الله الى داود (ع) ان العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة فأدخله الجنة قال : يا رب وما تلك الحسنة ؟ قال : يفرح عن المؤمن كربة ولو بتمرة ، فقال داود (ع) : حق لمن عرفك ان لا يقطع رجاءه منك .

وايضاً عنه (ع) من بهت مؤمناً او مؤمنة ، او قال فيه ما ليس فيه أقامه الله يوم القيامة على تل من نار حتى يخرج مما قاله فيه . ويحتمل ان ذلك للتمجيز مثل قوله تعالى : حتى يلج الجمل في سم الخياط ، لأن الآخرة ليست دار تكليف وتوبة . وفي الاختصاص (١) عن محمد بن جمهور قال : كان النجاشي وهو رجل من الدهاقين (٢) عاملاً على الأهواز وفارس قال : فقال بعض اهل عمله لأبي عبدالله عليه السلام : إن في ديوان النجاشي علي خراجاً وهو ممن يدين بطاعتك فإن رأيت ان تكتب اليه كتاباً ، قال : فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم سر أخاك سر الله ، قال : فلما ورد عليه بالكتاب دخل عليه وهو في مجلسه ، فلما خلا ناوله الكتاب وقال : هذا كتاب ابي عبدالله (ع) فقبله ووضع على عينيه وقال له : ما حاجتك ؟ قال : خراج علي في ديوانك ، فقال له : كم هو ؟ قال : عشرة آلاف درهم قال : فدعا كاتبه فأمره بأدائها عنه ثم أخرج منها (٣) فأمره ان يثبتها له من قابل ثم قال له : سررتك فقال له : نعم قال : فأمره بعشرة آلاف درهم أخرى فقال له : هل سررتك ؟ فقال : نعم جعلت فداك قال : ثم أمره بمركب وجارية و غلام ثم أمره بتخت ثياب وفي كل ذلك يقول له : هل سررتك فكلمها قال له نعم زاده حتى فرغ .

ثم قال له : احمل فراش هذا البيت الذي كنت جالساً فيه حين دفعت إلي كتاب مولاي الذي ناولتني فيه وارفع إلي حوائجك قال : ففعل وخرج الرجل فصار الى ابي عبدالله (ع) بعد ذلك فحدثه بالحديث على جهته وجعل يسره بما فعل فقال له الرجل : يا ابن رسول الله كأنك قد سررت بما فعل بي فقال : اي والله لقد سر الله ورسوله .

(١) س ٢٦٠ . (٢) الدهاق رئيس القرية .

(٣) اي اخرج اسمه من دفتر الديوان .

وعن سدير عنه (ع) قال : ألا أبشرك ؟ قلت : بلى جعلني الله فداك قال
أما انه ما كان من سلطان جور فيما مضى ولا يأتي بعد إلا ومعه ظهير من الله
يدفع عن اوليائه (١) شرهم .

واما فضل زيارة المؤمن

فنكتني بما ورد عن ابي عبدالله (ع) انه قال : استأذن ملك ربه ان ينزل
الى الدنيا في صورة آدمي فأذن له فنزل فمر برجل على باب قوم يسأل عن رجل
من اهل الدار فقال الملك : يا عبدالله اي شيء تريد من هذا الرجل الذي تطلبه
قال : هو أخ لي في الاسلام أحببته في الله جئت لأسلم عليه قال : وما بينك وبينه
رحم ماسة ولا يرغبك اليه حاجة قال : لا إلا الحب في الله عز وجل جئت لأسلم
عليه قال الملك : فأني رسول الله اليك وهو يقول : قد غفرت لك بحبك إياه في
وعليك بمراجعة ما ذكرناه من خبر مالك الجهني عن ابي عبدالله (ع) من ملاقة
المؤمنين وتصافحها وتحات الذنوب عنها كتحات ورق الشجر الى غير ذلك
وهو كثير .

هذا بعض قدر المؤمن عند الله وجلالاته لديه وما اعطى لثأره وساره
والداعي له فهل آن لنا ان نكسب الايمان به جل شأنه ونقوي عرى الاتصال به
تعالى بحيث يكون إيماننا ركنية اندفاعنا نحو كل خير ومكرمة ونفوز بسعادة
الدنيا وراحة القلب إضافة الى ما سبق ، وان الايمان هو السبب الوحيد في
الحصول على ما هو المطلوب لكل فرد من راحة القلب ، غير ان الطالبين لها قد
طلبوها من غير مظانها . بل انهم تتبعوها من طرق اضدادها ولنا تراهم دائماً في

(١) أي عن اولياء الله شر الجاثمين .

تعب وعناء وان اي واحد منهم يسأل هل انت مستريح القلب فيجيب بالعدم البات
وبعكسهم المؤمن .

عودة الى صلب الموضوع

واما قوله تعالى : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم من لباس لكم
وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم مخفون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن
باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض
من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم
عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس
لعلهم يتقون » (١) . وهي آخر آيات احكام الصيام ذكرها سبحانه على اثر الآية
المتضمنة طلب الدعاء آتفة الذكر .

النزول

فقد روى علي بن ابراهيم بسند رفعه الى ابي عبدالله (ع) قال : كان
الأكل محرماً في شهر رمضان بالليل بعد النوم في بدء التشريع وكان النكاح محرماً
ليلاً ونهاراً في كل الشهر وكان رجل من اصحاب رسول الله (ص) يقال له مطعم
ابن جبير أخو عبدالله بن جبير الموكل في واقعة أحد بفهم الشعب من قبل
رسول الله (ص) وقد هاجمه خالد بن الوليد لما رأى من تفرق اصحابه حيث رأوا
المسلمين قد هزموا المشركين فصاروا مأمونين منهم ولم يعلموا بمكيدة خالد بن

(١) سورة البقرة الآية ١٨٣ .

ج ١ في بيان رفع الحرج ونسخ بعض احكام الصوم منه منه تعالى - ٣٨١ -

الوليد وقد جاء برأيه راية الشرك من خلف النبي (ص) بعدما قتل عبد الله بن جبير
ومن بقي معه واوقع في المسلمين نكبة لا تنسى مدى الدهر عند من له شفقة على
النبي (ص) والمسلمين .

ولما رأى المشركون راية قائدهم خالد منتصبه ومحاربة من وراء المسلمين
تراجعوا من هزيمتهم وكان بذلك الالتفاف والتطويق بالنبي (ص) ومن بقي معه
من خاصة المؤمنين وفي مقدمتهم علي بن ابي طالب (ع) حيث ان جل الصحابة
قد انهزموا وفروا على وجوههم صاعدين على الجبل هناك .

إلى ان رد علي الكتاب عن وجه بن عمه رسول الله (ص) وبهذه الواقعة
عجب جبرئيل من ذب علي عن النبي (ص) وقال : يا محمد ان هذه هي المواساة
فقال (ص) له : ما يمنعه وهو مني وأنا منه .

ثم تبع علي (ع) المنهزمين من المسلمين وفيهم اعيان الصحابة ووبخهم على
فعلهم وهددهم بقوله (ع) : والله لأنتم اولى بالقتل من هؤلاء ، لأنهم قد نقضوا
عهد الله الذي التزموه في أعناقهم عند بيعة رسوله من الذب عنه والتضحية بدمائهم
فأما المشركون فلا بيعة له (ص) عليهم حقد لعلي (ع) ان يقول لهم : لأنتم احق
بالقتل من هؤلاء ، ثم تراجع عنهم وعفا حيث ان العفو مسجيتهم عليهم السلام كما
قد عفا النبي (ص) ايضاً في هذه الواقعة لما رأى عمه حمزة اسد الله واسد رسوله
قتيلاً وقد مثلت به هند أم معاوية افطع تمثيل وكانت مع زوجها ابي سفيان
مشجعة للمشركين ومؤلبة على النبي (ص) والمسلمين فأشد حزنه (ص) على عمه
فقال : لأمثلن بسبعين فنزات عليه الآية « وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به
ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » (١) .

فقال (ص) : بل اصبر وعفا عنهم مع ظفره بهم .

(١) - سورة النحل الآية ١٢٧ .

وعلى كل فنعود إلى مطعم بن جبير وقد كان شيخاً ضميماً وصائماً فأبطأت عليه اهله بالطعام فنام قبل ان يفطر ، فلما انتبه قال لأهله : قد حرم علي الأكل في هذه الليلة .

فلما أصبح حضر حفر الخندق وعمل فأغشي عليه من شدة الضعف فلما رآه النبي (ص) رق عليه وكذلك كان قوم من الشباب ينكحون سرّاً بالليل في شهر رمضان فأنزل الله تعالى هذه الآية :

« فأحل النكاح ليلاً والأكل ولو كان بعد النوم إلى طلوع الفجر » .

واختلف العامة في اسمه فقال بعضهم : هو قيس بن صومه ، وقيل : ابن صومه ، وقيل : أبو قيس بن صومه ، وقيل : صومه بن اياس ، وقال : هذا القائل جاء إلى رسول الله (ص) فقال : إنني عملت في النخل نهاري اجمع حتى امسيت فأتيت اهلي لتطعمني فأبطأت فتمت فأيقظوني وقد حرم علي الأكل وقد امسيت وقد اجهدني الصوم .

فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله اعتذر اليك من مثله (١) رجعت بعدما صليت العشاء فأتيت امرأتي وقام رجال واعترفوا بمثل الذي سمعوا فنزلت الآية عن ابن عباس والسدي .

واما معنى الآية

فالرفث هو الجماع وقد روي عن ابي جعفر (ع) كراهية الجماع في اول ليلة من كل شهر إلا شهر رمضان فإنه يستحب لمكان الآية .

(١) يظهر ان اعتذاره بعد مرور أيام كما قد ظهر انه قد جامع ونكح قبل نسخ الحكم وإلا فلا معنى للاعتذار .

وقال ابن عباس : الله حيي يكتني بما شاء . ان الرفث واللباس والمباشرة والافضا . هو الجماع .

واما معنى هن لباس لكم ... الخ ، اي سكن لكم وانتم سكن لمن كما قال سبحانه : وجعلنا الليل لباساً ، اي سكناً والمعنى تلبسونهن ومخالطونهن بالمساكنة اي قل ما يصبر احد الزوجين عن الآخر فهو يسكن اليه عندما يراه وقيل : جعل كل منها لباساً للآخر لانضمام جسد كل بالآخر كاللباس ، ولعل المراد كل منهما ستر للآخر كاللباس في عدم الوقوع بالمعاصي من الزنا ومقدماته ، واما قوله تعالى : علم الله انكم كنتم تخفون انفسكم ... الخ ، لما كان سبحانه قد حرم عليهم الجماع في الليل والأكل بعد النوم وخالفوا في ذلك ذكرهم الله نعمته عليهم في الرخصة التي نسخت تلك التحريم .

ومعنى تخفون ، اي تخفون انفسكم ولا تؤدوا الأمانة التي عهدت اليكم من الامتناع وحرمة المقاربة ، وقيل : إن معنى تخفون انفسكم تنقصون انفسكم من شهواتها وتمنعونها من لذاتها باجتناح ما نهيتهم عنه تخففه الله عنكم ومن عليكم برفعه ونسخ حكمه فتاب عليكم ، اي قبل توبتكم عما صدر منكم ورخص لكم فالآن اي بعد النسخ باشروهن ، اي جامعوهن بالليل لفظه أمر ، ومعناه إباحة لأن الأمر عقيب الحظر للإباحة ، ثم قال تعالى : وابتغوا ما كتب الله لكم ، في معناه قولان الأول اي اطلبوا ما قضى الله لكم من الولد وان يجامع الرجل بقصد ان يرزقه الله ولداً يعبده ويسبجه لا بقصد مجرد الشهوة ، وبذلك يكون مأجوراً على فعله ، وكذلك سائر المباحات حتى الأكل والنوم وغيرها ينبغي ان يقصد بها التقوى على طاعة الله تعالى والقيام ببعض العبادات فيكون مأجوراً على أكله ونومه وأمثالها من المباحات .

الثاني ان معناه اطلبوا ما كتبه لكم من الحلال المبين في كتابه فان الله يحب

ان يؤخذ برخصه كما يجب ان يؤخذ بعزائمه لأنها كلها منوطة بالحكم والمصالح للعباد وقيل : لما نزل قوله تعالى : كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، جاء عدي بن حاتم إلى رسول الله (ص) وقال : إني وضعت خيطاً أبيضاً وخيطاً اسوداً فلم أميز بينهما ولم يتبين الأسودان من الأبيض فضحك رسول الله (ص) . والمراد منه الخط الأبيض المعترض على طول الأفق .

عودة إلى أصل الموضوع

اعني فضل الصيام وما اودع فيه الملك العلام من عظيم الخير وواسع الكسب للأفام نخصه بليلة القدر وإنزال القرآن فيها تعظيماً لشأنها وتكريماً لشهر رمضان بالفضائل التي فيها .

قال الله تعالى : إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر .

في فضل قراءة سورة القدر

عن النبي (ص) من قرأها اعطيت من الأجر كمن صام رمضان وأحى ليلة القدر وعن أبي عبد الله (ع) من قرأها في فريضة نادى مناد يا عبد الله قد غفر لك ما مضى فاستأنف العمل .

وعن أبي جعفر (ع) قال : من قرأ سورة القدر جهراً كان كشاهر في سبيل الله ، ومن قرأها سرّاً كان كالمشحط بدمه في سبيل الله ، ومن قرأها عشر مرات

مرت على نحو الف ذنب من ذنوبه . وفي كتاب دار السلام (١) بسنده عن ابي عبدالله (ع) من قرأ سورة انا انزلناه احدى عشر مرة عند منامه وكل الله به احدى عشر ملكاً يحفظونه من كل شيطان رجيم حتى يصبح .

وعن الباقر (ع) من قرأها حين ينام احدى عشر مرة خلق الله له نوراً سمته سعة الهواة عرضاً وطولاً ممتداً من قرار الهواة الى حجب النور فوق العرش وفي كل درجة منه الف ملك لكل ملك الف لسان لكل لسان الف لغة يستغفرون لقارئها . وعنه (ع) من قرأها حين ينام وحين يستيقظ ملاً اللوح المحفوظ ثوابه وعنه (ع) ابي الله ان ينسام قارئها حتى يحفه بألف ملك يحفظونه حتى يصبح وبألف ملك حتى يمسي .

وعن الجواد (ع) انه من قرأ القدر في كل يوم مستاً وسبعين مرة خلق الله له الف ملك يكتبون ثوابها ستة وثلاثين الف عام ويضاعف الله استغفارهم له التي سنة الف مرة (٢) .

وتوظيف قراءتها في سبعة اوقات (الأول) سبع مرات بعد طلوع الفجر قبل صلاة الصبح ليصلي عليه الملائكة ستة ايام (الثاني) عشرراً بعد صلاة الغداة ليكون في ضمان الله الى المساء (الثالث) عشرراً اذا زالت الشمس قبل النافلة لينظر الله اليه ويفتح له ابواب السماء (الرابع) احدى وعشرين بعد نوافل الزوال ليخلق الله تعالى له منها بيتاً طوله ثمانون ذراعاً وكذا عرضه ، وستون ذراعاً ممكه وحشوه ملائكة يستغفرون له الى يوم القيامة ويضاعف الله استغفارهم التي سنة الف مرة (الخامس) عشرراً بعد العصر لتمر على مثل اعمال الخلائق يوماً (السادس) سبعمائة بعد المشاء ليكون في ضمان الله الى ان يصبح (السابع) احدى عشر مرة حين يأوي الى فراشه ليخلق الله منها ملكاً راحته اكبر من سبع سموات

ومسبح ارضين في كل ذرة من جسده شعرة تنطق كل شعرة بقوة الثقلين يستغفرون
لقاريها الى يوم القيامة .

وذكر الكليني في باب شأن إنا انزلناه اخباراً كثيرة وطويلة .
وفي الاختصاص للعقيد (رض) (١) قد ورد في تفسير حروف أبجد إن
الحاء من حطي حطوط الخطايا عن المستغفرين في ليلة القدر وما نزل به جبرئيل
مع الملائكة الى مطلع الفجر .

كيفية أنزال القرآن فيها والاقوال في ذلك

قال ابن عباس : انزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء
الدنيا في ليلة القدر ثم كان ينزله جبرئيل على محمد (ص) نجوماً وكان من اوله
الى آخره ثلاث وعشرون سنة .

وقال الشعبي : معناه إنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر .

وقال مقاتل : انزله من اللوح المحفوظ الى السفارة وهم الكتبة من الملائكة
في السماء الدنيا وكان ينزل ليلة القدر من الوحي على قدر ما ينزل به جبرئيل على
النبي (ص) في السنة كلها الى مثلها في القابل ، وقيل : إنه كان ينزل إلى السماء
الدنيا في ليلة القدر ما يحتاج اليه في تلك السنة جملة واحدة .

وروى الثعلبي عن ابي ذر الغفاري عن النبي (ص) انه قال : انزلت صحف
ابراهيم (ع) لثلاث مضي من شهر رمضان . وفي رواية الواحدي في اول ليلة
منه ، وانزل توراة موسى (ع) لست مضي من شهر رمضان وانزل انجيل
عيسى (ع) لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان وانزل زبور داود (ع)

(١) في حاشية ص ٤٤ .

لثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل الفرقان على محمد (ص) لأربع وعشرين من شهر رمضان وهذا بعينه رواه العياشي عن ابي عبدالله (ع) عن آباءه عن النبي (ص) .

والكلام في ليلة القدر على ثلاثة ضروب

(الضرب الأول) في معنى لفظة القدر فقيل : إن معناه ان الله يحكم فيها ويقضي بما يكون في السنة بأجمعها من كل أمر ، وهي الليلة المباركة في قوله تعالى إنا انزلناه في ليلة مباركة فالقدر بمعنى القضاء .

فمن ابي جعفر (ع) يقدر في ليلة القدر كل شيء . يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل من خير وشر وطاعة ومعصية ومولود وأجل ورزق فما قدر في تلك السنة وقضي فهو المحتوم والله فيه المشية .

وعن ابن عباس انه تعالى كان يقضي القضايا في ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر . وقيل : إن معنى ليلة القدر ليلة الشرف وعظم الشأن كقوله تعالى : وما قدروه حق قدره ، اي ما عظموه حق تعظيمه . وقيل سميت ليلة القدر لأن انزل فيها كتاب ذو قدر على نبي ذي قدر الى أمة ذات قدر على يد ملك ذي قدر . وقيل : لأن الله قدر فيها إنزال القرآن . وقيل : لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة من قوله تعالى : ومن قدر عليه رزقه ، اي ضيق .

(الضرب الثاني) في تعيينها فقيل : إنها كانت على عهد رسول الله (ص) ثم رفعت ويرد هذا القول الرواية عن ابي ذر انه قال : قلت : يا رسول الله ليلة القدر شيء . يكون على عهد الأنبياء ينزل فيها فإذا قبضوا رفعت قال (ص) : لا بل هي الى يوم القيامة . وقيل : إنها في ليالي السنة كلها ومن علق طلاق زوجته على

ليلة القدر لم يقع الى مضي سنة وهو مذهب ابي حنيفة . وعن ابن مسعود انه قال : من يتم الحول كله يصبها فبلغ عبدالله بن عمر فقال : رحم الله ابا عبد الرحمن حيث علم انها في رمضان لكنه اراد ان لا يتكل الناس .

وجهور العلماء على انها في رمضان ، ثم اختلفوا فقيل : إنها اول ليلة منه وقيل : سبع عشر منه والصحيح انها في العشر الأواخر منه لروايات تقول التمسوها في العشر الأواخر ، وكان النبي (ص) إذا دخل العشر الأواخر دأب وأدأب اهله وفي رواية ابي بصير ان رسول الله (ص) كان إذا دخل العشر الأواخر شد المئزر واجتنب النساء وأحى الليل وتفرغ للعبادة . وهؤلاء بعد ان اجتمعوا على انها في العشر الأواخر اختلفوا ايضاً فقيل : انها احدى وعشرون ، وقيل : انها ثلاث وعشرون ، وانه جاء الى رسول الله رجل فقال : إني رأيت في النوم كان ليلة القدر هي ليلة سابعة تبقى فقال (ص) : ارى رؤياكم قد تواطأت على ثلاث وعشرين فمن كان منكم ان يقوم شيئاً من الشهر فليقم ليلة ثلاث وعشرين . وقيل : إنها ليلة سبع وعشرين .

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه عن علي بن حمزة قال : كنت عند ابي عبدالله (ع) فقال له ابو بصير : جعلت فداك الليلة التي يرجى فيها ما يرجى اي ليلة هي ؟ فقال (ع) : هي احدى وعشرون وثلاث وعشرون قال : فان لم أقو عابها ؟ قال (ع) : ما أيسر ليلتين فيما تطلب قال : ربما يشك في الهلال فقال (ع) ما أيسر اربع ليال فيما تطلب ، قلت : جعلت فداك ليلة ثلاث وعشرين ليلة الجهنبي قال (ع) : إن ذلك ليقال قلت : جعلت فداك ان سليمان بن خالد قال : إن في تسع عشرة يكتب وفد الحاج قال (ع) : يا ابا محمد وفد الحاج يكتب في ليلة القدر والمنايا والبلايا والأرزاق وما يكون الى مثلها من قابل فاطلبها في احدى وثلاث وصل في كل منها مائة ركعة وأحبيها ان استطعت الى النور قلت : فان لم

اقدر وانا قائم ، قال (ع) : وانت جالس قلت : فان لم استطع . قال : فعلى فراشك قلت : فان لم استطع ، قال (ع) : لا عليك ان تكتحل اول الليل شيئاً من النوم ان ابواب السماء تفتح في شهر رمضان وتصعد الشياطين وتقبل اعمال المؤمنين نعم الشهر رمضان كان يسمى على عهد رسول الله (ص) المرزوق .

وفي رواية انه قال : ليلة ثلاث وعشرين ليلة الجهني وحديثه انه قال لرسول الله (ص) : ان بيتي ناه عن المدينة فرني بليلة ادخل فيها فأمره بليلة ثلاث وعشرين واسم الجهني عبدالله بن انيس الأنصاري .

(الضرب الثالث) في بعض ما ورد من فضلها ، فمن النبي (ص) قال : إذا كانت ليلة القدر تنزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى ومنهم جبرئيل فينزل ومعه ألوية ينصب منها لواء على قبري ولواء على بيت المقدس ولواء في المسجد الحرام ولواء على طور سيناء ولا يدع فيها مؤمناً ولا مؤمنة إلا سلم عليه إلا مدمن الخمر وآكل لحم الخنزير والمتضمخ بالزعفران . وعنه (ص) من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه . وعنه (ص) قال : إن الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء فجرها ولا يستطيع فيها ان ينال احداً بخبل او داء او ضرب من ضروب الفساد ولا ينفث فيه سحر ساحر . وعنه (ص) انها ليلة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس في صبيحتها ليس لها شعاع .

واما قوله تعالى : وما أدراك ما ليلة القدر ، فهو تعظيم لشأنها وتبنيه لعظم قدرها وشرف محلها وقد اوضح سبحانه ذلك بقوله ليلة القدر خير من الف شهر اي ان القيام فيها والعمل افضل من قيام الف شهر ، ليس فيها ليلة قدر ولا صيام لما جعل فيها من الخير والبركة للعباد .

وذكر عطاء عن ابن عباس قال : ذكر لرسول الله (ص) ان رجلاً من بني إسرائيل قد حمل السلاح على عنقه في سبيل الله الف شهر فعجب من ذلك

رسول الله (ص) عجيباً شديداً وتعني ان يكون ذلك في امته فقال : يا رب جمعت
 أممي اقصر الناس اعماراً وأقلها اعمالاً فأعطاها الله تعالى ليلة القدر وقال : هي خير
 من الف شهر النبي حمل الاسرائيلي فيها السلاح على عنقه في سبيل الله هي لك
 ولأمتك من بعدك الى يوم القيامة في كل رمضان فانظر الى مدى حبه (ص) الخير
 لأمرته وشفقته عليهم ورغبته في ترفيع درجاتهم في النزود لدار بقائهم ولهذا بعينه
 ارشدهم الى حب اهل بيته وأزمهم بالأخذ عنهم وأوجب عليهم بأمر ربه طاعتهم
 كل ذلك لمصالحهم ولسلوكم الطريق المعبد الذي يوصلهم الى رضوان ربهم
 وسكنى جنان خلدتهم .

ثم قال تعالى : تنزل الملائكة والروح فيها فقد ذكر في معنى تنزل الملائكة
 هل انهم كلهم ينزلون او بعضهم ؟ قيل بعضهم وقيل كلهم لظاهر قوله تعالى الملائكة
 المعرف باللام دون عهد فيفيد العموم وكذلك الخلاف في ان نزولهم الى السماء
 الدنيا او إلى الأرض وعلى كلا القولين فالمكان لا يسمهم إلا على سبيل التفاوت
 والنزول فوجاً فوجاً كالحجاج في دخولهم المناسك على كثرتهم ، ومن هنا فسر
 بعضهم معنى ليلة القدر بالضيق كما تقدم تقريره ، وعلى كل فنزولهم قيل فيه
 ليسمعوا الثناء على الله تعالى وقراءة القرآن وغيرها من الأذكار وقيل ليسلموا
 على المسلمين باذن الله ، اي بأمر الله وقيل ينزلون بكل أمر عائد الى مصالح العباد
 في تلك السنة إلى سماء الدنيا حتى يعلم اهلها فيكون لطفاً لهم .

واما الروح فقيل : إنه جبرئيل ، وقال كعب ومقاتل الروح طائفة من
 الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس إلى طلوع
 الفجر . وقيل : الروح هو الوحي كما قال تعالى : اوحيينا اليك روحاً من أمرنا
 ومعناه تنزل الملائكة ومعهم الوحي بتقدير الخيرات والمنافع .
 ولكن الظاهر انه غير ذلك . لأنه معطوف على الملائكة والمطف يقتضي

الغاير ، وبدل عليه ما روي عن الصادق (ع) قال : إن الروح اعظم من جبرئيل ان جبرئيل من الملائكة والروح خلق اعظم من الملائكة أليس يقول الله تعالى : تنزل الملائكة والروح (١) .

وفي شرح الصحيفة أتى رجل علي بن ابي طالب (ع) يسأله عن الروح أليس هو جبرئيل ؟ فقال (ع) له : جبرئيل من الملائكة والروح غير جبرئيل ، فقال له الرجل : لقد قلت قولاً عظيماً ما احد يزعم ان الروح غير جبرئيل فقال له علي (ع) : إنك ضال تروي عن اهل الضلال يقول الله لنبيه (ص) : أتى امرأته فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح (٢) والروح غير جبرئيل .

وعنه (ع) ايضاً ان له سبعين الف وجه واسكل وجه سبعون الف لسان اسكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ويخلق الله من تسبيحه ملكاً يطير مع الملائكة ولم يخلق الله اعظم من الروح غير العرش ولو شاء ان يبلع السموات السبع والأرضين السبع بلقمة واحدة لفعل فسبحان من هو على كل شيء قدير .

وقد ذكر ان الروح في يوم القيامة يقف صفاً وحده وباقي الملائكة كلهم صفاً في قبالة اهل الجنة يمرون من بينهم احتراماً لهم وإجلالا وتعظيماً .

ثم قال تعالى : باذن ربهم ، اي بأمر ربهم من كل امر ، اي بكل امر من الخير والبركة كقوله تعالى : يحفظونه من امر الله اي بأمر الله فمن بمعنى الباء وقيل : معناه بكل امر من اجل ورزق إلى مثلها من العام القابل سلام هي حتى مطلع الفجر اي ان هذه ليلة الى آخرها سلامة من الشرور والبلايا وآفات الشيطان وقيل : معناه سلام على اولياء الله واهل طاعته ، فكلاماً لقيتهم الملائكة في هذه (١) يريد (ع) قضية العطف كما ذكرنا . (٢) سورة النحل الآية ٢ .

الليلة سمعوا عليهم من الله تعالى . والحاصل ان السلامة والبركة والفضيلة في هذه الليلة يمتد وقتها إلى طلوع الفجر ولا يكون في ساعة منها خشب ، بل يكون في جميعها والله اعلم بالصواب .

ولنختم فصل الصوم بالتيمن بما كان يخطب به الناس امير المؤمنين عليه السلام يوم عيد الفطر ونهاية الصيام .

ففي شرح نهج البلاغة (١) خطب امير المؤمنين (ع) في يوم الفطر ومن فقراتها ألا ان الدنيا قد تنكرت وأدبرت وأصولت وأذفت بوداع ألا وان الآخرة قد رحلت فأقبلت وأشرفت وأذنت باطلاع ألا وان المضمار اليوم والسباق غداً ألا وان السبقة الجنة والغاية النار ، أفلا تأب من خطيئته قبل يوم منيته ألا عامل لنفسه قبل يوم يؤسه وفقره جعلنا الله وإياكم ممن يخافه فيرجو ثوابه ، ألا وان هذا اليوم يوم جعله الله لكم عيداً وجعلكم له اهلاً فاذكروا الله يذكركم وادعوه يستجب لكم وأدوا فطرتكم فانها سنة نبيكم وفريضة واجبة من ربكم فليؤدوها كل امرئ منكم عن نفسه وعن عياله كلهم ذكرهم وأنثاهم وصغيرهم وكبيرهم وحرهم ومملوكهم عن كل إنسان منهم صاعاً من بر او صاعاً من تمر او صاعاً من شعير وأطيعوا الله فيما فرض عليكم وأمركم به من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم شهر رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاحسان الى نساءكم وما ملكت أيماكم وأطيعوا الله فيما نهاكم عنه من قذف المحصنة وإتيان الفاحشة وشرب الخمر وبخس المكيال ونقص الميزان وشهادة الزور والفرار من الزحف عصمنا الله وإياكم بالتقوى وجعل الآخرة خيراً لنا ولكم من الأولى ان احسن الحديث وابلغ موعظة المتقين كتاب الله العزيز اعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد .

فهرست الجزء الأول من كتاب الآيات الساطعة

الموضوع	الصحيفة	الموضوع	الصحيفة
عدد الناجين وفلسفة نجاتهم	٢٦	المقدمة	٣
الصمود على الايمان يسخر الجمادات	٢٧	المدخل هوى النفس ومدى تأثيرها	٥
قبس عن عدالة البارى يتجلى في نوح وابنه وفيه الفلسفة لعدم دخول المشرك الجنة	٢٨	علاج النفس وأجر جهادها	٦
نوح وإبليس في معركة بعيدة القعر	٢٩	نتيجة إهمال النفس	١١
الفلسفة في طهارة العصير بذهاب الثلثين	٣٠	العقد الأول في توحيد الله تعالى وفيه فصول	١٣
مقارنة بين نوح (ع) ونبينا محمد ﷺ وفيها الفلسفة لجعله سيد المرسلين وانتخاب اهل بيته الطاهرين	٣١	الفصل الأول في معنى التوحيد	١٥
المصير الأخير لنوح (ع) وفيه العظة الشافية وفلسفة الوصية لولده سام دون اخويه	٣٢	اجر كلمة التوحيد لقاتلها	١٥
هود في بعثته ومسلكه في دعوته	٣٣	الفصل الثانى	١٧
آداب الأنبياء مع قومهم في الدعوة	٣٤	في بعثة الأنبياء وحالهم في الدعوة	١٧
الفصحة وفيها منزل عاد والمرحلة الأولى من عذابهم	٣٥	احوال شعيب وفصاحته في الارشاد	١٧
		موسى الكليم خدام لشعيب	٢٠
		بعثته الى قومه ونزول العذاب عليهم	٢١
		تعذيب فظيع لمن آمن به	٢٣
		نوح (ع) وحالته في الدعوة	٢٤
		غرق قومه ونجاته ومن معه بالسفينة	٢٥
		ماهو المراد من التنوير وفورانه بالما	٢٦

الصحيفة	الموضوع	الصحيفة	الموضوع
٣٦	الخلاصة وفيها انتصار الحق وان	٤٨	الوسامات الرقيقة منه تعالى للصامدين
	قل اهله على الباطل وان كثر اهله		على الحق وعدم ضياع جهادهم
٣٧	الاخلال بالنظام يوجب الانتقام	٤٩	الجواب عن شبهة لزوم الكذب
٣٨	الأئمة الأطهار يكشفون حقيقة الآثار		لقوله (ع) بل فعله كبيرهم
٣٩	الامام (ع) يبين الرياح المهلكة	٥٠	إخام ابراهيم لقومه بالحجة من
	وأسماؤها من القرآن		طريق الحس
٤٠	الفلسفة في قصص القرآن الكريم	٥١	الشبه الكامل في المبدأ والمنتهى بين
٤١	الفلسفه في تنوع وسائل العذاب		ابراهيم (ع) وقومه وبين محمد
٤٢	ابراهيم (ع) وأسباب اتخاذ خليلا		صلى الله عليه وآله وسلم وقومه
	وبعض خصائصه	٥٢	إبليس مخترع طريقة إلقاء الخليل
٤٣	دعوته (ع) على العاصين وانتصار		في النار لحيرتهم في ذلك
	الله تعالى لهم والحكمة في الغض عنهم	٥٣	ثمرات العقيدة والنجدة من الله
٤٤	تدبير الله تعالى في رساله يغلب		بخارق المادة
	تدبير اعدائه	٥٤	لوط ونتيجة إيمانه
٤٥	التحقيق في آزر وفق المحافظة على	٥٥	عذاب الاستئصال نتيجة الاصرار
	كرامة الأنبياء	٥٧	تدمير قوم لوط بلون شنيع لشناعة
٤٦	الصادق (ع) يكشف ما اراه الله		ذنوبهم
	تعالى لابراهيم من الملكوت	٥٨	مكيدة دقيقة لابليس في إغواء قوم
٤٧	الكشف عن معنى قوله (ع) للكوكب		لوط على لسان الباقر (ع)
	والقمر والشمس هذا ربي على	٥٩	هجرة ابراهيم (ع)
	طبق مذهب الامامية من عصمة الأنبياء	٦٠	القصة وفيها غيرته (ع) وما لاقى

الموضوع	الصحيفة	الموضوع	الصحيفة
إجابة الجليل دعوة الخليل	٧٨	في طريقه من ملك القبط	
الفلسفة في تخصيص الطاووس والنسر	٧٩	غيرة جبرئيل تثبت لورقة بن نوفل	٦١
والبط والديك بالذبح		نبوة محمد (ص)	
معجزة للصادق (ع) تفوق معجزة	٨٠	الوفد من الله تعالى بحمل البشارة	٦٢
إبيه إبراهيم (ع)		لابراهيم (ع)	
بدء الخليفة وأبو البشر في تكوينه	٨٤	اسباب خوف إبراهيم (ع) من الرسل	٦٤
وعبث الشيطان فيه		تعجب سارة بالبشارة ومعناه	٦٥
إبليس من الجن أو من الملائكة	٧٦	إبراهيم يجادل الرسل ومعنى ذلك	٦٦
الكشف عن امر غامض يخص	٨٧	المدحة من الله تعالى لخليله لدفع	٦٧
محمداً (ص) وأهل بيته (ع)		الشبهة عنه (ع)	
إبليس يطالب ربه بمدله عوضاً	٨٨	العودة على إبراهيم بأشد الامتحان	٦٨
عن عبادته		تصميم إبراهيم على ذبح ولده	٦٩
اقتصار آدم لذريته	٨٩	واستسلام الولد لربه	
إبليس يخترع القياس والعلم يفضح	٩٠	تشخيص الذبيح من هو	٧٠
الجهل		تعميم ملاك الاحسان	٧١
العلم مودوع عند اهله وهو رصيد	٩١	إيضاح القصة	٧٢
الحاجة		إبليس يتابع إبراهيم وسارة مع	٧٣
احكام الشرع بالنص تبطل الأخذ	٩٤	رسوخها في الايمان	
بالقياس		أخذ العبرة من القصة	٧٥
اهل البيت (ع) يعالجون امراض	٩٥	معنى قوله (ع) : رب ارني كيف	٧٧
النفوس بوصفاتهم الروحية		تحبي الموتى	

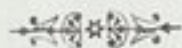
الموضوع	الصحيفة	الموضوع	الصحيفة
١٢٠	التمرات الفياضة لقصة ايوب واخذ العبرة منها	٩٧	تشخيص الداء وتعيين الدواء
١٢١	داود (ع) في قوته ومعنى إعطائه فصل الخطاب	٩٨	إجماع الأطباء تبعاً لمرشدكم الأعلى على تشخيص الداء والدواء
١٢٥	تحكيم داود يعطينا نظرة عمما نحن فيه	٩٩	آدم والجنة
١٢٧	علي (ع) يوصي الأمة كوصية الله تعالى لداود	١٠٠	إبليس في التعقيب وحيلته في النجاح
١٣٠	النفس الشريرة تحاول النهوض	١٠٢	المرض المكروبي بسبب العزل لصاحبه من طريق الفلسفة
١٣١	إسعافات الباري لداود في إخماد طغيان النفس	١٠٣	سرانديب مهبط آدم من الجنة إلى دار العناء
١٣٤	الله تعالى يتجر لصاحبة الغزل	١٠٤	اكتشاف سر الله تعالى في محمد (ص) وآله (ع) من القرآن العظيم
١٣٥	الزبور يعظ بني إسرائيل في سورة	١٠٧	يونس ذو النون وقصته
١٣٦	السورة السابعة عشر من الزبور	١٠٩	الالتجاء إلى الله في بطن الحوت والاعتراف بالذنب
١٣٧	السورة الثالثة والعشرين من الزبور	١١٠	تمرات الخلوص والكشف عن سر الاجابة
١٣٨	ما في السورة السادسة والأربعين	١١٢	الرجوع لنوي الفن مصحوب النجاح
١٣٩	داود (ع) يشيد بيت المقدس	١١٤	ايوب في صبره عند محنته
١٤٠	انتقال داود لدار البقاء على مكانته	١١٧	ايوب في معرفته مع إبليس لعنه الله
١٤١	إرادة الله في تشييد بيت المقدس نظهرها الحادثات	١١٨	انفاس ايوب في رحمة ربه .
١٤٢	ألطف الله تقع في محلها القابل	١١٩	ايوب في اخلاصه وتنفيذ عهده لربه
١٤٤	ذوا اللب في إمكانياتهم		

الموضوع	الصحيفة	الموضوع	الصحيفة
التوحيد هو الأساس الرصين	١٨٠	الريح تحمل البساط ومن عليه	١٤٦
العجب يؤل بصاحبه الى النزول	١٨٢	سليمان والتملة	١٤٧
الايان الكامل يسدد صاحبه	١٨٣	سليمان والحوت	١٤٨
التقاء موسى (ع) بالخضر	١٨٥	سليمان يعرف منطق الطير	١٤٩
قيمة العلم عند اهله	١٨٦	اندحار ابي حنيفة	١٥١
انتقاد موسى (ع) للخضر في افعاله	١٨٧	يوم لسليمان اوله بضد آخره	١٥٤
كشف الخضر عن اسرار افعاله	١٨٩	دفع شبهة البخل والاحتكار عنه (ع)	١٥٦
سر يتولد من سر	١٩١	يحكم سليمان طبق الواقع في الحرث	١٥٧
مقارنة بين امير المؤمنين (ع) والخضر	١٩٢	فتنة سليمان امتحان له ولطف به	١٥٨
نشأة الخضر	١٩٣	لكل بداية نهاية	١٦٠
الخضر في حياته وبعض احواله	١٩٥	سليمان في آخر نفس من حياته	١٦٢
وصية الله تعالى لموسى (ع)	١٩٨	الحسين (ع) في آخر لحظة من حياته	١٦٣
نصائح من عدو لدود	١٩٩	لقمان في حكمته ونزول القرآن فيه	١٦٤
حكمة الله تعالى في عباده	٢٠١	بالامكان لكل انسان ان يكون لقمان	١٦٦
موسى (ع) يدافع ملك الموت	٢٠٢	الشكر يشمر لصاحبه وللنظام العام	١٦٧
الخلافه في دورها الامتحاني	٢٠٣	شكر الوالدين عدل شكر الخالق تعالى	١٦٩
تشبيه علي (ع) بيوشع معكوس	٢٠٤	وصية لقمان لابنه ومواعظه	١٧٠
كشف عن غامض من مخلوقه تعالى	٢٠٥	لقمان حكيم من بدئه	١٧٢
آثار الانقطاع اليه تعالى	٢٠٦	فضل قراءة سورة لقمان	١٧٧
نتيجة التمرد والظفيان في قارون	٢٠٧	اختيار الله تعالى موسى (ع) مبلغاً	١٧٨
الغرور الأخير لقارون	٢١١	القصة في بعثته	١٧٩

الصحيفة	الم. ضوع	الصحيفة	الم. ضوع
٢١٢	الانتقام الحتمي من قارون وسببه	٢٣٢	العجب من اسلحة الشيطان الخفية
٢١٣	إبليس في معركته الأخيرة معهم	٢٣٣	الطاف الله لأنبيائه وفق العدل
٢١٤	معنى قوله تعالى : يضل من يشاء ويهدي من يشاء	٢٣٤	في الدفع عما يؤهم نقصهم (ع)
٢١٥	احوال عيسى (ع) وحمله وولادته وعمره	٢٣٥	النجاة من هذه الورطة
٢١٦	التجاء مريم إلى ربها	٢٣٧	التحذير المشفع بالتهديد
٢١٧	اول كلمة لعيسى (ع)	٢٣٨	العقد الثاني في العبادة وفيه فصول
٢١٨	فلسفة تخصيص مساجده بالابراء والأحياء		الفصل الأول في الصلاة
٢٢٠	عيسى (ع) يحلل الدنيا تحليلاً ضافياً	٢٣٩	فلسفة تشريع الصلاة
٢٢١	المراد من قوله تعالى : من أحيى نفساً الأحياء الروحي	٢٤٠	الصلاة تتضمن وعداً ووعداً
٢٢٢	معاجز عيسى (ع) في زهده والناس منها على طرفي نقيض	٢٤١	فوائد الصلاة عاجلاً وآجلاً
٢٢٣	الجاهل يقتله الذهب والمائل يقتل الذهب	٢٤٢	معنى قوله تعالى : إن الصلاة تنهى عن الفحشاء ... الخ
٢٢٥	مواظع عيسى (ع)	٢٤٣	الشيطان يخاف من الانسان
٢٢٨	علي (ع) يوضح قول الناقوس	٢٤٤	مساابقة الطامعين في الصلاة
٢٢٩	ارتفاع عيسى (ع) إلى السماء	٢٤٧	اقوال النبي (ص) في آداب الصلاة
٢٣١	إبليس يطمع حتى بالأنبياء	٢٤٨	العلاج لقطع الوسوس فيها والأمثلة
		٢٤٩	مكاسب الصلاة وفضلها
		٢٥٠	الصلاة يعالج بها سواد آدم
		٢٥١	الاعتبار لذوي اللب والأفكار
		٢٥٢	الأسرار الدفينه في الصلاة
		٢٥٣	اسرار الوضوء وإضافة القلب إلى اعضائه

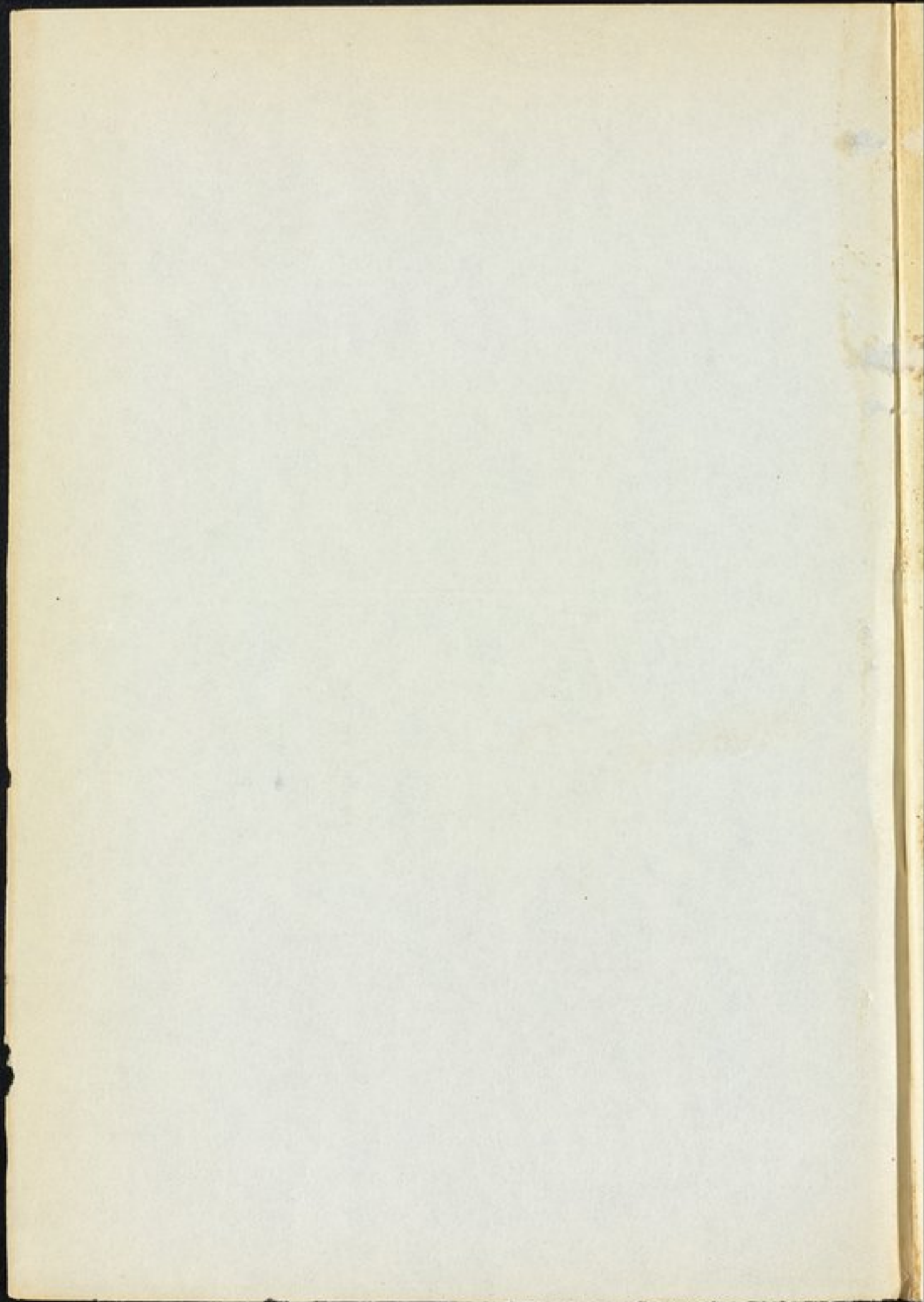
الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
٢٧٨ لقمان يقارن بين الدرّة والموعظة		٢٥٤ تفصيل الرموز الخفية في اجزاء الصلاة وشرائطها	
٢٨٠ اول خطبة للنبي (ص) في المدينة		٢٥٦ اسرار فاتحة الكتاب	
٢٨١ النداء في القرآن بصلاة الجمعة وسبب النزول ومعنى الآية واسرار السورة		٢٦١ عظمة السجود وفزع إبليس منه إلى سلاحه النهائي	
٢٨٣ تبديل عثمان سيرة رسول الله (ص)		٢٦٢ البغية تقهر إبليس بتوبتها	
٢٨٤ فضل الجمعة وعشق من مات فيها		٢٦٤ اساس سجدة السجدة في الاسلام	
٢٨٧ السر الغامض لآيات سورة الجمعة		٢٦٥ الفلسفة في حديث نبي الاسلام على اربع	
٢٨٨ بشائر عديدة للشيعه وفيها رواية الاختصاص المتضمنة فهل سررتك سراراً		٢٦٧ فوائد المبادرة إلى الصلاة في اول وقتها	
٢٩٢ البشائر تتوالى		٢٦٨ الصلاة جماعة لا يخصى نوابها	
٣٩٣ حكمة الالزام بحج اهل البيت (ع)		٢٦٩ الصدقة بما في الأرض لا تساوي تكبيره الاحرام جماعة	
بآية القرني وسبب نزولها وتفسيرها		٢٧٠ ملك ذو عيون كثيرة يعجز عن عد نواب صلاة الجماعة	
٢٩٥ التأييدات الطبيعية		٢٧١ النبي (ص) لا يترك صلاة الجماعة حتى في الحرب	
٣٠١ آية ام يحمدون الناس . . . الخ ، سرها اهل البيت		٢٧٥ الصلاة تكسح الذنوب	
٣٠٢ نتائج تصفية النفس الاخبار بالمغيبات		٢٧٦ شفقة الصادق (ع) على المؤمنين	
٣٠٥ معجزة للكافم (ع)		٢٧٧ علي (ع) يمتحن الناس في ارجى آية	
٣٠٦ معجزة باهرة وكرامة نادرة للجواد			
٣٠٨ كرامة للصادق (ع)			
٣٠٩ الذخائر الثمينة في الأوعية الحصينة			

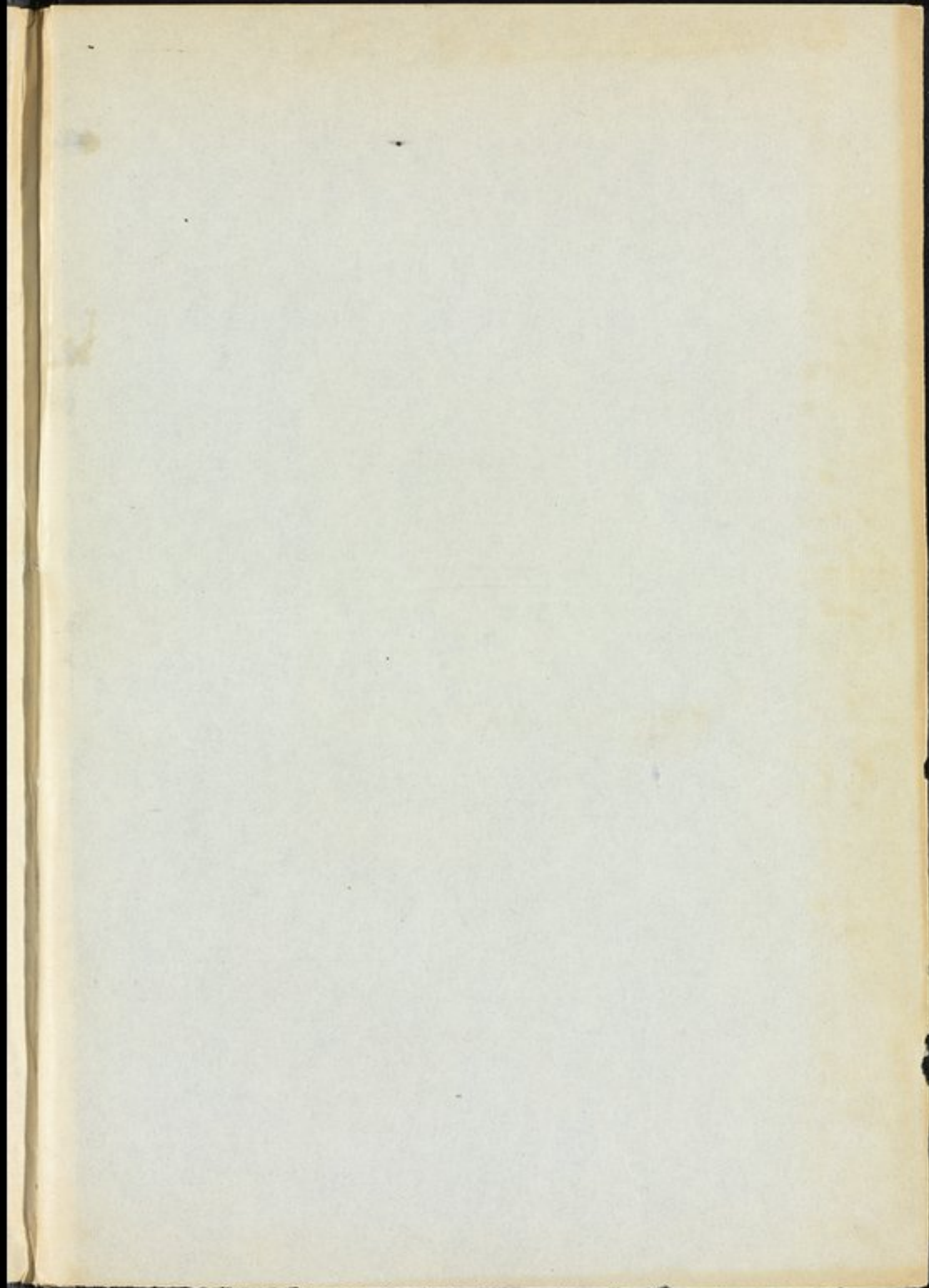
الموضوع	الصحيفة	الموضوع	الصحيفة
تنويجه <small>عليه السلام</small> بإمامته <small>عليه السلام</small> السحاب	٣٣٦	حكيمات الصادق (ع)	٣١٣
الأعمال في يوم الغدير وانه عيد	٣٣٨	جواهر الكلام تراجمهم للأنام	٣١٤
تطبيق آية وما صاحبكم بمجنون الخ	٣٣٩	وصية الصادق <small>عليه السلام</small> لولده موسى <small>عليه السلام</small>	٣١٦
في دلائل إمامة امير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	٣٤١	من حكم الحسن <small>عليه السلام</small>	٣١٧
تشبت المخالفين وردم	٣٤٤	من حكم الحسين <small>عليه السلام</small>	٣١٨
علي <small>عليه السلام</small> نفس النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> وتفسير	٣٤٥	من حكم علي بن الحسين <small>عليه السلام</small>	٣١٩
آية المباهاة وسبب النزول		المخلفات الروحية	٣٢١
الفصل الثاني في الصوم	٣٤٨	من العترة النبوية حكم الكاظم <small>عليه السلام</small>	٣٢٣
القرآن الكريم بشير إلى فلسفة الصوم	٣٥٠	التراث الجميل من معدنه الأصيل	٣٢٥
آثار الصوم	٣٥٥	للرضا <small>عليه السلام</small>	
التهديد لتارك صومه	٣٥٨	من حكم الامام الجواد <small>عليه السلام</small>	٣٢٦
إيضاح في رد شبهة	٣٦٦	من حكم الامام الهادي <small>عليه السلام</small>	٣٢٧
الدعاء عبادة في حد ذاته	٣٦٨	كلمتنا الأخيرة في حقهم (ع)	٣٣١
الدعاء للمؤمنين واستنثار الداعي له	٣٧٣	المقارنة بين الصلاة وحبهم (ع)	٣٣٢
في صفة المؤمن وكرامته على الله تعالى	٣٧٤	الولاية الكبرى لأمر المؤمنين <small>عليه السلام</small>	٣٣٣
فضل زيارة المؤمن	٣٧٩	وتفاصيل يوم الغدير	
في فضل قراءة سورة القدر	٣٨٤	نصوص خطبة النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> يوم الغدير	٣٣٤
الكلام في ليلة القدر	٣٨٥	والفلسفة في نصب علي <small>عليه السلام</small>	



تم بعون الله تعالى الجزء الأول من كتاب الآيات الساطعة

ويليه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى





Library of



Princeton University.

Princeton University Library



32101 072238247